

آداب

الإناسة بشرح ألفية الحماسة

«وهي الألفية التي انتقاها أبو مالك العوضي من ديوان الحماسة لأبي تمام»



عثمان بن عبدالله العمودي


الإناسة
بشرح ألفية الحماسة



«وَهِيَ الأَلْفِيَّةِ الَّتِي انتَقَاهَا أَبُو مَالِك العوضِيّ مِن دِيوَانِ الحَمَاسَة لِأَبِي تَمَّام»

عُثْمَان بن عَبْدالله العَمُودِيّ

ح شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمودي، عثمان بن عبد الله

الإناسة بشرح ألفية الحماسة./ عثمان بن عبد الله العمودي - ط١، الرياض، ١٤٤٣هـ.

٦٨٦ص؛ ١٧× ٢٤ سم

ردمك: ٥-٨-٩١٦٦٠-٦٠٣-٩٧٨

١- الشعر العربي - العصر العباسي الأول

٢ - الشعر الحماسي أ. العنوان

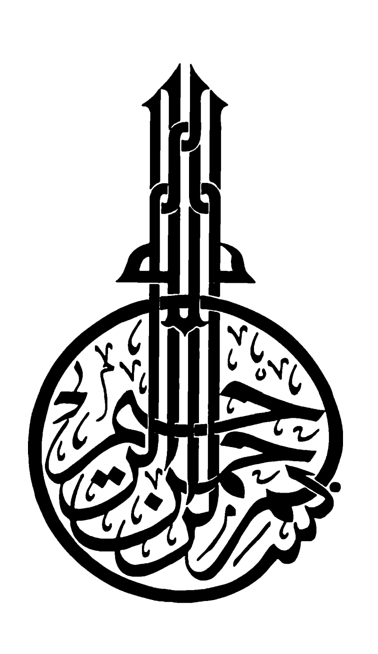
ديوي ٨١١,٤٠٢٤ ١٤٤٣/١١٩٩١

رقم الإيداع: ١٤٤٣/١١٩٩١

ردمك: ٥-٨-٩١٦٦٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نحمدك علىٰ ما أوليتَه الإنسانَ من نعمة الإعراب والبيان، ونشكرك علىٰ ما تفضلتَ به من تجميل العرب بحُسن المنطق وفصاحة اللسان، نشهد أن لا إله إلا أنت ونشهد أن نبيَّنا محمدٌ ﷺ سيدُ ولد عدنان، اختاره الله من كنانةَ فقريشٍ فهاشم، وجعله النبيَّ المصطفىٰ والرسولَ الخاتم، وأنزَل عليه القرآنَ حجةً علىٰ العرب والأعاجم، بلسانٍ عربي مبين، وبرهانٍ واضح متين، إن في هذا لبلاغـًا لقوم عابدين.

أما بعدُ فإن العاقلَ حريصٌ بطبعه علىٰ استكمال محاسن الأخلاق، طامحٌ بعظيم همّته إلىٰ بلوغ معالي الأمور، يسعىٰ في سبيل تحصيل الكمال براحلة عَزمِه، يَضربُ بها في كل واد وشِعب، ويتقحم عليها كلَّ مضيق ونَقب، وهو علىٰ هذا قد يعسِف الطريق ويجورُ عن القصد! حتىٰ إذا أبصر نجمـًا هداه عن ضلاله، وبصّرَه الواضح من سبيله، فيبلغ مرادَه ويحصّل مأمولَه.

ومن تلك النجوم التي يتوهج ضوءُها ويُشعّ قبسُها (**نجمُ الأدب**)، فهو القائد إلىٰ محاسن الأخلاق، والدالّ علىٰ معالي الأمور، ومن أخصّ أنواعه الشعر، وهو ديوان العرب وكتابهم، والحافظ لأيامهم وتراثهم، الآخذ بأيدي سالكيه إلىٰ كلّ مكرُمةٍ وبِرّ، والسائق بزمام قاصديه إلىٰ مُتربَّع العز والفخر، فهو روضةٌ فينانة لشاديها، وراحلةٌ نجيبة لحاديها، وثمرةٌ يانعة لقاطفِها، ودارٌ عامرة لراصفِها، وبه تعلمُ ما اختصّ اللهُ به العربَ من الفضل، واصطفاهم علىٰ غيرهم وهم لذلك أهل، حتىٰ غدا المُتحفّظُ لأشعارهم متخلقـًا بحميدِ الأخلاق وحسَن المآثر:

ولولا خِلالٌ سنّها الشِّعرُ ما درىٰ   بُغاةُ العلا من أين تؤتىٰ المكارمُ![1]

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي (٢/ ٨٩).

وليس الأمرُ مقتصراً علىٰ هذا وحسب، بل إنه يكسو صاحبَه حُلّةَ الحِكمة المطرّزة بالجُمان، ويريق علىٰ لسانه صبيبَ الشّهد المُحلّىٰ بالبيان، فتراه عذبَ الألفاظ، بديعَ المعاني، لا تُعوِزه في إيضاح مقصده كلمة، ولا يعسُر عليه في بيان حجّته معنىٰ، حاضراً لمواطن الاستشهاد، حاذقاً بمواقع الأمثال، وإنّ من البيان لسحرا.

ثم إنه عارفٌ للوقائع والأخبار والأيام، بصيرٌ بالبلدان والقبائل والأعلام، فتاريخُ الأوائل في ذهنه منشور، ونسَبُ السالفين في عقله مسطور، فهو فطين بالموارد والمصادر، عالمٌ إذا توسّط المجالس أو ارتقىٰ المنابر.

وكذلك فإنه لا يحلّ النظرُ في كتاب الله وسنّة رسوله ـ نظرَ مستفيدٍ مُستدِلّ ـ إلا لمن جمع مِن هذا كلِّه وَفرا، ونال منه حظّا، فهو الذي تكمُل به آلة العالِم كالفتيلِ لا يقوم السّراجُ إلا به، ويُشحن منه ذهن الكاتب كالحبر لا يُمَدّ القلمُ إلا منه، وهذا كله غيضٌ من فيض الشعر، وثمرٌ من دوح الأدب، ولو أفضنا في ذكر ممادحه وما يتحصّل لصاحبه لطال بنا المقام.

وأنت إذا نظرتَ إلىٰ كل هذا فتاقت إليه نفسك فاعلم أن العلماء قد صنفوا فيه وأوعبوا، وسهلوا الأمر في ذلك وقرّبوا، فمنهم من قصد خُطَب العرب فجمعها، ومنهم من مال إلىٰ شعرهم فرواه، ومنهم من جارىٰ أرباب البيان فحاك علىٰ منهجهم نثرا أو قال علىٰ طريقتهم شعرا، ثم أخذوا يتناقلون هذا ويتعاهدونه بدِقّة الرواية وبسطِ الشرح وتبيين المجملات وتوضيح المشكلات، حتىٰ انتهىٰ بأصول هذا العلم المقام، واستقرّت بقواعد هذا الفنّ النّوىٰ، فكان من أراد تحصيلَه لم يعسُر عليه، وصار يُتحصّل هذا الفن بالمسامرة والمطالعة والممارسة.

وكان مما فعله أربابُ هذه الصنعة أن عمدوا إلىٰ شعر العرب فاختاروا منه ما استحسنوه، اختيارَ حذق ودراية لا تشهٍّ وعَماية، وهم في هذا مقلّدون للعرب

أنفسهم، وهل كانت المعلقات ونحوها إلا قصائدَ استحسنتها العربُ فقدّمَتها؟ وكذلك صنَع هؤلاء العلماء، فمنهم من اختار جِياد القصائد، ومنهم من اصطفىٰ حِسان المقطّعات، ومنهم من روىٰ ديوان شاعرٍ بعينِه، ومنهم من كتَب في بابٍ بخصوصِه، طمعاً منهم في تقريب هذا الفن للطامح إليه، وتيسيره علىٰ الراغب فيه، فإن حيازة شعر العرب كلِّه من محالات المَطالِب، لما حصل من التضييع والتناسي والنّحْل وغير ذلك.

وعلىٰ رأس هذه الاختيارات اختيارُ أبي تمام حبيب بن أوس الطائي في ديوانه المعروف بـ«الحماسة»، الذي (وقع الإجماعُ من النقاد علىٰ أنه لم يتفق في اختيار المقطّعات أنقىٰ مما جمعه)[1]، هذا مع أنه قد وضَع غيره من الدواوين، وكثُر انتقاؤه من شعر العرب لولوعه به وكلَفِه، إلا أن محلّ هذا الديوان منها كمحلّ القُطب من الرّحىٰ، وكما أن أبا تمام شاعر مُجيد فإنه ناقد حاذق، وقلّ من يجمعُ بين قولِ الشعر ونقدِه، وهذا أبو الطيب المتنبي الذي أمطرت بشعره السّحبُ قبل أن تسير به الركبان كان لا يُركِضُ فرسَه في ميدان النقد، فإن سُئل عن معنىً قاله أو توجيهِ إعرابٍ في شعره تملَّص وقال: (عليكم بالشيخ الأعور ابن جنِّي فسلوه؛ فإنه يقول ما أردتُ وما لم أُرد)![2] وهو الذي يقول:

أنـامُ مـلءَ جفـوني عـن شـواردِها ويسـهرُ الخلقُ جرَّاها ويختصِمُ![3]

(ولو أنَّ نقد الشِّعر والمعرفة كان يُدرَك بقول الشِّعر والرواية؛ لكان مَن يقول الشِّعر من العلماء ويعرِض له أشعرَ النَّاس... فقد يقول الشِّعر الجيِّدَ من ليس له المعرفة بنقده، وقد يميِّزه مَن لا يقوله)[4].

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقي (١/ ٣).

(٢) مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (٧/ ١١٦).

(٣) ديوان المتنبي بشرح المعري (١١٦١).

(٤) المصون لأبي أحمد العسكري (٦).

فلما كان أبو تمام بهذه المكانة، وديوانُ الحماسة بتلكمُ المنزلة، تلقاه شداةُ الأدب بالقبول وحُسن التعاهد، وعني به العلماء عنايةً صادقة بالشرح والحفظ والمطالعة والانتقاء والمدارسة حتىٰ إن بعضَهم عمد إلىٰ هذا الديوان فنثَر شعره بيتاً بيتاً![1]

وأقول: إنَّ ديوان الحماسة عند الأدباء كسنن أبي داود عند الفقهاء، فالكتابان ليس فيهما ما اجتمع النَّاس علىٰ ردِّه، وشمِلت السننُ غالبَ أحكام الفقه كما شمِلت الحماسةُ غالبَ أغراض الشِّعر، وكلاهما سهل المتناول، قريب المأخذ، حسَن التقسيم، وكما أنَّ أبا داود إمامٌ في الحديث والفقه فإنَّ أبا تمام إمامٌ في الشِّعر والنَّقد.

ومن العناية بديوان الحماسة ما تحصّل في عصرنا للشيخ أبي مالك العوضي الذي عمد إلىٰ هذا الديوان فقرأه غير مرة ثم انتخب منه نحواً من ألفِ بيت للحفظ والاستشهاد أرادها لنفسه بدءا، ثم لما اقترح عليه بعضُ الأفاضل نشْرَها أعاد النظر فيها ثم أخرجها مطرّزةً بنكت لطيفة وتعليقات رائعة، وقدّمها بمقدمة ذكر فيها شرطَ انتقائه ومنهجَه الذي سار عليه وأنه إنما أراد بهذه الألفيّة طلابَ العلوم الشرعية بالقصد الأول، أما المشتغلون بالشّعر والأدب فلا يستغنون بديوان الحماسة فضلاً عن استغنائهم بمنتقىٰ دونه!

ومن العجب أن أمسىٰ كثير من طلاب العلم الشرعي اليوم بمعزِل عن الأدب عامةً والشعر خاصة، وكأنه فَضلة العلوم وذُباب الطعام! ولستُ أعرِضُ إلىٰ ذكر من طمس الله علىٰ بصيرته فنفّره عن هذا العلم النافع حتىٰ أخذ يشنّع علىٰ أهله والمشتغلين به والمطالعين له، وإنما أعني أولئك الذين علموا أن اللغة قوام نظر العالم وسبيل تحصيله وعلموا أن خزانةَ اللغة الشعرُ، ثم تراهم عنه غافلين! وبغيره مما هو أسخف منه منشغلين!

---

(١) هو أبو سعيد علي بن الكاتب (ت٤٤١هـ)، صنع كتابه هذا لبهاء الدولة ابن بويه وسماه (منثور البهائي).

وليس هذا محلَّ البسط في شأن الشِّعر ومكانه عند العلماء في العصور السالفة، ولا محلَّ ذكر احتفاء النبي ﷺ وأصحابه به، وقد تقرر شأنُه قبل ذلك بقرون في توراة موسىٰ عليه السلام! قال كعب الأحبار: (إنا نجد قومًا في التوراة أناجيلُهم في صدورهم، تنطق ألسنتهم بالحكمة، وأظنّهم الشعراء)[1].

وقد منّ الله عليّ ببعض العناية بديوان الحماسة، ثم لما خرجَت الألفية كنا نعقد مجالس مع بعض الأقران نتدارسها لا نجلس لشيء إلا لها، وكانت تمرُّ الغوامض وترِد المشكلات، فقلَّما نجد ما نفزع إليه، فجاءت فكرةُ هذا الشرح، ليكون شرحًا يقرّب معانيها للمبتدي ويسهِّل مركبَها للممتطي، وتعليقات الشيخ أبي مالك -علىٰ حُسنها- تقصر عن اسم الشرح، وهو لم يُرد شرحها، بل ربما ترك التعليق علىٰ بعض الغوامض عمداً حتىٰ يحسن بالطالب الرجوع والبحث، وشرَط علىٰ نفسه أن يرقم كلَّ قطعةٍ انتقاها برقمها في شرح المرزوقي للحماسة حتىٰ يتسنّىٰ للمريد الأخذ، فأتىٰ بشرطه وأوفىٰ، غير أن شرحَ المرزوقي وحده -وإن كان بديعًا رائقًا- لا يكفي لبيان المعاني، فهو تارة يقصُر الشرح علىٰ التعليق البياني وتارة لا يتطرق لمفردات الألفاظ، هذا مع تركه ترجمةَ الشعراء وإغفاله سببَ ورود القطعة في جملة كتابه، فربَّما حمل الشِّعر علىٰ غير معناه، وكثيراً ما يستطرد في غير المقصود، ويأتي بلطائف ونوادر قد يعسر فهمها علىٰ المبتدي، وإن كان الناظرُ الحاذق يذوق حلاوتها.

فاستعنتُ بالله علىٰ وضع هذا الشرح لألفية الحماسة حتىٰ يسهُلَ الأخذُ منها، ويقرُب النظرُ فيها، أبيّن منها المجمل وأفسّر فيها الغامض، وأعرِض في الغالب إلىٰ ذكر خبر القطعة وشاعرها، بإيجاز من غير إخلال، واختصار من غير إقصار، مُوضحًا في العبارة ما استطعتُ، مقرّبًا للمعنىٰ ما قدرتُ، (ومُبلغُ نفسٍ عُذرَها مثلُ

---

(١) انظر: العقد الفريد (٥/ ٢٧٤)، والعمدة لابن رشيق (١/ ٢٥) بنحوه، وقد عقدا في هذا الموضع فصلاً حسناً في فضل الشعر.

مُنجِحِ)[1]، ولا أُخلي ذلك من لطائفَ ونوادر تشعّبت بها وديان الكتب وتفرّقت بها سبُل الأدب، **وأقدِّم قبل ذلك بمقدمتين موجزتين مهمَّتين، الأولىٰ لديوان الحماسة وألفيته ومنهج الشرح،** حتىٰ لا يتوقف النظر في هذا الكتاب علىٰ غيره، **والثانية لأصول أنساب العرب،** فإن كثيراً من أشعارهم وأخبارهم لا تُدرَك علىٰ وجهها إلا بضبط أصول الأنساب.

وسميته «الإناسة» بشرح ألفية الحماسة، مقتبساً ذلك من حديث أم زرع (أناسَ من حلي أذني)[2]، وأصل النَّوس الحركة، ويقال: أناس الرجل امرأته، إذا حلاها بالأقراط فتحركت علىٰ أذنيها، فجعلته اسماً لهذا الشرح رجاءَ أن يوافق أمرين:

الأول: أن يكون للألفية كالحلي والجواهر، يبدي محاسنَ أطرافِها، ويكشف مزاين أرصافِها.

الثاني: أن يحرك من معانيها المخبوءَ المدفون، ويبرز من مقاصدها المستورَ المكنون.

ثمَّ لعل من وهبه الله ذوقاً سليماً وطبعاً صحيحاً يقف علىٰ أبيات الحماسة ومعانيها فيستخفه الطرب حتىٰ يختلج فؤاده وتضطرب أعضاؤه، فهذا ضربٌ من النَّوس كذلك.

وأنا معترفٌ بالعجز وقلة البضاعة، مقرٌّ بالضعف في هذه الصناعة، (ولكلٍّ من الناس نصيبٌ من النَّقص، ومقدارٌ من الذنوب، وإنَّما يتفاضل النَّاس بكثرة المحاسن وقلة المساوئ، فأما الاشتمال علىٰ جميع المحاسن، والسلامة من جميع المساوئ، دقيقِها وجليلِها؛ فهذا لا يُعرف)[3]، وأرجو أن يقف طالبُ الأدب من هذا الشرح علىٰ شيء ينتفع به فينفع غيره، ويكون له مدخلاً يلِج به ما بعده من كبار الدواوين،

---

(١) شطر من بيت في الحماسة لعروة بن الورد، وسيأتي شرحه في القطعة (٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (٥١٨٩) ومسلم (٢٤٤٨).
(٣) الرسائل للجاحظ (١/ ٣٧).

(وقد رُتِّب الكتابُ علىٰ أشهر ترتيبٍ متداولا، وأسهلِه متناولا، يهجُم فيه الطالب علىٰ طِلبته موضوعةً علىٰ طرَفِ الثّمام وحبل الذراع، من غير أن يحتاج في التنقير عنها إلىٰ الإيجاف والإيضاع، وإلىٰ النظر فيما لا يُوصَل إلا بإعمال الفكر إليه، وفيما دقق النظرَ فيه الخليلُ وسيبويه، والله تعالىٰ المُوفِّق إلىٰ إفادة أفاضل المسلمين، ولما يتصل برضا رب العالمين)[1].

وكتبه

عُثمَان بن عَبْدالله العَمُودِيّ

للتواصل:

o.a.alamoudi@outlook.com

(١) من مقدمة أساس البلاغة للزمخشري.

المقدمة الأولى

التعريف بـ(ديوان الحماسة) ومنتقيه، و(ألفية الحماسة) وطريقتها، و(الإناسة) ومنهجها

أبو تمام، وديوان الحماسة، وألفيته، ومنهج الشرح[1]

- **أبو تمام[2]:**

حبيبُ بن أوس الطائي أميرُ الشعراء في عصره، ولد سنة ١٨٨ هـ في الشام، ثم رحَل إلىٰ مصر ولازم حِلَق العلم بجامع عمرو بن العاص، وأقبل يتعلم العلم ويتحفّظ الشعر في قوةِ إقبال وشدةِ نهَم، حتىٰ قال الحسن بن رجاء بعد ذلك (ما رأيتُ أعلمَ بكل شيء منه)، وقيل (إنّ له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه غيره، وكان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع)، وابتدأ في نظم الشعر بمدح عياش بن لهيعة فأجازه بخمسة آلاف درهم، فأقبلت عليه الدنيا، ورجع إلىٰ دمشق ثم تنقل بعد ذلك، فالتقىٰ بالأعيان والأمراء ولمع نجمُه وذاع صيتُه، حتىٰ وصل بلاطَ الخلفاء واتّصل بالمعتصم فقرّبه وأدناه، فكان المقدَّم علىٰ الشعراء، والمبرَّز علىٰ البلغاء، وسلك في قول الشعر مسلكـًا جديدا، وطرَق بلسانه أرضـًا غيرَ معبّدة، وارتضىٰ الناسُ شعرَه فحفظوه وتناقلوه، وتمثلوا به واستحسنوه، ومات في ٢٣١ هـ.

- **قصة ديوان الحماسة وألفيته:**

وتذكر الأخبارُ أنّ أبا تمام قصد عبدَالله بن طاهر في خراسان ليمدحه، فلما قفَل من عنده إلىٰ العراق مرّ بهمذان فنزل عند أبي الوفاء بن سلمة فأحسَن ضيافتَه وأكرم وفادتَه، وكان موسم ثلج فقطَع الطريق ومنع السّابلة، فاغتمّ لذلك أبو تمام

---

(١) هذا الفصل مستفاد من: (مقدمة المرزوقي لشرح الحماسة) بتحقيق عبدالسلام هارون، و(حماسة أبي تمام وشروحها) للدكتور عبدالله عسيلان، ومقدمة ألفية الحماسة لأبي مالك العوضي، وغيرها.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٦٤)، ووفيات الأعيان (٢/ ١١)، و(أخبار أبي تمام) للصولي.

وضاق به الأمر لاحتباسه عن مراده، فأراد أبو الوفاء أن يسرّي عنه ما هو فيه فأحضر له خزانةَ كتبه، فطَرِب لها أبو تمام، واستحسن عند ذلك المُقام، فما زال عاكفاً علىٰ تلك الكتب يطالعُ فيها ويصنّف منها حتىٰ ارتفع ذلك الثلج، وأينعَت ثمار هذا العكوف فجاءت لنا بكتب صنفها أبو تمام، كان منها ديوانُ الحماسة الذي انتخبه أبو تمام من بعد أن (اعتسف في دواوين الشعراء جاهليّهم ومخضرمهم، وإسلاميهم ومولّدهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام)[1]، فأتىٰ بديوانٍ رائق مُطرب، ومنتقىً لذيذٍ مُعجِب، وقد (قالوا: إن أبا تمام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره)[2]، ووقع (إجماعُ نقّاد الشعر بعده علىٰ ما صحِبَه من التوفيق في قصده)[3] وغلب علىٰ هذا الديوان اسم الحماسة، لأنه قسّم منتقاه علىٰ أبواب عشرة: أولها باب الحماسة، ثم باب المراثي، ثم باب الأدب، ثم باب النسيب، ثم باب الهجاء، ثم باب الأضياف والمديح، ثم باب الصفات، ثم باب السير والنعاس، ثم باب الملح، ثم باب مذمة النساء، ولأن باب الحماسة هو أطول أبوابه وأوسعها اختيارا.

وكان منهجه في الاختيار مبنياً علىٰ جودة المعاني وإصابة الأغراض، وهو صاحب الشاعرية الرقراقة والحس المرهف، وتجنّبَ الوحشيَّ المستنكر، وتنكّبَ العاميَّ المبتذل، واعتنىٰ بالشعر العزيز المغمور لا المستفيض المشهور، فتلقىٰ العلماءُ هذا الديوان بالقبول، وأكبوا عليه بالعناية والاهتمام، فمنهم من حفِظَه كأبي العلاء المعري وصلاح الدين الأيوبي وأبي حيان الأندلسي وابن خلدون، ومنهم من شرَحه كأبي رياش الشيباني وابن جني وأبي علي المرزوقي وأبي القاسم الفارسي والخطيب التبريزي، ومنهم من نسَج حماسةً علىٰ منواله كالبحتري وأبي الفتوح

---

(١) شرح المرزوقي للحماسة (١/ ١٣).

(٢) شرح التبريزي للحماسة (١/ ١٠).

(٣) شرح المرزوقي للحماسة (١/ ١٤).

الجرجاني وأبي أحمد ابن طيفور، وأكثروا من الاستشهاد به في شتىٰ المسائل، والاستحضارِ منه في صنوف العلوم، وهذه كتبُ التفسير والحديث والفقه زاخرةٌ بالاستشهاد والتمثل بأشعار الحماسيين، فضلاً عن غيرها من كتب اللغة والبلاغة والتاريخ والأدب، فما أكثر ما تقرأ (قال الحماسي)، وليس ذلك إلا شعراء ديوان الحماسة لأبي تمام.

وما زالت عناية العلماء به وحسن تعاهدهم له حتىٰ اليوم، فالعهد بشرح سيد المرصفي قريب[1]، وهذا انتقاءُ الشيخ أبي مالك الذي وسمه بـ(ألفية الحماسة) قد تداوله طلبة العلم وأولوه رعاية واهتماما، فقد انتخب من الحماسة نحواً من ألفِ بيت وهو رُبعُ أصلها[2]، ووضع لاختياره ضوابط، منها:

- أنه التزم بإيراد المقطع المنتقىٰ كاملاً بحسب رواية المرزوقي.
- أنه ترك المقاطع التي حوتها المفضلياتُ والأصمعيات وديوان الهذليين أملاً في أن ينتقي منها ألفية مفردة.
- أنه اجتنب المقاطع الخارجة عن عصور الاحتجاج أو التي طعن فيها بعض العلماء.

ورقَم كلَّ قطعةٍ برقمها في شرح المرزوقي، غير أنّ الهممَ قد قصُرت عما كان عليه السالفون، والعزائمَ خارت عمّا خاض فيه المتقدمون، فثقُل علىٰ الطالب أن يطالع شرحَ هذه الأبيات في مظنّته، ويتتبع توضيحَها في محلّته، وربما كان هذا دافعـاً له إلىٰ ترك الولوج في هذا العلم الشّريف ابتداء!

---

(١) سيد بن علي المرصفي الأزهري، له شرح سماه «أسرار الحماسة» وقد طبع جزء منه بمصر، توفي ١٣٤٩ هـ.

(٢) عدد أبيات الحماسة في النسخة التي حققها د.عبدالله عسيلان= ٣٩٣٦ بيت.

- **منهجية هذا الشرح:**

فاستعنتُ بالله علىٰ وضع هذا الشرح، وقد كان عمدتي فيه شروحاً ثلاثة: شرح أبي علي المرزوقي، وشرح الخطيب التبريزي، وشرح الأعلم الشنتمري، ولم أقتصر في النظر عليها، بل جُبتُ براحلة نظري بطونَ الكتب المشتملة علىٰ أخبار العرب، وسترىٰ هذا جليًّا في الكتاب، ولعلَّ أبرز ما امتاز به هذا الشَّرح:

- وفرة الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم، إما علىٰ الألفاظ ومعانيها، وإما علىٰ الأسلوب وسياقه، وبلغ الاستشهاد بالقرآن أكثر من ثلاثمئة آية.

- الحرص علىٰ الترجمة للشاعر وبيان نسبه وذكر خبر القطعة، وهذا مِن أعظم ما يكشف معاني القطعة، وبه تُعلم مقاصدها ومواردها، وكثيراً ما كان الأسود الغندجاني يخطِّئ غيره من الشرَّاح فيقول: (خلط فلان، وذلك أنَّه لم يعرف قصةَ البيت)، وقد تعرّض البغدادي في خزانته مرةً لشرح بيت لم يُحكم الشراحُ القولَ فيه فقال: (وهذا لا أصل له، وكأنهم فهموه من ظاهر البيت، وسببه أنهم لم يقفوا علىٰ منشأ الشعر)[1].

- بيان الكلمات الغريبة كلها، وتوضيح معناها في نفسها، والتعريج علىٰ ذكر النكت البلاغية والأوجه النحوية إن اقتضىٰ المقام ذلك.

- الاعتناء بذكر أحوال العرب وعوائدهم، والوقوف علىٰ أمثالهم وعقائدهم، وذكر أيامهم ووقائعهم، مما يكون له اتصال بمعنىٰ الأبيات، علىٰ وجه الإيجاز والاختصار.

- صياغةُ القطعة نثرا، فإنَّه أيسر للفهم، ولتمرَّ القطعةُ علىٰ القارئ بأكثر من طريق، فإن عَدِم معناها شِعرا لم يَعدمه نثرا، وتكون ألصق بذهنه، وأقرب إلىٰ عقله.

---

(١) انظر: (إصلاح ما غلط فيه النمري) للغندجاني: (٩٩)، (١٠٦)، (١١٧)، (١٣٦) وغيرها، وخزانة الأدب (٣/ ٩٨).

- قرن نظائر الأشعار إلىٰ بعضها، وجمع الأشباه إلىٰ أمثالها، فإن كان النظيرُ في هذه الألفية أحلتُ علىٰ القطعة برقمِها، وإن كان في غيرِها أوردتُ الشطرَ أو البيتَ حسب ما يصلح للمقام، وعزوتُه إلىٰ مظنته.

وحرصتُ أن أرسم بهذا الشرح منهجاً في أخذ الشعر وتعاطيه، تهيئ للمبتدئ الناظر فيه بعد ذلك التوسعَ في عرض معانيه، ولن أعزو غالباً إلا ما كان منقولاً بلفظِه، أو غريباً في فهمِه، وما سواه أكتفي بإيراده في المراجع والمصادر آخر الكتاب، وهذا دأب الشروح فكلٌّ من كلٍّ مستفيد، ولو نُسب كلُّ معنىً إلىٰ أصله لأثقلت الكتبَ حواشيها، وضاق الخلقُ بالنظر فيها.

وأقصد في ذلك كلّه تسهيلَ الحصول علىٰ الفائدة، وإسراعَ الظّفر بالمطلوب، وهو مع هذا مقصودُه الاختصار والإيجاز، مِن غير تعقيد ولا إلغاز، (وكلُّ شيء أفرطَ في طبعِه، وتجاوز مقدار وُسعِه، عاد إلىٰ ضد طباعِه، فتحول الباردُ حارّاً، ويصيرُ النافعُ ضارّاً)[1].

أسأل الله -عزّ شأنُه- أن يكتب لهذا الشرح القبول، ويجزي من أعان عليه خير الجزاء، ويشكر سعيَ من قوَّم عِوَج الكتاب وأفادني فيه بتصويبٍ أو إضافةٍ أو اقتراح، ويغفر لنا إسرافنا وتقصيرنا في أمرِنا، ويستر علينا سوآتِنا في علننا وسرِّنا، إنه سبحانه واسع الرحمة وعظيمُ الإحسان.

---

(١) رسائل الجاحظ (٤/ ١٥٢).

المقدمة الثانية

أصول أنساب العرب

أصول أنساب العرب

علمُ الأنساب علمٌ فاضل المنزلة، جليل القدر، فاللهُ خلق الناس من ذكرٍ وأنثىٰ وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، فهو عِلم يُطلَب، وفنٌّ يُندَب، بل أبلغ من هذا، فإنَّ منه الواجب الذي لا يُعذر امرؤ بتركه، (فمن شك في محمد ﷺ أهو قرشي أم يماني أم تميمي أم أعجمي فهو كافر غير عارف بدينه)[1]، ولا تُعرف كثير من الأشعار إلا من جهته، ولا تُضبط كثير من الوقائع إلا بالحذق فيه، وقد أتىٰ الأسود الغندجاني علىٰ بعض أبيات الحماسة فقال: (لا يكمُل لتفسير مثل هذا من الشعر العتيق إلا مَن جمع بين علم اللغة وعلم النسب ومعرفة أيام العرب)[2]!

وكيف لسامعٍ أن يعرف عديّاً المقصود بقول الحماسيّ (أبلغ عديّاً حيث صار بها النوىٰ)؟ أو يفزع لغضبة بشامة إذ قال (ولقد غضبتُ لخندفٍ ولقيسِها)؟ وكيف يفهم قول الحماسي:

أفبَعدَ مَقتلِ مالكِ بنِ زُهيرٍ ترجو النساءُ عواقبَ الأطهارِ؟!

فمن مالك هذا؟ وأي شيء بلغ في قومه حتىٰ يعتزل الرجالُ النساءَ لمقتله؟!

وكيف يفطن لقول بشر بن المغيرة -وهو في الحماسة- :

جفاني الأميرُ والمغيرةُ قد جفا وأمسىٰ يزيدُ لي قد ازورّ جانبُه

فهل يريد بالمغيرة أباه؟ ومَن الأمير المقصود؟ ثم مَن يزيد هذا الذي أحفظَته جفوتُه؟!

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٢).

(٢) إصلاح ما غلط فيه النمري (١٠٧).

وسترىٰ كيف نفىٰ العلماء نسبة أحد القصائد للمرقِّش لأنه جاء فيها (إنَّا بني نهشلٍ لا ندَّعي لأبٍ)، وفضُّوا التنازع في رائيةٍ بين شبيب وابن الأحوص لأنَّه قال فيها (إذا افتخرت سعد بن ذبيان لم تجد سوىٰ ما ابتنينا)، وغير ذلك كثير، وبسط هذا يطول.

والمقصود أن ضبط أصول الأنساب هو كمصباح الدجنّة في طريق العلم بأخبار العرب وأيامهم، ومن علِمَ أصول أنسابهم هان عليه تحفُّظ الأخبار، وسهُل عليه ربط الأيام، واستقرّت في ذهنه مجريات الأحداث وتداعيات الوقائع، وأدنىٰ ذلك أن يعرف من النسب ما يحمله علىٰ تصورٍ مجمل لفروعهم التي لها شأن وذكر، فيعلم أن حرب داحس والغبراء كانت بين بني عبس وبني ذبيان، وعبس وذبيان هما ابنا بغيض بن ريث بن غطفان، من بني قيس عيلان بن مضر، فالحيان أبناء عمومة، ومن هذه الحرب يوم جفر الهباءة، وفيه يقول الحماسيّ القطعة التي أولها:

تعلّـم أن خيـرَ النـاس حيّـاً ... علـىٰ جَفـر الهبـاءة لا يريـمُ

ويعلم أن وقعةَ مرج راهط كانت في الشام بين مروان بن الحكم الأموي ومعه اليمانية من غسان وجذام وكلب، وبين الضّحاك بن قيس الفهري ومعه القيسية من قيس عيلان، فأسلمت قيسٌ صاحبَها، وقتل مروانُ الضحاكَ فاستقرّ له الأمر، ونُصِر (يوم المرجِ نصراً مؤزَّرا) كما يقول الحماسي، ومن ذكرِها في هذه الألفية قول القيسي:

وكنّـا حسِـبنا كلَّ بيضـاءَ شـحمةً ... ليالـيَ قارعنـا جُـذام وحِميـرا

فلمـا قرَعنـا النبـعَ بالنبـعِ بعضَـه ... ببعـضٍ أبـت عيدانُـهُ أن تكسّـرا

وعلم النسب (علىٰ جلالة قدرِه، وعلوّ مكانه، ورفعة ذكره، قد درَس بترك مدارسة معالـمِه ، وانقرضَ بانقراض علمائه من العصر الأول ملزومه ولازمِه، مع مسيس الحاجةِ إليه في كثيرٍ من المهمات، ودعاء الضرورة إلىٰ معرفته في الجليل من الوقائع والملمّات)[1].

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندي (٧).

فلما كان علم النسب بهذه المكانة من العلوم في قَدره، وبهذه المنزلة من الناس في تضييعه، وكنتُ بحثتُ عن مختصر فيه فلم أجد البُغية[1]= استعنتُ بالله علىٰ وضع مقدمة يسيرة أذكر فيها أصول القبائل من عدنان وقحطان، فإذا تمعَّن الناظرُ فيها وحفظها، لم يعسر عليه بعد ذلك ردُّ كل فرع إلىٰ أصله، وإلحاقُ كل ولد بوالده، وربطُ الأحداث والوقائع، ومعرفةُ الأيام والأخبار، واعتمدتُ في كتابي في الجملة علىٰ (جمهرة أنساب العرب) لأبي محمد ابن حزم الأندلسي، وجعلتها مشجّرةً حتىٰ تسهُل علىٰ المُطالِع، وتلصق بالأذهان، واقتصرتُ علىٰ ما أراه راجحاً في النسبة، وإن ذكرتُ في الشرح نسبَ امرئ أو قبيلة فإني أنميه إلىٰ أصله الذي قررتُ في هذه المقدمة، فينضبط الذهن، ويستقيم النظر، ويرتفع الشاعر إلىٰ أبيه من عدنان أو قحطان.

وأوصي الطالب بإدمان النظر فيها وحفظها، ولا يستغنِ بها عن غيرها فإنها دون الكفاف من الرزق، وأول ما أذكره متيمنّاً به نسبُ المصطفىٰ خيرِ خلق الله، ومن لم يكن له من حفظه نصيب فلا يطمع في حفظ ما وراء ذلك من الأنساب، فإنه كواسطة العقد لا تدور الجواهر إلا عليه.

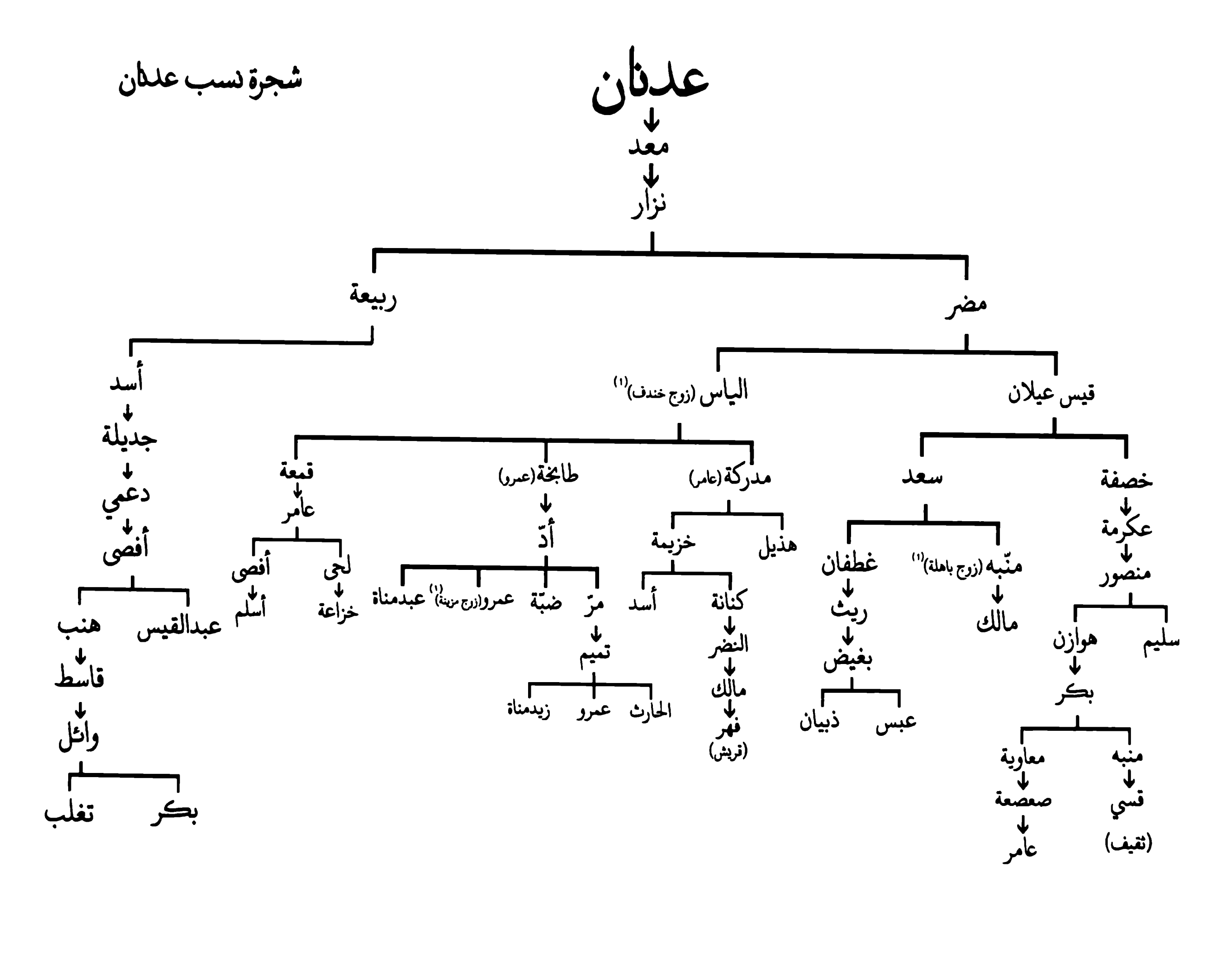
وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم تسليماً مزيداً إلىٰ يوم الدين، وهذه السلسة أحلىٰ علىٰ الأذن من ترجيع القيان، وألذ علىٰ السمع من أوتار العيدان، بل أين هذه من تلك!

---

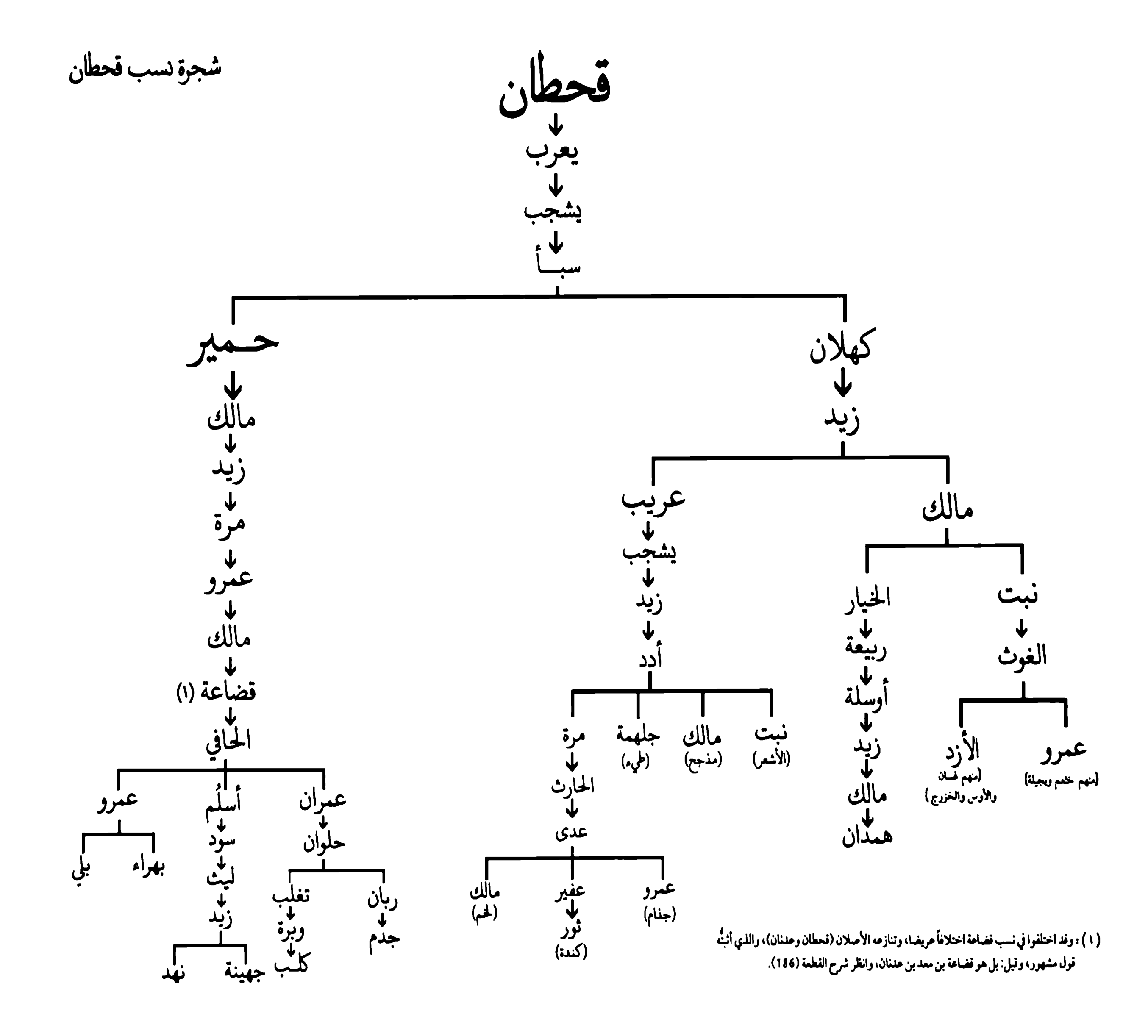
(١) وقد رأيت مختصراتٍ في ذلك نافعةً جديرةً بالحفظ، إلا أن أصحابها وضعوها على صورة المتون فربما أغمضت على المبتدئ، وترك بعضهم فروعا في النسب رأيتُ حاجةً إلى ذكرها، وزاد بعضهم فروعا استغنيت عنها بأصلها.

شجرة نسب عدنان



(١) وأبناؤها ينسبون إليها، فيُقال: بنو خندف،بنو باهلة،بنو مزينة.

شجرة نسب قحطان



(١): وقد اختلفوا في نسب قضاعة اختلافاً عريضاً، وتنازعه الأصلان (قحطان وعدنان)، والذي أثبتُّه قول مشهور، وقيل: بل هو قضاعة بن معد بن عدنان، وانظر شرح القطعة (186).

باب الحماسة

أصل الحماسة: الشدَّة، والحماسة: الشجاعة، لأن فيها تشدُّد القلب، يقال: حمِسَ الأمرُ إذا اشتدَّ، ويومٌ أحمس ورجلٌ أحمس: أي يومٌ شديد ورجلٌ شجاع، ومنه قول الحارث بن وعلة:

ولما رأيتُ الخيلَ تترىٰ أثائجاً علمتُ بأنّ اليوم أحمسُ فاجرُ[1]

وسمِّيت قريشٌ (الحُمس) لتشددها في دينها وقتالها، فإنَّ قريشاً كانت (تنسَّكُ في دينها، وتتألَّه في عبادتها، وكان مانعاً لهم من الغارات والسِّباء، ومن وطء النِّساء من جهة المغنم، ولذلك لم يئدوا البنات، ولا ولَدت منهم امرأةٌ غيرِهم من جهة السِّباء، ولا زوَّجوا أحداً من العرب حتى يتحمَّس ويدين بدينهم)[2].

فهذا الباب عقَده أبو تمام لذكر مختارٍ من أشعار العرب في الشجاعة وما يتصل بذلك كالفخر بها والحرب دونها والحضِّ عليها، وربما يتعجب الناظرُ من إيراد بعض القِطَع في هذا الباب مما قد لا يظهر اتصاله بهذا، ولكنه إذا أمعن النظرَ تبين له وجهُ ذلك، فإنَّ لأبي تمام شفوفَ نظرٍ في اختياره، وربما قصد إلى معنىً من وراء الظاهر، على أنه قد يُنازَع في بعض القطع.

---

(١) المفضليات، القصيدة (٣٢).

(٢) رسائل الجاحظ (٣/ ٤٧).

(١)

قال بعضُ شُعَراءِ بَلْعَنْبَر: [من البسيط]

١. لو كنتُ مِن مازنٍ لم تَسْتبِحْ إبِلِي ... بَنُو اللَّقِيطةِ مِن ذُهْلِ بنِ شَيْبانَا

٢. إذَنْ لَقامَ بنَصْري مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عندَ الحَفِيظةِ إنْ ذو لُوثةٍ لَانَا

٣. قَوْمٌ إذا الشَّرُّ أبْدَىٰ ناجِذَيْه لهم ... طارُوا إليه زَرَافاتٍ ووُحْدانَا

٤. لا يَسْألونَ أخاهم حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... في النائباتِ علىٰ ما قال بُرْهانَا

٥. لكنَّ قَوْمي وإنْ كانوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيْسُوا مِنَ الشرِّ في شيءٍ وإنْ هانَا

٦. يَجْزُون مِن ظُلمِ أهلِ الظلمِ مَغفِرةً ... ومِنْ إساءةِ أهلِ السُّوءِ إحسانَا

٧. كأنَّ ربَّك لم يَخلُقْ لِخَشْيتِه ... سِواهُمُ مِن جميعِ الناسِ إنسانَا

• **الكشف**[1]:

هو قُرَيط بن أُنَيف العنبري، من بني العنبر بن عمرو بن تميم، وقيل (بلعنبر) لأن اللام الظاهرة ولِيَت النون -نطقاً- في (بني العنبر) فلما كثر استعمال اللفظ، وكان مخرج النون واللام قريباً؛ حذفَت العربُ النونَ اختصارا، ومثله (بلحارث)، و(بلعجلان).

وخبر القطعة أن قوماً من بني ذهل بن شيبان أغاروا على إبل الشاعر فأخذوا له ثلاثين بعيرا، فاستنجد قومَه فلم ينجدوه، فأتى بني مازن واستنجدهم فأنجدوه وأغاروا له على إبل لبني شيبان، فساقوا له منها مئة بعير! فقال هذه القطعة يمدح بني مازن ويُعرِّض بقومه حتى يحرِّضَهم على الانتصار والانتقام، ويحثهم على الشجاعة وأخذ الثأر.

(١) وأعني به الكشفَ عن حال القطعة، سببِها وقائلِها، فإن ذلك من أعظم ما يعين على فهمها كما تقدم.

• **البيان**[1]:

(مازن): بن مالك بن عمرو بن تميم، فيكون مازن ابن أخي العنبر المذكور، فمدحُ الشاعر لهم فيه فخر لنفسه. (لم تستبح): لم تستحل وتنتهب، والاستباحة اتخاذ الشيء مباحاً، وهذا جواب (لو كنت) الأول. (بنو اللقيطة): يعيِّر أمهم أنها كانت بنت زنا منبوذة فالتقطت، وهذا مبالغة في الهجو، وقيل بل أراد أنهم من أبناء امرأة اسمها اللقيطة وعلى ذلك تكون هذه الرواية خطأ، فليس في ذهل بن شيبان امرأة تعرَف باللقيطة، والصواب (بنو الشقيقة) وهي الرواية الأخرى، والشقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن (ذهل بن شيبانا): من بني بكر بن وائل، أما اللقيطة فهي نضيرة بنت عصيم، من فزارة بن ذبيان، وبنوها هم الذين هجاهم زبان بن سيَّار غير مرة.[2] (إذن لقام بنصري): هذا في مقام جواب (لو الثاني)، وهذا من أساليب العرب فإنها إذا أرادت أن ترتب جوابين على شرط اكتفت بقول (إذن)، ومنه قول الحق سبحانه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:٦٦-٦٧]، وتأمل قوله (قام بنصري) ولم يقل (نصرني)، ففيه إشارة إلىٰ ثقل القيام بالحقوق، وزيادة مدح للقائم بذلك. (خشُن): جمع خشِن وأخشن، يصف بني مازن بالقوة والشدة. (الحفيظة): الغضبُ للحُرمة، لأن حق الحُرمة الحفظ، فإن اختلَّ حفظها سمِّي الغضبُ لهذا الاختلال حفيظة. (ذو لُوثة): اللُّوثة بالضمِّ الضعف واللَّوثة بالفتح القوة. (ناجذيه): النواجذ أقصى الأضراس، وهي أضراس العقل، ولا تبدو النواجذ إلا عند اشتداد الأمر، فهو هنا استعارة لشدة الشر. (طاروا): أسرعوا، فالطيران كناية عن الإسراع. (زرافات): جماعات، والزَرافة الجماعة، مأخوذة من الزرف وهو الجمع والزيادة على الشيء. (وحدانا):

---

(١) وأعني به البيانَ عن معنى القطعة، بشرح غريبها، وفك غامضها، وضبط أسمائها، وما يتصل بذلك من لطائف الاستشهاد.

(٢) انظر على سبيل المثال المفضليات قصيدة (١٠٢) و(١٠٣).

واحدا واحدا، أي فرادى. (أخاهم): أخو القوم الواحد منهم، ومنه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء:١٠٦]. (يندبهم): يدعوهم ويستغيثهم. (النائبات): الشدائد، سميت بذلك لأنها تنوب المرء أي تنزل به. (برهانا): بينة، قال الحق سبحانه ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١]. (يجزون من ظلم): من للعوض والمقابلة، والمعنى أنهم يبدلون الظلم بالمغفرة ويقابلون الإساءة بالإحسان. (لخشيته): الخشية زيادة الخوف، قال الحق سبحانه ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨].

• **العرض**[١]:

(١ـ ٤): **يقول**: لو كنتُ من بني مازن لما استطاعت ذهلُ بن شيبان أن تنهب إبلي، ولما تجرَّأ أحدٌ على الإغارة على نوقي، فإنَّهم إن همُّوا بذلك حمل بنو مازنٍ على عاتقهم نصري، وشدُّوا بخيلهم ورجلهم وسلاحهم من أزري، فهم قوم يغضبون إن انتُهكت حُرَمُهم، ويغتاظون إذا وُطِئ حِماهم، أشداء في اللقاء حين يلين الضعيف، وشجعان في الحرب إذا فرَّ الجبان، وهم لشدة بأسهم سباقون إلى ساحة الحرب، فكأنَّ الشر يفتح فاه لهم حتى تبدو أضراسه وهم يستبقونه جماعات وفرادى لا يلوون على شيء لشجاعتهم! فيبادرون إلى إغاثة الملهوف، ويسارعون إلى إجابة الصارخ، دون أن يسألوه عن كيفية ما حصل، ولا يطلبون منه بينةً تؤكد دعواه، فإن التعلل وكثرة السؤال قبل الحرب صفة الجبناء.

(٥ ـ ٧): **يقول**: أما قومي فهم وإن كانوا كثيري العدد إلا أنهم يؤثرون السلامة، ولا يتعرَّضون للشر، ويغفرون للظالم، ويحسنون للمسيء، ويتعلَّلون بابتغاء الأجر والثواب من العفو والصفح وترك الانتقام، كأن الله لم يخلق لخوفه غيرهم! وليس هذا

---

(١) وأعني به عرض الأبيات منثورة، مع زيادات تفتح مغلقها، وتحل مشكلها، وتبسط معانيها.

الأولى بهم، بل الأولى أن يكونوا كبني مازن حتى يُعرَفوا بالبأس والنصرة؛ فلا يقرب جنابهم أحد، ويهابهم كلُّ غازٍ ومُغير.

وقد اختلف الشرَّاح في تأويل هذه القطعة، هل أراد الشاعر بها هجاء قومه أم أراد تهييجهم وبعثهم؟ والحق أن كلا المعنيين صالح للتأويل، وحملُه على الثاني أولى وأقرب، وفيه معنى زائد، وهو أنه يتطلب اهتياج قومه وحماستهم، ويستوجب عملاً منهم بالنصرة وأخذ الثأر، أما الهجاء فليس إلا وصمة عار على قومه ربما رجع عليه شيء منها، ولعل أبا تمام لمح هذا، فهو ظاهر صنيعه إذ صدَّر بها باب الحماسة ولم يضمِّنها بابَ الهجاء كما فعل بقطعة ابن المكعبِر، وتأمل تلك فما أشبَه خبرَها بهذه[1]!

(١) انظر شرح القطعة (١٧١).

(٢)

وقال شَهْلُ بنُ شَيْبانَ الزِّمَّانيُّ: [من الهزج]

١. صَفَحْنا عن بَنِي ذُهْلٍ وقُلنا: القَوْمُ إخوانُ

٢. عَسَىٰ الأيّامُ أن يَرْجِعْـ ـنَ قومًا كالذي كانُوا

٣. فلمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فأمْسَىٰ وهْو عُرْيانُ

٤. ولم يَبْقَ سِوَىٰ العُدْوا نِ؛ دِنَّاهُمْ كما دانُوا

٥. مَشَيْنا مِشْيةَ اللَّيْثِ غَدَا والليثُ غَضْبانُ

٦. بضَرْبٍ فيه تَوهِينٌ وتَخْضيعٌ وإقْرانُ

٧. وطَعْنٍ كَفَمِ الزِّقِّ غَذَا والزقُّ مَلْآنُ

٨. وبَعْضُ الحِلْمِ عند الجَهْـ ـلِ لِلذِّلَّةِ إذْعانُ

٩. وفي الشرِّ نَجَاةٌ حِيـ ـنَ لا يُنْجِيكَ إحسانُ

• **الكشف:**

هو شهل بن شيبان بن ربيعة بن زِمَّان البكري، من بني بكر بن وائل، وليس في العرب شهل غيره هو وشهل بن أنمار البجلي، وهو شاعر جاهلي من فرسان ربيعة المشهورين، شهد حرب البسوس، وغلب عليه اسم (الفِند) -والفِند الجبل- لأنه قال لبني بكر في إحدى الحروب: ألا ترضون أن أكون لكم فِنداً تأوون إليه؟ فغلب عليه الاسم.

وهذه القطعة قالها في إحدى الحروب يذكر فيها أن بعض بني قومه تجاوزوا الحد وقد كان بهم حليما، فلما تمادوا أخذهم أخذة الليث الجائع وردهم عن غيهم، وبين في هذه القطعة أن الحِلم ليس صالحاً في كل حين، وليس نافعاً مع كل أحد، فمن الأزمنة

أزمنة لا يصلح فيها إلا الشدة والحزم، ومن الرجال رجال لا ينفع معهم إلا الإغلاظ والتخضيع.

• **البيان:**

(صفحنا): الصفح العفو عن الإساءة، قال الحق سبحانه ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ [الحجر:٨٥]. (بني ذهل): بن شيبان من بني بكر بن وائل، وقيل هذه الرواية خطأ، والصحيح (بنو هند) بنت مر بن أد، فهي أخت تميم، وهي زوجُ وائل بن قاسط وأم ولده ما عدا بكراً وتغلبا، فيلتقون هم والشاعر في وائل، وهم الذين تعرَف له معهم حروب. (يَرجِعن): يُعِدن ويَردُدن، وهو متعد بنفسه، قال الحق سبحانه ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾ [طه:٤٠]. (كالذي كانوا): أي كالذين، وحذفت النون تخفيفا، فيكون المقصود: كالذين كانوا، أو يكون اسم جنس نحو ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣]، فأرجع وصف المتقين للموصول المفرد، وفي البيت إشارة إلىٰ أنَّهم تنكَّروا بعد مودَّة، وتغيَّروا بعد صحبة. (صرَّح): ظهر وانكشف. (فأمسى): فصار. (وهو عريان): كأن الشر تعرىٰ، وهي استعارة للظهور والانكشاف. (العدوان): الاشتداد والظلم، قال الحق سبحانه ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾ [البقرة:١٩٠]. (دِنَّاهم): جازيناهم، والدِّين هنا الجزاء، قال الحق سبحانه ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤] وهذا جواب (فلما صرح...). (كما دانوا): هذا من باب المطابقة والمشاكلة، فإن الإساءة الأولىٰ ليست مجازاة، نحو ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة:١٩٤]، وقد أجمل في هذا الشطر ما حسُن به تفصيلُه في الأبيات بعده. (مِشية): المِشية: اسم للهيئة، والمَشية: اسم للفعل مرة واحدة، وهذا مطَّرد في مصدر الفعل الثلاثي المجرد إذا لم يكن المصدر منه علىٰ هذا الوزن، فيُقال في وصف الهيئة: جِلسة ومِيتة، وفي ذكر المرَّة: جَلسة ومَيتة. (الليث): الأسد. (غدا): ابتكر. (والليث غضبان): كان

الوجه أن يقول (وهو غضبان) ولكنه كرر لفظ الليث تعظيماً وتهويلا، وهذا يسميه أهل البلاغة: الإظهار في مقام الإضمار. (توهين): تضعيف للمضروب، من الوَهن وهو الضعف، قال الحق سبحانه ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [آل عمران:١٣٩]. (وتخضيع): من الخضَعة وهي اختلاط الصوت في الحرب، أو من الخضوع وهو اللين والذل قال الله ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الأحزاب:٣٢]. (وإقران): طاقة، يقال أقرن فلان أي أطاق، ومنه ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣] أي مطيقين. (وطعن): الطعن الوخز في الشيء بما يُنفِذه. (كفم الزق): الزِّق الوعاء والظرف، وفمه فتحته. (غذا): سال، وتأمل مقابلته بقوله (غدا) في البيت قبله. (والزق ملآن): كرر لفظ الزق تهويلا، وقوله (ملآن) فيه زيادة تهويل للوصف وإمعان في التشبيه. (الحِلم): العفو عند المقدرة وعدم تعجيل العقوبة، يقال حلُم يحلُم حِلما فهو حليم. (الجهل): الجهل يُطلق ويراد به: ضد العلم، أو ضد الحِلم، والمراد هنا الثاني، وهو الطيش والسفاهة والعمل بخلاف الحق، ومنه ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان:٦٣]. (إذعان): انقياد، قال الحق ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور:٤٩].

• **العرض:**

(١-٢): يقول: عفونا عن إساءة بني قومنا وقد تجاوزوا، وأغضينا علىٰ ما كان بيننا وقد تعدوا، فذكرنا قرابتهم، وحفظنا حرمتهم، وقلنا: إن القوم إخوة لنا، ولا بد من الصبر علىٰ القريب، فهو وإن كثرت مضراته إلا أنه يُرجىٰ رجوعه إلىٰ ما كان عليه من الود والائتلاف.

(٣-٧): يقول: ولكنهم تمادوا في غيهم، وكان كما قيل: (إن الضَّغائنَ للقرائب تُوضَع)[1]، فأظهروا لنا الشر، وصارحونا بالعداوة، ولم يبق لنا حيلة إلا القوة، فجازيناهم بما بدؤوا هم به، وكانت مجازاتنا شديدة، وسطوتنا قوية، فإنا مشينا إلىٰ

(١) المفضليات، القصيدة (٢٧)، ومعناه أن الضغائن في القرابة سريعة التفشي، من قولهم: أوضعتُ البعير، إذا حملته على الاشتداد في العدو.

حربهم كما يمشي الأسد الغاضب، وواجهناهم بضرب فيه تضعيف لهم، وله صوت وجلبةٌ بطاقةٍ لنا عليهم، وأخذنا نطعن طعناً جائفاً يسيل منه الدم بكثرةٍ كما يسيل الشراب من الوعاء المملوء.

(٨ ـ ٩): يقول: إذا لم ينفع الحلم ولم تنجع المداراة فإنه لا يردع السفيه إلا الشدة والغلظة، فللحلم موضعه الذي يزينه، وليس هذا موضعه، كما قال النابغة الجعدي:

ولا خيـر في حِلـمٍ إذا لـم تكـن لـه ... بـوادرُ تحمـي صفـوَه أن يُكـدَّرا[1]

وقال أبو الطيب:

ووضـعُ النَّدىٰ في موضِـع السيفِ بالعُلىٰ ... مُضِرٌّ كوَضع السيفِ في موضِع النّدىٰ[2]

فإن الحلم في غير موضعه ذلة، كالعاجز عن أخذ حقه فلا يكون حليماً، والعربُ قالت (لن يستوجب أحدٌ الحِلمَ إلا مع القدرة)[3]، وكذلك الحِلم عن غير مستحقه، فربما كانت القوةُ والشرُّ أجدرَ به وأنفعَ له من الإعراض والإحسان.

---

(١) ديوان النابغة الجعدي (٨٥).

(٢) شرح ديوان المتنبي للواحدي ١٤٦٠.

(٣) العقد الفريد ٢/ ١٩

(٣)

وقال أبو الغُولِ الطُّهَويُّ: [من الوافر]

١. فَدَتْ نَفْسي وما مَلَكتْ يَمِيني فَوارِسَ صَدَّقُوا فيهم ظُنُوني

٢. فــوارسُ لا يَـمَـلُّـون الـمَـنَـايَا إذا دارتْ رَحَى الـحَـرْبِ الزَّبُونِ

٣. ولا يَجْزُونَ مِن حَسَنٍ بسَيْءٍ ولا يَـجْـزُونَ مِن غِلَظٍ بِلِينِ

٤. ولا تَبْـلَىٰ بَسَالـتُـهـم وإنْ هُـمْ صَلُوا بالـحـربِ حِينًا بعدَ حِينِ

٥. هُمُ مَنَعُوا حِمَىٰ الوَقَبَىٰ بضَـرْبٍ يُؤَلِّفُ بين أَشْتاتِ الـمَنُـونِ

٦. فنَـكَّـبَ عنـهُـمُ دَرْءَ الأعـادي وداوَوْا بالـجُـنونِ مِنَ الـجُـنونِ

٧. ولا يَـرْعَـوْنَ أكْـنافَ الـهُوَيْنَىٰ إذا حَلُّوا، ولا أرضَ الـهُـدُونِ

• **الكشف:**

أبو الغُول الطُّهَوي شاعر إسلامي من الدولة الأموية، لم أقف علىٰ اسمه، وقد ذكر ابن المعتزِّ في طبقاته شاعراً يكنىٰ أبا الغول في قصةٍ مع هارون الرشيد، فإن كان هو فهو من مخضرمي الدولتين، غلبت عليه كنيته لأنه زعم أنه رأىٰ غولاً فقتلها، والغُول ضرب من الشياطين تعرض للمسافر فتضله، وقال قوم: لا حقيقة لها، وعدوها من الخرافات والمستحيلات، والعرب تطلق الغُول علىٰ كل داهية كالشياطين والحيات.

وأبو الغول هذا من بني طُهَيَّة، وهم بنو عبد شمس بن أبي سُود، وأبو سُود يُنسب إلىٰ أمه طُهَيَّة بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، والقياسُ في النسبة طُهَويّ.

وفي هذه القطعة يمدح الشاعرُ الفوارسَ الشجعان الذين أبلوا بلاء حسناً في نصرتهم، ويذكر النزاع الذي قام علىٰ ماء (الوقَبىٰ) فانتصروا هم فيه، ومنعوا الماء عن غيرهم ببسالة وحماسة، وكان من خبر (الوقبىٰ) أن أحياءً من بني بكر بن وائل انتزعته من بشر بن حزن المازني وأخيه، وهما اللذان حفراه، فاستنصر بشر ببني مازن وبني العنبر وبني يربوع وغيرهم من بني تميم، فاستخلصوه من بني بكر بعد قتال شديد، ثم تنازع الحيان مازن ويربوع عليه، حتىٰ خلص الماءُ لبني مازن.

• **البيان:**

(فدت نفسي): خبر بمعنىٰ الدعاء، أي جعل الله نفسي دون نفوسهم. (ملكت يميني): أي فدىً لهم ما ملكتُ، والعربُ تضيف المال إلىٰ اليد لأنها هي المتصرِّفة فيه، وربما خصَّت اليمين لفضلها وشرفها، ومنه ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النور:٥٨]. (فوارس): جمع فارس علىٰ غير قياس. (صدَّقوا فيهم ظنوني): أي ظننتُ بهم حسن البلاء فصدَّقوا ظني ولم يخلفوه، قال الحق سبحانه ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ:٢٠]. (فوارس): خبر لمبتدأ محذوف، ويجوز نصبه علىٰ البدل. (يملُّون): يسأمون ويتضجرون، والملال والملالة: السآمة والضجر، وهو تعبير بديع لوصف اعتيادهم علىٰ الحروب. (المنايا): جمع منيَّة وهي الموت. (دارت رحىٰ الحرب): الرحىٰ: آلة لها حجران يُطحن بها، وهي هنا استعارة لشدة الحرب. (الزبون): الدَّفوع، والزَّبن الدفع، وسُمِّيت الحرب بذلك لأنها تدفع مَن فيها بعضَهم ببعض، ومنه زبانية جهنم، قال الحق سبحانه ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٨] فاللهم سلِّم. (بسَيْء): يُقال سيْء وسيِّء بالتخفيف والتشديد، ويأتي تفصيل القول فيه في القطعة الرابعة والثمانين ومئة. (غلظ): خشونة جانب. (تبلىٰ): تتقادم فتفنىٰ أو تضعف. (بسالتهم): إقدامهم وشدتهم. (صلُوا): الاصطلاء التعرض للنار، إما تفكهاً واستدفاء ومنه ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾

[النمل: ٧]، أو عذاباً واحتراقاً نحو ﴿ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٩٤]، وهو هنا الثاني، استعارة لمقاساة شدائد الحرب. (حمىٰ الوقَبىٰ): الحِمىٰ كل ما يُحمىٰ ويُمنع، والوقَبىٰ ماء لتميم علىٰ طريق البصرة. (يؤلف): يجمع. (أشتات): جمع شت، وهو الشيء المتفرق، قال الحق سبحانه ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [الزلزلة: ٦]. (المنون): جمع منيَّة وهي الموت. (فنكَّب): أبعد. (درء): الدرء الاعوجاج والدفع، ومنه ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [الرعد: ٢٢]. (وداووا بالجنون من الجنون): أي دفعوا الشر بمثله، وهذه مقابلة نحو ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]. (يرعون أكناف الهوينىٰ): الهوينىٰ: تصغير الهُونىٰ، وهي الدعة والسكون، والأكناف الجوانب والنواحي، ورعي أكناف الهوينىٰ كناية عن الركون إليها، فتقول العرب: (فلان يستوطن الهوينىٰ)، يعيبونه بهذا، ويريدون أنه لا يشق علىٰ نفسه في معالي الأمور. (الهدون): الصلح والسكون، من الهدنة.

- **العرض:**

(١ـ ٤) يقول: أفدي بنفسي وبكل ما أملك أولئك الفوارسَ الشجعان الذين كانوا عند حسن ظني بهم، وهم فرسان لا يسأمون من الموت إذا اشتدت الحرب فكأنها رحىً تحطم وتدفع ما فيها، بل يخوضون غمارها غير هائبين، وهم قوم يعرفون مقادير الأمور ومجاري الأحوال، ويوازنون بين الغلظ واللين، فيعاملون بالسوء من يستحق، وبالخيرِ من هو له أهل، ولا تضعف قوتهم في حال، ولا تنقص شجاعتهم في وقت، بل حال قوتهم مستمر، وضَربُ شجاعتهم متصل.

(٥ـ ٧): يقول: وهم الفرسان الذين قاتلوا دون ماء الوقَبىٰ فحموه بقوتهم وبأسهم، وضاربوا دونه أقواماً متفرقي الأماكن من شتىٰ بقاع الأرض، فجمعوا منيتهم في مكان واحد، فهاب هؤلاء الفرسانَ كلُّ أحد، وتحامىٰ القتال معهم كلُّ

فارس، لأنهم أشداء يعالجون الحديد بالحديد، ويميلون إلىٰ الشر والخصومة والنهوض، لا إلىٰ الصلح والدعة والسكون، فإن ترك الغزو يورث الذلة، وإيثار السكون والدعة مجلبة للتعب ولو بعد حين، ولذلك قالت العرب: (حبُّ الهوينىٰ يُكسِب النَّصب)[1].

(١) رسائل الجاحظ (٣/ ٢١٢).

(٤)

وقال جَعْفَرُ بنُ عُلْبَةَ الحارثيُّ: [من الطويل]

١. لا يَكشفُ الغَمَّاءَ إلا ابْنُ حُرَّةٍ يَرَى غَمَرَاتِ المَوْتِ ثُمَّ يَزُورُها

٢. نُقاسِمُهُمْ أسْيَافَنَا شَرَّ قِسْمةٍ: فَفِينا غَوَاشِيها، وفيهم صُدُورُها

- **الكشف:**

هو جعفر بن عُلبة بن ربيعة الحارثيّ، من بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك [مذحج]، من قحطان، شاعر إسلامي مُقِلٌّ غزِل، كان من فرسان بني الحارث المشهورين بالشجاعة، وقتل في دم طُلب به، يأتي بيانه في القطعة التالية.

وهذان بيتان يذكر فيهما مَن الذي يستحق وصف الشجاعة وشيئاً من شجاعة قومه.

- **البيان:**

(لا يكشف): في بداية البيت ثِقَل يعرفه أهل الشعر، لنقصان حرف متحرك في أوله، وهذا يُسمىٰ عند العروضيين: خَرماً، وهو حذف أول الوتد المجموع، فتسقط الفاء من (فَعولن)، ولذلك تجد بعضهم روىٰ البيت (ولا يكشف) هرباً من هذا الثقل، لكن الخَرم جائز، ويأتي في الألفية هذه منه كثير. (الغماء): الغماء والغُمَّة والغَمُّ المصيبةُ والنازلة، قال الحق سبحانه ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وأصل الغم التغطيةُ والإطباق، لأنه يغطي علىٰ عقل صاحبه بالهمِّ والتفكير. (ابن حرة): تنبيهاً علىٰ كرامة نسبه وخلوص مولده مما يشوبه. (غمرات): الغمرات الشدائد، وأصل الغَمرة الماء الكثير، فسميت الشدائد بذلك لأنها تغرق صاحبها، وكل شدة

غمرة مثل الإغراق في اللهو، ومنه ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [المؤمنون:٦٣]. (يزورها): يأتيها ويتقحمها. (غواشيها): قائمة السيف ومِقبَضُه، والأصل في الغاشية إطلاقها علىٰ الغمد، ثم استُعيرت للمقبض. (صدورها): صدر السيف: نصلُه الذي يُضرب به.

- **العرض:**

(١ـ ٢): يقول: لا يزيل المصيبة إذا نزلت، ولا يكشف النازلة إذا ألمت، إلا رجل شجاع يرىٰ بعينه الموت ثم يقدم عليه غير ناكص ولا متخاذل، ونحن من هؤلاء، فإننا إذا لقينا الأعادي أعملنا فيهم سيوفنا، وتقاسمناها معهم شر قسمة، فتكون بأيدينا المقابض والقوائم، وتكون في أجسادهم النصال والقواطع.

وهذا المعنىٰ حاضر عند الشاعر، يفخر به غير مرة، ومن ذلك قوله كما في الحماسة:

لهم صدرُ سيفي يومَ بطحاءِ سَحبلٍ ولي منهُ ما ضُمَّت عليه الأناملُ[1]

---

(١) ديوان الحماسة بتحقيق عسيلان (١/ ٦٤).

(٥)

وقال أيضًا (جعفرُ بنُ عُلْبةَ الحارثيُّ): [من الطويل]

١. هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وجُثْمانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

٢. عَجِبْتُ لِمَسْرَاها وأنَّىٰ تَخَلَّصَتْ إليَّ، وبابُ السِّجْنِ دُونِيَ مُغْلَقُ

٣. أتَتْنَا فحَيَّتْ، ثمَّ قامَتْ فوَدَّعَتْ فلَمَّا تَوَلَّتْ كادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ

٤. فلا تَحْسَبي أنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكمْ لِشَيْءٍ، ولا أنِّي مِنَ المَوْتِ أَفْرَقُ

٥. ولا أنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيها وَعِيدُكُمْ ولا أنَّني بالمَشْيِ في القَيْدِ أَخْرَقُ

٦. ولَكِنْ عَرَتْنِي مِن هَوَاكِ صَبَابَةٌ كما كُنتُ أَلْقَى مِنْكِ إذْ أنا مُطْلَقُ

• **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة السابقة، وكان من خبره أنه أغار علىٰ بني عقيل بن كعب وقتَل منهم[١]، وكانت بين بني الحارث بن كعب وبني عقيل بن كعب مناوشات قبل ذلك، ثم إن بني عقيل استعدوا عليه عاملَ مكة المخزومي، فأخذه وقيده وحبسه عنده، وجاء العقيليون طلابُ الدم ففاوضهم علىٰ الدية والفداء، والقوم يأبون، وما زال الأمر كذلك حتىٰ قُتل جعفر. وحفظت العرب مشهد قتله، (فلما قُتل جعفر بن علبة قام نساء الحي يبكين عليه، وقام أبوه إلىٰ كل ناقة وشاة فنحر ولدها وألقاه بين يديها، وقال: ابكين معنا علىٰ جعفر! فما زالت النوق ترغو، والشاءُ تثغو، والنساء يصحن ويبكين، وهو يبكي معهن، فما رئي يوم كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذ)![٢]

---

(١) وله قصيدة في ذكر اليوم الذي لقي فيه بني عقيل، وستأتي في القطعة (٤١) من هذا الشرح.
(٢) الأغاني (١٣/ ٣٨).

وهذه القطعة يذكر فيها طيفَ محبوبته لما زاره وهو مقيد في السجن، ويصف فيها تجلُّده وقلة خوفه وشدة بأسه، فيستهين بالقيد والسجن، ويتبجح بذكره للهوىٰ، ولا شك أن هذا من أبلغ التجلد، فمن الذي يذكر محبوبه والسيف حاضر!

- **البيان:**

(هواي): أي الذي أهواه، وهذا إيجاز في محله، فالمقام لا يستدعي إسهابـًا، لما هو فيه من السجن والقيد، وأصل الهوىٰ الميلُ والمحبة، ومنه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] أي ما تميل إليه مما حرم الله. (الركب): ركبان الإبل خاصة. (اليمانين): جمع يمانٍ، والنسبة إلىٰ اليمن: يمنيٌّ ويمانٍ، كشاميّ وشآمٍ. (مصعِد): ذاهب مبعد، ومنه ﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ﴾ [آل عمران: ١٥٣]. (جنيب): مقود مُستتبَع، مِن (الجنيبة) وهي الفرَسُ التي تُجنَّب وتتبَعُ الركبَ؛ ليغزو بها صاحبُها بعدُ، وستأتي في القطعة السابعة والتسعين والتي تليها. (وجثماني): وجسمي. (بمكة): بلد الله الحرام، معروف، وقيل أُخذ لفظه من قولهم تمككتُ المخَّ من العظم تمككـًا إذا استخرجته منه، لأنها تمك الفاجر عنها وتخرجه منها. (موثق): الوثاق القيد، قال الحق سبحانه ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ [الفجر: ٢٦]. (لمسراها): مِن السُّرىٰ وهو السير ليلاً، قال الحق سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: ١] وعنىٰ هنا طيفها وخيالها، وهذا عند العرب كثير، ويأتي الكلام عليه في القطعة الثالثة والأربعين. (أنىٰ): بمعنىٰ مِن أين؟ ومنه ﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]. (تخلصت): الخلوص النفوذ. (تزهق): تذهب وتتلاشىٰ، قال الحق سبحانه ﴿وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وفي ذِكر الشاعر جزعَه من فراق طيف محبوبته علىٰ هذه الحال إشارةٌ ظاهرة إلىٰ أنه لا يلقي لما هو فيه -من السجن والقيد- بالاً، وسيصرح بهذا. (فلا تحسبي): هذا التفات من خطاب الغيبة إلىٰ الحضور. (تخشَّعت): الخشوع الذلة والخضوع، قال الحق

سبحانه ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القمر: ٧]. (أفرق): الفرق الخوف، ومنه﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]. (يزدهيها): يقال زهاه وازدهاه زهواً، أي استخفَّه استخفافاً. (وعيدكم): مثل الوعد، إلا أنه يختصُّ بالشر والتهديد غالبا. (أخرق): الأخرق الذي لا يُحسن العمل. (عرتني): أصابتني وجاءتني، ومنه ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤]. (صبابة): الصبابة رقة الشوق، يُقال: صبِبتَ صبابةً فأنت صَبّ.

- **العرض:**

(**١ـ٣**): **يقول**: أما إن محبوبي قد انصرف راحلاً مع الركب اليمانين، وولوا وجوهَهم شطر بلادي مُبعِدين، ولم يرضَ قلبي مفارقتَهم، فتبِعَهم كأنَّما يقودونه معهم، غير أن جسمي هنا بمكة مأسور مقيَّد، وقد تعجبتُ من سير خيال محبوبتي إلي، وطروقه ليلاً وأنا علىٰ هذه الحال، قد أُحكِم إغلاق باب السجن عليَّ! ولكن خيالها جاء فحيَّانا، وما لبث إلا قليلاً حتىٰ قام مودِّعا، فلما غادر الخيال كادت نفسي تخرجُ جزعـاً علىٰ فراقه.

(**٤ـ٦**): **يقول**: لا تظني أن حالي تغير بعدكم إلىٰ الخضوع والذلة لأمرٍ عارض، فلستُ ممن يخاف الموت، ولا تظني أن نفسي يستخفُّها التهديد ويخوفها الوعيد، فليس هذا عندي بشيء، ولستُ أبالي بهذا القيد الذي عليَّ فإنه لم يغير فيَّ ما كنتُ عليه، وإنما هذا الذي أصابني الشوقُ إليكِ، ومكابدتي لحُبِّكِ، فإني أقاسي هواكِ في كل حال، أما وثاقي وإطلاقي فسيان.

(٦)

وقال رَبِيعةُ بنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيُّ: [من الكامل]

١. ولقد شَهِدْتُ الـخَيْـلَ يومَ طِرَادِها بسَلِيمِ أَوْظِفَةِ القَوَائِمِ هَيْـكَلِ

٢. فـدَعَـوْا نَـزَالِ فكُنْتُ أَوَّلَ نـازِلٍ وعـَلَامَ أَرْكَبُهُ إذا لم أَنْزِلِ

٣. وأَلَــدَّ ذِي حَنَـقٍ عَـلَـيَّ كأنمَّا تَغْلي عَدَاوَةُ صَدْرِه في مِرْجَلِ

٤. أَرْجَـيْـتُـهُ عـنِّـي فـأَبْـصَــرَ قَـصْـدَهُ وكَوَيْتُه فوقَ النَّواظِـرِ مِنْ عَلِ

- **الكشف:**

هو ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر الضبيّ، من بني ضبة بن أد، فارس مخضرم، وهو شاعر من شعراء مضر المعدودين في الجاهلية والإسلام، أسلم فحسن إسلامه وطال عمره، وشهد القادسية وغيرها، ذكره ابن حجر فيمن أدرك حياة النبي ﷺ فلم يُنقل له لقاء ولم يُحفظ له سماع.

وهذه الأبيات يفخر فيها بنفسه، ويذكر أنه شهد الحرب علىٰ فرس عظيم ويذكر شيئًا من شجاعته، ثم يعرِض إلىٰ ذكر خصم يبغضه، وكيف صرف هذا الخصم عنه بهجوه له.

- **البيان:**

(**شهدت**): حضرتُ، ومنه ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢]. (**الخيل**): أي راكبيها، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وهذا مشهور في لسان العرب، ومنه ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهلها، قال ابن جني:

(وفي القرآن منه زهاء ألف موضع)[1]. (طرادها): الطراد: حمل الفرسان بعضهم علىٰ بعض. (أوظفة القوائم): الأوظفة جمع وظيف، وهو ما فوق الحافر من الفرس، والقائمة المقصودة قدَم خيله. (هيكل): ضخم عظيم. (فدعوا نزالِ): أي صاحوا أن انزل، فإن نزالِ اسم فعل أمر، والنزول في الحرب علىٰ ضربين، الأول: النزول عن الخيل إذا ضاق المعترك فيتقاتلون علىٰ أقدامهم، وفي ذلك الوقت يصيحون: نزال، والضرب الثاني: النزول عن الإبل وركوب الخيل، وذلك يكون أول الحرب لأنهم يقودون خيولهم ليريحوها، ثم يركبونها عند اللقاء. (لم أنزل): هذا يسمىٰ عند البلاغيين طباقا ومطابقة، وهو الجمع بين معنيين متقابلين، كالجمع بين قوله: نزال، وقوله: لم أنزل. (وألد): الألدُّ شديد الخصومة، قال الحق سبحانه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم: ٩٧]. (حنق): الحنق شدة الغيظ. (مِرجَل): قِدر. (أرجيته): أخَّرتُه، والإرجاء التأخير، ومنه ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٠٦]. (قصده): القصد التوسط، وعنىٰ به الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ومنه﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النحل: ٩]. (وكويته): الكيُّ الإحراق الذي يترك أثراً، وهو هنا استعارة للهجاء، كأنه يسِمُ صاحبَه بسِمة من الذلِّ يُشتهر بها. (فوق النواظر): يعني جبينَه، فإن السِمَة أبلغ ما تكون في الوجه، نحو ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] والخرطوم الأنف.

- **العرض:**

(١ـ ٢): **يقول:** لقد حضرتُ الحربَ حين مطاردة الفرسان في ساح القتال، وكنت علىٰ فرس ضخمٍ سليم الحوافر من العيوب، فصاح الفرسان: هل من نازل؟ فكنتُ أول النازلين، ولم إذن أركب هذا الفرسَ إذا لم أنزل وأقاتل؟!

---

(١) البرهان للزركشي (٣/ ١٤٦).

(٣-٤): **يقول**: ورُبَّ خصمٍ شديد العداوة علي، كأنما تغلي العداوة في صدره غليانَ الماء في القدر لشدة احتراقه بالغيظ؛ أخَّرتُه عني وصرفتُه إلىٰ رشده، فأبصر أمر نفسه، وتبين له مقداره، وهجوتُه هجاء مُقذِعـًا كان كالعلامة في أعلىٰ جبينه.

واحتمال الغيظ، وتذكُّر العداوة، واستدامة الأحقاد، تضرُّ صاحبها في ظاهره وباطنه، أما ظاهرُه فلِلونه اصفرار، ولعينه احمرار، وكأنما يُحال بين بصره ورؤية الحق بستار، وأما باطنُه (فلا أعلم ناراً أبلغَ في إحراق أهلها من نار الغيظ)[1].

(١) رسائل الجاحظ (٤/ ٨٤).

(٧)

وقال سَعْدُ بنُ ناشِبٍ التَّمِيميُّ: [من الطويل]

١. سَأغْسِلُ عنِّي العارَ بالسَّيْفِ جالِبًا عليَّ قَضَاءُ اللهِ ما كانَ جالِبَا

٢. وأَذْهَلُ عن داري وأَجْعَلُ هَدْمَها لِعِرْضِـيَ مِن باقي الـمَذَمَّـةِ حاجِبَا

٣. ويَصْغُرُ في عَيْنِي تِلَادِي إذا انْثَنَتْ يَميني بإدراكِ الذي كُنتُ طالِبَا

٤. فإنْ تَهْدِموا بالغَدْرِ داري فإنَّها تُراثُ كريمٍ لا يُبالِي العَواقِبَا

٥. أخي عَزَمَاتٍ لا يُريدُ علىٰ الذي يَهُمُّ به من مَقْطَعِ الأمرِ صاحِبَا

٦. إذا هَـمَّ لـم تُـرْدَعْ عزيمةُ هَـمِّهِ ولم يأتِ ما يأتي مِنَ الأمرِ هائِبَا

٧. فيا لَــرِزامٍ رَشِّـحوا بـي مُـقدِّمًا إلى الـمـوتِ خوَّاضًا إليه الكَتائِبَا

٨. إذا هَـمَّ ألـقَىٰ بين عينيه عَـزْمَـهُ ونكَّبَ عن ذِكْرِ العواقِبِ جانِبَا

٩. ولم يَسْتَشِرْ في أمرِه غيرَ نفسِه ولم يَرْضَ إلا قائمَ السَّيْفِ صاحِبَا

- **الكشف:**

هو سعد بن ناشب بن معاذ بن جعدة المازني، من بني رِزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي أموي، كان من فتاك بني تميم بالبصرة، ومن مردة العرب، ونسبه بعضهم لبني العنبر من تميم، وأظن الوهم دخل عليهم في الخلط بين ناشب المذكور، وناشب بن بشامة بن نضلة التميمي العنبري، أما سعد بن ناشب بن معاذ فمازني من تميم.

وخبر القصيدة أنه أصاب دمـًا ثم هرب، فطلبه أمير البصرة بلالُ بن أبي بردة فلم يجده، فأمر بهدم داره، فقال سعد هذه الأبيات يفخر بنفسه ويذكر أن داره لا تعني له شيئـًا إزاء إدراك مطلبه بسيفه، وأنه إن عُيِّر بالهرب فسيزيل هذا العار بسيفه.

- **البيان:**

(سأغسل عني العار): الغسل استعارة لإزالة العار عنه. (قضاء الله): يصح فيه الرفع والنصب، فعلىٰ الرفع يكون فاعلاً معناه حكم الله، ومنه ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ [طه: ٧٢]، والمعنىٰ: يجلب حكمُ الله عليَّ ما يجلبه، وعلىٰ النصب يكون مفعولاً معناه الموت، ومنه ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ ﴾ [القصص: ١٥]، والمعنىٰ: يجلب الموتَ عليَّ ما يجلبه. (وأذهل): الذهول ترك الشيء تناسياً وتلاهياً، قال الحق سبحانه: ﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ ﴾ [الحج: ٢]. (لعِرضي): العِرض ما يُمدح في نفس الإنسان أو يُذم، وقيل الحسَب -وهو فعال المرء وفعال آبائه كما سيأتي- قال ابن قتيبة: (وليس كذلك، إنما عِرضُ الرجل نفسُه)[1]، والمقصود به سُمعة الإنسان وصِيتُه في النَّاس، فهو الذي يتوجَّه إليه المدح والذم. (المذمة): الذم والسُّبَّة. (حاجبا): مفعول ثان، والحاجب والحجاب المانع والساتر، قال الحق سبحانه ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾ [مريم: ١٧]. (تلادي): التلاد والتليد: المال القديم، وفرق بعضهم فقال: (التليد: ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيراً فنبت عندك، والتلاد: ما ولد عندك)[2]، وضده الطارف والطريف، وخصَّ التلاد لأن النفس به أضنُّ. (طالبا): أي طالبه، فحذف العائد إلىٰ الموصول، وهذا -في المجرور بوصفٍ- كثير. (تراث): التراث المال المخلف، سمي بذلك اعتباراً بمآله فهو موروث، ومنه ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ [الفجر: ١٩]. (العواقبا): مآلات الأمور، قال الحق سبحانه ﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. (عزمات): جمع عَزمة، من العزم وهو توطين النفس وعقد القلب علىٰ أمر يفعله، يصف نفسه بأنه صاحب هم وإقدام. (مقطع الأمر): فصله

---

(١) أدب الكاتب (٣١).

(٢) أدب الكاتب (٣٥).

والخروج منه، كما قال عمر (مقاطع الحقوق عند الشروط)[1]. (همَّ): الهمُّ دون العزم، وهو ما تجيل فكرَك لإيقاعه وربما بذلتَ بعض أسبابه، قال الحق سبحانه ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾ [التوبة: ٧٤]. وهو من باب (ردَّ) كما جاء ماضيه ومضارعه في هذه القطعة. (تُردَع): الرَّدع الكفُّ. (هائبا): الهيبة الرهبةُ والتعظيم، وتكون من الخوف والذعر وهي المقصودة هنا، أو تكون من الإجلال كما قال الحماسيُّ:

أهابُـكِ إجـلالاً ومـا بـكِ قـدرةٌ   علـيّ، ولكـن مـلءُ عيـنٍ حبيبُهـا[2]

وسيأتي في باب النسيب. (فيا لَرِزام): أي يا بني رزام بن مازن. (رشِّحوا): هيئوا، والترشيح التهيئة والإعداد والتربية. (مقدّما): بكسر الدال اسم فاعل أي متقدِّماً عن قومه، وبفتحها اسم مفعول أي مقدَّماً من قومه، والبيت روي بالوجهين. (خوَّاضا): صيغة مبالغة من خائض. (الكتائبا): جمع كتيبة، وهي القطعة من الجيش مجتمعة، وأصل الكَتْب الاجتماع، ومنه الكتاب لاجتماع حروفه ونقطه. (ونكَّب): تقدَّم أنه بمعنىٰ أبعد. (يستشر): الاستشارة طلبُ الرأي، وإبداؤه مشورة، والمداولة فيه مشاورة، قال الحق: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

- **العرض:**

(١ـ ٤): يقول: لئن عُيِّرتُ بالهرب فإني سأجعل سيفي مزيلاً لهذا العار عنِّي بما أظهرُه من الانتقام والانتصار، ولا أبالي بما يجرُّ عليَّ بعد ذلك من القضاء والمكروه، أما داري التي أحرقتم فإني سأسلو عنها، ولقد ضاقت بي، وبقائي بها هوان، ولأجعلنَّ هدمها وقايةً لنفسي مما يلحقني من مذمة، فإني امرؤ إذا طلبتُ معالي الأمور هان عليَّ في سبيل تحصيلها تركُ المال والوطن، وما الدار التي هدمتم غدراً إلا مال رجلٍ يتنزَّه عن المطالبة به، ولستُ ممن يلقي بالاً لهذا.

---

(١) علقه البخاري (٣/ ١٩٠)، قبل حديث (٢٧٢١).

(٢) ديوان الحماسة (٢/ ١١٢).

(٥- ٦): **يقول**: وأنا رجل شجاع القلب مقدام، ولستُ بحاجة إلىٰ رفيق وصاحب، ولستُ بمُستنصرٍ أخـًا أو صديقا، بل أقدِمُ علىٰ الأمور وحيدا، فإني رجل إذا هممتُ بالشيء بادرتُ فعلَه ولم أتروَّ فيه، وأنفذتُ عزيمتي غير هائب له.

(٧- ٩): **يقول**: فيا قومي من بني رزام، هيِّئوا بي رجلاً يتقدَّم إلىٰ الموت بشجاعة، ويقتحم الشدائد والحروب بجسارة، لا يجبن ولا يفرُّ، فإني ذلك الرجل، وإني إذا هممتُ بالأمر أتبعتُ الهمَّةَ الفعلَ من غير تردد ونظر في العواقب، معتز بنفسي، مستبدٌّ برأيي، لا أعتبر الناس، ولا أرىٰ غيريَ مستشاراً ومؤتمرا، ولا غير سيفي صاحبـًا ومعينا!

وهذا علىٰ طريقة فتاك العرب وصعاليكهم، فكلٌّ منهم يفخر أنه نسيجُ وحدِه، وواحدُ أمرِه، ليس ممن يطيل النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه، ويرون ذلك عجزاً في الرأي، وضعفـًا في الحيلة، وهذه المعاني إنما تُستلطف وتُستحسَن في موضعها، وهل كان قول سعد هذا إلا برداً صبَّه علىٰ نار غيظِه، وهِناءً طلىٰ به جرَب قلبِه، فجاءت قصيدته هذه في محلها، حسنةَ المعاني، لائقةَ الأوصاف.

أما الاعتداد بالنفس مطلقـًا فلا شكَّ أنه مذموم، وتركُ المشورة واستجهالُ الناس ثمرةُ العجب بالعقل والكياسة، (وبذلك هلكت الأمم السالفة إذ افترقت فرقـًا فكلٌّ معجب برأيه، وكل حزب بما لديهم فرحون، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم)[1].

---

(١) أبو حامد الغزالي، الإحياء (٣/ ٣٧٧).

(٨)

وقال آخَرُ، ويُقالُ إنها لتأبّطَ شرًّا: [من الطويل]

١. إنـي لَـمُـهْدٍ مِـن ثَنَائي فقاصِدٌ ... به لابن عَمِّ الصِّدْقِ شَمْسِ بنِ مالِكِ

٢. أَهُـزُّ به في نَـدْوةِ الحَـيِّ عِطْفَه ... كمـا هَزَّ عِطْفِي بالـهِجَـانِ الأَوارِكِ

٣. قليلُ التَّشَكِّي لِلمُهِمِّ يُصِيبُهُ ... كثيرُ الهَوَى شتَّى النَّوَى والمسالِكِ

٤. يَظَلُّ بمَوْماةٍ ويُمْسِـي بغَيرِها ... جَحِيشًا ويَعْرَوْرِي ظُهُورَ الـمَهَالِكِ

٥. ويَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِن حيثُ يَنْتَحِي ... بمُنْخَرِقٍ مِنْ شَدِّه الـمُتَـدارِكِ

٦. إذا خاطَ عَيْنَيْه كَرَىٰ النَّوْمِ لم يَزَلْ ... له كالِئٌ مِن قَلْبِ شَيْحانَ فاتِكِ

٧. ويَجْعَلُ عَيْنَيه رَبِيئَةَ قَلْبِهِ ... إلى سَلَّةٍ مِن حَدِّ أَخْلَقَ باتِكِ

٨. إذا هَـزَّهُ في عَظْمِ قِـرْنٍ تهلَّلتْ ... نَوَاجِذُ أفْواهِ الـمَنَايَا الضَّواحِكِ

٩. يَرَىٰ الوَحْشةَ الأُنْسَ الأنِيسَ ويَهْتَدِي ... بحيثُ اهتَدَتْ أمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

- **الكشف:**

هو ثابت بن جابر بن سفيان الفَهمي، من بني فهم بن عمرو بن قيس عيلان، شاعر جاهلي، وهو أشهر صعاليك العرب وفتاكهم، وهو أحد العدّائين المشهورين، قيل سمِّي (تأبط شرًّا) لأنه قتل غولاً فوضعها تحت إبطه وقدم علىٰ قومه فقالوا: تأبط شرًّا، وقيل بل رأته أمه خارجا متأبطـًا سيفَه فقالت: قد تأبط شرًّا، وقيل غير ذلك.

وقال هذه القصيدة يثني فيها علىٰ رجل أعطاه فأجزل عطيته وأكرمه، فمدحُه له قائم مقامَ شكره، وهي قصيدة رائعة وصَف الممدوحَ فيها بالكرم والشجاعة وشدة

البأس وقوة الجانب، وصدق أبو عثمان إذ يقول: (وبقدر الإنعام تجود النفوس بالمودة، وبقدر المودَّة تنطقُ الألسن بالمدحة)[1].

● **البيان:**

(إني): البيت مخروم، وتقدم في بيان القطعة الرابعة. (لمُهدٍ): اسم فاعل من الإهداء، يقال: أهداه هديةً فهو مُهدٍ. (لابن عمِّ الصّدق): قيل هو ابن عمه حقيقة، وقيل بل أراد المبالغة في تمكن الموصوف من الصفة، كما يقال أخو المجد وابن الكرم، فهذا ابن عم الصدق، (والمراد بالصدق في مثل هذا المقام: الجودة، لا الصدق في الحديث)[2]، فيقال: رجلُ صِدق، أي رجل فاضل، وإضافة نحو هذا إلىٰ الصِّدق مشهورة في لسان العرب، ويُقال في ضدِّه (رجل سَوء) كما سيأتي في باب الأدب والأضياف. (شَمس بن مالك): إن لم يكن ابن عمه حقيقة فهو من بني مالك بن فهم بن غنم من الأزد، وقيل إنَّ اسمه شُمس لا يصح غير ضم الشين، (وكل ما جاء في قريش فهم شَمس، وكل ما جاء من أنساب اليمن فهم شُمس)[3]. (ندوة الحي): أصل الندوة الجمع، والندىٰ والنادي: المجلس ومكان اجتماع القوم، ومنه ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] أي مجالسكم. (عِطفَه): جانبه، قال الحق سبحانه ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ [الحج: ٩] في وصف المستكبر وذلك أنه يلوي عنقه، ويولي صفحته، ويثني عطفه. (بالهجان): بالإبل البيض. (الأوارك): جمع آرِكة، وهي التي رعت نبت الأراك، وهو من أطيب ما ترعاه الماشية. (قليل التشكِّي): عديم الشكوىٰ، والعرب قد تطلق القلة وتريد العدم، ومنه ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] علىٰ قول مشهور،

---

(١) رسائل الجاحظ (٤/ ١٩٩).

(٢) شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (٢/ ٣١٩).

(٣) ما يقع فيه التصحيح والتحريف للعسكري (٣٤٩).

أي: لاتبعتم الشيطان كلًّا. (كثير الهوىٰ): أي كثير الهوىٰ لمعالي الأمور ومكارمها. (شتىٰ): مفترق، قال الحق سبحانه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤]. (النوىٰ): الوجهة والقصد. (المسالك): الطرق، وسلَك الطريقَ أي شقَّه ومضىٰ فيه، ومنه ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]. (بموماة): صحراء. (جحيشًا): منفرداً. (ويعروري ظهور المهالك): اعرورىٰ الفرسَ: ركبه عاريا، وهو هنا استعارة لركوب المهالك علىٰ صعوبتها وشدتها. (وفد الرِّيح): أول ما يهب منها، وذلك أشدها وأسرعها. (ينتحي): يقصد. (بمُنخَرِق من شدِّه): المنخرق المتسع، والشدُّ الجري، يصفه بأنه شديد العدو، واسع الجري، وأنه يسبق الريح السريعة! وجعل أبو العباس ثعلب هذا البيت مثالاً علىٰ الإفراط والإغراق في الوصف[1]. (المتدارك): المتلاحق. (خاط عينيه): الخياطة معروفة، وهي هنا استعارة بديعة لضم أجفانه علىٰ بعضها. (كرىٰ النوم): الخفيف منه. (كالئ): حافظ، والكلاءة الحفظ، ومنه ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]. (شيحان): حذر حازم. (فاتك): الجريء الذي لا يبالي بما هجم عليه، والذي يفاجئ غيرَه بالمكروه. (ربيئة): الربيئة عين القوم الذي يرصد لهم من موضع عال. (سلَّة): استلال السيف مرة. (حدِّ أخلق باتك): حدِّ سيف أملس قاطع. (قِرن): القِرن النظير. (تهلَّلت): أي استبشرت وضحكت. (نواجذ أفواه المنايا الضواحك): النواجذ أقصىٰ الأضراس، وهي مجاز في المنايا، وهو مجاز رائق لموت القِرن، كأن المنايا تضحك فرحًا بقدومه إليها. (الوحشة): التفرد والبعد عن الناس. (الأنس الأنيس): أي المكان الذي يرتاح فيه ويأنس به ويأوي إليه، وقوله الأنس الأنيس فيه زيادة تأكيد وإمعان في الوصف نحو ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧]. (ويهتدي): أي يتعرف طريقه ويبصر سبيله بالنجوم ومعالمها، قال الحق سبحانه: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾

---

(١) قواعد الشعر (٢٠).

[النحل: ١٦]. (أم النجوم): الشمس، وقيل لها أم النجوم لأنها أعظمها، ومعظم الشيء أمه، كالفاتحة أم الكتاب. (الشوابك): أي المشتبكة.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: إني سأهدي ثنائي ومدحي، وأقصد به ابن عمي الفاضل الكريم شمس بن مالك، ولأمدحنَّه حتىٰ يهتزَّ طرباً من علو المدح، كما اهتززتُ فرحاً من عطائه لي في سابق الأيام، فقد أعطاني كرام الإبل ونجائبها، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

(٣-٥): يقول: أما شمس فرجل صبور علىٰ النوائب والعلَّات، لا يظهر تشكِّياً ولا ضعفاً إن أهمَّه أمر، وهو عالي المطامح، بعيد الهمَّة، يقصد معالي الأمور بكل وجه علىٰ تفرق سبلها، ومن رام معالي الأمور فإنه متعبٌ بدنه لا محالة، فمن ذلك أنه كثيرُ التنقُّل بين الصحاري، فيصبح في واحدةٍ ويمسي في أخرىٰ، ولا يبالي بالمهالك في سبيل تحقيق عزمه وبلوغ غايته، وهو رجل جَلدٌ شديد، حتىٰ إنه ليسبق الرِّيح الشديدة من سرعة عدوِه وسِعَة خطوِه.

(٦-٩): يقول: وهو لشدة تيقُّظه لا ينام إلا النومة الخفيفة، وليس بغافل إن نام تلك النومة، بل لا يزال له من قلبه حافظ، فهو حازم حذر، وهذه حال كلِّ فاتك، أما في حال يقظتِه فإن عينيه طليعةٌ لقلبه، فما إن يرىٰ أمراً ينكره حتىٰ يسارع إلىٰ سلِّ سيفه القاطع الباتر، فإذا انبرىٰ إلىٰ رجل يساويه شجاعةً وقوةً لم تغن ذاك شجاعتُه ولا قوته، وما يلبث الرجلُ أن يخرَّ صريعاً بضربةٍ من سيفه يضحكُ لها الموت ويستبشر، وهو رجل لا يأنس إلا بنفسه، بل تمامُ أنسِه في تفرُّده عن الناس، واعتزالِه الخلق، وهو بصير بالطرق، مستغنٍ عن دليلٍ وخرِّيت يرشدُه، بل يهتدي بالنجوم كما تهتدي الشمسُ في طريقها.

وهذا مذهب الصعاليك ومن شاكلهم في الاعتداد بالنفس وحب الاستيحاش، كما قال الأحيمر:

عوىٰ الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوىٰ   وصـوَّتَ إنســـانٌ فكـدتُ أطيـرُ![1]

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢/ ٧٧٤).

(٩)

وقال بعضُ بني قَيْسِ بنِ ثعلبةَ: [من البسيط]

١. إنَّـا مُـحَيُّوكِ يا سَلْمَىٰ فَحَيِّينا   وإنْ سَـقَيْتِ كِـرَامَ النـاسِ فاسْـقِينا

٢. وإنْ دَعَـوْتِ إلىٰ جُلَّىٰ ومَكْرُمةٍ   يَومًـا سَرَاةَ كِـرامِ النـاسِ فادْعِينـا

٣. إنَّـا بَنِـي نَـهْشَـلٍ لا نَـدَّعِـي لأبٍ   عنـهُ ولا هُـوَ بالأبْنـاءِ يَشْـرينا

٤. إنْ تُبْتَدَرْ غـايةٌ يومًا لـمَكْرُمةٍ   تَلْـقَ السَّـوابِقَ منـا والـمُصَـلِّينا

٥. ولَـيْسَ يَهْـلِكُ منـا سَـيِّدٌ أبَـدًا   إلا افْـتَـلَـيْنا غُـلامًا سـيِّدًا فِيـنا

٦. إنـا لنُرْخِصُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ أنفُسَنا   ولـو نُسَـامُ بهـا في الأمْـنِ أُغْلِيـنا

٧. بِـيضٌ مَفارِقنا تَغْلي مَراجِلُنا   نأسُـو بأموالِنـا آثـارَ أيْدِينـا

٨. إني لَـمِنْ مَعْشرٍ أفْنَىٰ أوائِلَهُم   قَولُ الكُمـاةِ: ألَا أينَ الـمُحـامُونا

٩. لو كان في الألـفِ مِنَّا واحِدٌ فدَعَوْا: مَنْ فـارسٌ، خالَـهم إيَّـاهُ يَعْنُـونا

١٠. إذا الكُمـاةُ تَنَـحَّوْا أن يَنـالَهُمُ   حَـدُّ الظُّبَـاتِ وَصَلْناهـا بأيْدِينـا

١١. ولا تَرَاهُمْ وإنْ جَلَّتْ مُصِيبتُهُم   مـعَ البُـكاةِ على مَـنْ مـات يَبْكُونا

١٢. ونَرْكَبُ الكُرْهَ أحيانًا فيَفْرِجُهُ   عَـنَّا الـحِفـاظُ وأسْيافٌ تُواتِينـا

- **الكشف:**

نسبها أبو تمام لبعض بني قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل من ربيعة، وسماه بعضهم فقال هو المرقِّش الأكبر، عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، والقصيدة بهذه الرواية لا تصح نسبتها له، لأن الشاعر يقول فيها: (إنا بني نهشل) ونهشل هو ابن دارم من بني زيد مناة بن تميم من مضر، فأين الرَّبَعي من

المُضريِّ! ونُسبت القصيدة لبشامة بن حزن النهشلي وقيل غيره من بني نهشل، وهو أقرب، ولعل الوهم دخل في الخلط بين هذه وبين أبيات المرقِّش التي مطلعها:

يا ذاتَ أجوارِنا قومي فحيينا وإن سقيتِ كرامَ النَّاسِ فاسقينا

وهي في ملحقات المفضَّليات[1] علىٰ ذات الرويِّ، وزعم بعضهم أن القصيدتين خُلِّط فيهما[2].

وهذه القصيدة يفخر فيها الشاعر ويذكر قومه بكرم الأصل، وطيب المحتد، واستباقهم المكرمات، وشجاعتهم وبأسهم.

- **البيان:**

(فحيِّينا): هذا القول وإن كان في ظاهره استعطاف المرأة والطلب منها، إلا أنه لم يرد به هذا، وإنما أراد التخلُّص إلىٰ مقصده من الإشارة إلىٰ كرم أصلهم وطيب عرقهم وعلو مكانهم. (جُلَّىٰ): مؤنث أجلّ، وخرجت عن الأصل في وجوب التعريف، وقيل هي مصدر كرُجعىٰ وبُشرىٰ فجاز تنكيرها، والجُلَّىٰ: الحادثة العظيمة والأمر الجليل. (سراة): جمعُ سَريٍّ علىٰ غير قياس، والسريُّ الشريفُ من الناس والسيِّد في القوم. (بني نهشل): بن دارم، من بني زيد مناة بن تميم، وانتصب علىٰ الاختصاص. (لا ندَّعي لأب عنه): لا ننتسب لأب غيره. (بالأبناء يشرينا): أي ولا هو يستبدلنا بغيرنا، ومنه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾[البقرة: ١٦] أي استبدلوا. (تُبتدَر): الابتدار الاستباق. (غاية): يريد غاية السبق، وهي خشبة تُنصَب فيستبقون إليها. (السوابق): جمع سابق، وهو أول القوم وأسبقهم، ويسمىٰ: المجلِّي. (والمصلّينا): جمع المصلِّي، وهو ثاني القوم سبقـًا، فالعرب تقول: قدِم المجلِّي فالمصلِّي. (افتلينا): الفَلو والافتلاء: التربية والتهيئة. (لنُرخِص): من

---

(١) القصيدة (١٢٨).

(٢) انظر شرح التبريزي على الحماسة (١/ ٨٤).

الرُّخص في السعر وهو قلته وسهولته. (الرَّوع): الخوف، قال الحق سبحانه ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾[هود: ٧٤]، والرُّوع محلُّ الخوف، وهو القلب، وعنىٰ بالرَّوع هنا الحرب. (نُسام): من السَّوم وهو المفاوضة في السِّعر. (الأمن): ضدُّ الخوف، وعنىٰ به السِّلم، وفيه طباق. (أغلينا): ضد الإرخاص، وهذا طباق. (بيضٌ مفارقنا): المفارق جمع مفرق، وهو موضع انفراق الشعر من الرأس، أي ابيضت مفارقنا لكثرة ما نقاسي من الشدائد والحروب، وهذا كما يقال: أمر يُشيب الذوائب، قال الحق سبحانه ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧]، وقد أفاض الشرَّاح في معنىٰ هذا البيت حتىٰ إن الخطيب الإسكافي صنَّف كتاباً سماه (تخريج مئتي وجه من المعاني في كلمة واحدة من بيت واحد) عنىٰ هذه الكلمة! (تغلي مراجلنا): تقدَّم أن المِرجَل القدر، وهي هنا استعارة لاصطلاء نيران الحرب، ويجوز أن يكون أراد الإشارة إلىٰ كرمهم وكثرة ضيفانهم، فنارُ قدورهم لا تنطفئ. (نأسو): الأسو مداواة الجراح، يقال أسوتُ الجرحَ أسواً إذا داويته، والآسي الطبيب، وهو هنا استعارة لدفع الديات فهم يداوون جراحات غيرهم بدفع المال، ولا يُقتصُّ منهم لعزَّتهم. (قولُ الكماة): أي قول الشجعان، والكماة جمعُ كامٍ، كغُزاة وغازٍ، وهذا مجاز، فالذي أفناهم القتل، أما قولُ الكماة فسبب للقتل، فهو تجوز بالسبب. (المحامونا): الذابُّون والدافعون. (خالَهم): ظنَّهم، يقال خلتُه وإخاله، بكسر همزة المضارع علىٰ الأفصح، أي ظننتُه وأظنُّه، وهو من أفعال الرجحان. (حد الظُّبات): شفرة السيف وحدُّه، والظُّبَة ما يلي ذباب السيف من حدِّه. (جلَّت): عظُمت. (ونركب الكُره): أي نقدم علىٰ المهالك والأمر المكروه. (فيفرِجه): يكشفُه ويوسِّعه، قال الحق سبحانه ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾[المرسلات: ٩]، أي شُقِّقت ووُسِّعت. (الحفاظ): الحماية والرعاية. (تواتينا): توافقنا وتطاوعنا.

- **العرض:**

(١ـ ٢): يقول: إنا مسلِّمون عليك أيتها المرأة، وملقون عليك التحيَّة، فقابلينا بمثلها فإنا أهلٌ لأن تُلقىٰ لنا التحايا، وإن كنتِ تسقين كرامَ الناس فنحن أولىٰ الناس بالسقي، فاسقينا وأجرينا مجراهم، وإن ذكرتِ في يومٍ أمراً جليلا، وأشدتِ فيه بذكر خيار النَّاس فاذكرينا؛ فنحن من خيارهم وكرامهم.

(٣ـ ٥): يقول: إنا نحن -أعني بني نهشل- لا ننتسب لأب غير أبينا، فإلىٰ أبينا منتهىٰ الكرم، ولا هو يبغي بنا بدلا، لأنا بنون كرام سادة لمسوَّد، فمآثرنا وأفعالنا حميدة، ونسبنا وحسبنا شريف، فإذا كانت مكرمةٌ فإنا نستبقها قبل الناس فنكون أول من يبادر إليها، ولا يصل إليها قبلنا أحد، فكلنا سابقون كرام أشراف، وإذا هلك السيِّد منَّا خلفَه أيُّ غلامٍ فينا، فلا نفتقر لسيد ما حيينا، إذ كلنا سادة أنجاب.

(٦ـ ٩): يقول: وإذا قامت الحرب وجدتنا نقدم إليها ببسالة، فتهون علينا في المعالي نفوسُنا، فإن كان وقت السِّلم رأيتَها نفوساً عزيزة لا تهان لأحد، وقد جرَّبنا الحروب وصلينا بحرِّها، وقاسينا الشدائد حتىٰ ابيضَّت رؤوسنا وعلاها الشيب، ونيران حربنا مستعرة دائماً لا تُخمد، فإذا التقينا بهم فقتلنا منهم فإنا ندِي قتلاهم بالمال، وليس لهم منَّا إلا الدية، أما أن يقتصُّوا فيقتلوا منَّا فذلك محال، فإنا لا نُقتَل إلا في الحرب، ونحن نتقدَّم في الغزوات لا نهاب اللقاء، وما أفنانا إلا صيحاتُ أبطالنا: هل من مبارز؟ هل من مدافع؟ فكلُّنا فرسان، بل لو وزَّعتنا علىٰ القبائل فجعلت منا واحداً في كلِّ ألف ثم دعوتَ: من فارسكم؟ لظنَّ كل واحد منا أنه هو المعنيُّ دون الألف.

والبيت الأخير نحو قول طرفة:

إذا القومُ قالوا: مَن فتىً؟ خلتُ أنني   عُنيتُ فلم أكسل ولم أتبلّدِ[1]

---

(١) شرح القصائد العشر للتبريزي (١٢٣).

(١٠ـ ١٢): يقول: وإذا تباعد الشجعانُ عن سيوفنا خوفـًا، وقصُرت سيوفنا شيئًا؛ فإننا نجعل وصلَها خُطانا إلىٰ أعدائنا ومدَّ أيدينا إليهم، ولأننا قوم تعودنا الحرب فإنك لا تجد في نسائنا نائحةً ولا باكيةً ولو مات مَن مات! فقد أَلِفنا المصائب والقتل، نُقْدِم علىٰ المهالك والمكاره غير آبهين، فيزيلها عنا صبرنا علىٰ الشدائد، ومحافظتنا علىٰ الكرم، واستعمالنا سيوفنا المطاوعة لنا.

(١٠)

وقال الشَّمَيْذَرُ الحارِثِيُّ: [من الطويل]

١. بَنِي عَمِّنا لا تَذكُروا الشِّعْرَ بَعْدَما دَفَنتُمْ بصَحْراءِ الغُمَيرِ القَوافِيَا

٢. فلَسْنا كَمَنْ كنتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً فنَقْبَلَ ضَيْمًا أو نُحَكِّمَ قاضِيَا

٣. ولكنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فيكُم مُسلَّطٌ فنَرضَىٰ إذا ما أصبحَ السَّيفُ راضِيَا

٤. وقد ساءَني ما جَرَّتِ الحَرْبُ بيننا بَنِي عَمِّنا لو كان أمْرًا مُدانِيَا

٥. فإنْ قلتُمُ إنَّا ظلَمْنا فلم نكُنْ ظَلَمْنا ولكنَّا أسأْنا التقاضِيَا

- **الكشف:**

هذه القطعة مشهورة للشميذر الحارثي، ونسبها بعضهم لسويد بن صميع المرثدي، وكلاهما شاعر فارس جاهلي، من بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك [مذحج]، وتقدم هذا النسب في القطعة الرابعة.

وقيل إن خبر القطعة أن رجلاً من بني العمومة قتل أخا الشاعر غيلة، فأخذ الشاعرُ الدية ثم قتل القاتلَ جهاراً في السوق، فيذكر في هذه القطعة انتصاره واحتكامه للسيف لا لغيره، ويعرّض في البداية بهم فيحطّ من قدرهم ويذكِّرهم بوقعة (الغمير) التي كانت عليهم.

- **البيان:**

(لا تذكروا الشعر): لا تفخروا علينا في أشعاركم. (صحراء الغمير): موضع قريب من ذات عرق. (القوافيا): جمع قافية، وأراد القصائد، والعربُ تسمي القصيدةَ قافيةً، ثم اصطلح أهل العَروض وغيرهم علىٰ تسمية آخر البيت بذلك،

لأنه بالقافية يتم، ولأنها تقفو الكلام، أي تجيء في تالي البيت فينتظم، والقفو الاتباع، ومنه ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٤٦]. (سلَّة): أراد بها السرقة. (ضيمًا): الضيم الظلم والإذلال. (نحكِّم قاضيا): أي نرتفع إلىٰ شخص فنفوض له الحكم بيننا في أمرنا، ومنه ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣]. (حكم السيف): أي قضاؤه وفصله، قال الحق سبحانه ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠]. (مسلَّط): ممكَّن فيكم ومحكَّم عليكم، ومنه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، وخطَّأ الأسودُ الغندجانيُّ هذه الرواية وقال: (الصواب: مسمَّط)[1]، أي نافذ لا يردُّ، وكلاهما صالح. (جرَّت الحرب): جنت الحرب. (لو كان أمراً مدانيا): أي لو كان أمراً يسيراً يُحتمل الصبر عليه لصبرنا، وقيل إن جواب لو هنا مقدم، والمعنىٰ: لو كان أمراً مدانياً لساءني ما جرت الحرب، وهو قول في معنىٰ (لولا) في تأويل الآية: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، أي: لولا أن رأىٰ برهان ربه لهم بها، وفيه ضعف، والأقرب أن الخبر محذوفٌ ثقةً بفهم السامع، وتقدير البيت: لو كان أمراً مدانياً لأغضينا عليه وأصلحناه، ولكنه لم يكن كذلك. (فلم نكن ظلمنا): يريد أنه لم يبدأ بالظلم، والعرب تقول (البادئ أظلم). (التقاضيا): التقاضي استيفاء الحقوق، والقضاء الحكم فيها، قال الحق سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠].

- **العرض:**

(١ـ ٣): **يقول:** يا بني عمنا! دعوا التفاخر بالأشعار والتمدُّح بالمآثر، فإنكم بهزيمتكم في صحراء الغمير قد دفنتم كل صالحة لكم، فما عاد لكم شيء تفخرون به بعد تلك العيبة، واعلموا أننا لسنا مِثلَ من كنتم تعتدون عليهم، فتقتلون منهم غيلة، وتسرقون منهم خلسة، ثم لا يجدون سبيلاً إلا السكوت وقبول الظلم، أو الشكوىٰ

---

(١) إصلاح ما غلط فيه النمري (٤٣).

ونصبَ الحكَّام للقضاء، فلسنا من أولئك في شيء، بل نحكِّم فيكم السيف، ونأخذ حقنا بالعنوة والقهر، ولا نرضىٰ حتىٰ يرضىٰ السيف من دمائكم.

(٤ـ ٥): **يقول**: ولقد ساءني ما جنته هذه الحرب من سفك دمائكم، لأنكم بنو عمنا، ويعز علينا ذلك، ولو كان مكروهكم قليلاً لاحتملناه وأغضينا علىٰ القذىٰ، ولكن زاد الأمر وبلغ السيل الزُّبىٰ، ولا تقولوا إنا ظلمناكم في هذه الحرب، فإن البادي أظلم، ولكننا تجاوزنا في استيفاء حقنا، وجازيناكم بالضِّعف، وكذلك نحن نكيل بالصاع صاعين.

(١١)

وقال قَطَرِيُّ بنُ الفُجَاءةِ المازِنيُّ: [من الكامل]

١. لا يَرْكَنَنْ أحدٌ إلىٰ الإحْجامِ يومَ الوَغَىٰ مُتخوِّفًا لِحِمامِ

٢. فلَقَدْ أَراني لِلرِّماحِ دَرِيئةً مِن عنْ يميني مرةً وأمامي

٣. حتىٰ خَضَبْتُ بما تَحَدَّرَ مِن دمي أكنافَ سَرْجي أو عِنانَ لِجَامي

٤. ثم انصرفتُ وقد أَصَبْتُ ولم أُصَبْ جَذَعَ البَصيرةِ قارِحَ الإقدامِ

- **الكشف:**

هو جعْوَنة بن مازن بن يزيد بن زياد التميميُّ المازنيُّ، من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي، وسمي (قطَريًا) نسبةً إلىٰ موضع اسمه قطر بين البحرين وعُمان، وسمي أبوه (الفجاءة) لأنه غاب إلىٰ اليمن ثم أتىٰ قومه فجاءة، وقطري أحد زعماء الخوارج المشهورين، وكان خطيبًا مفوهًا وفارسًا شجاعًا، وهو من الأزارقة -أتباع نافع بن الأزرق بن قيس الوائلي البكري- من أشد فرق الخوارج بأسًا، وأقواها شكيمة، وقُتِل قطري خارجًا في ولاية الحجاج فتفرقت الأزارقة بعده.

وهذه قطعة حماسية جميلة، يحث فيها علىٰ الشجاعة والإقدام وثبات القلب ورباطة الجأش، ويضربُ بنفسه في ذلك المثل.

- **البيان:**

(يركنن): أصلها يركن، زيدت عليها نون التوكيد المخففة، والمعنىٰ: لا يميلن، والركون إلىٰ الشيء الميل إليه، قال الحق سبحانه: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. (الإحجام): النكوص والانهزام. (يوم الوغىٰ): يوم الحرب. (لحِمام): الحِمام الموت. (دريئة): تقدم أن الدرء الدفع، ومنه سميت الدريئة بذلك، وهي الحلقة التي يُتعلَّم عليها الطعن. (مِن عن يميني): أي من جانب يميني، و(عن) هنا اسم علىٰ المشهور، لدخول مِن عليها. (خضبتُ): الخضب والخضاب التلوين والصبغ، يقال بنان مُخضَّب أي مصبوغ بالحناء. (تحدَّر): سال. (أكناف): تقدم أن أكناف الشيء جوانبه ونواحيه. (سَرجي): ما يوضع علىٰ الفرس ليُركب عليه. (عِنان لجامي): سَير اللجام، وهو الذي تُمسك به الدابة. (جذعَ البصيرة): الجذع من الخيل ما تم له سنتان، وهو في البصيرة مجاز. (قارحَ الإقدام): القارح من الخيل ما تم له خمس سنين، وهو في الإقدام مجاز، وهذا طباق، وكثيراً ما تقابل العربُ بين القارح من الخيل والجذع، فالأول كبُر سنُّه فهو خبير مجرَّب بلغ النهاية في قوته، والثاني صغُر سنُّه فهو غضٌّ فتيٌّ مغامر.

- **العرض:**

(١ـ ٤): يقول: لا يميلنَّ أحد منكم إلىٰ النكوص والتراجع إذا استعرت نار الحرب فيجبن خوفاً وجزعاً من الموت، فليس من الموت محالة، واعتبروا بحالي، فلقد رأيتني حين اشتدت بي الحرب يوما، فكنتُ كأني غرَض تتعاورُه الرماح من كل جانب، فانتصبتُ لها شجاعةً، وما ازددتُ إلا ثباتا، ولو ترىٰ إذ يسيل الدمُ من الجروح في كل جسمي، حتىٰ خضب الدمُ اللجامَ بما سال من الجروح في أعلىٰ جسدي، وخضَب السَّرجَ بما سال من الجروح في أسفل جسدي، ومع هذا كلِّه فإني قد انصرفتُ من اللقاء وقد سلمتُ، ونلتُ من أعدائي ولم ينالوا مني، وما ردَّني هذا الذي ذكرتُ لك عن خوض الحروب، بل لا زلتُ علىٰ رأيي الأول وبصيرتي الجذعة في الإقدام عليها، وازددتُ خبرةً في الحرب وصار إقدامي قارحاً.

والشجاعة الحقيقية هي هذه التي تحلُّ في القلب فلا ترحل، فإن القلب إذا ثبت تبعه البدن، وهي التي ينبغي للقادة أن يتصفوا بها، فإنَّ (الشجاعة تُفسَّر بشيئين: **أحدهما:** قوة القلب، وثباته عند المخاوف. **والثاني:** شدة القتال بالبدن، بأن يقتُل كثيراً، ويقتُل قتلاً عظيماً، والأول هو الشجاعة، وأما الثاني فيدل علىٰ قوة البدن وعمله... وهذه الخصلة هي التي يُحتاج إليها في أمراء الحروب وقواده ومقدَّميه، فإن المقدَّم إذا كان شجاع القلب ثابتاً؛ أقدم وثبت ولم ينهزم، فقاتل معه أعوانه، وإذا كان جباناً ضعيف القلب؛ ذلَّ ولم يقدم ولم يثبت، ولو كان قوي البدن)[1].

---

(١) منهاج السنة (٨/ ٧٧).

(١٢)

وقال ابنُ زَيَّابةَ التَّيْمِيُّ: [من السريع]

١. نُـبِّـئْتُ عَـمْـرًا غـارِزًا رأسَـهُ | في سِنَةٍ يُوعِدُ أَخْوالَهُ
٢. وتِـلْـك مـنـه غـيـرُ مـأمُـونـةٍ | أنْ يَفعلَ الشيءَ إذا قالَهُ
٣. الـرُّمـحُ لا أَمْـلأُ كَـفِّـي به | واللِّبْدُ لا أَتْبَعُ تَزْوالَهُ
٤. والـدِّرعُ لا أبـغـي بـهـا ثَـرْوةً | كلُّ امرئٍ مُستَوْدَعٌ مالَهُ
٥. آلَـيْـتُ لا أَدفِـنُ قَـتْـلَاكُـمُ | فَدَخِّنُوا المرءَ وسِرْبالَهُ

- **الكشف:**

اسمه سلمة بن ذهل، وقيل عمرو بن الحارث بن همام، من بني تيم الله بن ثعلبة، من بني بكر بن وائل، شاعر جاهلي، وزيابة اسم أمه، وقد اضطربت الأقوال في نسبته، وفي نسبة عمرو المذكور في القطعة، ولعل عمراً المذكور هو عمرو بن لأي من بني تيم الله بن ثعلبة، فالقرابة بينهما ظاهرة، والشاعر يعدُّ في أخوال عمرو المذكور كما سيأتي.

أما القطعة فإن عمراً قد هدَّد قومَ الشاعر وأوعدهم، فقال الشاعر هذه القطعة يسخر من تهديده، ثم يتهكم به ويعرِّض بفروسيته ويصفه أنه ليس للتهديد بأهل، وأنه ليس من الفروسية والشجاعة في شيء، ثم يذكِّره بيوم كان للشاعر عليهم، فطعن فيه رجلاً منهم فأحدث علىٰ نفسه، وذكر المرزوقي أنَّ الغالب علىٰ ظنه أن البيت الأخير لم يختره أبو تمام.

• **البيان:**

(نُبِّئت): أي أُخبِرتُ، والنبأ الخبر، يُقال نبَّأتُ وأنبأتُ، قال الحق سبحانه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ [التحريم: ٣]، و(نبَّأ) من الأفعال التي تتعدىٰ إلىٰ ثلاثة مفاعيل، والتاء في مقام مفعوله الأول. (عمراً): بن لأي التيمي، وهو مفعول ثان. (غارزاً): الغرز الإدخال والتثبيت، وهو مفعول ثالث. (سِنة): السِّنة أول النوم، يُقال وسِن يَوسن وسَناً وسِنةً فهو وسنان، قال الحق سبحانه واصفاً نفسه: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله (غارزاً رأسه في سِنة) كناية عن الجهل والاغترار بالنَّفس وترك التحفُّظ. (يوعد): يقال أوعد يوعد في الشرّ غالبا كالتهديد، ووعد يعد في الخير غالبا. (أخواله): الذين منهم ابن زيابة. (وتلك): المقالة التي توعَّدَنا بها. (غير مأمونة): لا يؤمن فعلها، ولا يوثق بها، يصفه متهكماً بأنه يقول ما لا يفعل. (كفّي): الكفُّ راحة اليد مع الأصابع، ومنه ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ [الرعد: ١٤]. (واللِّبد): ما يوضع علىٰ ظهر الدابة من سرج أو قتب. (تَزواله): مصدر للتكثير من الزوال، يقال: زال يزول إذا مال وانتقل، ومنه ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. (ثروة): الثروة المال الكثير. (مستودَع): محفوظ عنده، من الاستيداع وهو الحفظ، ومنه ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]، والمستودَع في الآية أصلاب الآباء، لأنها موضع حفظ النُطف. (آليتُ): أي حلفتُ وأقسمتُ، والإيلاء الحلف، ومنه ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦]. (فدخِّنوا): من الدخان، والمراد به هنا الطيب والبخور، يعيره برجلٍ منهم طُعِن فأحدث. (وسِربالَه): القميص أو الدرع، وقيل: كل ما لُبِس فهو سربال، لأنه تسربل به، ومنه ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، عافانا الله.

• **العرض:**

(١-٢): يقول: لقد أخبروني أن عمراً يهددنا ويتوعدنا! ألا إن هذا الغِرَّ جامحٌ في جهالاته، سادرٌ في غيِّه، وليس تهديده إلا كسائر أقاويله التي يُرغي بها ويُزبِد ولا يفعل منها شيئا، فهو كثير الكلام قليل الفعال.

(٣-٥): يقول: أما أنا فإني إذا ركبتُ الخيل لا أملأ كفِّي من الرُّمح فيعجزني عن حمل باقي السلاح، بل أنا من أهل الطراد والطعن والرمي، ولستُ ممن يتبَع السرج أينما ذهب، فيميل مع ميلانه ولا يثبت علىٰ الخيل، ولستُ ممن يقتني السلاحَ للمال والتجارة، فإني كثير الحروب، محتاجٌ لدرعي فلا أبغي بها بدلاً من مال، فإنما المال وديعة عند الناس، ولا بد يومـاً أن تردَّ الودائع، وإني قد حلفتُ بالله أن أتجنَّب قتالكم حتىٰ يتطيَّب المقاتل منكم ويطيِّب ملابسه، لئلا يحدثَ كصاحبكم فيُنتِن علينا المكان.

ولا يخفىٰ أن هذا الكلام ليس فخراً في حقيقة الأمر، وإنما هو تهكُّم وتعريض بخصمه، فهو في الحقيقة يصف خصمه بالعجز عن حمل السلاح وعدم الثبات علىٰ الخيل وغيرها من أضداد الصفات المذكورة، ومن هذا الباب في التعريض ما روي في الموطَّأ أن رجلين استبَّا في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال أحدهما للآخر: والله ما أبي بزان ولا أمي بزانية، فجلده عمر حد القذف ثمانين[١]، لأنه عرَّض بنسب خصمه، ومن هذا الباب في الحماسة قول يزيد بن الحكم[٢]:

مسِسنا من الآباء شيئاً وكلُّنا	إلىٰ حسَبٍ في قومه غيرِ واضعِ
فلمّا بلغنا الأمهاتِ وجدتمُ	بني عمِّكم كانوا كِرامَ المضاجعِ!

---

(١) الموطأ (١٥٣١).

(٢) ديوان الحماسة (١/ ١٣٢).

يقول: تقصَّينا في البحث والكشف عن أنساب آبائنا، فكنا نحن وإياكم كراماً ذوي نسب، فلما عدلنا النظر إلىٰ نسب الأمهات ألفيتم بني عمِّكم كانوا كرامَ الفُرُش وكانت أمهاتهم عفائف! وهذا تعريض للطعن في أنسابهم من جهة أمهاتهم، قال المرزوقي: (وهذا من أحسن المعاريض)[1].

(١) شرح الحماسة (١/ ٢٣٣).

(١٣)

وقال الأَشْتَرُ النَّخَعِيُّ: [من الكامل]

١. بَقَّيتُ وَفْري وانحَرَفْتُ عنِ العُلَا ... ولَقِيتُ أضيافي بوَجْهِ عَبُوسِ

٢. إنْ لم أشُنَّ علىٰ ابنِ حَرْبٍ غارةً ... لم تخْلُ يومًا مِن نِهَابِ نُفوسِ

٣. خَيْلًا كأمثالِ السَّعالي شُزَّبًا ... تَغْدُو بِبِيضٍ في الكَرِيهةِ شُوسِ

٤. حَمِيَ الحديدُ عليهِمُ فكأنه ... وَمَضَانُ بَرْقٍ أو شُعاعُ شُمُوسِ

- **الكشف:**

هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث المذحجي النخعي، من بني النَّخع واسم النخع: جَسر بن عمرو من بني مالك [مذحج] بن أدد، وسمي الأشتر لضربةٍ أصابته يوم اليرموك، فسالت جراحتُه قيحاً علىٰ عينه فشترَتها، والشَّتر انشقاق جفن العين، كان سيداً فارساً شجاعا، وفصيحاً شهماً مطاعا، أدرك الجاهلية والإسلام، وله أخبار في مقتل عثمان ثم في أحداث الفتنة بعد ذلك، شهد الجمل وصفين وغيرها، وكان في صفِّ علي.

وهذه القطعة يصف فيها شجاعته وإقدامه ويُقسم علىٰ ذلك، ويصف مشهد الحرب، وقد كان الأشترُ ممن ظهرت شجاعته واتضح بأسه في تلك الفتنة بين علي ومعاوية، رضي الله عن الصحب أجمعين.

- **البيان:**

(بقَّيتُ): أبقيتُ وادَّخرتُ. (وَفري): الوَفر المال الكثير المدَّخر، ومنه ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾[الإسراء:٦٣]،أي مدَّخراً كاملاً، أجارنا الله. (وانحرفتُ):

الانحراف: الميل والانعطاف، ومنه ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [[الأنفال: ١٦]. (بوجهِ عَبوس): أي بوجه رجلٍ عبوس، والعبوس: الكلوح والانقباض، قال الحق سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١]، وهذه الأخبار السابقة وهي تبقية الوفر والانحراف عن العلا والعبوس للأضياف؛ صفات مذمومة مستقبحة، وهي هنا خبر في معنىٰ الدعاء، ويقصد به هنا التأكيد والإقسام، والمعنىٰ: جعلني الله كذلك إن لم أشن علىٰ ابن حرب غارة، والعرب تدعو علىٰ نفسها وتريد بذلك القسم، ومنه ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وهذا دعاء جار مجرىٰ القسم أن الذي جاءهم ليس بحق، واستفتاح الأشتر بديع، وظاهرٌ فيه تعظيمُ مكارم الأخلاق عند العرب، وحرصهم علىٰ الشرف ورفعة المكانة، حتىٰ إنه دعا بزوال ذلك إن لم يبرَّ بقسمه، (وهذا من أحسن قَسَم العرب وأنبله)[(١)]، وقال أبو عبيد البكري: (اتفق العلماءُ علىٰ أن هذا الاستفتاح أحسنُ قسَمٍ أقسمَ به شاعر)[(٢)]! (أشن): أصل الشنِّ الصبُّ، وأشنُّ هنا أي أصبُّ وأفرِّق الهجوم علىٰ معاوية بن أبي سفيان (ابن حرب): رضي الله عنه. (غارة): من الإغارة وهي الهجوم والانقضاض. (نهاب نفوس): النِّهاب ما يُنتهب ويُذهب به. (خيلاً): بدل من غارة، أي هذه الغارة خيل. (كأمثال السعالي): السعالي جمع سعلاة وهي ضرب من الجن، وهو هنا تشبيه للخيل بالجنِّ في المضاء وسرعة النفوذ. (شُزَّبًا): جمع شازب، يعني الخيل اليابسة من الضَّمر، وهذا حسَن في الخيل فإن مثلها يشتدُّ في الجري، ويسبق في الطراد. (ببِيضٍ): أي برجالٍ بيض، فاستغنىٰ بالصفة عن الموصوف، والعرب تجعل البياض كناية عن الكرم وطيب الفعال، ومنه ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، أي تسعد بطيب

---

(١) شرح الحماسة للأعلم الشنتمري (١/ ٤٣٢).

(٢) سمط اللآلئ (١/ ٢٧٨).

فعالها حتىٰ كأن وجوهها بيضاء مشرقة. (الكريهة): الأمر المكروه، وأكثر استعمالها في الحرب. (شوس): جمع أشوَس، وهو الذي ينظر بطرف عينه تكبُّراً، والمراد به عزَّة نفوسهم. (حمي الحديد): أي سلاح المعركة، لطول الحرب واشتدادها. (ومضان برق): يقال ومَض البرقُ ومضاناً إذا لمع، فكأن الحديد من كثرة الضراب حمي حتىٰ اشتعل فكان اشتعالُه كلمعان البرق. (شعاع شموس): شاهد صريح علىٰ جمع اسم (شمس)، وهذه مبالغة في التشبيه علىٰ عادة العرب، وحسنُها بادٍ.

- **العرض:**

(١ـ ٢): يقول: جعلني الله ممن يبخل بماله فلا ينفقه، وممن يتنكَّب درب مكارم الأخلاق ويتجانف عن معالي الأمور فلا يأتيها، وممن يسيء إلىٰ ضيفه فلا يحفظ حرمته= إن لم أهجم هجوماً شديداً علىٰ جيش معاوية يذهب بنفوس ناسٍ وينتهب آجالهم.

(٣ـ ٤): يقول: وسيكون هذا الهجوم بخَيلٍ ضامرةٍ مثل الجن في سرعتها، وعليها رجال كرام أشراف، أعزَّة أشداء حين تشتد الحرب، فإذا اضطرمت نارُها، وطالت مدتها، رأيت بريقَ السلاح كأنه من شدة احتمائه لمعانُ البروق أو شعاع الشموس!

(١٤)

وقال زُفَرُ بنُ الحارثِ الكِلَابيُّ: [من الطويل]

١. وكُنَّا حَسِبْنا كُلَّ بيضاءَ شَحْمةً ... ليالِـي قارَعْنَا جُـذامَ وحِمْيَـرَا

٢. فلَمَّا قَرَعْنا النَّبْعَ بالنَّبْعِ بَعْضَهُ ... ببَعْـضٍ أَبَـتْ عِيدانُـهُ أنْ تَكَسَّـرَا

٣. ولَـمَّا لَقِينا عُصْبةً تَغْلِبِيَّةً ... يَقُـودُون جُـرْدًا للمَنِيَّـةِ ضُمَّـرَا

٤. سَقَيْناهُمُ كأسًا سَقَوْنا بمِثْلِها ... ولكنَّهم كـانوا علىٰ الـموتِ أصبَرَا

- **الكشف:**

زفر بن الحارث بن عمرو العامريُّ الكلابيُّ، من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من قيس عيلان، شاعر إسلامي، كان من الأمراء المشهورين، وله ذكر في صفين والجمل، وكان أمير عامر بن صعصعة في وقعة مرج راهط، وبقي خارجاً علىٰ عبد الملك بن مروان، ثم رجع إلىٰ الطاعة بعد ذلك، فأكرمه وأحسن إليه.

وهذه القطعة يخبر فيها عن وقعة مَرجِ راهط (٦٤هـ) التي استقامت بعدها الخلافةُ لبني أمية، وخبر هذه الوقعة أن مروان بن الحكم لما قام بالخلافة في الشام وبايعه عليها أهلها، لم يرض بذلك قوم، وأحبوا أن يبايعوا عبد الله بن الزبير، وكان علىٰ رأسهم الضحاكُ بن قيس الفهري، وأخذ يدعو الناس سِرًّا لمبايعة ابن الزبير، حتىٰ اجتمع علىٰ الضحاك جماعةٌ كبيرة من قيس عيلان، وكان بين قيس وبني أمية ضِغنا، فلمَّا علم مروانُ بأمر الضحاك سار إليه ومعه اليمانية من كلب وجذام وغسان وغيرهم، فالتقىٰ الفريقان في مرج راهط بالشام، واقتتلوا قتالاً شديدا، وصبر أصحابُ الضحاك صبراً بليغا، ودامت المعركة عشرين يوما، يلتقون في كل يوم فيجتلدون،

حتىٰ انكشف الأمر لمروان، وقُتل الضحاك بن قيس في تلك المعركة، حتىٰ قيل: قُتلت قيس عيلان في مرج راهط مقتلةً لم تُقتلها قطُّ!

وكان زفر بن الحارث علىٰ رأس قومه بني عامر بن صعصعة من قيس عيلان، ويذكُر في هذه القطعة أنهم ظنوا الغلبة لهم، فلما التقوا لم يكن الأمر كما ظنوا، ووجدوا من القوم بأساً شديدا، وسقىٰ كلُّ واحد الآخرَ من كأس الموت، وتروىٰ هذه القطعة للنابغة الجعدي في رائيته المشهورة.

- **البيان:**

(حسِبنا كل بيضاء شحمة): هذا من أمثال العرب، يقولون: (ما كلُّ بيضاء شحمة، ولا كلُّ سوداء تمرة)[1]، ومرادهم أن الأمر ليس علىٰ ما يظهر منه، وأن باطنه علىٰ خلاف ظاهره. (قارعنا): القرع ضرب الشيء بغيره، ومنه المقارعة: مفاعلة من القرع، أي تشاركنا الضرب نحن والقوم. (جذام): أي بني جذام، وهو عمرو بن عدي من كهلان بن سبأ. (وحميرا): بن سبأ، وكلاهما من اليمانية. (النبعَ بالنبع): النبعُ شجر كريم، وهو كناية عن كرامة الأصل وعلو النسب، فالفريقان متكافئان. (بعضَه): بدل من النبع. (أبت): امتنعت، ومنه ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[الحجر: ٣١]. (عيدانه): يعني عيدان النبع، وهو كناية عن الرجال، وانكسارها كناية عن انهزامهم. (عصبة): جماعة ذوو عدد، ومنه ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ ﴾ [يوسف: ٨]. (تغلبية): نسبة إلىٰ تغلب بن حلوان من قضاعة، وليس لتغلب وائل شأن بمرج راهط، ويقال: تغلِبية وتغلَبية، كما قال ابن مالك (وافتح أو اكسر عينَ نحوِ تغلبا)، نحو يثربي، والكسر أجود[2]، فإن كانت الأبيات للنابغة الجعدي فإن المقصود تغلب وائل. (جُرداً): أي خيلاً جُردا، جمع أجرد وهو القصير الشعر.

---

(١) مجمع الأمثال (٣٨٦٨).

(٢) شرح الكافية الشافية (٤/ ١٩٤٧).

(ضُمَّرا): أي ضامرة القوام، وتقدم في القطعة السابقة أنه مستحسن في الخيل. (سقيناهم كأسًا): كناية عن إزهاق أرواحهم، وكأس الموت مجاز. (كانوا علىٰ الموت أصبرا): قيل معناه: كان القتل فيهم أعمَّ وأشنع، ومثله قول الحماسي (ولكن رأوا صبرا علىٰ الموت أكرما)[1]، وليس هذا مستقيماً مع خبر القطعة، لأن القتل إنما استحرَّ بقيس لا بجذام وحمير، فإما أن تكون الرواية (ولكننا كنا)، أو يكون معنىٰ البيت أنه شهد لهم بالغلبة، وأن خصومَه كانوا أصبرَ عند اللقاء وأشد، أو يكون قالها في أول القتال عندما كانت الدَّولة لهم، أو أنَّ الشاعر جانَبَ الصِّدقَ في شِعره.

- **العرض:**

(١ـ ٢): يقول: وكنا ظننا أننا إن لقينا مروان ومن معه من جذام وحمير غلبناهم، وحسبنا أمرهم هينا، ولكن خاب ظننا، فإنا لما لقيناهم واشتدت بنا الحرب، كنا شجعاناً كراماً وكانوا هم كذلك، وصبر كلٌّ منا علىٰ الآخر، ولم ينهزم.

(٣ـ ٤): يقول: ولما لقينا تلك العصابة من تغلب وهم يقودون جياداً ضمرا، قصيرةَ الشعر، سريعةَ العدو؛ لم نتوان ونتخاذل، بل اشتددنا عليهم فأذقناهم من كأس الموت، وكانوا هم أشد وأصبر، فأذاقونا مثل ما أذقناهم وزيادة.

وعلىٰ هذا المعنىٰ تكون هذه القطعة إحدىٰ (المنصفات)، وهي القصائد التي يُنصِف فيها الشاعرُ خصومَه ويصفهم بالشجاعة والنبل والشدة والبأس، وفي الألفية منها غير واحدة، ومن أجود ما في هذا الباب قصيدة عوف بن الأحوص من بني عامر بن صعصعة، يصف فيها حرباً بينهم وبين قريش وبكر من كنانة، ووصف قريشاً وبكراً بالبأس والبراعة في الحرب، واعترف بهزيمة قومه، وهي في المفضليات والأصمعيات[2]، ومنها:

---

(١) سيأتي شرحها، وهي القطعة التسعين.

(٢) المفضليات القصيدة (١٠٨)، والأصمعيات القصيدة (٧٩).

وكانـت قريـشٌ لـو ظهَرنـا عليهـمُ		شفاءً لما في الصدر، والبغضُ ظاهرُ

حَبَت دونهـم بكـرٌ فلـم نستطعهمُ		كــأنّهمُ بالمشــــرفيّة ســــــامرُ

(١٥)

وقال بعضُ بني بَوْلانَ مِن طَيِّئٍ : [من المنسرح]

١. نحنُ حَبَسْنا بَنِي جَدِيلةَ في نارٍ مِنَ الحَرْبِ جَحْمةِ الضَّرَمِ

٢. نَستَوْقِدُ النَّبْلَ بالحَضِيضِ ونَصْـ ـطادُ نُفُوسًا بُنَتْ علىٰ الكَرَمِ

- **الكشف:**

الصحيحُ أنه رجلٌ من بني القَين بن جسر من قضاعة، وكان بنو القين حلفاءَ لطيئ، إلا أنه فسد ما بينهم وبين بني جديلة الطائيين، وبنو جديلة هم بنو خارجة بن سعد بن فُطرة بن طيئ، وجديلةُ أمهم انتسبوا إليها، فأغارت بنو جديلة وعلىٰ رأسهم أوس بن حارثة علىٰ بني القَين بن جسر، فقاتلَهم بنو القين وردُّوهم، ثم حبسوهم ثلاثةَ أيام ولياليها لا يقدرون علىٰ الماء، حتىٰ نزلوا علىٰ حُكمِ واحدٍ منهم، فهذا خبرُ القطعة.

وأما بنو بولان، فهم أبناءُ غُصين بن عمرو بن الغوث بن طيئ، وليس لهم شأنٌ بخبر هذه القطعة، وإن كانت بينهم وبين بني جديلة حروب، وبنو بولان من الغوث، وبنو جديلة من فُطرة، والغوث وفُطرة ابنا طيئ، وإليهما ينتهي نسب طيئ.

- **البيان:**

(نحن): يعني بني القَين بن جسر. (بني جديلة): وأبوهم خارجة بن سعد بن فُطرة بن طيئ. (نار من الحرب): لشدة اضطرامها. (جحمة): يقال جحِمَت النارُ جَحمةً فهي جاحمة إذا تلظت واستعرت، ومنه سميت الجحيم، قال الحق سبحانه: ﴿ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾[الطور: ١٨]. (الضرَم): ما تُشعل به النار، وهذا كله

كناية عن شدة الحرب فيما بينهم. (نستوقد): أي نطلب الإشعال، ومنه: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾[البقرة: ١٧]. (النبل): السهام. (بالحضيض): بالحجارة أسفل الجبل، وأراد جبل (ملِكان) فهو الذي وقعَتْ عنده الحرب. (ونصطاد): الاصطياد الاقتناص والأخذ، ومنه ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ﴾ [المائدة: ٩٦]. (بُنَت): أي بُنيت، وهذا جارٍ علىٰ لغة طيئ ومَن جاورها، فإنه قد اطَّرد عندهم أن الياء المفتوحة إذا كانت لامَ الكلمة، وتلت الكسرةَ في اسم أو فعل؛ جعلوا الياء ألفـًا والكسرةَ فتحة، فيقولون في رضِيَ: رَضا، وبقِيَ: بَقا، وناصِيَة: ناصاة، وبادِيَة: باداة، وروي البيت: (صِيغَت علىٰ الكرمِ).

- **العرض:**

(١ـ ٢): يقول: نحن الذين حبسنا بني جديلة في نار الحرب، وضيقنا عليهم الخناق، وأحكمنا عليهم الحبس، فالحرب تلتهب بهم، والماءُ ممنوعٌ عنهم، وإننا من قوة رمينا نرمي بالسهام فتُنفذ الرمية فتصل إلىٰ حضيض الجبل، فتشتعل لها الحجارة شرارةً من شدَّة سواعدنا في الرمي، حتىٰ كأن الناظر يرانا نطلب إشعال نبالنا بحجارة الجبل، ولا نقتل بهذا الرمي إلا أشراف الناس وكرام القوم، وننزهه عن غيرهم، وكذلك نحن لا نقاتل إلا الأكفاء الأشداء.

(١٦)

وقال عمرُو بنُ مَعْدِي كَرِبَ: [من مجزوء الكامل]

١. لـيس الـجَـمـالُ بـمِـئْـزَرٍ فاعـلَمْ وإنْ رُدِّيـتَ بُـرْدَا

٢. إنَّ الـجَـمـالَ مـعـادِنٌ ومَنـاقِبٌ أورَثْـنَ مَجْـدَا

٣. أعـدَدْتُ لـلـحَـدَثَـانِ سا بغـةً وعَـدَّاءً عَلَنْـدَىٰ

٤. نَـهْـدًا وذا شُـطَـبٍ يَقُـ ـدُّ[1] البَيْـضَ والأبـدانَ قَـدًّا

٥. وعَـلِـمْـتُ أنـي يـومَ ذا كَ مُنـازِلٌ كَعْبًـا ونَهْـدَا

٦. قـومٌ إذا لَـبِـسُـوا الـحَدِيـ ـدَ تَنَمَّـرُوا حَلَقًـا وقِـدًّا

٧. كُـلُّ امـرئٍ يَـجْـري إلـىٰ يـومِ الهِيَـاجِ بمـا استَعدَّا

٨. لَـمَّـا رأيـتُ نِـسـاءَنـا يَفْحَـصْنَ بالمَعْـزاءِ شَـدَّا

٩. وبَـدَتْ لَـمِـيـسُ كـأنـهـا بَـدْرُ السمـاءِ إذا تَبَـدَّىٰ

١٠. نـازَلْـتُ كَـبْـشَـهُـمُ ولَـمْ أرَ مِـن نِـزالِ الكبـشِ بُـدَّا

١١. هُـمْ يَـنْـذِرون دَمِـي وأنْـ ـذِرُ إنْ لَقِيـتُ بـأنْ أشُـدَّا

١٢. كـم مِـنْ أخٍ لِـيَ صـالـحٍ بَوَّأْتُـهُ بيَـدَيَّ لَحْـدَا

١٣. مـا إنْ جَـزِعْـتُ ولا هَـلِعْـ ـتُ، ولا يَـرُدُّ بُـكايَ زَنْـدَا

١٤. ألْـبَـسْـتُـهُ أثْـوابَـه وخُلِقْـتُ يـومَ خُلِقْـتُ جَلْـدَا

١٥. أُغْـنِـي غَـنَـاءَ الذَّاهِـبِـيـ ـنَ أُعَـدُّ للأعـداءِ عَـدَّا

١٦. ذهـبَ الـذيـن أُحِـبُّـهـمْ وبَقِيـتُ مِثْـلَ السيـفِ فَـرْدَا

---

(١) الدال المشددة مقسمة بين شطري البيت.

• **الكشف:**

هو عمرو بن معدي كرب بن عبد الله الزبيدي، من بني زبيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك [مذحج]، الشاعر المخضرم، والفارس الصنديد، عدَّه أبو عبيدة من فرسان العرب الثلاثة[1]، قدم على النبي ﷺ مع قومه فأسلم، وبعد وفاته ارتدَّ مع من ارتدَّ في اليمن، ثم عاد فأسلم وحسن إسلامه، وشهد اليرموك والقادسية وغيرها.

وهذه قصيدة حسنة يخبر فيها عن حقيقة الجمال المعتبر عند الرجال، وأن جمال الرجال بفعالهم ومآثرهم لا بوجوههم ولباسهم، ثم يخبر أن خير المآثر الشجاعة، ويتحدث عن شيء من شجاعته وثباته وحميته وصبره.

• **البيان:**

(بمئزر): المئزر ثوب يُشَدُّ على أسفل البدن. (فاعلم): جملة اعتراضية، بقصد تأكيد الكلام، ومن هذا الباب قول الحق سبحانه ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾[النحل: ٥٧]، فقوله (سبحانه) اعتراض بقصد التنزيه. (رُدِّيت): أُلبستَ. (بُردا): البرد ثوبُ وَشيٍ من ثياب اليمن، وهو من أجود الملابس. (معادن): كناية عن الشرف والأصول الكريمة. (ومناقب): كناية عن الخصال الحميدة. (أورثن): أعقَبن وخلَّفن، ومنه ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ﴾[الأحزاب: ٢٧]. (مجدا): المجد الشرف والرفعة. (للحدثان): ما يحدثه الدهر من نوائب ونوازل. (سابغة): أي درعاً واسعة، ومنه ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾[سبأ: ١١]، وهو من الاستغناء عن الموصوف بصفته، ومثله الصفات الآتية. (وعدَّاء): أي جواداً سريع العدو، شديد الجري. (علندى): ضخماً شديدا. (نهداً): طويلاً غليظا. (وذا شُطَب): الشُطَب طرائقُ السيف، وسيف ذو شُطَب أي ذو نصل وحَدٍّ. (يقدُّ): يقطع، ومنه ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ ﴾[يوسف: ٢٥]. (البَيض): جمع بيضة، وهي الخوذة التي تُلبس في الرأس وقت الحرب. (والأبدان):

---

(١) الديباج (١٥).

البدَن من الدرع قدر ما يستر البدن، وأراد بالأبدان الدروع القصيرة. (يوم ذاك): يوم الحرب، واكتفىٰ بالإشارة للتهويل. (كعبًا): أي بني الحارث بن كعب من مذحج. (ونهدا): بن زيد، من قضاعة، وكانت بينه وبين هؤلاء حروب. (الحديد): السلاح. (تنمَّروا): لبسوها فصاروا أشبه بالنَّمِر، والعربُ تقول: (لبِسَ له جلدَ النَّمر) إذا صارحه بالعداوة وأظهر له الشرَّ[1]. (حلَقًا): منصوب علىٰ البدل من الحديد، وهو بفتح الحاء وكسرها، جمع حلقة الحديد. (وقِدّا): القِدُّ جلدٌ كان يُلبس في الحرب. (يوم الهياج): يوم الحرب، لأنها تهيج أهلها. (يفحصن): يؤثِّرن في الأرض ويفحصن الحصىٰ فيها. (بالمعزاء): المعزاء الأرض الشديدة الصلبة ذات الحجارة. (شدًّا): مفعول لأجله، أي جريـًا شديداً. (وبدت): ظهرت، قال الحق سبحانه ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾[الزمر: ٤٨]. (لميس): اسم امرأة. (كأنها بدر السماء إذا تبدىٰ): أي أرسلت نقابها وكشفت عن وجهها فبدت محاسنها، وهذا لا تفعله نساء العرب الحرائر عادة، وروي في البيت الذي يليه (وبدت محاسنها التي تخفىٰ)، وإنما تفعله المرأة لأحد وجهين: إما لتتشبَّه بالإماء حتىٰ لا تُسبىٰ؛ فإن كشف الوجه كان للإماء، أو لما داخلها من الفزع والرعب، وعلىٰ غراره قول الحماسيِّ:

ونسوتكم في الرَّوعِ بادٍ وجوهُها ... يُخلن إماءً والإماءُ حرائرُ[1]

(نازلت كبشهم): بارزت سيد القوم وشجاعهم والمقدم فيهم. (نزال الكبش): كرر لفظ الكبش تهويلاً له وتفخيما. (ينذرون دمي): يوجبون علىٰ أنفسهم قتلي، وأصل النذر إلزام نفس بأمر، ومنه ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[الإنسان: ٧]. (أشدّا): أهجم عليهم، كقولهم: شددنا علىٰ القوم. (بوَّأته): أنزلته، قال الحق سبحانه ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾[يوسف: ٥٦]. (بيدي): زيادة تأكيد، وهذا أعظم في البلاء. (لحدا):

---

(١) مجمع الأمثال للميداني (٣٢٥٨).

(١) ديوان الحماسة (١/ ١٣٤).

قَبرا. (جزعت ولا هلعت): الجزع قلة الصبر، والهلع أفحش منه وفيه زيادة خوف، وكلاهما مذموم للرجال عند نزول المصائب، وإن كان الإنسانُ جُبِل عليهما لضعفه، قال الحق سبحانه ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾[المعارج: ١٩-٢٠]. (زندا): الزند الخشبة التي يُقدح بها الشرر، والمراد التقليل، أي لا يرد بكائي مقدارَ شرارة، فالزند مثَلٌ للقليل كالقطمير والنقير. (جَلدا): صبوراً شديدا. (أغني غناء الذاهبين): أي أقوم مقامهم، وأسد محلهم، ومنه ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[يونس: ٣٦]، أي لا يقوم مقامه، وعنىٰ بالذاهبين من انقرض من عشيرته وقومه، وذكره مناسب لذكر الذين دفنهم. (أُعَد للأعداء عدًّا): أُهيّأ للأعداء تهييئا، وكان يقال: إن عمراً بألف فارس، ويروىٰ (أَعُدُّ).

- **العرض:**

(١ـ ٢): يقول: ليس جمال المرء في حسن ثيابه وملابسه -فاعلم ذلك- ولو لبس أحسن لباس! بل جماله في أصوله الزكية الشريفة، ومآثره الصالحة الحميدة، هذا معيار الجمال علىٰ الحقيقة.

(٣ـ ٧): يقول: وإني من أولئك الذين تجمّلوا بالجمال الحقيقي، وشجاعتي معلومة لكل أحد، فإني قد جهزتُ لنوائب الدهر درعـًا سابغةً واسعة، وفرسـًا ضخمـًا طويلا، وسيفـًا قاطعـًا باترا، لا يغني من ضربه درع ولا خوذة، فهذه التي أقابل بها نوازل الزمان وحوادث الدهر، وقد علمتُ أني سألتقي في الحرب ببني الحارث بن كعب وبني نهد فأقاتلهم قتالاً شديدا، لذلك أعددتُ تلك العدة، وهم كذلك أعدوا مثلها من السلاح، وأظهروا لنا العداوة، وصارحونا بالشرِّ، فهم أكفاء في الحرب، شجعان عند اللقاء، ولم نعدَّ العدة إلا لمثل هذا اليوم، فكل امرئ في الحرب لا ينفعه إلا ما أعده قبل ذلك.

(٨ـ ١١): يقول: ولما خضنا الحربَ في أحد الوقعات رأيتُ نساءنا يجرين جريـًا شديداً يؤثر في الحصىٰ لشدته، ورأيتُ لميس وهي تفرُّ معهنَّ وقد كشفت

عن وجهها من الخوف، فثارت لذلك حميتي، وغضبتُ أنفةً وعزَّةً، فقصدتُ رئيس القوم وكبيرهم لأقتله، وجانبتُ شبَّان الرجال، فإن الرئيس الشجاع لا يبارز إلا من هو مثله شجاعة ومكانة، وهم يقولون: لله علينا أن نسفك دم عمرو، وأنا أقول: لله عليَّ أن أحمل عليهم وأهجم، غير مبال بنذرهم ووعيدهم.

(١٢-١٦): **يقول**: كم من أخ لي كان حسنَ المعاشرة، موثوقَ الصحبة؛ فُجِعتُ بموته، وأحوجتُ إلىٰ تولي دفنه بنفسي، فأقبلتُ أدفنه، وأهيل عليه التراب بيديَّ، ومع هذا كنتُ صابراً فلم أجزع وأهلع وأبكِ عليه، وليس يجدي البكاء نفعًا لو بكيتُ، فإن البكاء لا يرد مقدار شرارة، فكفنتُه ودفنته بنفسي، وقد خلقني اللهُ صبوراً متجلِّدا، وهل هو إلا رجل قد ذهب؟ وقبله قد ذهب كثير، ثم إنِّي أغني عن هؤلاء كلهم في الحرب، وأقوم مقامهم، وإنِّي كالجيش يجهزني قومي ويعدوني لوقت اللقاء، فلا داعي للجزع، وكم واحد من الذين أحبهم قد ذهب عني ورحل، حتىٰ بقيت مثل السيف وحيداً بلا صاحب.

وذكرُ الشاعر لإهالة التراب علىٰ صاحبه بيده فيه زيادة توجُّع، وإشارة إلىٰ عظم الرزية، ومن هذا الباب -بل أوجع منه- حديثُ دفن النبي ﷺ الذي رواه حماد عن ثابت عن أنس، وفيه: (فقالت فاطمة: يا أنس! كيف طابت أنفسكم أن تحثوا علىٰ رسول الله ﷺ التراب)! قال حماد: (فرأيتُ ثابتًا حين حدَّث بهذا الحديث بكىٰ حتىٰ رأيتُ أضلاعَه تختلف)! وقال ثابت: (حين حدث به أنس بكىٰ)![1] فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) أصل الحديث رواه البخاري (٤٤٦٢) وغيره، وانظر هذه الألفاظ في: سنن ابن ماجه (١٦٣٠)، وسنن الدرامي (٨٨)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٥٧): (وهذا لا يعد نياحة، بل هو من ذكر فضائله الحق).

(١٧)

وقال أيضًا (عمرُو بنُ مَعْدِي كَرِبَ): [من الرمل]

١. ولـقـد أَجــمَـعُ رِجْـلَـيَّ بها   حَذَرَ الـموتِ وإني لَفَرُورْ

٢. ولـقـد أَعـطِـفُـها كـارِهـةً   حِينَ للنفسِ مِنَ الـموتِ هَرِيرْ

٣. كُـلُّ مـا ذلـك مِـنِّـي خُـلُـقٌ   وبِكُلٍّ أنا في الرَّوْعِ جديرْ

٤. وابـنُ صُبْحٍ سـادِرًا يُـوعِدُني   ما له في النـاسِ ما عِشتُ مُجِيرْ

● الكشف:

تقدمت ترجمته في القطعة السابقة، وهذه قطعة يصف فيها خبرته بالحرب، وأنه يعرف موطن الكرِّ من موطن الفرِّ، وهذه طريقة القتال عند العرب قبل انتظامهم تحت دولة وخلافة، (وصفةُ الحروب الواقعة بين الخليقة منذ أول وجودهم علىٰ نوعين: نوع بالزحف صفوفا، ونوع بالكرِّ والفرِّ، فأما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم علىٰ تعاقب أجيالهم، وأما الذي بالكرِّ والفرِّ فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب)[1].

● البيان:

(أجمعُ رجليَّ بها): أي أستحثُّ فرسي وأُركِضها فارًّا، والضميرُ عائدٌ إلىٰ الفرَس، وتعبيرُه هنا فصيحٌ مليح. (حذرَ الموت): مفعول لأجله. (لفرور): كثير الفرار، والفرار: شدة الهرب، ومنه ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾[الكهف: ١٨]. (أعطفها): أي أكرُّ بالفرس، والكرُّ الإقدام. (كارهة): أي والفرس كارهة لشدة احتدام الحرب. (حين للنفس من الموت هرير): أي في الوقت الذي تهرُّ فيه النفوس خوفا، وتضجُّ فيه

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ٤٥٧).

من شدة البلوىٰ، والهرير الضجيجُ والصخب. (كل ما): حرف (ما) زائد للتفخيم والتوكيد، ومنه ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾[ص: ١١]. (خُلُق): عادة وسجية. (الرَّوع): الخوف، وعنىٰ به هنا الحرب. (جدير): يقال هو جدير بكذا أي حقيق به وخليق به ومستحق له، ومنه ﴿وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ﴾[التوبة: ٩٧]، أي وأحق أن لا يعلموا ذلك. (وابنُ صبح): قيل هي كنية رجل كان يتوعده، وقيل بل هجاه وقصد أنه ولد زنا، كأنهم أغير عليهم في الصبح، فحملت أمه به، فسمي بابن صبح لملازمة حمله للصبح، وكذا العربُ تسمي الشيء بما يلازمه، كابن الماء لمن يعيش فيه وحوله، ومنه ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[البقرة: ١٧٧]، وهو المسافر الغريب المنقطع، سمي بذلك لملازمته للسبيل. (سادراً): السادر الذي يركب رأسه، وهي علامة علىٰ الجهل. (مجير): حام ومانع، يقال أجار يجير أي حمىٰ ومنع، قال الحق سبحانه: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

- **العرض:**

(**١ـ٤**): **يقول**: ولقد أستحثُّ فرسي للهرب من ساحة الحرب؛ حذراً من الموت، وإني لشديد الفرار إن كان الوقتُ وقتَ فرار، ولقد ألوي عنان فرسي في وقت الكرِّ، وأقدِمُ بها إذ كادت الأنفس تشرق بريقها، ولها ضجة من الخوف والفزع، وكلٌّ من الكر والفر عادة لي، فإني عليم بموطنهما، خبير بمحلهما، وقد سمعتُ أن ابن صبح أوعدني وتهددني، ألا إنه بذلك قد جنىٰ علىٰ نفسه، فليس له مني ملجأ ولا ممتنع.

قال المرزوقي: (هذا كلامُ من جمع إلىٰ شجاعته وإقدامه حذراً وحزامة، وإلىٰ جرأته وتهوره رفقاً وأصالة، ثم يكون عارفاً بوقت كلٍّ منهما، وبالحالة الموجبة لاختياره بعضَها)[1].

---

(١) شرح الحماسة (١/ ١٨٢).

(١٨)

وقال الحارثُ بنُ هِشامٍ المَخْزُومِيُّ: [من الكامل]

١. اللهُ يَعلَمُ ما تَرَكْتُ قِتالَهم حتى عَلَوْا فَرَسي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ

٢. وعَلِمْتُ أني إن أقاتِلْ واحدًا أُقتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي

٣. فصَدَدْتُ عنهم والأحِبَّةُ فِيهِمُ طَمَعًا لهم بعِقَابِ يومٍ سَرْمَدِ

• **الكشف:**

الحارث بن هشام بن المغيرة القرشيُّ المخزومي، أخوه (أبو جهل) عمرو بن هشام، كان الحارثُ شريفاً سخيًّا، أسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه، وهو أحد الرجلين اللذين أجارتهما أم هانئ في فتح مكة، كان من فضلاء الصحابة، وشهد اليرموك واستشهد بها رضي الله عنه.

وهذه الأبيات قالها بعد غزوة بدر، وكان قد شهدها مشركاً فانهزم وفرّ إلىٰ مكة، ونصر اللهُ رسوله والمؤمنين، فقال هذه الأبيات يعتذر عن فراره، قال الأصمعي: (هذه الأبيات أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار)[1].

• **البيان:**

(الله يعلم): يستشهد بربه تأكيداً لكلامه. (بأشقر): أي بدمٍ أشقر. (مُزبد): الزَّبَد الرغوة والغثاء، يقصد زبد الدم، فإن الجرح إذا كان غائراً متشعِّباً خرج مع الدم الزبدُ، وزبد الماء رغوته البيضاء التي تسمو علىٰ أطرافه، قال الحق سبحانه: ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧]. (واحداً): حال منصوب، أي وحيداً منفردا. (ولا

---

(١) بهجة المجالس (٢/ ٤٩٢).

يضرُر): فكُّ الإدغام من يضرُّ، والضرر مطلق السوء والأذىٰ. (مشهدي): اسم مفعَل من الشهود، وهو الحضور. (فصددتُ): الصدُّ الإعراض، ومنه ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾[التوبة: ٩]. (والأحبة فيهم): أي قومه الذين قتلوا وأُسروا كأخيه أبي جهل. (طمعًا): مفعول لأجله. (يوم سرمدِ): أي يوم طويل متصل، والسرمد المتصل المستمر، قال الحق سبحانه ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[القصص: ٧١].

- **العرض:**

(١ـ ٣): يقول: الله سبحانه يعلم أني لم أفرَّ وأتركْ قتالَ القوم إلا بعد أن سال الدمُ ذو الزبَد وضُرِّج به فرسي، فلم يبق غير الفرار حيلة، والله يعلمُ أني لم أهرب وأترك الحرب إلا بعدما تيقنتُ أني إن أقدمتُ علىٰ تلك الحال منفرداً فإني سأُقتل كما قُتل القوم، ولن يجدي بقائي شيئـًا، ولن يضرَّ حضوري أعدائي، فالقوم قد ظهرت غلبَتُهم، وغدا ثباتي وفراري سيَّان، فالحياة خير لي إذن، فإني وإن كنتُ فررتُ من الحرب وأعرضتُ عنهم وتركتُ الأحبَّة منا يُقتلون؛ إلا أني ما فعلتُ ذلك إلا لأعدَّ لهم عقابـًا في يوم طويل يتصل زمانه، ويمتد بلاؤه.

وهذا النهج كثيرُ الطَّرق عند الشعراء، فإنهم إذا فعلوا الأمر وكان مذمومـًا مستقبحـًا؛ تملَّصوا -من أن يجرَّ ذلك عليهم عاراً- بحُسن الاعتذار، وتنصَّلوا -من أن يُستقبح ذلك منهم- بلطيف التعليل، ولهم أشعار وأخبار في تحسين الفرار من الحرب، والاعتذار عن الهروب من المواطن، ومما يُستطرَف في هذا الباب قولُ امرئ القيس حين غزاهم أحد ملوك اليمن ففرَّ قومُه:

وما جبُنت خيلي ولكن تذكَّرت مرابطَها من بَربَعيص ومَيسَرا![1]

---

(١) الأشعار الستة الجاهلية (١٢٨).

(١٩)

قال الفَرّارُ السُّلَمِيُّ: [من الكامل]

١. وكَتِيبةٍ لَبَّسْتُها بكتيبةٍ ... حتى إذا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لها يَدِي

٢. فتركتُهم تَقِصُ الرِّماحُ ظُهُورَهم ... مِن بينِ مُنعَفِرٍ وآخَرَ مُسْنَدِ

٣. ما كان يَنفعُني مَقالُ نِسائِهم ... -وقُتِلْتُ خَلْفَ رِجالِهم-: لا تَبْعَدِ

- **الكشف:**

هو حبَّان أو حيَّان بن الحكم، من بني سُليم بن منصور من قيس عيلان، شاعر مخضرم، أعطاه النبي ﷺ راية بني سُليم يوم فتح مكة، وشهد غزوة حنين وغيرها.

وهذه الأبيات قالها في الجاهلية، وبسببها قيل له الفرَّار، ويذكر فيها أنه ممن يهيج الحروب ويبعثها، حتىٰ إذا اضطرمت نارها انسلَّ منها كما تنسلُّ الحية.

وتأمل هنا فإن هذه القطعة أوردها أبو تمام بعد القطعة السابقة، وهي موافقة لها في المعنىٰ المقصود، وأبو تمام قد يستطرد في انتقائه أحيانا، فيورد القطعة لمناسبتها لأختها في المعنىٰ وهذا كثير، كما هو الحال هنا، أو لمناسبتها في الوزن[1]، أو غير ذلك، وربَّما أخرجه ذلك عن مقصود الباب وغرضه.

- **البيان:**

(وكتيبة): تقدمت في بيان القطعة السابعة، وهي مجرورة بإضمار رُبَّ. (لبَّستُها): خلطتُها، وأصل اللبس والتلبيس الخلطُ والتخليط، ومنه ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[البقرة: ٤٢]، وقوله (التبسَت): أي اختلطَت. (نفضتُ لها يدي): كناية عن الخروج من الشيء وتركه، أي خليتهم وشأنهم، وذهبت في حال سبيلي.

(١) انظر مثلا: شرح التبريزي للحماسة (٢/ ٧٩٤).

(تقِصُ): تكسر، وأصل الوقص دقُّ العنق، فاستعاره للظَّهر. (مُنعفِر): العفر التراب، والمنعفر هو المصروع المجندل في التراب. (مُسند): يعني النزيف المجروح، لأنه إذا جُرِح ونزف خارت قواه، فمال إلىٰ شيء يستند عليه ويتكئ، وأصل الاستناد الاعتماد والاتكاء، قال الحق سبحانه ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[المنافقون: ٤]. (مقال نسائهم): قول نسائهم. (وقتلت خلف رجالهم): جملة اعتراضية. (لا تبعد): هذا قول النساء، أي لا تهلك، وهذا يقلنه ندباً ونياحة علىٰ الميت، كما قال مالك بن الرَّيب:

يقولـون: لا تبعَـد وهـم يدفنوننـي   وأيـن مـكان البعـد إلا مكانيـا؟[1]

وقيل إن (بعِد يبعَد) تُستعمل في الهلاك، ومنه ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[هود: ٩٥]، و(بعُد يبعُد) في النأي، ومنه ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾[التوبة: ٤٢]، وفيه نظر، فقد قُرئ في غير المتواتر بخلافه، وقال أبو حاتم: بالكسر لغة بني تميم مطلقا[2].

- **العرض:**

(١-٣): يقول: ورُبَّ جيشٍ هيَّجته علىٰ جيش آخر، وكتيبة جمعتها علىٰ كتيبة أخرىٰ، فأشعلتُ نار الحرب بينهم، حتىٰ إذا اختلطوا خليتهم وشأنهم غيرَ مبال بهم، وفارقتُهم والرماح تطعن فيهم وتكسر ظهورهم، فهم بين مصروعٍ معفَّر بالتراب وآخر مجروحٍ مُسند إلىٰ ما يمسكه، وأيُّ شيء كان ينفعني إن بقيتُ وقُتِلتُ؟ هل ينفعني ندب النساء ونياحتهنَّ؟

---

(١) أمالي اليزيدي (٤٢)، والاختيارين للأخفش القصيدة (١٠٠)، وجمهرة أشعار العرب للقرشي (٦٠٧).

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٥).

(٢٠)

وقال قَيْسُ بنُ زُهَيْرٍ العَبْسِيُّ: [من الوافر]

١. شَفَيْتُ النَّفْسَ مِن حَمَلِ بنِ بَدْرٍ وسَـيْفي مِـن حُذَيْفـةَ قـد شَـفَاني

٢. فـإنْ أكُ قـد بَـرَدْتُ بهم غَلِيلي فلَـمْ أقْطَـعْ بهِـمْ إلا بَنَـاني

- **الكشف:**

قيس بن زهير بن جذيمة، رأس غطفان، وسيد عبس وذبيان، شاعر وفارس جاهلي مشهور، وعدَّه أبو عبيدة أدهىٰ العرب[1]، وعلىٰ رأسه قامت حرب داحس والغبراء، وله فيها وقعات مأثورة، وأشعار مشهورة.

وهذان البيتان قالهما بعد يوم جَفر الهباءة، في حرب داحس والغبراء، وكان حذيفة وحملٌ ابنا بدر قد قتلا أخاه مالك بنَ زهير، فظفر بهما وقتلهما، ونحن نذكر خبر هذه الحرب بإيجاز لا يخل بالمقصود، فهل ترنَّم عنترةُ بشجاعته إلا في أخبارِها؟ وهل أنشأ زهير معلقته إلا علىٰ آثارِها؟ ولطالما ضرب بها العربُ المثل، وقصّوا في أيامها القصص، وهذه مجاميع الأمثال ودواوين الأشعار خير شاهد علىٰ ذلك، وقد ورد في الحماسة من ذلك شعر كثير، ولو قال قائل: إن حرب مضر داحسُ والغبراء، كما أن حرب ربيعة البسوسُ؛ لما أبعد النجعة.

- **خبر حرب داحس والغبراء[2]:**

هذه الحرب قامت بين حيَّي غطفان: عبس وذبيان، وكان من خبرها أن قيس

---

(١) الديباج (١٢٢).

(٢) اختصرته وقربته، وانظر بسطه في: مجمع الأمثال (٢٩٢٥)، والكامل لابن الأثير (١/ ٤٤٩)، والعقد الفريد (٥/ ١٥٠).

بن زهير العبسي كان له فرس فحل اسمه (داحس)، وكان لحذيفة بن بدر الذبياني الفزاري فرس اسمها (الغبراء)، فتراهن عبسي وذبياني علىٰ سبق هذين الفرسين، ثم رفعوا أمرهما إلىٰ قيس وحذيفة.

فعلم قيس أن هذا الرهان لا يأتي بخير، وأراد أن يواضع الرهانَ مع حذيفة، فقال حذيفة: لا أواضعك حتىٰ تجيء بالسبَق، فأحفظ ذلك قيساً وأغضبه، فأقاما الرهان، وبلغا به مئةً من الإبل، ودفعاه إلىٰ رجل من بني ثعلبة بن سعد حتىٰ يقضي للسابق، واتفقا علىٰ أن تكون المسافةُ مئةَ غلوة -والغلوة مقدار رمية السهم المُبعِد- وأن يضمروا الفرسين أربعين يوماً، ثم يعطِّشوهما، ويكون السابقُ من الفرسين هو الذي يرد ماء (ذات الإصاد) قبل صاحبه.

وكان حمَلُ بن بدر -أخو حذيفة- قد أعدَّ مكمنا، وجعل فيه فتياناً وقال لهم: إن سبقَ داحسُ فردُّوه علىٰ وجهه، لا يبلغنَّ الغاية! فأرسلوا الفرسين، وابتدأ السباق، وكان داحسُ سابقاً، فلما اقترب من الغاية وشارف علىٰ ورود الماء؛ وثب له أحدُ الفتية فلطمه علىٰ وجهه فردَّه، وجاءت الغبراءُ فوردَت الماء.

فغضب قيس بن زهير وقال: أعطوني سبقي، فإنما السابقُ داحس، فقال حذيفة: خدعتك! فقال قيس: تركَ الخِداع من أجرىٰ من مئة، وتفرقا وقد علما أن قيساً السابق، وفي ذلك يقول قيس بن زهير:

كما لاقيتُ من حمَلِ بنِ بدرٍ ... وإخوتِه على (ذات الإصادِ)
همُ فَخَروا عليَّ بغير فَخرٍ ... وردّوا دون غايته جوادي!

ثم إن حذيفة غرَّه قومُه، فأرسل ابنَه إلىٰ قيس بن زهير حتىٰ يأخذ منه السبق الذي تراهنا عليه! فغضب قيس، وتناول الرمحَ فدقَّه في صُلبه، وكان أولَ دمٍ سُفِك في هذه الحرب، فاجتمع الناس إلىٰ حذيفة وأرضوه بالدية فقبلها وسكت وأظهر الرضا، ثم عدا بعد أيام علىٰ مالك بن زهير -أخي قيس بن زهير- فقتله! فرثاه الربيع

بن زياد العبسي بأبيات هي في الحماسة[1].

ثم اضطرمت الحرب بينهم، وهاجت الفتنة فيهم، وكان من أيام هذه الحرب يوم اليعمريَّة وفيه قتَل بنو ذبيان صبياناً من بني عبس كانوا أخذوهم رهائن، ومنها كذلك يومُ جفر الهباءة وهو يوم لعبس علىٰ ذبيان، و(جَفر الهباءة) مستنقع في بلاد غطفان، نزل فيه حذيفة وأخوه حمَل وجماعة من قومهم في يوم قائظ بعدما أرهقتهم الحربُ، فأتاهم قيس بن زهير والربيع بن زياد وجماعة، وقد اغتاظوا بعدما قُتل أبناؤهم باليعمريَّة، فظفروا بهم في جفر الهباءة، وقُتل حذيفة وأخوه حمَل سيدا بني فزارة من ذبيان، ورثاهما قيسٌ بعدما قتلهما، وأنشد فيهما الأشعار لقرابتهما ومكانتهما، ولكن الفتىٰ حملَ بن بدر بغىٰ، والبغي مرتعه وخيم![2]

وما زالت الحربُ قائمة بينهما يصطلون بنارها أربعين سنة! وكان لعنترة بن شداد العبسي فيها صولات تُذكَر، وصدق إذ يقول:

فليتهما لم يُجريا نصفَ غلوةٍ ... وليتهما لم يُرسلا لرِهانِ

حتىٰ وليَ الصُّلحَ الحارثُ بن عوف وهرِمُ بن سنان الذبيانيين، فاحتملا الديات، وأجارا علىٰ الحيين، ففيهما أنشأ زهير معلَّقته البديعة، يمدحهما ويثني عليهما، ويصف بؤس الحرب وخطرها ويحذر منها.

- **البيان:**

(شفيتُ النَّفس): كناية عن ذهاب الغيظ. (حمل بن بدر): بن عمرو الذبياني الفزاري، وأخوه (حذيفة) المذكور، وكان قد قتلهما يوم جفر الهباءة. (شفاني): نسبة الشفاء للسيف مجازية، لأنه سبب للقتل. (فإن أكُ): أي فإن أكن، وحذفُ نون (كان) جائز إن كانت مضارعاً مجزوماً بالسكون، وكان الحرفُ بعدها متحرِّكاً،

---

(١) ستأتي في باب المراثي، القطعة (٩٧).

(٢) هذا اقتباس من القطعة (٤٩)، وستأتي.

ولم تتصل بضمير نصب، ومنه ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[التوبة: ٧٤]. (بردتُ بهم غليلي): كناية عن راحة القلب بعد زوال الغيظ والحقد. (بناني): البنان طرف الأصبع ومنه ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤].

- **العرض:**

(١ـ ٢): **يقول**: سللتُ سخيمة حقدي، واشتفيتُ بقتل حمل بن بدر، وشفاني كذلك سيفي بقتل أخيه حذيفة، ولكني وإن سكَّنتُ لوعتي بالنيل منهم، وأذهبتُ غيظي بقتلهم، إلا أنني قطعتُ بهم أطراف أصابعي، فإنهم إخوة لي، وعزِّي كان بهم دهرا.

(٢١)

وقال الحارثُ بنُ وَعْلَةَ الذُّهْليُّ: [من الكامل]

١. قَوْمي هُمُ قَتَلوا -أُمَيْمَ- أخي فـإذا رَمَيـتُ يُصِيبُني سَـهْمي

٢. فَلَئِن عَـفَـوْتُ لأعْـفُـوَنْ جَلَـلًا ولَئِـنْ سَـطَوْتُ لأُوهِنَـنْ عَظْمـي

٣. لا تـأمَــنَـنْ قـومًـا ظَلَـمْـتَـهُـمُ وبدأتَهـم بالشَّـتْمِ والرَّغْـمِ

٤. أنْ يَـأبِــرُوا نَـخْـلًا لـغيـرِهِـمُ والقـولُ تَـحقِـرُهُ وقـد يَنْمِـي

٥. وزَعَـمْـتُـمُ أنْ لا حُـلُـومَ لنا إنَّ العصـا قُرِعَـتْ لـذي الحِـلْمِ

٦. ووَطِئْتَنـا وَطْـئًـا علىٰ حَنَـقٍ وَطْءَ المُقَـيَّدِ نابِـتَ الهَـرْمِ

٧. وتَـرَكْـتَـنـا لَحْمًا علىٰ وَضَـمٍ لـو كنـتَ تَستَبْقي مِنَ اللَّحْـمِ

● الكشف:

هو الحارث بن وعلة بن مجالد، من بني ذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل، ويقال له (الرقاشي)، نسبة إلىٰ امرأة اسمها رِقاش بنت ضبيعة، وهي زوجُ شيبان بن ذهل بن ثعلبة، والحارث شاعر جاهلي، وهو الذي هجاه الأعشىٰ، وليس هو الحارث بن وعلة الجرمي الذي استشهدنا ببيته في أول هذا الباب، فذاك قضاعي، وهذا ربَعي.

وهذه القطعة يذكر فيها غيظه من قومه لأنهم قتلوا أخاه، فلا هو قادر علىٰ إذهاب غيظه، لأن المقتول أخوه، ولا هو مستطيع مجازاة الجناة، لأن القاتلين عشيرته، ثم يحذر من الظلم ويهددهم بمُرّ عاقبته.

وتأمل مناسبة هذه القطعة لما قبلها وما بعدها -وهكذا أوردها أبو تمام- فإن الناس اختلفت آراؤهم في أخذ الثأر من القريب، فمنهم من مال إلىٰ تبريد الغلة وشفاء

الصدر وإن تسبب في فناء الأقرباء، كما في القطعة السابقة، ومنهم من مال إلىٰ العفو والصفح دون تعرض للجاني القريب، كما في القطعة اللاحقة، وهذه القطعة تتأرجح بينهما، فتأمل الرابطة التي عقدها أبو تمام في انتقائه تجد حذقًا وبصراً ودراية، ولا يتحصَّل هذا إلا بالنظر في ديوان الحماسة نفسه، وبهذا وغيره تعلم فضلَ حماسة أبي تمام علىٰ غيرها، ولو تتبعنا هذا لطال المقام.

- **البيان:**

(أميم): أي يا أميمة، بالترخيم علىٰ لغة من ينتظر، وترخيم النداء حذف آخر المنادىٰ، نحو يا أميم فيمن دعىٰ أميمة، وفيه وجهان: بناؤه علىٰ الضم (أميمُ) وهي لغة من لا ينتظر، وبقاء الحرف علىٰ حركته (أميمَ) وهي لغة من ينتظر. (رميتُ): كناية عن الأخذ بالثأر. (يصيبني سهمي): أي يرجع عليّ، لأني لن أرمي إلا عشيرتي. (جللاً): عظيمـًا، والجلل من الأضداد، يُطلق علىٰ العظيم والهيِّن، ومن إطلاقه علىٰ الهيِّن قول الحماسي: (فكلُّ الذي لاقيت من بعدهِ جلَلْ)[1]. (سطوتُ): السطو الأخذ بعنف، قال الحق سبحانه ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَاۗ﴾[الحج: ٧٢]. (لأوهنن عظمي): لأضعفن عظمي، ومنه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾[مريم: ٤]، وقصد بالعظم هنا قومه وعشيرته، فهم عَظْمُ الرجل ورُكنه. (والرَّغم): أصل الرغام التراب، والرَّغم مصدر رغَمتَ فلانـًا إذا أذللته وأرغمت أنفه. (يأبروا نخلاً لغيرهم): إبارُ النخل وتأبيرُه: تلقيحه وإصلاحه، وجعل كلامه هذا وعيداً في مفارقة قومه إلىٰ قوم آخرين، فيقوي شوكتهم، ويصلح فاسدهم، وقيل: بل أراد أنه يسبي نساءهم فتوطأ، فيكون ذلك كالتأبير الذي هو تلقيح النخل، وقيل غير ذلك. (تحقره): تستهين به وتستصغره. (ينمي): يزيد ويعظم. (وزعمتم): الزعم الادِّعاء، وكثيراً ما يُستعمل فيما هو باطل أو فيه ارتياب، وقد يُستعمل في الحق

---

(١) ديوان الحماسة (١/ ٥٠١).

المعلوم، وهو من أفعال الرجحان. (حلوم): الحلوم والأحلام: العقول، ومنه ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾[الطور: ٣٢]. (إن العصا قُرعت لذي الحلم): هذا مثَل أراد به السخرية والتهكم، ويشير به إلىٰ عامر بن الظرب العدواني، فإنه كان حكماً في الجاهلية فعُمِّر، فكان يزيغ في الحكم فتقرع له بنتُه العصا فينتبه ويرجع إلىٰ الصواب، ويُضرب به المثل في الحُكم. (ووطئتنا): أصل الوطء الدهس بالرجل، ومنه ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾[التوبة: ١٢٠]. (علىٰ حنق): تقدم أن الحنق شدة الغيظ. (المقيَّد): أي البعير المقيَّد، وخصَّه لأنه أشد احتمالاً للحقد، نحو قول المتنبي (ومشىٰ عليها الدَّهر وهو مقيَّدُ)[1]. (نابت الهرم): أي الذي نبت عنده الهرم، والهَرم: نبت شجيري حامض قليلُ الارتفاع عن الأرض، ولصوته إذا وُطئ خشخشة. (لحماً علىٰ وضَم): الوضَم هو الخِوان الذي يوضع عليه اللحم ليقيه من الأرض، وهذا مثل يُضرب في استباحة الشيء والانقياد له، قال الأصمعي: (ويُقال للشيء الذي لا يُمنع: لحم علىٰ وضَم)[2].

- **العرض:**

(١ـ ٢): يقول: إن قومي يا أميمة هم الذين قتلوا أخي، فإذا أردتُ أن أجازيهم عاد ذلك بالنكاية علىٰ نفسي، لأنهم عشيرتي، وعزُّ الرجل في عشيرته، فأنا بين نارين، إن تركتُ مؤاخذتهم والانتقام منهم فإني سأصفح عن أمر عظيم ليس بالهين، وإن أنا أخذتهم بالقوة وثأرتُ لأخي فإني سأضعف عظمي وأهدُّ ركني، وهل أنتقم إلا ممن هم عشيرتي وإخوتي كذلك!

(٣ـ ٥): يقول: لا تأمن القوم الذين ظلمتهم، ولا تسكن إلىٰ ناحيتهم وقد بدأت بشتمهم وإذلالهم وإسقاطهم، فلا تأمنهم أن ينتقلوا إلىٰ أعدائك فيصالحوهم

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي (٢٧٧).

(٢) شرح ديوان العجاج (٢٧٠).

ويقوُّوهم ويمالؤوهم عليك، فينتصرون وينتقمون بعدما ظلمتهم، ولا تستهن بأدنىٰ ظلم، فإنك ربما استهنت بالكلمة فتتعاظم حتىٰ تبلغ مبلغاً لا تحمده، ثم ألم تكونوا زعمتم أن لا عقول لنا؟ فنبهونا أنتم إذن يا أهل العقول السليمة! فإن عامر بن الظرب كانت تُقرع له العصا فيُنبَّه في حكمه.

(٦ـ ٧): يقول: وأثرتم فينا تأثيراً بالغا، ونلتم منا نيلاً عظيما، كما يطأُ البعير المقيَّد نبتَ الهرم فيفتته تفتيتـاً، حتىٰ تركتمونا كاللحم علىٰ الوضَم، يأكله من شاء، فلا يُمنع حمانا، ولا تُحفظ حرمتُنا، وفوق ذلك تبغون استئصالنا، ولا تكتفون بإذلالنا!

وتخصيص البعير بالمقيَّد فيه تنبيه علىٰ شدة حقدِ مَن كانت هذه حالَه، فإنه إن كان مقيَّداً مغتاظـاً كانت وطأته أثقل، وغَضبتُه أشد، كالجبان، فإنه لا يزال فارًّاً مُحجِما، حتىٰ إذا ظفر يومـاً وملك زمامَ الأمر؛ وجدته يخرج حقدَه القديم، ويُظهِر غيظَه المُحتَمل، فيفعل بخصمه الأفاعيل، ولا يرعىٰ لحقِّه مقدار ذرَّة، ولذلك كانت العربُ تقول: (نعوذ بالله من طِئة الذَّليل)[1]، وهو في معنىٰ قول الملك الضلِّيل:

وإنّـك لـم يفخـر عليـكَ كفاخِـرٍ ضعيفٍ ولـم يغلبك مثلُ مُغلَّبِ[2]

(١) أمالي اليزيدي (٥٨).
(٢) الأشعار الستة الجاهلية (١١٣).

(٢٢)

وقال أعرابيٌّ: [من البسيط]

١. أقـولُ لِلنَّـفسِ تَـأْسـاءً وتَعزِيَةً إحـدىٰ يَـدَيَّ أصابَـتْني ولـم تُـرِدِ

٢. كِلاهُما خَلَفٌ مِن فَقْدِ صاحِبِه هـذا أخـي حيـنَ أدعُـوهُ وذا وَلَـدِي

• الكشف:

في الحماسة البصرية أنه العريان بن سهلة النبهاني، من بني نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ.

وخبر البيتين أن أخا الشاعر قتل ابنه، فأُتي إليه بأخيه مقيّداً ليقتاد منه، فلما مثل أمامه ألقىٰ السيف، وارتجل هذين البيتين.

• البيان:

(تأساء): مفعول لأجله، والتأساء تَفعال من الأسوة، والأُسوة والإسوة لغتان، وأراد القدوة التي يأتسي بها الحزين ويسلو، وأصل الأسىٰ الحزن، قال الحق سبحانه ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾، أي لكيلا تحزنوا، وحقيقة الأسىٰ إتباعُ الفائت بالحزن، فإن فيه معنىٰ الإتباع، والأسوة الشيء يُتَّبع ويُقتدىٰ به نحو ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ أي قدوة. (وتعزية): التعزية تقوية القلب وتصبره، مشتقة من العَزاز وهي الأرض الصلبة. (إحدىٰ يديَّ): كناية عن أخيه. (كلاهما): الأخ القاتل، والابن المقتول. (خلَف): عِوض وبدل، قال الحق سبحانه ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾.

● **العرض:**

(١ـ ٢): **يقول:** أقول لنفسي متأسياً بغيري، ومصبِّراً قلبي، ومسلِّياً نفسي: جنىٰ عليَّ أخي -الذي محلُّه مني محلُّ إحدىٰ يديَّ- سهوا فقتل ولدي، وما قصد إساءتي، ولا تعمد الجناية علي، وكل واحد من أخي القاتل وولدي المقتول يصلُح لأن يُرضىٰ به عوضاً عن الآخر، فإن قتلتُ أخي قوداً فقدتُهما جميعا، فاستبقاء أحدِهما أهون وأقرب علىٰ كل حال.

وخيرُ الأمر ما أتاه الشاعر، علىٰ عسره ومشقَّته، ومثل هذا لا يكون إلا عن حكمة وحلم وجلَد، (والكلومُ ضروب، والنُّدوبُ فنون، وأعسرها برءا، وأصعبها داءً، وأعزُّها دواءً؛ ما جرحته يدُ القريب، وجلبته أفعال الأهل، فإن ذلك يصل إلىٰ حبَّة القلب، وصميم الفؤاد)[1].

---

(١) أخلاق الوزيرين (١٨٠).

(٢٣)

وقال رجلٌ من بَنِي تَـمِيمٍ: [من الوافر]

١. أَبَـيْـتَ اللَّـعْـنَ إنَّ سَكـابَ عِلْقٌ ... نفيـسٌ لا تُعـارُ ولا تُبـاعُ

٢. مُـفَـدَّاةٌ مُـكَـرَّمَـةٌ عـلـيـنـا ... يُجـاعُ لهـا العِيـالُ ولا تُجـاعُ

٣. سَلِيلـةُ سابِـقَـيْـنِ تَـنَاجَلاهـا ... إذا نُسِبَا يَضُمُّـهمـا الكُـراعُ

٤. فـلا تَـطـمَـعْ أَبَـيْـتَ الـلَّـعْـنَ فيها ... ومَنْعُـكَها بوَجْـهٍ يُسْـتطاعُ

- **الكشف:**

هو عَبيدة بن ربيعة بن قُحفان التميمي المازني، كان يُقال له فارسُ (سكاب)، لفرسٍ له اسمها سكاب، كانت من أجود أفراس العرب، وقد طلبها منه ملك من ملوك اليمن، فأبىٰ أن يعطيه إياها، وأنشأ يقول هذه الأبيات.

- **البيان:**

(أبيت اللعن): تحية الملوك في الجاهلية، ومعناها: أبيت أن تفعل أمراً تُلعن لأجله، وقيل إن أول من حُيِّي بها يعرب بن قحطان، وكان ملك اليمن. (سكابَ): اسم الفرس، وبعضهم يرويه (سكابِ) بالبناء علىٰ الكسر، والمُثبت هو الصحيح، لأن الحجازيين يبنون ما كان علىٰ وزن (فَعال) علىٰ الكسر نحو (حَذامِ)، أما التميميون فيعربونه إعراب ما لا ينصرف، والشاعر تميمي. (عِلق نفيس): أي مال يُبخل به ويُضنُّ. (لا تُعارُ): من الإعارة، وهي إعطاءُ الرجل لغيره ما ينتفع به ثم يرده. (مفدَّاة): نفديها بالأنفس والأموال. (سليلةُ سابقَين): أي هذه الفرس ولدُ فرسين سابقين. (تناجلاها): التناجل التناسل. (إذا نُسبا): أي إذا ذُكر نسبهما. (الكراعُ):

فحل من الخيل كريم معروف. (ومنعُكها): أي ومنعُك إياها، فإن الضمير المجرور إذا تلاهُ ضميرٌ أنقصُ تعريفاً منه؛ جاز فيه الاتصال والانفصال عند جماعة، والفصل في مثل هذا أجود.

- **العرض:**

(١-٤): يقول: أبيت اللعن أيها الملك، إن فرسي (سكاب) متاع نفيس مضنون به، فلستُ أجعله عرضاً للبيع، ولستُ أبذله قصداً للإعارة، وإننا لكرامتها علينا وعزَّتها نفدِّيها بالأنفس، ونؤثرها علىٰ عيالنا في القوت والجهد، و(سكاب) تستحق منا هذا، فهي فاضلة النسب، وأبوها وأمها كلاهما ينتسب إلىٰ (الكراع) الفحل الكريم المعروف، فأقصِرْ عينك عنها، وارفع طمعك في تحصيلها، فإني لن أهبها أو أبيعها لأحد، وسأمنعها منك ومن غيرك ما وجدتُ إلىٰ ذلك حيلة وسبيلا.

(٢٤)

وقالت كَبْشةُ أختُ عَمْرِو بنِ مَعْدي كَرِبَ: [من الطويل]

١. أَرْسَـلَ عبدُ اللهِ إذْ حـانَ يومُهُ ... إلـىٰ قومـه: لا تَعقِلُـوا لـهُمُ دَمِـي

٢. ولا تـأخُذُوا منهم إفـالًا وأَبْكُرًا ... وأُتـرَكَ في بيـتٍ بصَعْـدَةَ مُظلِـمِ

٣. ودَعْ عنكَ عَمْرًا إنَّ عَمْرًا مُسالِمٌ ... وهل بَطنُ عَمْرٍو غيرُ شِبْرٍ لِمَـطْعَمِ

٤. فـإنْ أنتُـمُ لـم تَـثْـأَرُوا واتَّـدَيْتُـمُ ... فَمَشُّـوا بـآذانِ النَّعـامِ الـمُـصَلَّمِ

٥. ولا تَـرِدُوا إلا فُضُـولَ نِسائِكُمْ ... إذا ارتَمَـلَتْ أعقابُهُـن مِـنَ الـدَّمِ

● الكشف:

كبشة هي أخت عمرو بن معدي كرب الزبيدي[1] من أبيه، وأخت عبد الله من أبيه وأمه.

وكان عبد الله بن معدي كرب رئيسَ بني زبيد، فجالس قومـاً من بني مازن بن ربيعة بن زبيد يوما، فقام عبدٌ يتغنَّىٰ فشبَّب بامرأة من زبيد، فقام إليه عبد الله فلطمه وقال: أما كفاك أن تشرب معنا حتىٰ تُشبِّب بنسائنا؟ فصاح العبد: يا آل بني مازن، فاجتمع بنو مازن علىٰ عبد الله فقتلوه! وجاءت بنو مازن مسرعةً إلىٰ عمرو فقالت: إن أخاك قد قتله رجلٌ منَّا سفيه وهو سكران، وإنا نسألك الرَّحِم إلا أخذت الدية، ونحن يدك وعضدك، فهمَّ عمرو بقبول الدية، فبلغ ذلك كبشة أختَ عبد الله من أبويه، فلما وافىٰ الموسم قالت هذه الأبيات تعرِّض فيها بأخيها عمرو، وتحثُّه علىٰ الثأر والانتقام، وألا يرضىٰ بالعار فيختار علىٰ الدم اللبن، فإن العار يبقىٰ والمعاقل

(١) انظر ترجمته في كشف القطعة (١٦).

تذهب، فهاج لذلك عمرو، وشنَّ عليهم الحروب، وقتل منهم لذلك خلقاً كثيرا، وهذا هو الشِّعر حقًا، الذي تهتاج له النفس، ويتأثر منه الفؤاد، فينبعث بعد ذلك العمل.

- **البيان:**

(أرسل عبد الله): أي أوصىٰ قبل موته، ومرادها التهييج والتحضيض لا حقيقة الإيصاء، فإن كل شريف جليل لا يرضىٰ بدمه الدية، والبيت مخروم. (حان يومه): أي يوم موته، وهذا مثل قولهم: وافته منيته، فهي من الكنايات عن الموت. (لا تعقلوا): أي لا ترضوا بالعقل مقابل دمي، والعقل الدية، سمِّيت بذلك لأن أصلها الإبل التي تُعقَل في فناء المقتول، واستشكل البيتَ الأسودُ الغندجانيُّ وقال (العقلُ إعطاء الدية لا أخذها، ولا تقول عقلتُه إذا أخذتَ ديته)، وخطَّأ هذه الرواية وقال (الصواب: ألا تغلُّوا لهم دمِي)[1]. (إفالًا): الإفال صغار الإبل، واحدها أفِيل وأفِيلة. (وأبكراً): جمع بَكر، وهو الفتيُّ من الإبل. (وأتركَ): منصوب بإضمار أن. (بيت): أي قبر. (بصعدة): بلدة باليمن. (مظلم): كانت العربُ تزعم أن المقتول إذا أُخذ بثأره أضاء قبرُه، فإن أُهدر دمه بقي مظلما. (ودع عنك عمراً): تعريض بأخيها عمرو، والعامة تلحن فتقول (دعك من ذلك الأمر)، وهذا لا يجوز، لأن فيه توالي ضميرين متصلين لمسمىٰ واحد، والفصيح (دع عنك ذلك الأمر). (مسالم): رمته بهذا الكلام تهييجاً، فتقول هو يركن إلىٰ السلامة ويؤثر المال علىٰ الدم، وليس هذا حال عمرو كما تواترت بذلك أخباره، وإنما أرادت حضه علىٰ الانتقام. (وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم): تزهيد في الدية، ويأتي عَرَضُه. (واتديتم): قبلتم الدية، يقال: وديته فاتَّدىٰ، كما يُقال: وهبته فاتَّهب. (فمَشُّوا): أي امشوا، وأتت بوزن فعَّل للتكثير، ورُوي (فمُشُّوا) بضم الميم، أي فامسحوا، من المَشوش وهو المنديل.

---

(١) إصلاح ما غلط فيه النمري (٥٦).

(المصلَّم): المقطَّع المجدَّع، وهذا كناية عن بالغِ الذلِّ، ومثله قول الحماسيَّةِ في باب الهجاء[1]:

متىٰ تـرِدوا عـكاظَ توافقوهـا بأسـماعٍ مجادعُهـا قِصـارُ

(ولا تردوا): الوِرد هو الذهاب للاستسقاء، وضدُّه الصَّدَر، قال الحق سبحانه ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص: ٢٣]. (إلا فضول نسائكم): أي بعد نسائكم، فمن نخوة العرب وغيرتهم أنهم كانوا إذا وردوا المياه تقدم الرِّجال ثم بعدهم الخدم والرعاة ثم بعدهم النِّساء، فكان النساء يرِدن إذا صدرَت كلُّ فرقة، فيغتسلن ويتطهرن آمنات من النظر، رائثات غير مستعجلات، وليست عادةَ العرب وحسب، بل كل عفيف، ومنه قول الحق سبحانه في شأن امرأتي مدين ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾[القصص: ٢٣]، وعيَّرت كبشةُ الرجال بهذا لأن الورود بعد النساء كنايةٌ عن غاية الذل، وقيل في معنىٰ هذا البيت: (أراد غشيان النساء، أي لا تأنفوا بعد ذلك من إتيانهن وهنَّ حُيَّض)[2]، وقيل في معناه كذلك: (لا ترِدوا المواسم بعد أخذ الدية إلا وأعراضُكم دنسة من العار، كأنكم نساء حيَّض)[3]، وكلها محتملة، ومقصودها من الذلِّ والعار واحد. (ارتملت): تلطَّخت. (أعقابهنَّ): عقب كل شيء مؤخرته، ويقال ارتدَّ علىٰ عقبه وانقلب علىٰ عقبه، أي نكص ورجع وترك الأمر الذي هو فيه، ومنه ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾[آل عمران: ١٤٤]. (من الدم): أي دم الحيض، فجعلَتهم يردون فضولَ النِّساء الحُيَّض، وهذا أبلغ في الذل والإهانة، وغرضُها من ذلك كله تهييجم وتحضيضهم علىٰ إدراك الثأر، وإيغار صدورهم لأخيها، وترك التباطؤ والتكاسل، والنساء في مثل هذا بارعات.

---

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٢١١).

(٢) معاني أبيات الحماسة للنمري (٥٨).

(٣) إصلاح ما غلط فيه النمري (٥٧).

• **العرض:**

(١ـ ٢): تقول: أوصىٰ أخي عبدُ الله قبل موته وصيةً لقومه فقال: احذروا أن تقبلوا الدية وتهدروا دمي، أفترضون أن تأخذوا صغار الإبل وكبارها وتنعموا بها، وأتركَ في قبر مظلم بأرض صعدة!

(٣ـ ٥): تقول: أما عمرو فدع عنك عمراً، فإنه يركن للسلامة، ويميل إلىٰ أخذ الدية، وما حاجته إليها؟ وما يصنعُ بكل هذا المال وجوفُه مقدار شبر يمتلئ باليسير من الطعام؟! فإن أنتم لم تثأروا لعبد الله ورضيتم بالدية؛ فلا تأنفوا بعد ذلك من الهوان، وامشوا أذلَّاء صاغرين بآذان مجدَّعة من الذلِّ كأنها آذان النعام، ولا تردوا الماء إلا بعد نسائكم الحُيَّض، فإنكم في بالغِ الذلِّ وغاية الخزي!

(٢٥)

وقال عَنْتَرةُ بنُ الأخْرَسِ: [من الوافر]

١. أَطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغْضي وعِشْ ما شِئتَ فانظُرْ مَن تَضِيرُ

٢. فما بِيَدَيْكَ خيرٌ أرْتَجِيهِ وغيرُ صُدُودِكَ الخَطْبُ الكبيرُ

٣. ألم تَرَ أنَّ شِعْرَكَ سارَ عني وشِعْري حولَ بيتك ما يَسيرُ

٤. إذا أبصَرْتَني أعرَضْتَ عني كأنَّ الشمسَ مِن قِبَلي تدورُ

- **الكشف:**

هو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة الطائي، من بني معن بن عتود من طيء، شاعر مخضرم، وفارس مشهور، وقيل إن أباه ولدَ عشرة من البنين كلهم شاعر، وكان عالما بطيء وأخبارها، وقد ترجم له ابن حجر في الإصابة فيمن أدرك حياة النبي ﷺ فلم يُنقل له لقاء ولم يُحفظ له سماع، وتصحَّف في بعض نسخ الإصابة إلىٰ (عنبرة بن الأحرش)، فتنبه، وقيل: إن الأبيات لعبد الله بن الحشرج، من بني عامر بن صعصعة، وهو من سادات قيس.

وهذه قطعة سيَّارة مشهورة، يخاطب بها ابنَ عم له كان ينال منه، ويحتمل له البغض، ويظهر له الإعراض.

- **البيان:**

(الشناءة): الشناءة والشنآن البغض والعداوة، ومنه ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾[المائدة: ٨]، أي ولا يحملنكم بغضُ قوم علىٰ ترك العدل.

(تضير): تضرُّ، من الضَّير وهو لغة في الضرِّ والضرر، قال الحق سبحانه ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ﴾[الشعراء: ٥٠]. (الخطب): الشأن والأمر، قال الحق سبحانه ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾[الحجر: ٥٧]. (شعرك سار عنِّي): أي لم يلحقني ذمُّك إياي فإن شعرك ارتحل عني، ويروىٰ (شعري)، فيكون معناه سارت الركبانُ بهجائك الذي قلتُ وتناقلته القبائل. (وشعري حول بيتك): أي أن ذمي لك وتعييري إياك باق كالوصمة في جبينك، ويروىٰ (شعرك)، فيكون معناه أن شعرك لم ينقله أحد عنك لعلمهم بكذبك فلم يصلني من هجوك إياي شيء، ويجوز أنه إشارة إلىٰ رداءة شعره. (قِبَلي): جهتي وناحيتي.

- **العرض:**

(١ـ ٤): **يقول**: أطل احتمال الغيظ لي، وأدم إظهار عداوتي، وعش ما شئت، وانظر مَن المتضرر، فلست تضرُّ بهذا إلا نفسك، وليس بيدك شيء أعلق رجائي به، واعلم أنَّ غيرَ إعراضك -من حوادث الدهر- هو الشأن الكبير، أما إعراضك فالأمر فيه هين حقير، ألستَ ترىٰ أنك تهجوني بما استطعتَ من شعرك الرديء ثم لا يُحفظ شعرك ولا يُتناقل؛ فإن شعرك من سقط المتاع، والقوم قد عرفوا شرفي وكرمي، وكذبك وبهتانك، ثم ترىٰ أني أهجوك بالبيت الواحد فتطير به الركبان، وتتناشده الأقوام؛ لحسنه وجودته، ولأنه وافق محلًّا فصدق، فأنت الخاسر بإعراضك هذا، وكنتَ إذا ما رأيتني لويتَ عنقك، وأشحتَ بوجهك، فعلَ الناظر للشمس الذي لا يستطيع التحديق في نورها، فمُت بغيظِك!

(٢٦)

وقال الفَضْلُ بنُ العَبَّاسِ بنِ عُتبةَ بنِ أبي لَـهَبٍ: [من البسيط]

١. مَـهْلًا بَنِي عمِّنا مَـهْلًا مَوالِينا	لا تَنبُشُـوا بينَنـا مـا كان مَدْفُـونَا
٢. لا تَطْمَعوا أن تُهِينُونا ونُكْرِمَكُم	وأن نكُـفَّ الأذىٰ عنكـم وتُؤذُونـا
٣. مهلًا بني عمِّنا عن نَحْتِ أَثْلَتِنا	سِيرُوا رُوَيْدًا كمـا كنتـم تَسِيرونا
٤. الـلـهُ يَعـلـمُ أنَّـا لا نُحِبُّكـمُ	ولا نلومُـكُمُ ألَّا تُحِبُّـونا
٥. كـلٌّ لـه نِيَّـةٌ فـي بُغـضِ صاحِبِهِ	بِنعمـةِ اللهِ نَقْلِيكُـم وتَقْلُونـا

• **الكشف:**

الفضل بن عباس بن عتبة، شاعر متمكن من فصحاء بني هاشم، وقيل إنه أشعر قريش، وكان شديد السُّمرة حتىٰ سموه (الأخضر اللهبي)، لسواده ونسبه، وقربه إليه الوليد بن عبد الملك فكان يمدحه، ثم لما ولي سليمان جفاه وحرمه.

وهذه القطعة قالها في مشاحنات له مع بعض بني عمه من بني أمية، فصارحهم بالبغض كما صارحوه، وأخذ يتهكم بهم.

• **البيان:**

(مهلاً): مصدر ناب عن فعله فانتصب، أي أمهِل مهلا، وقيل أصله (مه) زيدت عليه (لا)، وهو أمرُ زجر بمعنىٰ أخذ الرفق والتريُّث، قال الحق سبحانه ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾[المزمل: ١١]، وأصل المهل السكينة والوقار، وفي تكراره في الأبيات مزيد توعُّد وتأكيد. (بني عمنا): من بني أمية. (موالينا): المولىٰ له معان، منها: القريب والناصر والمُعتق والمالك، وهو هنا بالمعنىٰ الأول، ومنه ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ

﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾[النساء: ٣٣]. (تنبُشوا): يقال نبَش ينبُش إذا أثار ونقَّب، وهو هنا استعارة في إثارة الشرِّ. (نحت أثلتنا): الأثلة شجرة متينة الجذع، والعربُ تجعلها مثَلاً للعِرض، فيُقال فلان نحت أثلة فلان، إذا ذمه واستنقصه. (سيروا رويداً): أي سيروا سيراً ترودون فيه، أي ترفقون وتسكنون. (بنعمة الله): أي بإنعامه وفضله وإحسانه، نحو ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[القلم: ٢]، وحمِد اللهَ علىٰ هذا لأن بغضَ المسيء خلقُ الأعزَّة، فحمِد اللهَ أن لم يجعلهم أذلَّاء لا يبغضون مُسِيئا ولا يُنكِرون منكرا. (نقليكم): نبغضكم، يقال قلاه يقليه أي أبغضه يبغضه، ومنه قول الحق سبحانه ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[الضحىٰ: ٣].

- **العرض:**

(١ـ٢): **يقول:** رفقـًا يا بني عمنا، رفقـًا يا موالينا، لا تثيروا بيننا ما كان مدفونـًا من العداوات، ولا تقدِّروا أنكم إن أهنتمونا قابلنا ذلك بالعفو والإكرام، ولا تظنُّوا أن نكف أذانا عنكم وقد بلغنا أذاكم، فإن غِبَّ عداوتنا كلأ جداعُ.

(٣ـ٥): **يقول:** رفقـًا يا بني عمِّنا عن النيل منا، والطعن فينا، وسيروا علىٰ سنَّتكم المعهودة في الرفق، وسيرتكم السابقة في اللين، واعلموا أن القلوب مجبولة علىٰ حب المحسن وبغض المسيء، والله يعلم أنا لا نحبكم؛ لإساءتكم وأذاكم، ولن نلومكم علىٰ ألا تحبونا، فقد سقط التحابُّ، وظهرت العداوةُ، وكلٌّ منا له نية صادقة في بغض صاحبه، فبحمد الله ونعمته قد استمرَّ أمرنا علىٰ بغضكم، واستمرَّ أمركم علىٰ بغضنا، فإليكم عنَّا.

(٢٧)

وقال الطِّرِمَّاحُ بنُ حَكِيمٍ الطائيُّ: [من الطويل]

١. لقد زادني حُبًّا لنفسيَ أنني بغيضٌ إلىٰ كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ

٢. وأني شقِيٌّ باللئامِ ولا ترَىٰ شقيًّا بهم إلا كريمَ الشمائلِ

٣. إذا ما رآني قطَّعَ الطَّرْفَ بينَه وبينِيَ فِعلَ العارفِ المُتجاهِلِ

٤. ملأتُ عليه الأرضَ حتىٰ كأنها مِنَ الضِّيقِ في عينيه كِفَّةُ حابِلِ

• الكشف:

هو الطرمَّاح بن حكيم بن الحكم الطائي، شاعر أموي فحل، وله قصائد جياد كثيرة، وكان شاعراً هجَّاء، وكان يرصُّ الغريبَ في شِعره رصًّا بديعا، وهو ممن اعتقد مذهب الأزارقة، وقال الأصمعي: (لم نر قطُّ أعلم من شعبة بالشعر)[1]، وذلك أن شعبة كان يلزم الطرمَّاح.

وقيل إنه دخل مسجد البصرة يوماً وهو يخطر ويختال في مشيته، فقال رجل منهم: مَن هذا الخطَّار؟ فسمعه الطرمَّاح فقال: أنا الذي أقول: لقد زادني حبًّا... الأبيات

• البيان:

(بغيض): مبغوض، فعيل بمعنىٰ مفعول. (غير طائل): أي ليس بذي فضل، والطَّول الفضل، ومنه ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾[غافر: ٣]، ويُقال هذا أمر غير طائل أي لا منفعة فيه ولا فضل ولا مزية. (شقي باللئام): اللئيم دنيء النفس وخبيث الطويَّة، وشقي باللئام أي كثيراً ما يتنقصونه فيشقىٰ بهم، وينزعج منهم. (ولا ترىٰ): التفات من

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٥٧).

الإخبار إلىٰ الخطاب. (الشمائل): الطبائع. (قطَّع الطَّرف): أي ارتدَّ طرفُه، وصرَف بصرَه متعامياً، والطَّرف الإبصار. (المتجاهل): أي المتكلِّفُ الجَهلَ. (ملأت عليه الأرض): أي ضيَّقتها عليه. (كفَّة حابل): أي الحبالة، والحبالة الشراك التي يُصطاد بها، فإذا نصبها استدارت، وكل ما استدار فهو كِفَّة.

- **العرض:**

(١ـ ٢): يقول: إن بغاضتي إلىٰ كل رجلٍ -لا فضل فيه ولا خير- زادتني حباً لنفسي، لأن التمايز الذي بيني وبينه هو الذي أدىٰ به إلىٰ هذا البغض، وزادني حُبًّا لنفسي كذلك شقوتي باللئام حتىٰ تنقَّصوني واغتابوني، واعلم أنك لا ترىٰ رجلاً يشقىٰ باللئام فينالون منه ويطعنون فيه، إلا رجلاً باينَهم وجانبَهم في صفاتهم الذميمة، وأخلاقهم القبيحة.

(٣ـ ٤): يقول: إذا أبصرني هذا المُبغض لي؛ ارتدَّ طرفُه عنِّي، وقطَّع نظرَه إليَّ متعامياً كأنه لا يراني، وهو عارف بي، ولكنه يتجاهل ويتعاشىٰ، ولقد ضيَّقتُ عليه الأرض علىٰ اتِّساعها لشدَّة بغضه لي، فهي علىٰ رحبتها وسعتها تضيق عليه -إذا رآني- حتىٰ كأنها شرَكٌ يصطادُ به صائد!

وهذا حق، فإن لكلِّ عصر لئام، (ولكلِّ بيتِ مروءةٍ أعداءُ)[1]، وإذا وجدت الرجلَ قد تكالب عليه لئامُ النَّاس فحطُّوا من قدرِه، وتعاون عليه جهلةُ الخلق فغضُّوا من حقِّه، وكان عند أهل الفضل معروفاً بالفضل؛ فإن ذلك يرفع منزلتَه، ويعلي مكانتَه، ولا تجد رجلاً ذا شأن وذكر إلا وقد نيل منه، وعلىٰ هذا ينبغي أن يُحمل قول أبي حامد: (فهوِّن أيها الأخ المشفق المتعصِّب علىٰ ما يقولون، واهجرهم هجراً جميلا، واستحقر من لا يُحسد ويُقذف، واستصغر من بالكفر أو الضلال لا يُعرف)[2].

إنَّ العرانيـن تلقاهـا محسَّـدةً ولا تـرىٰ للئـامِ النَّاسِ حُسَّـادا!

---

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٣٨٤).

(٢) مجموعة رسائل الغزالي ٣/ ٧٥، وهو من صدر كتابه (فيصل التفرقة).

(٢٨)

وقال آخَرُ: [من البسيط]

١. الـلـؤمُ أكــرَمُ مـن وَبْــرٍ ووالــدِهِ | واللـؤمُ أكـرَمُ مِـن وَبْـرٍ ومـا وَلَـدَا
٢. قـومٌ إذا ما جنَىٰ جانِيهِمُ أمِنُوا | مِـن لـؤمِ أحسـابِهم أن يُقتَلـوا قَـوَدَا
٣. الـلـؤمُ داءٌ لـوَبْــرٍ يُقـتَـلُون به | لا يُقتَلـون بـداءِ غيـرِه أبَـدَا

● **الكشف:**

هو الحكم بن المقداد بن الحكم، الأصمُّ الفزاري، من بني لأي بن شمخ بن فزارة، ويُنسب إلىٰ أمه فيقال الحكم ابن زهرة، شاعر جاهلي من فرسان قومه، ونُسِبت القطعة لغيرِه.

وهذه أبيات يهجو بها الشاعرُ فخذاً من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم بنو وبر بن الأضبط بن كلاب، وذكر فيها أنهم بلغوا الغاية في اللؤم، بل جعل اللؤم خيراً منهم! وذكر أنهم لذلتهم لا يُقتاد منهم ولا يُنتقَم، وبهذا المعنىٰ الأخير دخلت في الحماسة.

● **البيان:**

(اللؤم): تقدم أنه دناءة النفس وخبث الطوية. (أكرم): ليس في اللؤم كرم، وإنما هو إقذاع في الهجاء لأنهم بلغوا الغاية في اللؤم. (وبر): بن الأضبط بن كلاب. (ووالده): دخل فيه كل أب لهم. (وما ولدا): دخل فيه كل ابن لهم، وهذا نحو ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾[البلد: ٣]، فدخل فيه كل أب وولد، فهم آدم وذريته. (من لؤم أحسابهم): من تعليلية، أي لأجل لؤم أحسابهم، نحو ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[البقرة: ١٩]، والأحساب الفعال والمفاخر. (قودا): القَوَد الاقتصاص،

وهو أن يُقتل القاتل بالقتيل، أو يُجرح الجارحُ بالجريح، يقال أقاده به، أي قتله به. (داء): مرض. (غيره أبدا): يشير إلىٰ أنهم لا يُقتلون بالسيف، وتأمل تكرار لفظ اللؤم في الأبيات وما يطبعه في النفس من دناءة المهجوِّ وسفالته.

- **الكشف:**

(١-٣): يقول: إن بني وبر قوم لئامٌ لئام، بل إن اللؤم أكرم منهم ومن آبائهم وأبنائهم جميعا، فأخلاقهم خسيسة لا يفعلها حتىٰ اللئام، وهم قوم إذا جنو جناية أمنوا من أن يؤخذوا بها ويُقتصَّ منهم عليها، وذلك لأنهم علموا لؤم أحسابهم وذلتهم، فالقبيلة كلها ليست بأهل لأن يُقتَصَّ منها، بل إن السيف يترفع عن أن ينال شيئاً من دمائهم، فليس يقتلهم إلا لؤمهم ميتةَ الأذلاء.

وهكذا فإن القتل بالسيف قتلةٌ شريفة لا تكون إلا للشجعان، وقد تقدم في عرض القطعة التاسعة نحو هذا المعنىٰ، وهذا عند العرب كثير، ومن جيِّدِه قول السموأل في الحماسة[1]:

وما مات منَّا ميِّت في فراشه	ولا طُلَّ منا حيثُ كان قتيلُ
تسيلُ علىٰ حد الظُّبات نفوسُنا	وليست علىٰ غير الظُّبات تسيلُ

(١) ديوان الحماسة (١/ ٨٠)

(٢٩)

وقال إبراهيمُ بنُ كُنَيْفٍ النَّبْهانيُّ: [من الطويل]

١. تَعَزَّ فإنَّ الصبرَ بالحُرِّ أجملُ   وليس علىٰ رَيْبِ الزمانِ مُعَوَّلُ

٢. فإن تكُنِ الأيامُ فينا تَبَدَّلتْ   ببُؤْسَىٰ ونُعْمَىٰ والحوادثُ تَفْعَلُ

٣. فما ليَّنَتْ منا قناةً صَلِيبةً   ولا ذلَّلَتْنا للتي ليس تَجمُلُ

٤. ولكنْ رَحَلْناها نُفُوسًا كريمةً   تُحمَّلُ ما لا يُستطاعُ فتَحمِلُ

- **الكشف:**

إبراهيم بن كنيف الطائي النبهاني، من بني نبهان أحد بطون عمرو بن الغوث بن طيئ، شاعر إسلامي مُقِلّ، وهذه القطعة مشهورة له، وتُروىٰ بأطول من هذا، وهي أبيات يذكر فيها حسن الصبر علىٰ عوارض البلاء وشدائد الزمان.

- **البيان:**

(تعزَّ): فعل أمر من التعزية، وتقدمت في بيان القطعة الثانية والعشرين، يخاطب نفسه مسليًّا، ومخاطبته لنفسه تسمَّىٰ تجريدا. (ريب الزمان): حوادثه وملمَّاته. (معوَّل): مُعتمَد ومُتَّكل. (ببؤسىٰ): البؤسىٰ والبأساء المصائب والآفات من فقر ومرض ونحوها، قال الحق سبحانه ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الأنعام: ٤٢]. (ونعمىٰ): النعمىٰ والنعماء رغد العيش وحلاوته، قال الحق سبحانه ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ﴾[هود: ١٠]. (والحوادث تفعل): جملة اعتراضية للتأكيد. (ليَّنَت): التليين التخفيض والترقيق، ومنه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[آل عمران: ١٥٩]. (قناة صليبة): القناة الرمح، والعرب تستعير القناة للشدة والعزة والامتناع، فيقولون قناة

فلان صلبة، أي أنه شديد علىٰ النائبات. (ذلَّلتنا): طوَّعَتنا وأذلَّتنا، ومنه ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ ﴾[يس: ٧٢]، أي طوَّعناها وسخَّرناها. (للتي ليس تجملُ): للذي لا يحسُن بنا من السبة والعار، واستغنىٰ بالتعريض بها، فأبهمَها ولم يسمِّها، إشارةً إلىٰ عظيمِ أنفتهم منها وبعدهم عنها. (رحَلناها): حملنا عليها، يُقال رحَل البعيرَ إذا حمل عليه، والضمير عائد لحوادث الدهر. (نفوساً كريمة): أي نفوساً تأبىٰ المخازي، وتجانب الرِّيَب، وتنفر من القبائح، ومنه ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[الفرقان: ٧٢].

- **العرض:**

(**١ـ٤**): **يقول**: تصبَّر وتجلَّد، فإن الصبر أحسنُ وأجمل للفتىٰ الحرِّ من الخضوع والتذلل، وهذه الأحداثُ ليست علىٰ حالة واحدة، بل هي كثيرة التبدل، فلا يُعتمد عليها ولا يُتّكل، فهي تحسن وتسيء، وتجمع وتفرق، وإن كانت هذه الأيام دارت بنا بالنعماء مرة وبالبأساء مرة أخرىٰ -كعادة الدهر- فإنها لم تغيِّر فينا شيئا! فلم تُضعِف قوتنا، ولم تُنقِص عزمنا، ونحن أعزَّة لا تذلِّنا حوادثُ الدهر، فإنا هيَّأنا له نفوساً كريمة نحملها عليه، ونحمِّل نفوسَنا من التكاليف ما لا يستطيعه غيرها.

(٣٠)

وقال عُوَيْفُ القَوَافي: [من الكامل]

١. ذَهَبَ الرُّقادُ فما يُحَسُّ رُقادُ ... مِمَّا شَجَاكَ ونامتِ العُوَّادُ

٢. لَـمَّـا أتاني عن عُيَيْنةَ أنه ... أمْسَتْ عليه تَظاهَرُ الأقيادُ

٣. نَخَلَتْ له نفسي النصيحةَ إنه ... عند الشدائدِ تَذْهَبُ الأحقادُ

٤. وذكَرْتُ أيُّ فَتًىٰ يَسُدُّ مكانَه ... بالرِّفْدِ حينَ تَقاصَرُ الأرفادُ

٥. أم مَن يُهينُ لنا كرائمَ مالِه ... ولَنَا إذا عُدْنا إليه مَعَادُ

- **الكشف:**

عوف بن معاوية بن عقبة الفزاري، من بني فزارة بن ذبيان، شاعر أموي مُجيد، كان من أشراف قومه في الكوفة، وسمِّي عويف القوافي لقوله:

سأُكذِبُ من قد كان يزعمُ أنَّني ... إذا قلتُ شعراً لا أُجيد القوافيا

وكثيرٌ هم الشعراء الذين غلبت عليهم أسماءٌ نطقوا بها في شِعرهم، مثل المرقش والممزق والمثقب والمتلمس وغيرهم.

وخبرُ هذه الأبيات أن أخت الشاعر كانت عند عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاري، فطلقها، فغضب منه عوف واحتمل عليه، وقال: الحرَّة لا تُطلَّق من غير ما بأس! ثم إن الحجاج أخذ عيينة فحبسه وقيَّده في سجنه، فقال عويف هذه الأبيات، يذكر فيها عيينة بالخير وإشفاقه عليه وحزنه لدخوله السجن، وقال كلمة بليغة تدلُّ علىٰ سلامة قلبه وشهامة خُلقه: (عند الشدائد تذهب الأحقاد)، وللأبيات بقية حسنة أوردها التبريزي وغيره.

• **البيان:**

(الرُّقاد): النَّوم، قال الحق سبحانه ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[الكهف: ١٨]. (شجاك): أحزنك وأصابك، وأصل الشجو الحزن. (العُوَّاد): جمع عائد، وهو زائر المريض، وكل من زارك مرة بعد أخرىٰ فهو عائد. (عن عيينة): بن أسماء الفزاري. (تظاهَرُ): أراد تتظاهر، فحذَف تاء المضارع جوازاً فيما ابتدي بتاء، وهو في التنزيل كثير جدا، ومنه ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[هود: ١٠٥]، ومعنىٰ (تتظاهر) تتكالب ويقوِّي بعضها بعضاً ويعضد كلٌّ منها الآخر، قال الحق سبحانه ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا ﴾[القصص: ٤٨]. (نخلت له نفسي النصيحة): أي صفَّيتُ له النصيحة، ومحضتُ له الخير. (عند الشدائد تذهب الأحقاد): أرسلَها مثلاً، وهو كقول الآخر (وترفَضُّ عند المُحفِظات الكتائفُ)[1]. (بالرِّفد): العطية، وجمعها رِفَد وأرفاد. (تقاصرُ): أي تتقاصر. (معاد): اسم مفعَل من العَود، وهو الرجوع.

• **العرض:**

(١-٣): **يقول:** طار النوم عني فلا يُعرف له أثر، وذلك بسبب ما أصابك وجرىٰ لك، ونام القوم الذين كانوا يزورونك ويعودونك، فاختُصِصتُ من بينهم بالحزن عليك، فإنه لما أتاني الخبر أنك أمسيتَ مكبَّلاً في السجن، وقد تكالبَت عليك أقيادك؛ زال عني ما كنت أجده عليك من جفاء، ومحضَت لك نفسي عند ذلك النُّصح، فإن الكريم يرقُّ لمثله من الكرام عند النوازل، وعند الشدائد تذهب الأحقاد.

(٤-٥): **يقول:** وأجلتُ فكري، وأخذتُ أحدِّث نفسي وأقول: قد خلا مكانُ عيينة منه، فمن ذا الذي يسدُّ مكانه إذا قلَّت المعونات؟ ومن ذا الذي يُعطي عطاءه عند تقاصر العطايا؟ ولو فقدنا عيينة فمن الذي سيبذل لنا كرائم أمواله؟ وهو علىٰ ذلك سمح النَّدىٰ متىٰ ما جئناه أعطانا، فهو دائم الإحسان، لا يملُّ من السؤال، فمِثلُ عيينة في النَّدىٰ والجود لا يكاد يُوجد في النَّاس.

---

(١) مجمع الأمثال (٦٣٧).

(٣١)

وقال بِشْرُ بنُ المُغِيرةِ: [من الطويل]

١. جَفَاني الأميرُ والمُغِيرةُ قد جَفَا وأمسىٰ يزيدُ لي قدِ ازْوَرَّ جانِبُهْ

٢. وكُلُّهُمُ قد نال شِبْعًا لبَطْنِهِ وشِبْعُ الفتىٰ لُؤمٌ إذا جاعَ صاحِبُهْ

٣. فيا عَمِّ مَهْلًا واتَّخِذْني لِنَوْبةٍ تُلِمُّ فإنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ نوائبُهْ

٤. أنا السَّيْفُ إلا أنَّ لِلسيفِ نَبْوَةً ومِثْلِيَ لا تَنبُو عليكَ مضارِبُهْ

- **الكشف:**

هو بشر بن المغيرة بن أبي صفرة الأزدي، واسم أبي صفرة ظالم بن سرَّاق من بني عمرو مزيقياء من الأزد، شاعر وفارس أموي، وعمه المهلب بن أبي صفرة، الوالي المشهور.

وخبر القطعة أن المهلب بن أبي صفرة لما ولي الإمارة استعمل ابنيه: المغيرة ويزيد، وجعل بِشراً حاجبَه، ثم إنه جفىٰ بشراً لأمر ما، وأعرض عنه، فاقتدىٰ الولدان بأبيهما، وأظهرا لبشرٍ الجفاءَ والصدود، فقال هذه الأبيات يذكر فيها إعراضهم عنه، وحاله بعد هجرهم له، وأنه ليس أهلاً لأن يُهجَر.

وجُلُّ شرَّاح الحماسة ورواة الأخبار قد خلط في خبر هذه القطعة، ولم يبين حقيقة الأعيان المذكورين فيها، حتىٰ أدىٰ بهم إلىٰ الاضطراب في نسَب بشر نفسه، والصواب أن الأمير المذكور في القطعة هو المهلب، والمغيرة ويزيد المذكوران هما ابنا المهلب، وقد غلط من زعم أن المغيرة المذكور هو أبو بشر، ولا يكون هذا، فما كان للوالد أن يتنكر لولده تقرَّبـًا لأخيه، ثم إنَّه عرَّض بوصفهما باللؤم، وسوَّىٰ بينهما في المنزلة، فهذا هو القول في خبر القطعة.

- **البيان:**

(جفاني): هجرني وابتعد عني وتغير عليَّ، ومنه التجافي وهو التباعد، قال الحق سبحانه ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[السجدة: ١٦]. (الأمير): المهلب بن أبي صفرة. (والمغيرة): ابن المهلب. (يزيد): ابن المهلب كذلك. (ازورَّ): مال وانحرف، وازورار الجانب كناية عن الإعراض والهجر. (شِبعًا): قدراً يكفيه من الطعام، والشِّبْع القدر الذي يُشبع من الطعام، والشِّبَع الامتلاء من الطعام. (مهلاً): تقدم في بيان القطعة السادسة والعشرين. (لنوبة): نازلة وملمَّة. (جمٌّ نوائبه): كثيرُ النوائب. (أنا السيف): بالغَ في التشبيه حتىٰ أقام نفسه مقام المشبَّه به، ووجهُ الشبه النفاذ والمضاء. (نبوة): يُقال نبا السيفُ إذا زلَّ أو ارتدَّ فلم يؤثر في المضروب. (مضاربه): جمع مَضرِب، وهو الموضع الذي يُضرَب بالسيف.

- **العرض:**

(١- ٢): **يقول:** أعرض عنِّي الأمير وهجرني، وتبعه ولداه في ذلك، فهجرني المغيرة، وصار يزيد عنِّي مُعرضا، وكلٌّ واحد من هؤلاء قد نال من الدنيا ومتاعها قدرَ ما يُشبعه ويكتفي به، وشِبعُ الإنسان لؤمٌ إذا لم يشرُكه صاحبه فيه وبقي جائعا.

(٣- ٤): **يقول:** تمهل يا عم وارفق! فلا تهجرني، واتخذني لأحد نوازل الدهر ومصائبه، فإن نوازل الدهر كثير، وهو متقلب لا يدوم لأحد، وإني أنا السيف في نفاذه ومضائه، بل ربما نبا السيفُ عن ضريبته، أما أنا فمنقاد لك لا أنبو ولا أخطئ.

(٣٢)

وقال أبو الشَّغْبِ العَبْسيُّ في ابنٍ له: [من الطويل]

١. إذا كان أولادُ الرجالِ حَزازةً فأنتَ الحَلالُ الحُلوُ والباردُ العذبُ

٢. لنا جانبٌ منه دَمِيثٌ وجانبٌ إذا رامَهُ الأعداءُ مُمتنعٌ صَعْبُ

٣. وتأخذُهُ عند المكارمِ هِزَّةٌ كما اهتزَّ تحتَ البارحِ الغُصُنُ الرَّطْبُ

- **الكشف:**

هو عكرشة بن أربد بن مسحل العبسي، من بني عبس بن بغيض، شاعر من شعراء الدولة الأموية، وكان متنكِّراً لبني أمية فقد هجا آل مروان، وأقذعَ الهجاء في هشام بن عبد الملك.

والشغب هو ابنه، وكان مغرماً به، وله فيه أشعار وممادح، فقضىٰ الله موت ابنه قبله، فرثاه في قطعة آتية، وهذه قطعة يمدح فيها ولده ويذكر فيها حسن خلقه ولين جانبه، وذكر فيها شدته علىٰ أعدائه، وبهذا دخلت في الحماسة.

- **البيان:**

(حزازة): أي تقطيعاً في الصدور، وأصل الحزِّ والحزازة القطع والتقطيع، والحزازة وجع القلب من الغيظ. (الحلال الحلو): هو العسل. (والبارد العذب): هو الماء، وعذوبة الماء برده وحلاوته، قال الحق سبحانه ﴿هَٰذَا عَذْبٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]. (لنا جانب): التفات من الخطاب إلىٰ التكلم والإخبار. (دميث): الدماثة حسن الخلق ولين الجانب. (رامه): أراده وطلبه. (ممتنع صعب): فهو سهل لمحبِّيه، صعب علىٰ أعاديه، وهذه من أحسن الصفات، نحو ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. (هزَّة): أي يرتاح للجود وينفعل، وتأخذه النخوة

عند العطاء، سروراً وجودا، ووصفُ هذه الهزَّة علىٰ لسان العرب كثير، ويفتنُّون في ذكر المشبَّه به، فطَوراً يقولون: (كنصل السيف يهتزُّ للندىٰ)[1]، وتارةً: (كما اهتزَّ من ماء الحديد قضيبُ)[2]، ومرةً: (كما اهتزَّ عضبُ الشفرتين حسامُ)[3]، وهنا يقول أبو الشغب: (كما اهتزَّ تحت البارح الغُصُن الرطبُ): والبارح ريح حارة تجيء من اليمن، سمِّيت البارح لشدِّتها، فالبارح والمبرِّح هو الشديد، والغصن الرطب هو الذي جرىٰ فيه الماء، والرطب ضد اليابس، قال الحق سبحانه ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

- **العرض:**

(١ـ ٣): يقول: إذا كان الأولادُ غالباً تقطيعاً في الصدور لعقوقهم، وتحزيزاً في القلوب لجفائهم، فأنت العسل المشوب بالماء العذب لبرِّك بنا، ونحن لنا من ولدنا شغب خُلق سجيح، وجانب ليِّن، وبرٌّ متصل، فهو معنا هينٌ لينٌ سهلُ الخليقة، ولنا منه كذلك جانب خشن معَدٌّ للأعداء إذا طلبوه وجربوه، فهو معهم وعر شرس، وترىٰ له عند اكتساب المكارم انفعالاً يهتزُّ له كما يهتزُّ الغُصُن الرطب لمرور الرِّيح الشديدة من فوقه.

(١) المفضليات، القصيدة (٦٧).

(٢) الأصمعيات، القصيدة (٢٥).

(٣) ديوان عامر بن الطفيل (٧٨).

(٣٣)

وقال عَمْرُو بنُ شَأْسٍ: [من الطويل]

١. أرادتْ عِرارًا بالـهَوانِ ومَن يُرِدْ عِـرارًا لعَمْـري بالـهَـوَانِ فقـد ظَلَـمْ

٢. فإن كُنتِ مني أو تُريدينَ صُحْبتي فكُـوني لـه كالسَّـمْنِ رُبَّـتْ لـه الأَدَمْ

٣. وإنْ كنتِ تَهْوَيْنَ الفِراقَ ظَعِينتي فكُـوني لـه كالذئـبِ ضاعـتْ لـه الغَنَـمْ

٤. وإلا فسِيري مِثْلَ ما سارَ راكبٌ تـجَـشَّـمَ خمسًـا ليس في سيره أَمَـمْ

٥. فـإنَّ عِـرارًا إنْ يكُنْ ذا شَكِيمةٍ تُـلاقِينَها منـه فمـا أَمْلِـكُ الشِّـيَمْ

٦. وإنَّ عِـرارًا إنْ يكُنْ غيرَ واضِـحٍ فـإني أُحِـبُّ الـجَـوْنَ ذا الـمَنْـكِبِ العَمَـمْ

- **الكشف:**

هو عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي، من بني أسد بن خزيمة، شاعر مشهور مخضرم، وكان ذا قدر وشرف في قومه، وأدرك الإسلام فأسلم، وشهد القادسية وغيرها.

وخبر هذه القصيدة أن عمراً كانت له امرأة من رهطه اسمها حية بنت الحارث، وكان له ابنٌ من أمة سوداء سمَّاه عِرارا، وكان يحبه حباً شديدا، وكانت حيةُ تؤذي عراراً وتعيره وتشتمه ويشتمها، فقال عمرو قصيدتَه يحذر امرأته أن تؤذي عرارا، ويهددها بالطلاق إن فعلت، والقصيدة أطول من هذا وقد اختار أبو تمام قطعة من آخرها، وبعد ذلك جهد عمرو نفسَه علىٰ أن يصلح ما بين امرأته وابنه فما استطاع، فطلَّق امرأته.

- **البيان:**

(عراراً): ابني. (فإن كنت مني): التفات من الغيبة إلىٰ الخطاب، أي إن كنتِ علىٰ أمري وهواي ولم تخالفيني، ويُقال: لست منِّي، أي لست علىٰ أمري وموافقتي، ومنه ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[الأنعام: ١٥٩]. (تريدين صحبتي): أي تريدين أن تبقي زوجي، والعرب تسمي زوج المرء صاحبته، قال الحق سبحانه ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾[الأنعام: ١٠١]. (كالسَّمن): دهن معروف للأكل، ويؤخذ من الحيوان أو النبات. (رُبَّت): طليت بالرُبِّ، والرُبُّ خلاصة التمر بعد عصره، فيُطلىٰ به وعاءُ السمن حتىٰ لا يتغيَّر ويفسد. (الأدم): اسم جمع للأديم، وهو الجلد المدبوغ ويقصد به وعاء السمن. (ظعينتي): امرأتي، وأصل الظعينة المرأة السائرة في هودجها، والعرب تكني عن المرأة بالظعينة والحليلة والجارة والصاحبة والشاة والنعجة والفراش والقارورة وغيرها مما نطقت به أشعارهم. (ضاعت له): لام التعليل، أي ضاعت لأجله. (تجشَّم خمسًا): تكلَّف وتحمَّل السير في خمس ليال. (أمم): اعتدال وقصد، والراكب إن لم يكن له قصد كان ذلك أشقىٰ له، وشنَّع بعضُهم علىٰ هذه الرواية وقال: (الصواب: يَتَمْ)[١]، واليَتَمُ الإبطاء. (شكيمة): حدَّة وشدَّة. (الشِيَم): الطبائع والخلائق. (غير واضح): أي ليس بأبيض وضيء الوجه. (الجَون): الأسود. (المنكِب): مجتمع رأس العضد والكتف، سمي بذلك لأنه في ناحية الجسم وجانبه، وأصل المنكب ناحية كل شيء وجانبه، كما قال الحق سبحانه ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾[الملك: ١٥]. (العمم): الطويل التام.

- **العرض:**

(١ـ ٤): **يقول:** أرادت امرأتي أن تهين ابني عِرارا وتستخف به، ومن أراد إهانة عرار فقد تعدَّىٰ عليَّ وأساء إليَّ، فإن كنتِ تهوين هواي، وتطيعين أمري، وتريدين

---

(١) إصلاح ما غلط فيه النمري (٦٥).

البقاء زوجاً لي؛ فأحسني معاملته، وأظهري له الميل والمودة، وكوني كالسمن الذي طُلي بالرُّبِّ فلا يتغيَّر، وإن كنت تؤثرين مفارقتي، وتريدين مخالفتي؛ فأسيئي معاملته، وكوني له كالذئب الذي ضاعت الغنم لوقوعه فيها، وإلا فلا تحسني إليه، ولا تطيعي لي أمرا، وفارقيني من ساعتك هذه، وسيري عنِّي كما يسير الراكب الذي يتكلف عناء السير خمسة أيام، حثيثاً بلا قصْد، وسريعاً بلا غاية.

(٥ـ٦): يقول: وإن يكن ابني عرار ذا سوء خلق معك، وإساءة فعل لك؛ فإني لا أملك تغيير الطبائع والخلائق، وإن ولدي عراراً -وإن لم يكن أبيض جميلاً- محبوبٌ إلي، فإني أحب الأسود ذا المنكب العريض والخَلق التام.

ومن طرائف الأخبار وعجيب الاتفاق ما روي من أن الحجاج الثقفي لما قتل أحدَ الخوارج أرسل برأسه مع عِرار بن عمرو الأسدي وبعث معه كتاباً إلىٰ الخليفة عبد الملك بن مروان، فلما وصل إليه وكلمه جعل عبدُ الملك يعجب من بيانه وفصاحته وفطنته مع سواده، فتمثل الخليفة:

وإنَّ عِـراراً إن يكـن غيـرَ واضـحٍ فإنِّي أُحبُّ الجَون ذا المنكِب العَمَم

فقال عرار: أتدري من أنا يا أمير المؤمنين؟ أنا والله عرار، فعجب الخليفة لذلك الاتِّفاقِ وضحكَ وأحسَن جائزته.

(٣٤)

وقال الأعْرَجُ المَعْنِيُّ: [من الرجز]

١. أَنَا أبو بَرْزَةَ إذْ جَدَّ الوَهَلْ

٢. خُلِقْتُ غيرَ زُمَّلٍ ولا وَكَلْ

٣. ذا قُوَّةٍ وذا شَبَابٍ مُقْتَبَلْ

٤. لا جَزَعَ اليومَ علىٰ قُرْبِ الأَجَلْ

٥. الموتُ أحلَىٰ عِندَنا مِنَ العَسَلْ

٦. رُدُّوا علَيْنا شَيْخَنَا ثُمَّ بَجَلْ

٧. نحنُ -بَنِي ضَبَّةَ- أصحابُ الجَمَلْ

٨. نَنْعَىٰ ابنَ عَفَّانَ بأطرافِ الأَسَلْ

- **الكشف:**

الأعرج هو عدي بن عمرو بن سويد المعني، من بني معن بن عتود من طيئ، شاعر مخضرم مُكثِر، أدرك الإسلام وأسلم، وقيل إن الأبيات لعمرو بن يثربي الضبِّي، من بني سعد بن ضبَّة بن أد، وهو صحابي.

وهي أبيات علىٰ الرجز يفخر فيها صاحبها بنفسه، ويذكر قوته وبأسه وشدته، وأنه من أنصار عثمان رضي الله عنه، وأنه ممن يطلب دمه ويثأر له، ويلحظ الناظر لهذه الأبيات أنها ليست كغيرها في احتمال المعاني وتصرف الألفاظ وحسن التشبيهات، وذلك أن العرب تنشد الرجز بالأبيات القليلة بديهةً وسليقةً إذا عرض لها أمر كالنزال في الحرب أو الحداء للإبل، وإذا طال ما كان بديهةً وارتجالاً قلَّت المعاني اللطيفة وحُسنُ التشبيهات فيه، ووازن بين معلقة الحارث -التي ارتجلها في المشهور عنه- وسائر المعلقات تجد الأمر ظاهرا، ولا يُنكَر أن بعض العرب ربما ارتجل ببديهته ما يفوق الحوليَّات حسناً وجودة.

أما كون الرجز السابقَ للِّسان عند حدوث خَطب، فلأنه يستطيعه كل أحد لسهولته وخفَّته حتىٰ سُمِّي بحرُ الرجز (حمارَ الشعراء)، وأول من أنشأ عليه القصائد الطوال هو (الأغلب العجلي)، وهو شاعر مخضرم مشهور، ثم تبعه علىٰ ذلك العجاج وابنه رؤبة وأبو النجم العجلي وغيرهم ممن طوَّل الرجز.

- **البيان:**

(أنا أبو برزة): ذكر كنيته، وكأنه يشير إلىٰ شهرته ومكانته دون حاجة لذكر صفاته. (جدَّ الوهل): اشتدَّ الخوف. (غير زُمَّل): غير ضعيف. (ولا وكَل): ولا عاجز يتّكل علىٰ غيره، والوكَل الذي يتكل علىٰ غيره. (ذا قوة): منصوب علىٰ الحال، أي خُلقتُ قويا. (شباب مُقتبَل): لم يغزه الشيب، ولا يُرىٰ عليه أثر الكبَر. (لا جزعَ اليوم): في ذكره لا النافية للجنس نفيٌ لكل جزع قد يحصل، وفيه زيادة فخر وشجاعة، واليوم ظرف منصوب، والمعنىٰ لا جزع اليوم من الموت. (علىٰ قرب الأجل): جملة اعتراضية بيانية، والمعنىٰ لا جزع اليوم من الموت علىٰ أن الأجل قريب منا! ويعني بالأجل الموت، وأصله الموعد المقدَّر المحتوم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾[الأعراف: ٣٤]. (شيخنا): عثمان رضي الله عنه. (بجَل): كلمة بمعنىٰ حسْب

وفقط. (بني ضبة): بن أد، وانتصب علىٰ الاختصاص، ففيه زيادة فخامة وتعظيم. (**أصحاب الجمل**): وهو جمل عائشة رضي الله عنها، ويقصد وقعة الجمل لما خرجوا يطلبون الثأر لدم عثمان رضي الله عنه. (ننعىٰ): النِّعاء هو خبر الموت الذي يسير به المُخبِر بين القبائل، وكان السيد والعظيم إذا مات فيهم قاموا يطوفون علىٰ القبائل ويصعدون علىٰ الآكام وينتشرون في الوديان فيُشهرون خبر موته، ويذكرون محامده ومآثره علىٰ وجه الندب والنياحة. (**الأسل**): الرماح.

- **العرض:**

(**١ـ٣**): **يقول**: إني أنا أبو برزة وكفىٰ، المعروف بشجاعته عند اشتداد الخوف، والمشهور بثباته عند اضطراب المواقف، لم أُخلق ضعيفاً جبانا، ولا عاجزاً متّكلا، وإنما خلقت ذا قوة وبأس في مقتبل الشباب، لم يغيرني الدهر، ولم تُبلِني السنون.

(**٤ـ٨**): **يقول**: لا جزع اليوم من الموت -والأجلُ قريبٌ منا!- فما ظنُّك بنا والأجل بعيد؟! فلسنا ممن يجزع عند الخوف، بل الموت أحلىٰ عندنا من العسل، وإنا طالبون بدم الشيخ عثمان، فإن أخذنا بثأره وانتقمنا من قاتليه فحسبُنا ذاك، فإنا نحن -أعني بني ضبَّة- أصحابُ الجمل، الذين لهم صولات مذكورة في المطالبة بدم عثمان، ولسنا ننعىٰ عثمان بالإخبار والتفجع كسائر الناس، بل سننعاه بأطراف الرماح نأخذ بها ثأره!

(٣٥)

وقال يَزِيدُ بنُ حِمَّانَ السَّكُونِيُّ: [من البسيط]

١. إني حَمِدْتُ بَنِي شَيْبانَ إذ خَمَدَتْ نِيرانُ قومي وفيهم شُبَّتِ النارُ

٢. ومِن تَكَرُّمِهم في المَحْلِ أنهُمُ لا يَعلمُ الجارُ فيهم أنه جارُ

٣. حتىٰ يكونَ عزيزًا مِن نُفُوسِهِمُ أو أنْ يَبِينَ جميعًا وهْو مختارُ

٤. كأنَّه صَدَعٌ في رأسِ شاهقةٍ مِن دُونِه لِعِتاقِ الطيرِ أوْكارُ

- **الكشف:**

الصحيح أنه عدي بن يزيد بن حمار السَّكوني، من بني السَّكون بن أشرس بن ثور [كندة]، شاعر جاهلي، شهد يوم ذي قار، وكان ذا بلاء فيه، وهو يوم مشهود انتصف فيه العرب من العجم.

وقد كان نزل قبل وقعة ذي قار جاراً علىٰ بني شيبان بن ثعلبة من بكر بن وائل، فأكرموه وأحسنوا قِراه، فقال هذه الأبيات يمدحهم، ويذكر حسن جوارهم، وأن النازل فيهم عزيزٌ ذو منعة.

- **البيان:**

(حمِدت): أصل الحمد الثناء، ومنه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[الفاتحة: ٢]، وهو كالشُّكر إلا أن بينهما عموماً وخصوصاً وجهيا، فالحمد أعم من جهة أنه يكون ثناءً علىٰ صنيعة، ويكون ابتداءَ ثناءٍ بالخصال الحميدة، أما الشكر فلا يكون إلا ثناءً علىٰ صنيعة، وأما عموم الشكر فلأنه يكون بالقول والعمل، ولا يكون الحمد إلا بالقول. (بني شيبان): بن ثعلبة من بكر بن وائل. (خمدت): الخمود انطفاء النار وسكونها

بعد اشتعال، قال الحق سبحانه ﴿فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ﴾[يس: ٢٩]، أي فإذا هم كالنار كانت مشتعلة فانطفأت. (نيران قومي): كناية عن الجدب وإقتار الناس حتىٰ ما عادت تُشبُّ نار. (وفيهم): أي وفي بني شيبان. (المحْل): الجدب والفاقة. (حتىٰ يكون): جواب لا. (من نفوسهم): أي من جنسهم وأصلهم، نحو ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة: ١٢٨]. (يبين): يفارق، والبَين من الأضداد يأتي بمعنىٰ الفراق وبمعنىٰ الوصال. (جميعًا): حال من الفاعل المستتر، والمعنىٰ: حتىٰ يفارق وهو مجتمع الحال، ومن ذلك قول زهير (ضمنتم مالَه وغدا جميعًا)[1]. (صدَع): الصدَع والصديع الوعِل الفتيُّ. (شاهقة): أي قمة جبل شاهقة. (عتاق الطير): يعني العُقبان والنُّسور ونحوها مما يعيش في الجبال ويتأبىٰ بنفسه.

- **العرض:**

(١ـ ٤): يقول: إني أثنيت علىٰ بني شيبان ونشرت فضيلتهم لما رأيت الجدب حلَّ بالناس جميعـًا -ومنهم قومي- فلا تُشبُّ نار لضيافة، إلا بني شيبان فإن نيران ضيافتهم كانت مشعلة غير خامدة، وهم علىٰ كرمهم الواسع لا يكتفون بما هم عليه من الإحسان، بل يتكلفون الزيادة في الكرم، ويجهدون أنفسهم علىٰ غاية الجود، ومن سخائهم أنهم يعنون بالجار ويحسنون إليه حتىٰ يشكَّ هل هو جار أم هو من صميم القوم؟ ويبقىٰ علىٰ هذه الحال فيكون عزيزاً ما بقي في ظهرانيهم، أو يفارقهم -وهو مجتمع الحال- فراقَ الشاكر بعدما أوسعوه كرَما، مختاراً لم يضطره إلىٰ ذلك منهم أحد، فكأنَّ الجار -إذا حلَّ فيهم فتعزز بهم وتمنع- وعِلٌ احترز فوق جبل شامخ في مكان حصين لا تصل إليه عتاق الطير! فلا يطوله رجل، ولا يستطيعه أحد.

---

(١) الأشعار الستة الجاهلية (٤٢٦).

(٣٦)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. نزَلْتُ علىٰ آلِ المُهَلَّبِ شاتِيًا غريبًا عنِ الأوطانِ في زمنِ مَحْلِ
٢. فما زالَ بي إكرامُهُمْ واقتفاؤُهُمْ وإلطافُهُمْ حتىٰ حَسِبْتُهُمُ أهلي

- **الكشف:**

نُسبت البيتان إلىٰ بكير بن الأخنس، فقيل هو بكير بن الأخنس بن شهاب التغلبي، فأبوه الشاعر الجاهلي المعروف، وقيل بل هو بكير بن الأخنس بن شريق الثقفي، فأبوه الصحابي المشهور، ولم أقف علىٰ ذكر لبكير هذا، إلا أنه من شعراء الدولة الأموية لما ذكر من شأن آل المهلب، وقد ذكر ذلك غير واحد، ولا أظنه بكير بن الأخنس السدوسي الذي يروي من طريقه مسلم في صحيحه.

وهذان البيتان قالهما لما نزل علىٰ آل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، فأكرموه، فامتدحهم، والذي جرَّ أبا تمام لذكرهما في باب الحماسة هو استطراده المعهود، فالبيتان موافقان لمعنىٰ القطعة التي قبلهما في ذكر حسن الجوار، ولذلك أوردها أبو علي القالي في أماليه متعاقبة كذلك.

- **البيان:**

(آل المهلب): ابن أبي صفرة. (شاتيًا): أي وحالي أني في زمن الشتاء. (محْل): تقدم في بيان القطعة السابقة. (واقتفاؤهم): أي إيثارهم له بالبر والإحسان، يقال قفوته واقتفيته وتقفَّيته بكذا أي آثرتُه به.

• **العرض:**

(١ ـ ٢): يقول: تغرَّبتُ عن وطني في شتاءٍ بارد زمنَ فاقةٍ وقحط، فنزلتُ علىٰ آل المهلب، فما زالوا يؤثرونني بالإحسان والإكرام، ويختصونني بالتقريب وإسداء الجميل، حتىٰ ظننتهم عشيرتي لفرط جودهم، وقلة تكلفهم!

(٣٧)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. ألا قالتِ العَصْماءُ يومَ لَقِيتُها: أراكَ حديثًا ناعِمَ البالِ أفْرَعَا

٢. فقلتُ لها: لا تُنْكِرِيني فقَلَّما يَسُودُ الفَتَىٰ حتىٰ يَشِيبَ ويَصْلَعَا

٣. ولَلْقارِحُ اليَعْبُوبُ خيرٌ عُلالةً مِنَ الجَذَعِ المُرْخِي وأبعَدُ مَنْزَعَا

- **الكشف:**

قيل هي لحِبال الكلبي، وهو رجل من بني حارثة بن جناب بن هبل من بني ثور بن كلب، وهذه القطعة يذكر فيها امرأة كان يهواها، فلقيته فعابت عليه كِبَره وتغيّره، فأجابها بأن هذه ضريبة السودد والشرف.

- **البيان:**

(العصماء): اسم امرأة. (حديثًا): أي في عهد قريب، والحديث والمُحدَث هو الجديد وقريب العهد، ومنه ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[الأنبياء: ٢]، أي قريب النزول. (ناعم البال): أي لم يمسس صفوَه ما يكدِّره. (أفرعا): الفرْعُ شعر الرأس، والأفرع هو تامُّ شعرِ الرأس، والمؤنث منه فرعاء. (لا تنكريني): يقال أنكر فلان فلانـًا إذا لم يعرفه، ومنه ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[الحجر: ٦٢]. (فقلَّما): قلَّ وطال وكثر إذا تلتها (ما) كفّتها عن العمل، ولم تدخل إلا علىٰ الفعل، وقيل بل يُعرَب الفعل ماضيـًا و(ما) مصدرية، ويكون المصدر المنسبك منها ومن صلتها في محل رفع فاعل فهو هنا: قل سيادةُ الفتىٰ حتىٰ يشيب ويصلع، وهذا قول حسن. (يشيب): يعلوه الشيب والبياض. (ويصلعا): ينحسر الشعر عن رأسه. (وللقارح): تقدم في

بيان القطعة الحادية عشرة هو والجذع، وهنا سيضرب مثلاً بقصد تفضيل الشيب علىٰ الشباب. (**اليعبوب**): الكثير الجري، وهو كناية عن القوة والشدة. (**علالة**): تمييز منصوب، والعُلالة آخر الجري، والبُداهة أوله. (**المرخي**): الإرخاء هو اللين والتخفيف في العَدو، والفرس المُرخي هو ليِّنُ العدو خفيفُه. (**منزعًا**): النزع جري الفرس إلىٰ الغاية، وهو كناية عن الرأي والتدبير.

- **العرض:**

(١ـ ٣): **يقول**: قالت لي العصماء لما التقيت بها: رأيتك عما قريب حسنَ الهيئة، ناعمَ الحال، ذا شعر طويل، لم يتسلط عليه شيب ولا صلع، فما الذي جرىٰ لك؟ فقلتُ لها: لا تستنكري ما رأيتِ من شحوب لوني، وانحسار الشعر عن رأسي، فإن الفتىٰ لا ينال السيادة حتىٰ يستبدل بشبابه شيبا، وبشَعره صلعا، (وإنَّ المجد أوَّلُه وعورُ)[1]، ولا تحسبي أن ذلك يعيبني ويشينني، بل أدَّبني الكِبَر وزادني قوةً ورأيـاً علىٰ قوتي ورأيي، فإن الفرس القارح الذي تم له خمس سنين إذا اشتد في الجري مع فرس جذع له سنتان؛ لم يسبق إلىٰ الغاية إلا القارح، إذ هو أقدر علىٰ الجري البعيد، وأكثر مراساً علىٰ السباق المتصل.

---

(١) المفضليات، القصيدة (١٢٣).

(٣٨)

وقال جَزْءُ بنُ ضِرَارٍ: [من الطويل]

١. أتاني فلم أُسْـرَرْ به حينَ جاءني حديـثٌ بأعلىٰ القُنَّـتَينِ عجيـبُ
٢. تَصامَمْتُه حتىٰ أتاني يَقِينُه وأَفْـزَعَ منه مخـطئٌ ومُصِيبُ
٣. وحُدِّثتُ قومي أحدثَ الدهرُ فيهِمُ وعَهدُهُـمُ بالحـادثاتِ قريـبُ
٤. فـإنْ يـكُ حقًّا ما أتـاني فإنهم كِـرامٌ إذا مـا النائبـاتُ تَنُـوبُ
٥. فقيرُهُمُ مُبدِي الغِنَىٰ وغنيُّهم لـه وَرَقٌ للسـائلين رَطِيـبُ
٦. ذَلُولُهمُ صَعْبُ القِيادِ وصَعْبُهم ذلـولٌ بحـقِّ الراغبيـن رَكُـوبُ
٧. إذا رَنَّقَـتْ أخـلاقَ قـومٍ مُصيبةٌ تُصفَّـىٰ لهـم أخلاقُهـم وتَطيـبُ
٨. ومَـن يَغمُرُوا منهم بفَضلٍ فإنه إذا مـا انتمـىٰ في آخَرِيـنَ نَجِيـبُ

- **الكشف:**

هو جَزء بن ضرار بن حرملة، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم وشهد بعض الفتوح، قيل هو صحابي، وأورده ابن حجر في الإصابة فيمن أدرك حياة النبي ﷺ فلم يُنقل له لقاء ولم يُحفظ له سماع، وأخواه الشماخ والمزرد شاعران كذلك.

وهذه القطعة يذكر فيها ما أتاه عن قومه من أن سيداً منهم قد مات، فأحدث رزءاً فيهم، لكنهم وإن كان ذلك فإنهم أهل صبرٍ علىٰ النوائب، ولا تؤثر فيهم حوادث الدهر، بل تزيدهم كرما وطيبا وفضلا.

- **البيان:**

(أُسرَر): فك الإدغام من أُسَرَّ، من السرور وهو فرح القلب. (حديث): هذا فاعل تنازعه الفعلان (أتاني) و(جاءني)، فالكوفيون يُعمِلون الأول، والبصريون يُعمِلون الثاني، وأيهما أعملت هنا فهو مرفوع، علىٰ أنَّ إعمال الأول أولىٰ هنا، لكون الثاني ورد في جملة اعتراضية. (القنَّتين): القنة أعلىٰ الجبل، والقنتان هنا موضع بعينه لجبل أسود. (عجيب): الاستعجاب والتعجُّب هو استغراب أمر لا يتوقَّع حصوله، قال الحق سبحانه ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾[الرعد: ٥]. (تصاممتُه): أراد تصاممتُ عنه، أي تكلَّفتُ إظهار الصمم والتغافل عنه. (يقينُه): أي الخبر المؤكد الجليُّ، ويروىٰ (نعِيُّه)، أي نعي سيدهم، وبهذه الرواية عُرِف سبب القطعة. (وأفزع): أي صادف الفزع، والفزع شدة الخوف، قال الحق سبحانه ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[النمل: ٨٩]. (مخطئ): في حكاية الخبر. (ومصيب): في حكاية الخبر كذلك، فالمخطئ والمصيب كلاهما في الفزع سواء. (وحُدِّثتُ): أي وأُخبرتُ، و(حُدِّث) من الأفعال التي تتعدىٰ لثلاثة مفاعيل، والتاء في مقام مفعوله الأول. (قومي): مفعول ثان. (أحدث الدهر فيهم): أي أصابتهم نوائبه، والجملة في محل مفعول ثالث. (وعهدهم بالحادثات قريب): جملة اعتراضية حسنة، والمعنىٰ أنهم كثيراً ما تطرقُهم نوائبُ الدهر، وهذا حال الكرام، قال طرفة:

أرىٰ الموتَ يعتامُ الكِرامَ ويصطفي عقيلةَ مالِ الفاحشِ المُتشدِّدِ[1]

(فإن يك حقا): جواب هذا الشرط هو ما سيدل عليه قوله (فإنهم كرام)، ودلالة الجواب: فإنهم يصبرون صبر الكرام، حتىٰ يتفق الشرط مع جوابه في المعنىٰ، وهو نحو ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[المائدة: ١١٨]، ودلالة الجواب في الآية: فإنك تملكهم وتقدر عليهم، فاتفق الشرط مع جوابه. (مبدي الغنىٰ): أي أن فقيرهم يظهر

---

(١) شرح القصائد العشر للتبريزي (١٣٨).

الغنىٰ لعفافه وكرمه، نحو ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[البقرة: ٢٧٣]. (له ورق للسائلين): استعارة لجوده وعطائه، فكأنه شجرة مُورقة الأغصان. (رطيب): أي ورق رطب، لأنه أكثر نفعاً. (ذلولهم): الذلول الليِّنُ الجانب، الوطيء الظهر، وأصله في الدواب، ومنه ﴿بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾[البقرة: ٧١]. (القياد): المقود الذي تُقاد به الدابة. (وصعبهم): الصعب الخشن الجانب، العسير المعاملة، وأصله في الدواب. (رَكوب): الرَّكوب من الإبل التي تركب فلا تستعصي ولا تتأبىٰ. (رنَّقت): كدَّرت. (تُصفَّىٰ لهم): هذا طباق، لأنه قابل بين التكدير والتصفية. (يغمروا): يغطُّوا، وأصل الغمر الماء الكثير إذا أغرق وغطىٰ، والمغمور هو الذي لا ذكر له، كأنه غُطِّي عليه. (انتمىٰ): انتسب. (نجيب): كريمٌ فاضل، والنجيب الكريم من الناس والإبل والخيل.

- **العرض:**

(١ـ٤): **يقول:** أتاني خبر عجيب مُفجِع بأعلىٰ القنَّتين، فحزنتُ لما جاءني ولم أُسرَّ، وتكلَّفتُ الصمم لما سمعتُه لهول الخبر، ولم أصدِّق حتىٰ استيقنتُ الأمر، وفزع كل الناس! ففزع الذي أخطأ في الخبر لهول المصيبة كما فزع المصيب فيه، وأُخبرتُ أن الدهر قد أحدث في قومي حوادث كثيرة، وأنزل بهم مصائبَ جليلة، وهكذا حالهم فكثيراً ما تنزل بهم مصائبه، فإن كان هذا الخبر صادقاً؛ فلا بأس عليهم، وهم أهلُ صبر علىٰ الملمات والنوائب، وتجلُّد عند النوازل والحوادث، فالخطب يسير.

(٥ـ٦): **يقول:** وإن الفقير في قومي تراه يُبدي الغنىٰ تعففاً وحُبًّا للكرم والعطاء، وترىٰ الغنيَّ فيهم مبسوطَ النَّدىٰ، واسعَ السخاء، كأنه شجرةٌ غضَّةُ الأغصان، رطبةُ الأوراق، ومن كان سهل الجانب منهم تراه متعسِّراً خشناً إذا ظُلِم، ومن كان منهم معروفاً بصعوبة الجانب وخشونة المعاملة تراه معترفاً بحق الراغبين، لا يتأبىٰ علىٰ أحد أتاه طالبا.

(٧ـ ٨): **يقول**: إذا كدَّرت المصائبُ أخلاقَ الناس فتغيَّرت وشانت، رأيتَ قومي تُصفَّىٰ أخلاقهم وتزين، فكلما زاد الدهرُ امتحاناً وابتلاء؛ ازداد قومي حسناً وصفاءً وطيبا، وجميعهم سباقون إلىٰ المكرمات، حتىٰ إن المغمور -الخامل فيهم- إذا انتسب إلىٰ قوم آخرين عُدَّ في أولئك نجيباً كريماً حسنَ الذِّكر، ولكنه غُمر في قومه لكثرة ذوي الفضل منهم.

وهذا المعنىٰ في البيت السابع بديع، وهو أجود عندي من قول أبي الطيب:

وحالاتُ الزَّمان عليكَ شتَّىٰ وحالُكَ واحدٌ في كلِّ حالِ[1]

ووجه جودته ظاهر، فجزءُ بن ضرار لم يكتفِ بجعل المصيبة لا تؤثر في قومه ولا تغيرهم، بل جعلها تزيدهم طيباً وحُسنا، اللهم إلا أن يتأول أنصارُ المتنبي أنه يقصد أن سيف الدولة قد بلغ الغاية في حُسن الخلق، فما مِن زيادةٍ تقدِر المصائبُ علىٰ زيادتها في أخلاقه، وهذا بعيد، إلا أن أنصار المتنبي أبعد!

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي (١١١٤).

(٣٩)

وقال القُطامِيُّ: [من الوافر]

١. مَنْ يكُنِ الحِضارةُ أعجَبَتْه فأيَّ أُناسِ باديةٍ تَرَانَا

٢. ومَنْ رَبَطَ الجِحاشَ فإنَّ فينا قَنًا سُلُبًا وأفراسًا حِسانًا

٣. وكُنَّ إذا أغَـرْنَ علىٰ جَنَابٍ وأعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حيثُ كانَا

٤. أغَرْنَ مِنَ الضِّبابِ علىٰ حُلُولٍ وضَبَّةَ إنه مَنْ حانَ حانَا

٥. وأحيانًا علىٰ بَكْرٍ أخِينا إذا ما لم نَجِدْ إلا أخانَا

● **الكشف:**

هو عُمير بن شُييم بن عمرو، من بني جشم بن بكر من تغلب، شاعر أموي فحل، وكان الأخطل يُعجب بشعره، كان من نصارىٰ تغلب في العراق وقيل إنه اسلم، وسمِّي القطامي لقوله:

يصكُّهنَّ جانبًا فجانبا صكَّ القُطاميِّ القطا القواربا

وهذه القطعة يفخر فيها ويفضِّل أهل البادية علىٰ أهل الحاضرة، ويصف شجاعتهم وغاراتهم، ويذكر أنهم تعودوا الغزو فلا يطيقون عنه فكاكا، وهذا مذهب كثير من العرب في تفضيل البادية، فقد (اختار الغالب منهم سكنىٰ البوادي علىٰ الحضر لمَّا كان فقدُ العزِّ فيه، والجبن إنما ينشأ من رغد العيش وطيب الحياة وعدم المبالاة)[١].

---

(١) بلوغ الأرب للألوسي (١/ ١٠٧).

- **البيان:**

(من يكن): البيت مخروم. (**الحضارة**): بكسر الحاء وفتحها، أي أهل الحضارة، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الديار والمساكن والبنيان. (فأي...): هذا السؤال للتعظيم والتفخيم، نحو ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾[الحاقة: ٢]. (أناس بادية): أي أهل بادية، سميت بذلك لأنها ظاهرة بارزة، وإذا خرج الناس من الحاضرة فقد بدوا، أي ظهروا وبرزوا. (**ربط الجحاش**): الجِحاش جمع جَحش وهو ولد الحمار، وربط الجحاش كناية عن اقتناء الحُمُر، وهو فعل الحضر. (قنًا): رماحًا. (سُلُبًا): جمع سَلوب أي طويل. (وكنَّ): أي وكانت الأفراس. (إذا أغرن): من الإغارة وهي الهجوم والانقضاض. (جناب): ناحية، يقصد ما حولهم من القبائل، أو أنَّه يريد بني جَناب، وهم بطنٌ مِن كلب مِن قضاعة. (وأعوزَهنَّ): وأفقرَهنَّ، يقال أعوزه الدّهر أي أفقره، و(أعوز) تأتي متعدية بمعنىٰ: أفقر، وتأتي لازمة فيُقال: أعوز فلانٌ إذا احتاج وافتقر. (نهب): يقصد الغنائم في الغارة، لأنها تُنتهب. (أغرن): جواب (وكن). (الضِّباب): بطن من بني عامر بن صعصعة، والضِّباب هو معاوية بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. (حُلول): جمع حالٍّ، من حلَّ بمعنىٰ أقام، يريد أن الخيل أغارت علىٰ أولئك القوم المقيمين. (وضبَّة): أي وبني ضبَّة بن أد. (إنه من حان): من الحِين وهو الوقت، ومنه ﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾[المائدة: ١٠٦]. (حانا): من الحَين وهو الهلاك. (علىٰ بكر): بن وائل.

- **العرض:**

(١ـ ٥): **يقول**: من أعجبه أهل الحاضرة، فنحن أهل البدو، وأي أهل بدو نحن!؟ ومن اقتنىٰ الحمير وربطها في فنائه فكان عيشه منها؛ فإنَّا أرباب الغزو، وأيَّ أرباب غزو نحن؟! آلاتنا الرماح الطوال، ومراكبنا الخيول الحسان، وكانت خيلنا إذا

أغارت علىٰ ما حولها من القبائل فبددَت شملهم، وخوَّفَت آمنهم، حتىٰ لم تعد تلقىٰ الغنائم والنهب فيهم من كثرة إغاراتها عليهم؛ أغارت علىٰ أقاربهم وعلىٰ القبائل المقيمة بجوارهم، فإنه من يأت أجله يهلك، ومن قُدِّر له شيء فهو مدركه لا محالة، فنحن هكذا تعوَّدنا الغزو والإغارة لا نستطيع ترك ذلك، وإذا لم نجد في هذه القبائل من نغير عليه؛ عطفنا علىٰ بني عمنا، بني بكر بن وائل، فأغرنا عليهم، وانتهبنا منهم.

(٤٠)

وقال ابنُ رُمَيْضٍ العَنْبَرِيُّ: [من الرجز]

١. باتُوا نِيامًا وابْـنُ هندٍ لم يَنَمْ

٢. بـاتَ يُقاسِيها غُـلامٌ كالزَّلَـمْ

٣. خَدَلَّـجُ الساقَينِ خَفَّـاقُ القَدَمْ

٤. قـد لَفَّها الليلُ بـسَـوَّاقٍ حُطَمْ

٥. لـيس بِـراعِـي إِبِــلٍ ولا غَـنَـمْ

٦. ولا بـجَـزَّارٍ علىٰ ظَهْرِ الوَضَمْ

● **الكشف:**

صوابه العَنْزي، وهو رُشَيد بن رُمَيض العَنزي، من بني عنزة بن أسد بن ربيعة، وقيل من بني عنز بن وائل، وهو شاعر مخضرم مقلّ، وهذه الأبيات مشهورة، وقد تمثل ببعضها الحجاجُ في خطبته بالعراق، وتُنسَب لغير رُشيد.

وهذه القطعة قالها في غارة الحُطَم علىٰ اليمن، والحُطم هو شريح بن ضبيعة البكريّ، سمِّي الحطَم لهذه الأبيات وفيها (بسوّاقٍ حُطَم)، وخبره أنه بات يرصد غارةً علىٰ اليمن ثم شنَّها، وقتل منهم، وساق سرحـًا ونعمـًا، وقد روي أن الحطم هذا جاء النبيَّ ﷺ بالمدينة مظهراً الإسلام، وقد كان النبيُّ ﷺ قال لأصحابه: يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان، فلما دخل الحطمُ تلكّأ وقال: أنظر،

ولعلي أسلم، فلما ولىٰ قال النبيُّ ﷺ: لقد دخل بوجه كافر، وخرج بعَقِب غادر! فمرَّ الحطَمُ علىٰ سرحٍ من سرح المدينة فساقه وهرب وهو يرتجز بهذه الأبيات[1].

وهذه القطعة يصف فيها الشاعرُ هذه الغارةَ وشدَّة صاحبها.

● **البيان:**

(باتوا): يقال لكل من أدركه الليل (بات)، وإن لم ينم، ومنه ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾[الفرقان: ٦٤]. (وابن هند): هو شريح بن ضبيعة، وهند أمه. (بات يقاسيها): أي يخطط لهذه الغارة فينظر كيف يوقعها ويدبرها. (غلام كالزَّلَم): الزَّلَم القدح الذي يُستقسَم به عند العرب، ومنه ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ﴾ [المائدة: ٣]، فيقول هو غلام خفيف مُدمَج الخلق مثل الزَّلَم. (خدلَّج الساقين): غليظ الساقين، وليست هذه من الصِّفات التي تستحبُّها العرب في الفارس الشجاع، وروي مكانها (مهفهف الكشحين). (خفَّاق القدم): أي لوطئه في الأرض صوت وخفق، كناية عن ثباته وشدَّته. (قد لفَّها): قد جمعها، يعني الإبل الذي ساقها. (بسوَّاقٍ): صيغة مبالغة من سائق. (حُطَم): عنيف قوي، من الحَطم وهو الكسر، ومن ذلك قول الحق سبحانه ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴾[الهمزة: ٤]، أجارنا الله. (ليس براعي إبل ولا غنم): كناية عن عدم رفقه بالإبل والغنم، فالراعي شفيق بإبله رفيق. (ولا بجزَّار): الجزَّار هو صاحب اللحم الذي يذبح ويقطع فيبيع، وهو كذلك كناية عن شدته وعدم رفقه، فالجزَّار حريص علىٰ لحمه. (الوضَم): تقدم في بيان القطعة الحادية والعشرين.

● **العرض:**

(١-٦): **يقول:** بات القوم نياماً، أما شريح بنُ ضبيعة ابنُ هند فلم ينم، بل بات يخطط للغارة، ويدبِّر أمرها، وهو غلام خفيف سريع كأنه القدح في حركته وخفَّته،

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٣٩٧).

وهو قوي غليظ الساقين، ولصوت وطئه في الأرض خفق مسموع، فأغار وساق المواشي، وكان حال المواشي سيئـاً، فقد جمعَها الليلُ مع رجل متناهي القوة، عنيف السَّوق، يكسر ما أمامه لقلة رفقه، فليس هو براعي إبل وغنمٍ ولا بجزار لحمٍ حتىٰ يكون رفيقـاً شفيقا، بل هو رجلٌ مغوارٌ عنيف، وهو قليلُ الفكر بشأن هذه المواشي، فقد حصَّلها بالغارة، فإن سلمت فهي غُنم له، وإن تلفت فليست بغُرم عليه.

(٤١)

وقال جَعْفَرُ بنُ عُلْبَةَ الحارِثِيُّ: [من الطويل]

١. أَلَا لا أُبالي بعدَ يَوْمِي بسَحْبَلٍ إذا لم أُعذَّبْ أن يَجيءَ حِمامِيَا

٢. تَرَكْتُ بجَنْبَيْ سَحْبَلٍ وتِلَاعِهِ مُرَاقَ دمٍ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ ثاوِيَا

٣. إذا ما أَتَيْتَ الحارِثِيَّاتِ فانْعَنِي لهنَّ وخَبِّرْهن أنْ لا تَلَاقِيَا

٤. وقَوِّدْ قَلُوصِي في الرِّكَابِ فإنها ستُضْحِكُ مسرورًا وتُبْكِي بَوَاكِيَا

- **الكشف:**

تقدمت ترجمته وخبره في كشف القطعتين الرابعة والخامسة، وهذه القصيدة قالها حين لقي بني عقيل في واد باليمن اسمه (سحبل)، وقد اختار أبو تمام أبياتًا منها.

- **البيان:**

(لا أبالي): لا أكترث ولا أهتمُّ، يقال لا أبالي كذا ولا أبالي بكذا. (بسحبل): واد في اليمن، وهو الذي لقي فيه بني عقيل. (إذا لم أُعذَّب): بعذاب الله سبحانه، وهذا ظرف لقوله (لا أبالي)، أي لا أبالي إن سلمتُ من عذاب الله أن يجيء الموت، وهي جملة اعتراضية. (حِماميا): الحِمام الموت. (وتلاعِه): التِّلاع جمع تَلعة، وهي الأرض المرتفعة التي يتردد فيها السيل إلىٰ بطن الوادي. (مُراقَ دم): أي دمًا مُراقا. (ثاويا): مقيما، يقال ثوىٰ بالمكان وأثوىٰ إذا أقام، ومنه ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٤٥]، ومعلومٌ أن الدم المراق لا يبقىٰ لأيام فضلاً عن أن يبقىٰ الدهر كلَّه، ولكنه قصد أن ذِكر هذا الدم المراق بسحبل لا يزال باقيًا علىٰ الدهر.

(الحارثيَّات): نساء قومه، فهو من بني الحارث بن كعب من مذحج. (فانعَني): تقدم أن النعي والنِّعاء هو خبر الموت الذي يسير به المُخبِر بين القبائل، ولا يكثر النعاء إلا علىٰ عظيم مسوَّد، لذلك يتفاخرون به، كما قال طرفة:

فـإن مُـتُّ فانعَينـي بمـا أنـا أهلُـه   وشُـقِّي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ معبَدِ[1]

(وقوِّد قلوصي): أي قُد ناقتي، فجعل الفعل علىٰ المبالغة، والقَلوص الناقة المعدَّة للسير والرُّكوب. (ستُضحك مسروراً): أي أعداءه؛ لأنهم سيُسَرُّون بمقتله.

- **العرض:**

(**١ـ ٤**): **يقول**: قد اشتفيتُ من أعدائي في يوم سحبل، فلستُ أبالي بعد ذلك بالموت إذا لم يعذبني الله عز وجل، فإني قضيتُ إربي منهم، وتركتُ بجنبي وادي سحبل وعند مسايل مياهه دماً مُراقاً سيُخلَّد ذكرُه أبدَ الدَّهر، فإذا أتيت نساءَ بني الحارث فاذكر لهنَّ موتي، وأخبرهنَّ أن لا تلاقي بعد اليوم، وأكثر قَود ناقتي وركوبها، فإن أعدائي سيشمتون لرؤيتها بموتي ضاحكين، أما الأهل والأحبة فسيغتمُّون ويكثر توجُّعهم باكين، فلا ينساني بذلك أحد.

---

(١) شرح القصائد العشر (١٥٤).

(٤٢)

وقال آخَرُ (خالدُ بنُ نَضْلةَ): [من الطويل]

١. لعَمْري لَرَهْطُ المرءِ خيرٌ بَقِيَّةً ... عليه وإنْ عالَوْا به كلَّ مَركَبِ

٢. مِنَ الجانبِ الأقصىٰ وإنْ كان ذا غِنًىٰ ... جزيلٍ ولم يُخْبِرْك مِثلُ مُجَرِّبِ

٣. إذا كنتَ في قومٍ ولم تكُ منهمُ ... فكُلْ ما عُلِفْتَ مِن خبيثٍ وطيِّبِ

• **الكشف:**

هو خالد بن نضلة بن الأشتر الأسدي الفقعسيُّ، من بني فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين من بني أسد، شاعر جاهلي، وكان سيِّداً مطاعـاً في قومه.

وهذه القطعة يذكر فيها أن قوم الرجل خيرٌ له من غيره، وأن بقاءه في قومه عزٌّ له أيـاً كان حالهم، أما الأجانب فلا تؤمن ناحيتهم، فالحكمة مداراتهم وإظهار موافقتهم.

• **البيان:**

(لعَمري): بفتح العين، أي لَحياتي، والعَمر والعُمر واحد، إلا أن العرب أجمعَت علىٰ فتح العين في القسَم، وهو قسَمٌ كثير الجريان علىٰ لسان العرب يُقصَد به التأكيد، قال الحق سبحانه ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[الحجر: ٧٢]، قال ابن عباس: (ما حلف اللهُ بحياة أحدٍ إلا بحياة محمد ﷺ)[١]. (لرهط المرء): الرَّهط ما دون العشرة من القوم، ومنه ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ [النمل: ٤٨]. (بقيةً): تمييز منصوب. (وإن عالَوا به): أي أعلوه ورفعوه عاليا. (كلَّ مركبِ): يريد كل مركب

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥٢٦).

مذموم مُستكرَه. (من الجانب الأقصىٰ): متعلق بـ(خيرٌ بقيةً)، والجانب الأقصىٰ أي البعيد، ومنه ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[القصص: ٢٠]، ويعني بهم الغرباء من غير قومه. (وإن كان): المرءُ (ذا غنىٰ جزيل): أي مكتفياً غير محتاج، ومعظَّماً غير مُنتقَص. (ولم يخبرك مثل مجرّب): جملة اعتراضية للتوكيد، أي وكلامي هذا صادر عن تجربة وخبرة. (عُلفتَ): غُذِّيتَ به، وأصل العَلْف تغذية الدواب. (من خبيث وطيّب): أي أظهر موافقتهم في أمرهم أيّا كان، وهذا مثل قول العرب (إذا كنتَ في قومٍ فاحلُب في إنائهم)[1].

- **العرض:**

(١-٣): يقول: وحياتي إن أهل الرجل وقومه -وإن أركبوه المراكب الصعبة المكروهة- خيرٌ له وأحسنُ إبقاءً عليه مِن الغريب الأبعد، حتىٰ وإن كان الرَّجلُ غنياً في نفسه، مكتفياً عن غيره، إلا إن قومه أحفظُ لعهده، وأرعىٰ لوُدِّه، فلا تغترَّ بالأباعد واحذر جانبهم، وإن كنت في قومٍ ليسوا قومك فأظهر موافقتهم في كل الأمور، ولا تخالفهم في شيء.

فعزُّ الإنسان في قومه ووطنه، (والغريبُ النَّائي عن بلده، المتنحِّي عن أهله؛ كالثَّور النادِّ عن وطنه، الذي هو لكلِّ رامٍ قنيصة)، (وشبَّهت الحكماءُ الغريبَ باليتيمِ اللَّطيم الذي ثكِلَ أبويه، فلا أَمَّ ترأمُه، ولا أبَ يحدبُ عليه)[2].

---

(١) مجمع الأمثال (٢٨٢).

(٢) انظر: رسائل الجاحظ (٢/ ٣٨٥)، المحاسن والأضداد (٨٧).

(٤٣)

وقال البَعِيثُ بنُ حُرَيْثِ بنِ جابرٍ: [من الطويل]

١. خَيَالٌ لأمِّ السَّلْسبيلِ ودُونَها مَسِيرةُ شهرٍ للبَرِيدِ المُذبذَبِ

٢. فقلتُ لها أهلًا وسَهْلًا ومَرْحبًا فرَدَّتْ بتأهيلٍ وسَهْلٍ ومرحَبِ

٣. مَعَاذَ الإلـهِ أن تكونَ كظَبْيةٍ ولا دُمْيةٍ ولا عَقِيلةِ رَبْرَبِ

٤. ولكنَّها زادتْ علىٰ الحُسْنِ كُلِّه كمالًا ومِن طِيبٍ علىٰ كلِّ طيِّبِ

٥. وإنَّ مَسِيري في البِلادِ ومَنْزلي لَبالمَنْزِلِ الأقصىٰ إذا لم أُقَرَّبِ

٦. ولستُ وإن قُرِّبتُ يومًا ببائعٍ خَلَاقي ولا قَوْمي ابتغاءَ التحبُّبِ

٧. ويَعْتدُّهُ قومٌ كثيرٌ تجارةً ويَمنَعُني مِن ذاك دِيني ومَنصِبي

٨. دعاني يزيدُ بعدما ساءَ ظنُّه وعَبْسٌ وقد كانا علىٰ حَدِّ مَنْكَبِ

٩. وقد عَلِما أنَّ العشيرةَ كلَّها -سِوَىٰ مَحْضَري- مِن خاذِلين وغُيَّبِ

١٠. فكنتُ أنا الحامي حقيقةَ وائلٍ كما كان يَحمي عن حقائقِها أبي

- **الكشف:**

هو البَعيث بن حُريث بن جابر، من بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، شاعر إسلامي مُحسِن، ولو لم يقل إلا هذه القطعة لكان مُحسنا، وكان أبوه حريث سيِّداً في قومه، وقال بعضُ شرَّاح الحماسة إن عمَّه هو موسىٰ بن جابر الحنفي، الشاعر المخضرم الحماسيُّ، وليس بصحيح، بل الجابران أبناء عمومة.

وهذه القصيدة يفخر فيها ويذكر خصاله ومآثره، وشجاعته وإقدامه، إلا أنه ابتدأ قصيدته بذكر محبوبته، ومرور طيفها الذي ذكَّره بها، (وللشعراء مذاهبُ في افتتاح

القصائد بالنَّسيب؛ لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القَبول بحسب ما في الطِّباع من حُبِّ الغزَل، والميل إلىٰ اللهو والنِّساء، وذلك استدراج إلىٰ ما بعده)[1].

وأمَّا ذكرُ الخيال والطَّيف، وزيارته ولقائه، فمستفيض في أشعار العرب، يذهبون فيه المذاهب، ويفتنُّون في استجلاب القول فيه، وأنزلوه بمنزلة صاحبه، فخاطَبوا الخيال وعاتبوه، حتىٰ قيل إن أول من طرَد الخيال طرفةُ إذ يقول:

فقل لخَيال الحنظليَّة ينقلب إليها فإنِّي واصلٌ حبلَ مَن وصَلْ[2]

وقوله هذا فيه جفاء وغلظة لا تناسب ذِكر الخيال، وعجبًا له إذ بكىٰ قبل هذا البيت وبعده، فليته رقَّ للخيال! ثم إنَّ ذِكر الخيال وطروقه فشىٰ فيمن بعدهم، حتىٰ بلغ لسانَ البحتري، فأحسن لوكَه، وأكثرَ من ذكره، وابتدعَ فيه المذاهبَ الحسان، حتىٰ ضُرب به المثل فقيل (خيال البُحتريِّ)، وقد أدرك هو أن خيال محبوبته ما ينفكُّ يسري إليه! فقال:

أجِدَّك ما ينفكُّ يسري لزينبا خيالٌ إذا آبَ الظَّلامُ تأوّبا؟[3]

وللشريفِ المرتضىٰ رسالة ماتعة سمَّاها (طيف الخيال)، أوردَ فيها شواهد بديعة، وتكلم فيها بكلامٍ حسَن.

- **البيان:**

(خيال): قد يُستدلُّ به علىٰ جواز الابتداء بالنكرة في هذه الحال، وخبر الابتداء محذوف، تقديره جملة (أتاني) أو نحوها. (لأم السلسبيل): كنية امرأة. (ودونها): أي وبيني وبينها. (للبريد): يريد الدابَّة، وأصل البريد المكانُ الذي يرتاح فيه الرُّسُل في سيرهم ويُبرِدون فيه من الحرِّ، ثم سمَّوا الرسولَ بريدا، والدابةَ التي يركبها بريدا، والمسافة بين هذا المكان ومثله بريدا. (المذبذب): التذبذب الاضطراب والسرعة،

(١) العمدة لابن رشيق (١/ ٢٢٥).
(٢) الأشعار الستة الجاهلية (٥٠٤).
(٣) ديوان البحتري (١٩٦).

قال الحق سبحانه ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[النساء: ١٤٣]. (أهلاً): أي نزلتِ أهلاً. (وسهلاً): أي وطئتِ سهلاً. (ومرحبًا): المرحَب مفعَل مأخوذ من الرّحب وهو الواسع، أي حللتَ مكانـًا رحبـًا، قال الحق سبحانه ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾[ص: ٥٩]، فهذه كلها كلمات تقال لحسن الاستقبال، انتصبت بفعل مُضمَر. (معاذ الإله): أي أعتصم بالإله من ذلك الأمر، ومعناه الامتناع عنه، وانتصب علىٰ أنه مفعول مطلق لفعل محذوف، وقيل إن اسم (الله) أصله (الإله)، و(الإله) فِعال بمعنىٰ مفعول، ككِتاب بمعنىٰ مكتوب، فالإله أي المألوه وهو المعبود. (كظبية): حيوان قريب من الغزال، والعربُ تشبِّه الأنثىٰ بهما جميعا. (دمية): الصورة المنقوشة من العاج ونحوه، يُبالَغ في تحسينها وتجويدها. (عقيلة ربرب): الربرب القطيع من بقر الوحش، وهو نوع من غزلان المها، والعقيلة الكريمة، فعقيلة النساء كريمتهنَّ، وعقيلة بقر الوحش كريمتهنَّ. (مسيري): مكاني الذي أسير به. (ومنزلي): مكاني الذي أنزل فيه. (لبالمنزل الأقصىٰ): لهو أبعد المنازل. (لم أُقرَّب): يعني التقريب المعنوي، وهو الإكرام والتعظيم، ومنه ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[الأعراف: ١١٤]. (خلاقي): نصيبي من الشرف والخير، والخلاق النصيب، قال الحق سبحانه ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[البقرة: ٢٠٠]. (ابتغاءَ التحبُّب): مفعول لأجله. (يزيد): رجل من قومه استغاث به. (وعَبس): رجل من قومه كذلك. (حدِّ منكَب): بفتح الكاف أي حدِّ نكبة وهلاك، نحو ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾[التوبة: ١٠٩]، وروي (منكِب)، فيكون معناه أنهما كانا هاجرَين لي ومعرضَين عني، يقال فلان معي علىٰ حدِّ منكِب، أي كلما رآني أشاح بوجهه وتنكَّب عنِّي. (العشيرة): يعني قومهم، وعشيرة المرء قومه، سموا بذلك لأنهم معاشرين له في الغالب، قال الحق سبحانه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]. (محضري): أي حضوري بنفسي. (وغُيَّب): جمع غائب. (الحامي حقيقة وائل): أي المدافع عنهم، والذاب عن عرضهم، وفي انتسابه

إلىٰ أبيه الأعلىٰ (وائل) زيادة فخر، وكان الوجه أن يقال (الحاميَ)، إذ خبرُ الكون منصوب، ولكنه سكَّن الياء ضرورة.

- **العرض:**

(١ـ ٤): **يقول**: خيالٌ لهذه المرأة أتاني وزارني، وبيني وبينها مسيرة شهر للبريد المُسرِع المُستعجِل! فأظهرتُ الطلاقة، وأبديتُ البشاشة، فعلَ المتشوِّق إلىٰ لقائها، ورحَّبتُ بهذا الخيال وقلتُ: أتيت أهلاً لا غرباء، ووطئتَ سهلاً لا حزنا، وحللتَ رحبًا لا ضيِّقا، وإني أعوذ بالله أن أشبِّه محبوبتي بالظبية أو بالدمية أو ببقر الوحش، فهذه الأشياءُ دونها، وقاصرة عن رتبتها، وأما محبوبتي فيزيدُ حُسنها علىٰ كل حسن، وجمالُها علىٰ كل جمال، وطيبُها علىٰ كل طيب.

واعلم أنَّ العربَ إذا شبَّهت المرأة بشيء طلبت كلَّ ما تستحسنه العين فأسقطتْه عليها، فتشبهها بالقمر والبدر والنخلة والظبية والغزال والدرِّ وغير ذلك، (وقد علِمَ الشاعرُ وعرَف الواصفُ أن الجارية الفائقةَ الحُسن أحسنُ من الظبية، وأحسنُ من البقرة، وأحسنُ من كل شيء تُشبَّه به، ولكنَّهم إذا أرادوا القول شبَّهوا بأحسن ما يجدون، ويقول بعضهم: كأنها الشمس! وكأنها القمر! والشمسُ وإن كانت بهيةً فإنما هي شيء واحد، وفي وجه الجارية الحسناء وخَلقها ضروب من الحُسن الغريب، والتركيب العجيب، ومن يشكُّ أن عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة؟! وأن جيدها أحسن من جيد الظبية؟! والأمر فيما بينهما متفاوت، ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشِبهه لم تظهر بلاغتُهم وفطنتُهم)[1].

(٥ـ ٧): **يقول**: وإن مكاني الذي أسير فيه من البلاد، وموضعي الذي أنزل فيه من الديار؛ لَأبعدُ المنازل وأهونُ المساير إذا لم يلحقني فيه تقريب وتعظيم، ولستُ -وإن أُدنيتُ وبُجِّلتُ- ببائعٍ نصيبي من شرفي، وموضعي من عشيرتي، طلبـًا للتحبب

---

(١) رسائل الجاحظ (٣/ ١٥٨).

لمن أجاوره، وطمعاً فيما يعدُّه لي من إكرام، وإنَّ هذا -الذي آنفُ منه وأتنزَّه عنه- يعدُّه قوم كثير تجارةً رابحة! وصفقةً نافعة! أما أنا فيزهِّدني فيه شرفي وديانتي، إذ هما أعزُّ عليَّ وأكرم عندي من كل مبذول.

(٨ـ ١٠): يقول: دعاني رجلان من قومي وقتَ الحاجة، واستغاثا بي وقتَ الكرب، وقد ساء ظنهما بي بعدما أساءا إليَّ وآذياني، لكنَّهما لما رأيا أنَّهما علىٰ حافة الهلاك؛ علما أني أنا القادر علىٰ تلبية ندائهما، وإجابة دعوتهما، وقد علما أن القوم كلهم -سواي- ما بين شاهدٍ لا ينصر، وغائبٍ لا يحضر، وأن النصرة لا توجد إلا عندي، فأعنتهما علىٰ ضعف رجائهما، وتسلط الظنون السيئة عليهما، جارياً علىٰ الخصال الحميدة التي ورثتها عن آبائي من النصرة في المواطن والذب عن الأعراض.

(٤٤)

وقالَ المُثَلَّمُ بنُ رِيَاحٍ: [من الطويل]

١. مَنْ مُبلِغٌ عني سِنانًا رِسالةً وشِجْنةَ أنْ قُومَا خُذا الحقَّ أوْ دَعَا

٢. سأكْفِيكَ جَنْبِي وَضْعَهُ ووِسادَهُ وأغضَبُ إن لم تُعْطِ بالحقِّ أشْجَعَا

٣. تَصيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فينا وفيهِمُ صِياحَ بَنَاتِ الماءِ أصبَحْنَ جُوَّعَا

٤. لَفَفْنا البيوتَ بالبيوتِ فأصبحوا بني عمِّنا مَنْ يَرْمِنا يَرْمِنا مَعَا

● **الكشف:**

هو المثلَّم بن رياح بن ظالم المرِّي، من بني مرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، شاعر جاهلي، كان رجلاً شريفًا في قومه، وهو من بني مرَّة بن عوف.

والمشهور في نسبهم ما ذكرناه، ولكن بعض النسَّابين من قديم يزعمون أن بني مرة من قريش، وذلك أن لؤي بن غالب بن فهر كانت له امرأة من غطفان، فزعموا أنه مات وقد وُلد له عوف، ثم إنها ذهبت إلىٰ أهلها بغطفان، فتزوجها سعدُ بن ذبيان وتبنَّىٰ عوفًا، حتىٰ إن الحارث بن ظالم المرِّي الفاتك الجاهلي المشهور ادعىٰ ذلك فقال:

فما غطَفانُ لي بأبٍ ولكن لؤيٌّ والدي قولاً صوابا[1]

والمشهور أنهم من غطفان، ولمَّا كبر عوفٌ عند سعد زوَّجه سعدٌ بينت أخيه، هند بنت فزارة بن ذبيان، فولدت هندٌ مُرَّة، فكان مرَّة ينتسب حينًا لفزارة من جهة أمه، وحينًا لسعد من جهة أبيه.

---

(١) انظر القصيدة كاملة في المفضليات (٨٩) فهي تدور حول هذا.

وخبرُ هذه الأبيات هو ما جرىٰ بعد يوم (الرَّقَم)، ويوم الرَّقَم يومٌ لغطفان علىٰ بني عامر بن صعصعة، وذلك أن بني عامر غزت غطفانَ، فتصدَّت بنو فزارة وبنو مرَّة لهم، فهزمتهم، وأصابت منهم أربعة وثمانين رجلاً أسيرا، فدفعوا أسراهم إلىٰ أهل بيتٍ من أشجع بن ريث بن غطفان حتىٰ يحفظوهم إلىٰ أمد، فجعل رجلٌ من بني أشجع اسمه عُقبة يقتل الأسارىٰ واحداً تلو الآخر، حتىٰ سُمِّي (المُذبِّح)، ثم جاء بنو فزارة وبنو مرة يطلبون أسراهم فوجدوا عقبة قتلهم! فاغتاظوا لذلك وأرادوا قتله، فاستجار عقبةُ بالمثلَّم بن رياح المرِّي، فأجاره ومنعه، فقال سنان بن أبي حارثة المرِّي:

من مبلغٌ عنِّي المثلَّمَ آيةً ... وسهلاً فقد نفَّرتمُ الوحشَ أجمعا

همُ إخوتي ديناً فلا تقربنَّهم ... أبا حشرجٍ وافحص لجنبيك مضجعا

فأجابه المثلَّم بهذه القطعة علىٰ ذات الرويِّ، يخبره أنه سيكفيه جنبه الذي أراد، علىٰ أن يعدل ولا يعتدي علىٰ بني أشجع الذين هم أبناء عمومتهم، وشركاؤهم في السلم والحرب، وللمثلم مع سنان قصائد مشهورة، وصولات مذكورة، بعضها في المفضليات.

- **البيان:**

(مَن مبلغٌ): من مُخبرٌ ومُعلمٌ؟ والبلاغ الإعلام، ومنه ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]. (سنانًا): هو ابن أبي حارثة المرِّي، والد هرِم بن سنان، وقد مدحَهما زهير. (وشجنة): سيد من سادات مرّة كذلك، وهذا علىٰ طريقة سنان فإنه قال له (وسَهلاً) فأراد أن يقابله بمثل قوله. (قوما خذا الحق): المقصود (خذا الحق)، وفعل القيام ليس مقصودا، وهذا جار علىٰ مذهب العرب في التوسع في تصوير الحال، فيُقال: قم فأعطني حقي، والمقصود العطيَّة ولو جالساً، ويقال قام يهزأ

يهزأ به، أي هزئ به ولو جالساً، كما قال سبحانه: ﴿لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٣]، قال ابن جرير في تفسير الآية: (وخرُّهُ عليها كذلك: إقامته على الكفر، وذلك نظير قول العرب: سببتُ فلاناً فقام يبكي، بمعنى فظلَّ يبكي، ولا قيامَ هنالك... وقد جرى على ألسن العرب حتى قد فهموا معناه، وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول: قعد يشتمني، كقولك قام يشتمني، وأقبل يشتمني)[1]. (سأكفيك جنبي): ردّاً على قول سنان (وافحص لجنبيك مضجعا)، فيقول: سأكفيك أمري وكل ما يخصني، يقال كفاك فلانٌ جنبَه، أي كفاك أمرَه، قال الحق سبحانه ﴿مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر: ٥٦]، أي في أمر الله. (وضعَه ووِساده): كناية عن عدم التعرّض له، أي لن أتعرَّض لشيء من أمرك، ولن أكلِّفك شيئاً من أمري. (تُعطِ بالحق): أي تُعامِل بالعدل والإنصاف، فالفعل (تُعط) مضمَّنٌ الفعل (تُعامِل). (أشجعا): أي بني أشجع بن ريث. (تصيح الردينيَّات): الردينيَّات رماحٌ منسوبة إلى امرأة اسمها (رُدَينة)، كانت هي وزوجها (سَمهَر) يقوِّمان الرماح، فنُسبت لكل منهما، فيقال: رمح رُدينيٌّ وسَمهريٌّ، وقوله (تصيح) مبالغة حسنة في تمثيل صوت الطعان، فيقول إنهم يُطاعنون سويًّا في الحروب، ويُطعَن فيهم معا، فهم دائما في صف واحد. (بنات الماء): ما يألف الماء من الطير والضفادع، وصوتهنَّ عند الماء صاخب مختلط، وقد تقدم في بيان القطعة السابعة عشرة أن العرب تسمي الشيء بما يلازمه. (جوَّعا): جمع جائع، وهذا أدعى إلى زيادة الصياح. (لففنا البيوت بالبيوت): أي خلطنا بيوتنا ببيوتهم جميعاً، قال الحق سبحانه ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ [الإسراء: ١٠٤]. أي جميعا. (من يرمنا يرمنا معا): أي من يصب واحداً منا فكأنما أصابنا جميعاً، وهذا رد على قول سنان (همُ إخوتي ديناً فلا تقربنَّهم)، أي هم كذلك إخوتي وعشيرتي.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٣١٧).

- **العرض:**

(١ـ٤): يقول: مَن يؤدي عني رسالةً يخبر بها سنانـًا وشجنة أن هذا هو الحق؟ فإما أن تقبلاه أو فاتركاه فليس عندي لكما غيره، وسأكفيك يا سنان ما يخصُّني، واعلم أنِّي لن أضايقك في شأنك، ولن أكلفك العناية بأمري؛ متىٰ حفظتَ حقَّ بني أشجع، أما إن غمطتهم حقَّهم، وأردت الاعتداء عليهم فإني سأغضب لذلك، فإن بني أشجع منَّا وفينا، وهم كذلك يغضبون لنا، ونخوض الحروب معا فما تدري أينا أشد بلاء من شدة التحامنا، ونكثر طعن الأعداء بالرماح، ويكثر الطعن فينا حتىٰ تخال صوتها صياحـًا نحو صياح بنات الماء الجوَّع! فإننا وبني أشجع كاليد الواحدة، خلطنا البيوت مع بعضها فغدونا عشيرةً واحدة، فمن أصاب من أحدنا رجلاً كان كأنه أصابنا جميعـًا.

(٤٥)

وقال بَشَامةُ بنُ الغَدِيرِ: [من الكامل]

١. ولقد غضِبْتُ لِخِنْدِفٍ ولِقَيْسِها ... لَمَّا وَنَىٰ عن نَصْرِها خُذَّالُها

٢. دافَعْتُ عن أعراضِها فمَنَعْتُها ... ولَدَيَّ في أمثالِها أمثالُها

٣. إني امرُؤٌ أَسِمُ القصائدَ للعِدَا ... إنَّ القصائدَ شَرُّها أَغْفالُها

٤. قَومي بنو الحَرْبِ العَوانِ، بجَمْعِهم ... والمَشْرَفِيَّةِ والقَنَا إشعالُها

٥. ما زال معروفًا لمُرَّةَ في الوَغَىٰ ... عَلُّ القَنَا، وعليهمُ إنهالُها

٦. مِن عهدِ عادٍ كان معروفًا لنا ... أَسْرُ المُلوكِ وقَتلُها وقِتالُها

• **الكشف:**

هو بشامة بن عمرو بن معاوية بن الغدير، من بني مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، شاعر جاهلي، سيِّد من سادات قومه، وكان رجلاً مُقعَدا، موصوفًا بالرأي والحزم، فكانت غطفان تستشيره، وتصدر عن رأيه، ثم تقسم له من الغنائم، وكان أشعرَ غطفان في زمانه، وهو خالُ زهير بن أبي سُلمىٰ، وانقطع زهيرٌ إليه فنبغ في الشعر، وقيل إن القطعة لغيره.

وهذه القطعة يذكر فيها الشاعر أنه غضِب لبني مضر إذ خُذلوا فلم يُنصروا، فنصرهم هو، ولم يُذكَر لهذه القطعة خبر، ولكن سياق القطعة يحتمل أن مُضرَ قد هُجوا بالشِّعر هجاءً مُقذِعا، ورُموا بالضعف والجبن، فانتصر بشامةُ لمضر، وقال القصائدَ في مدحهم، وذكر أنهم هم أهل الشجاعة والبأس، ثم أثنىٰ علىٰ قومه بني مرَّة بن عوف خاصَّة، فإن الدفاع باللسان يقوم مقام الدفاع بالسنان، كما قال امرؤ القيس

(وجُرحُ اللسانِ كجُرح اليدِ)[1]، وقال طرفة بن العبد:

بحُسـامِ سـيفِك أو لسـانِك والـ ـكَلِمُ الأصيـلُ كأرغَـبِ الكَلْـمِ[2]

- **البيان:**

(لخِندف): تقدَّم في مقدمة النسب أنها زوجُ الياس بن مضر، وأبناؤها إليها ينتسبون، واسمها ليلىٰ بنت حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة، وسمِّيت خِندِف لأنها قالت لزوجها يوماً: ما زلتُ أُخندف في أثركم -والخَندفة مِشية كالهرولة- فقال لها: وأنتِ خِندِف. (ولقيسها): أي قيس عيلان، وتقدم أن مضر نسلان: ولد خندف، وولد قيس عيلان. (ونىٰ): ضعُف وتخاذل، يُقال ونىٰ يني وَنيا. (أعراضها): تقدم في بيان القطعة السابعة. (فمنعتُها): ذببتُ عنها. (أمثالِها): من المواقف. (أمثالُها): قصائدُ أمثالها ينصرهم بها. (أسِمُ): أي أضع سِمة، والسّمة العلامة، ومنه ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾[القلم: ١٦]، وشِعرُ المرء سِمةٌ له. (أغفالُها): الغُفْل ما ليس فيه علامة، فلا يُعرَف، يُقال: ناقة غُفل أي لا يُعرَف صاحبُها، وجمعه أغفال. (الحرب العَوان): العَوان ما افتُضَّت بكارتُها، فليست بصغيرة ولا كبيرة، قال الحق سبحانه ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾[البقرة: ٦٨]، ويعني الشاعرُ بذلك الحربَ الشديدة التي قوتل فيها مرَّة بعد أخرىٰ، فكأنَّها صارت عواناً بعد أن كانت بكرا، وهذا مجاز. (والمشرفيَّة): والسيوف، منسوبةً إلىٰ المشارف وهي قُرىً باليمن كانت تُجلب منها السُّيوف. (والقنا): والرِّماح. (إشعالُها): هذا مُتعلَّق الباء السابقة في قوله (بجمعهم). (لمرَّة): بن عوف بن سعد بن ذبيان. (الوغىٰ): تقدم أنها الحرب. (علُّ): العَلُّ والعَلَلُ هو الشربة الثانية بعد النهَل. (وعليهم إنهالُها): أي وواجب عليهم كذلك إنهالُها، والإنهال أولُ الشرب، وكثيراً ما تُقابل العرب بين العلِّ والنهَل. (عهد عاد): هم

---

(١) الأشعار الستة الجاهلية (٢٠٤).

(٢) الأشعار الستة الجاهلية (٥٠٦).

القوم المعروفون، والعربُ تضرب بهم المثل في القِدَم، وسمَّاها الله سبحانه الأولىٰ فقال: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠]، وهي أول العربِ البائدة ذِكرا. (وقِتالُها): القتال يتقدَّم القتل في الفعل، لكنه لم يبالِ بالترتيب، فإن الواو لا تقتضي ترتيب المتعاطفات.

- **العرض:**

(١ـ ٣): **يقول**: لقد غضبتُ لِما أصاب بني مضر من الخذلان حين احتاجوا إلىٰ النصرة، فلم ينصرها من أبنائها أحد، فلمَّا رأيتُ نصرتهم واجبةً انتخبتُ نفسي، وقمتُ أذبُّ عن أعراضهم بشِعري، وأذود عن حماهم بلساني، ولديَّ في أمثال هذه المواقف من النصرة أمثالُ هذه القصيدة التي نصرتُ بها قومي، فإني شاعر لا يشقُّ له غبار، وإذا قلتُ القصيدة فإني أجعل فيها من العلامات ما يُعرف به شاعرُها وسببُها ومَن قيلت فيه، فلا تُنسَب لغيري، وشرُّ الشعر ما ليس فيه علامة يُعرف بها صاحبُه.

(٤ـ ٦): **يقول**: إن قومي هم أصحاب الحروب المجرَّبين، وإخوان الشرِّ المعروفين، يخوضون الحروب الشديدة مرَّة بعد أخرىٰ، وباجتماع قومي واجتماعِ آلات الحرب يشتعلُ نارُها، ويعلو رهجُها، وما زال معروفـاً من قديم أن عادة قومي سقيُ الرِّماح علَلاً بعد نهَل، ولطالما شربَت رماحُنا من دماء أعدائنا، ونحن لشجاعتنا لا نخوض الحرب مع أي أحد، وإنما مع الملوك وعِلية القوم، فنقاتلهم ونقتِّلهم ونأسر منهم.

(٤٦)

وقال أرطاةُ بنُ سُهَيَّةَ المُرِّيُّ: [من الطويل]

١. ونحنُ بَنُو عَمٍّ علىٰ ذاكَ بَيْنَنا زَرَابيُّ فيها بِغْضةٌ وتَنافُسُ

٢. ونحنُ كصَدْعِ العُسِّ إنْ يُعْطَ شاعِبًا يَدَعْهُ وفيه عَيْبُهُ مُتَشاخِسُ

٣. كَفَىٰ بَيْنَنا ألَّا تُرَدَّ تَحِيَّةٌ علىٰ جانبٍ ولا يُشمَّتَ عاطسُ

• **الكشف:**

هو أرطاة بن زُفَر بن عبد الله الغطفانيُّ المريُّ، من بني مرة بن عوف من غطفان، وأمه سُهيَّة بنت زامل من بنات كلب بن وبرة، فنُسب إليها، وهو شاعر فصيح، وفارس مخضرم من المعمِّرين، دخل علىٰ عبد الملك بن مروان وعمره ١٣٠ سنة، وكان شريفاً جوادا.

وهذه قطعة يذكر فيها ما جرىٰ بينه وبين ابن عمه من الجفاء والقطيعة مما لا يليق بأبناء العمومة.

• **البيان:**

(زرابيُّ): بُسُط ملوَّنة، واحدها زربيَّة بتثليث الزاي، وهو البساط الملوَّن، قال الحق سبحانه ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[الغاشية: ١٦]، وهي هنا مجاز، كما يُقال: اطوِ بساطَ الشرِّ بيني وبينك، وزعم بعضُهم أن أكثر العلماء لم يعرفوا معنىٰ الزرابيِّ هنا، وقال بعضُهم: (الصواب: زآنب، أي قوارير)[1]. (بِغضة): تباغض. (وتنافُس): التنافس هو ما يجري بين المتسابقين والمتقاتلين ونحوهم من السعي لدفعِ شيء أو الظفر

(١) معاني أبيات الحماسة للنمري (٨٤)، وإصلاح ما غلط فيه النمري (٧٢).

به، قال تعالىٰ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦]، وذكرَه هنا وقصد به التحاسد لأنه كثيراً ما يصحبُ التنافس. (كصَدع): الصدع الكسر والشرخ، ومن أمثال العرب (كصَدع الزجاجة)[1]، كناية عن الكسر الذي لا يلتئم. (العُسِّ): القدح الضخم من خشب. (شاعبًا): الشاعبُ ما يصلح به الصَّدع، (يُقال شَعبتُ الأمر إذا أصلحته، وشَعبتُه إذا أفسدته أيضـًا، وهذا من الأضداد)[2]. (مُتشاخسُ): متمايل ومتباين. (علىٰ جانب): أي علىٰ واحد منا. (يُشمَّت عاطسُ): التشميت هو قولك للعاطس (يرحمك الله)، ويشير إلىٰ القطيعة والجفاء.

- العرض:

(١-٣): **يقول**: نحن أبناء عم، وعلىٰ ما بيننا من القرابة والرَّحِم فقد فُرِشت بيننا بُسط الشرِّ التي امتلأت بُغضـًا وحسدا! واستحكم الفساد بيننا حتىٰ لا يقبل صلحـًا ولا إصلاحا، فكأننا شرخ في قدح، مهما تقوِّمه وتشعَبه لا يستقيم وينشعب، ويكفيك من الشرِّ بيننا أن الواحد منَّا إذا سلَّم لم يردَّ عليه صاحبُه، وإن عطس أحدنا لم يشمِّته الآخر! فالخرق متسع.

---

(١) مجمع الأمثال (٢٧٨٤).

(٢) الألفاظ الكتابية للهمذاني (٢).

(٤٧)

وقال محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الأَزْديُّ: [من الطويل]

١. لا أدفعُ ابنَ العمِّ يَمْشي علىٰ شَفًا وإنْ بلَغَتْني مِن أذاهُ الجَنادِعُ

٢. ولكنْ أُواسِيه وأنسَىٰ ذُنُوبَه لِتَرْجِعَه يومًا إليَّ الرَّواجِعُ

٣. وحَسْبُك مِن ذُلٍّ وسُوءِ صَنيعةٍ مُناواةُ ذي القُرْبَىٰ وإنْ قِيلَ قاطعُ

• **الكشف:**

هو محمد بن عبد الله بن حوالة الأزدي، أبوه صحابي من أهل الصُفَّة، وبه كان يُكنىٰ، نزل أبوه الأردن فكان يُقال له (أبو حوالة الأردني، وأبو محمد الشامي)، ومحمد من أفاضل التابعين، وقيل إنَّه غير هذا.

ويذكر في هذه القطعة أنه يكنُّ الودَّ لابن عمه، ويحتمل إساءته، ولا ينتقم لنفسه منه، فإن شرَّ الناس قاطعُ رحِمِه.

• **البيان:**

(علىٰ شفًا): الشفا حرفُ الشيء وطرَفُه، ومنه ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، أي علىٰ حدِّ حُفرة يكاد يسقط منها، وجملة (يمشي علىٰ شفا) في موضع الحال. (الجنادعُ): أصل الجنادع هوامُّ الأرض، وهي تشبه الجنادب تكون في جحر الضبِّ، فإن حفرتَ لتبلغ الضبَّ فكدتَ تنتهي إليه بدت الجنادع، وهي هنا استعارة لظهور الشرِّ، والعربُ تقول (بدت جنادعُه)[1]، إذا ظهر الشرُّ منه. (أواسيه): المواساة التخفيف من المصيبة، وتجلية الحزن، والأسىٰ تقدم بيانُه في القطعة الثانية

(١) مجمع الأمثال (٥٠٠).

والعشرين. (لِتَرجِعَه): تقدَّم في بيان القطعة الثانية. (وحسبُك من ذل): أي وكافيك من ذلٍّ، قال الحق سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾[الأنفال: ٦٤]، أي كافيك الله. (مناواة): أصلها المناوأة، والنَّوء النهوض، والمناوأة النهوض بالعداوة. (وإن قيل قاطع): أي وإن قطعوك وجفوك.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: إني إذا رأيتُ ابنَ عمِّي أشرف علىٰ مصيبة، وأوشك علىٰ العطب، وكان قد آذاني وأظهر لي الشر؛ لم أدفعه في صدره متحاملاً عليه، ولا أخذله في أمره، وإنما أقوم له، وأخفف حزنه، وأجلِّي همه، وأنسىٰ ما كان اقترفه من ذنب، لعل ذلك الفعل مني يردُّه علىٰ ما كان عليه من الودِّ والعَطف، ويكفيك من سوء الفعل واكتساء الذل أن تعادي أقاربك وتهجرهم، وإن كانوا قاطعين وعاقِّين، فلا يحسن منك ذلك، بل احتملهم.

(٤٨)

وقال عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ: [من الطويل]

١. لَحَىٰ اللهُ صُعْلُوكًا إذا جَنَّ ليلُهُ مُصافِي المُشاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزِرِ

٢. يَعُدُّ الغِنَىٰ مِن نفسِه كُلَّ ليلةٍ أَصابَ قِرَاها مِن صديقٍ مُيَسِّرِ

٣. يَنامُ عِشاءً ثم يُصبِحُ ناعِسًا يَحُتُّ الحَصَىٰ عَنْ جَنبِه المُتعَفِّرِ

٤. ولكنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحةُ وجهِه كضَوءِ شِهابِ القابسِ المُتَنَوِّرِ

٥. مُطِلًّا علىٰ أعدائه يَزْجُرُونَهُ بساحَتِهم زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

٦. إذا بَعُدوا لا يأمَنُون اقترابَه تَشَوُّفَ أهلِ الغائبِ المُتَنظَّرِ

٧. فذلك إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَها حَميدًا وإن يَسْتَغْنِ يومًا فأجْدِرِ

● **الكشف:**

هو عروة بن الورد بن زيد العبسي، فارسُ عبس المعروف، وشاعرُها المقدَّم، كان شجاعـًا جوادا، وهو الملقَّب (عروة الصعاليك)، لأنه كان يجمعهم ويطعمهم، ويقوم بأمرهم، حتىٰ قيل: من زعم أن حاتمـًا كان أسمح الناس فقد ظلم عروة!

وهذه القصيدة يصوِّر فيها الصعاليك علىٰ ضربين، الأول متخاذل متكاسل عاجز، والثاني شجاع نهَّاض مغوار، ويذمُّ الضَّرب الأول، ويمدح الضَّرب الثاني، والقصيدة بأطول من هذا في الأصمعيات[1]، وقد ضبَط الشيخ أبو مالك انتقاءه بترك ما حوته الأصمعيات والمفضليات، فقال معتذراً في النشرة الثانية للألفية: (وهذه القصيدة أصمعية، فاتتني فوضعتها سهواً في الطبعة الأولىٰ، ولم أرد حذفها بعد

---

(١) القصيدة (١٠).

ذلك)[1]، وحُقَّ له ذلك، فهي من الحُسن بمكان.

- **البيان:**

(لحىٰ اللهُ): أي قبَّحه الله وزاده فقراً. (صعلوكـًا): أصل الصعلوك الفقير، ثم إن جماعة من الفقراء انتبذوا عن قومهم، وتجمّعوا يُغيرون علىٰ القبائل، ويقتاتون بما يحصِّلونه من غاراتهم وغزوهم، فاشتهروا باسم الصعاليك، وربما أُطلق الصعلوك علىٰ الرجل الذي ليس له شأن. (جنَّ ليله): ستره الليلُ بظلامه، ومنه ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ ﴾ [الأنعام: ٧٦]، ومنه قيل للدرع جُنَّة وللترس مِجَن، وقيل منه سميت الجنُّ لاستتارها عن الأعين. (مصافي المشاش): أي ملازم المشاش، والمشاش العظم الهشُّ الدسم الذي يؤكل، وقوله (مصافي المشاش) نعت للصعلوك، وسكَّن الياء ضرورة. (آلفـًا): أي معتاداً، والإلف والإلاف والإيلاف العادة، قال الحق سبحانه ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾[قريش: ١]. (مجزِر): مكان الجزر والذبح، وهو المذبَح، والقياس مفعَل، لكنه هنا سُمع مكسورَ العين خلاف القياس. (قِراها): القِرىٰ طعام الضيف. (مُيسِّر): المُيسِّر هو من نتجت له إبله وغنمه فلم يعطب منها شيء، فأصبح ذا يسار. (ينامُ عِشاءً): فيقضي ليله كله في النوم، وهذا مذموم عند العرب بل عند العقلاء، إذ يكون همُّه راحتَه، ولا همَّ له غير ذلك يُسهِرُه. (يصبحُ ناعسـًا): فالكسلُ مستَولٍ عليه، والعربُ تذمُّ نوم الصبح للرجال، فكل رجل يغدو فيه لشأنه ومعيشته، ونوم الصباح دأب النساء كما قال امرؤ القيس يصف محبوبته (نؤومُ الضُّحىٰ)[2]. (يحتُّ الحصىٰ): يُسقطُه ويزيله عنه. (المتعفِّر): تقدم أن العَفْر التراب، والمتعفّر هو الذي أصابه التراب، وهذا إشارة إلىٰ نومه بلا فراش، فهو صعلوك. (ولكنَّ صعلوكـًا): خبر لكنّ محذوف للعلم به، والتقدير لكنَّ الصعلوك الذي لا لحاه الله. (صفيحةُ وجهه): صفحةُ الوجه جانبه. (كضوء شهاب): الشهاب الجِرم المُضيء،

(١) ألفية الحماسة (٨٦).

(٢) شرح القصائد العشر (٦١).

كالكوكب وكجذوة النار، قال الحق ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[الحجر: ١٨]. (القابس): طالبُ القبَس، والقبَس القطعةُ من النار ونحوها يُستضاء بها، قال الحق سبحانه ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾[الحديد: ١٣]. (المتنوّر): المستضيء بالنار، يُقال تنوَّرتُ النَّار أي نظرتُ إليها واستضأتُ بنورها. (مُطِلًّا على أعدائه): مُشرِفًا عليهم، فهو يغزوهم أبدا. (يزجرونه): يصيحون به، والزجر الصياح والردع، ومنه ﴿زَجۡرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الصافات: ١٩]. (المنيح): المنيح قدح من قداح الميسر، وجُلُّ الناس يخلط في تأويل المنيح، وذلك أنهم يقولون: المنيح القدحُ الذي لا حظَّ له، وليس بصحيح، فإن المنيح قدحٌ يكون مذمومـًا تارة وممدوحـًا أخرى، أما المذموم فهو المنيح الذي لا حظَّ له، وإنما تُكثَّر به القِداح فيكثُر جولانه وخروجه، فإذا رأيت العرب تشبِّه الكرَّ والفرَّ ونحو ذلك بالمنيح؛ فهم يقصدون المنيح الذي لا حظَّ له، لكثرة جَولانه، كما قال عامر بن الطفيل (أكرُّه على جمعهم كرَّ المنيح)[1]، والمنيح الممدوح هو الذي يُمتنح أي يُستعار فيدخل في القداح، لعلمهم بفوزه وسرعة خروجه وغلبته، فإذا رمى به صاحبُه أكثر من الصياح والزَّجر عند إفاضة القداح، وفدَّاه طمعـًا في فوزه، فإذا رأيت العرب تشبِّه الزجر ونحو ذلك بالمنيح؛ فهم يقصدون المنيح الممدوح، كما قال طرفة (زجر المعلَّى أُصُلاً والمنيح)[2]، وهو المقصود في هذا البيت، وهذا التحقيق ذكره ابن قتيبة[3]، وأحسنَ القولَ فيه النمريُّ في (معاني أبيات الحماسة)[4]، ولا يتفطَّن له إلا من سبر كلام العرب في مثل هذا. (المشهَّر): المشهور. (بعدوا): أي ابتعد أعداؤه. (الغائب المتنظَّر): أي يتشوَّفون هجومه وإغارته كما يتشوَّفُ أهلُ الغائب رجوعَه إليهم. (يستغن يومـًا): ينال الغنى يومـًا. (فأجدِر): من الجَدارة، وتقدم الكلام عليها في بيان القطعة السابعة عشرة.

(١) المفضليات، القصيدة (١٠٦).
(٢) ملحق ديوان طرفة بشرح الأعلم (١٥٠).
(٣) الميسر والقداح لابن قتيبة (٥٧).
(٤) معاني أبيات الحماسة (٨٨).

- **العرض:**

(١-٣): **يقول:** قبَّح اللهُ الصعلوك الذي يرضىٰ من عيشِه بأن يطوف في المجازر إذا جنَّ الليل، ويلتقط المشاش ويقرمها كأنه يلازمها حبًّا! زاده اللهُ فقرا، وهو -لرضاه بأيامه وعيشه اللئيم- إذا وجد الطعام في إحدىٰ الليالي عند أحد أصدقائه الموسرين، وجدتَه مبتهجـاً مسروراً يرىٰ أنه بلغ الغنىٰ! وهو -لدناءة همته، وكسل نفسه- ينام أول الليل، وهمته في راحته ونومه وحرصه علىٰ ما يسدُّ جوعته، ثم يأتي عليه الصبح وهو ناعس بعد، يمسح ما علق بجنبه من تراب في رقاده!

(٤-٧): **يقول:** ولكنَّ الصعلوك الممدوح الذي لا لحاه الله هو ذلك الفقير مشرق الوجه، صافي اللون، فلا يظهر فقراً ولا حاجة، وكأن وجهَه ضوءُ شهاب للقابس المستضيء، وتراه يبذل في تحصيل غناه بنفسه، ويقصُر سعيَه علىٰ ما يبلغ به عذرَه، فيُشرِف علىٰ أعدائه غازيـاً ومُغيرا، وهم يزجرونه حالاً بعد حال، حتىٰ إنه يلجئهم إلىٰ الارتحال خوفـاً منه، وهم وإن بعدوا لا يأمنونه في حين، فهو لا يقعد عن طلب الغزو والإغارة، وهم ينتظرون إغارته كل وقتٍ كما ينتظر أهل المسافر رجوعَه، فهذا هو الصعلوك الممدوح المحمود، الذي إن أدركه الأجل أدركه حميداً، قد فعل الواجب، وأقام العُذر، واستفرغ الوسع، وإن نال الغنىٰ يومـاً -من كثرة غزوه وغنائمه- فما أخلقه بذلك! وهو للغنىٰ أهل.

(٤٩)

وقال قَيْسُ بنُ زُهَيْرٍ العَبْسيُّ: [من الوافر]

١. تَـعَـلَّـمْ أنَّ خيـرَ الـنـاسِ حَـيًّا ... علـىٰ جَفْـرِ الـهَبَـاءةِ لا يَريـمُ

٢. ولـولا ظُـلـمُـهُ مـا زِلْــتُ أبكي ... عليـه الدَّهْـرَ مـا طلَـعَ النُّجُـومُ

٣. ولـكـنَّ الـفتـىٰ حَـمَـلَ بْـنَ بَـدْرٍ ... بَغَـىٰ والبَغْـيُ مَرْتَعُـهُ وَخِيـمُ

٤. أظُـنُّ الـحِلْمَ دلَّ عَـلَيَّ قومي ... وقـد يُسْتَـجْـهَـلُ الرَّجُـلُ الحَلِيـمُ

• **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة العشرين، وذكرنا هنالك حرب داحس والغبراء، وأن من أيامها يوماً سمِّي (جفر الهباءة)، انتصر فيه قيسُ بن زهير ومن معه من حذيفة وحمل ابني بدر، ثم رثاهما بعد ذلك بأشعار كثيرة، وهذه القطعة منها.

ويذكر فيها أنه من خير الناس، ولولا ظلمه وبغيُه لم يُقتل، ولكنهم لما رأوا حِلمَ قيس تمادوا، فاستحقوا ما نالهم.

• **البيان:**

(تعلَّم): أي اعلم، ولا يستعمل إلا في الأمر، فلا يُقال: تعلَّمتُ كذا أي علمتُه. (أنَّ خير الناس حيًّا): أي خير الناس في حياته، وروي (ميتٌ)، يعني حمل بن بدر، وعلىٰ رواية الرَّفع يكون خبر (أنَّ). (علىٰ جفر الهباءة): الجملة خبر (أنَّ)، والجفر البئر الواسعة، والهباءة ماءٌ لفزارة. (لا يريمُ): لا يبرحُ. (ولولا ظلمُه): لولا حرفُ امتناع لوجود، فلوجود ظلمه امتنع البكاء عليه، ونسب إليه الظلم لمخالفته في أمر الرهان، ونصبه الكمين، وقد تقدَّم خبر الحرب. (الدهرَ): أي طوال الدهر، وتقدَّم

عند قول جعفر (لا يبرحُ الدهرَ ثاويا). (ما طلع النجوم): بدل من الدهر، والمراد ذكر الدهر والتأبيد والمبالغة في البكاء عليه. (حمل بن بدر): الذبياني الفزاري. (بغىٰ): البغي التجاوز والتعدِّي، قال الحق سبحانه ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢]. (مرتعُه وخيم): المرتع المرعىٰ، والوخيم هو المكروه الثقيل الذي لا يُستمرأ، وهذا مثل يُضرب للتحذير من سوء العاقبة. (دلَّ علي): جرَّأ عليَّ. (قومي): يعني بني فزارة، وسماهم قومه لأنهم يلتقون في بغيض بن ريث بن غطفان. (وقد يُستجهل الرجل الحليم): هذا مثل، أي أن الحليم يكثر احتمالُه حتىٰ يحوجه ذلك إلىٰ الخروج عن طبعه فتشتدُّ غضبته، وقد قالت العرب (إن الحليم مطيَّةُ الجهول)[1]، فلا يزال يغرُّ الجاهلَ حِلمُ الحليم حتىٰ يعضَّ أصابع الندم.

- **العرض:**

(١-٤): يقول: اعلم أن خير الناس في حياته هو ذلك الذي مات في جفر الهباءة فلا يبرحها، ولولا ما أسلفه من الظلم، وقدَّمه من الاعتداء لبكيتُ عليه دهري كلَّه ما طلعت النجوم في السماء! ولكن الفتىٰ حمل بن بدر بغىٰ واعتدىٰ وتجاوز، فاستحقَّ ما جرىٰ له من القتل، فإن البغي مكروهُ العاقبة مذمومُها، ولعلَّ حِلمي واحتمالي أذىٰ عشيرتي هو الذي جسَّرهم عليَّ وجرَّأهم، ولكنهم لا يعلمون أن الحليم إذا عيل صبره غضِبَ غضبةً لا يقوم لها أحد.

(١) مجمع الأمثال (١١٢٧).

(٥٠)

وقال العَبَّاسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ: [من الطويل]

١. فلم أرَ مثلَ الحَيِّ حَيًّا مُصبَّحًا ولا مِثلَنا يومَ التَقَيْنا فوارِسَا

٢. أكَرَّ وأحْمَىٰ للحقيقةِ منهُمُ وأَضْرَبَ منا بالسيوفِ القَوانِسَا

٣. إذا ما حَمَلْنا حَمْلةً نَصَبوا لنا صُدُورَ المَذَاكي والرِّماحَ الدَّوَاعِسا

٤. إذا الخَيْلُ جالت عن صريعٍ نَكُرُّها عليهم فما يَرْجِعن إلا عوابِسَا

- **الكشف:**

هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السُّلَمي، من بني سُلَيم بن منصور، شاعر مشهور وفارس شجاع، وسيد من سادات قومه، أسلم رضي الله عنه عامَ الفتح، وهو من المؤلفة قلوبهم، وهو ممّن حرّم علىٰ نفسه الخمرَ في الجاهلية.

وهذه القطعة من قصيدة له مشهورة في (الأصمعيات)، قالها في يوم تثليث، وكان من خبرِه أن بني سُليم غزت بني مراد بن مالك [مذحج]، فجمع لهم عمرو بن معدي كرب -وتقدم أنه من مذحج- فالتقىٰ الفريقان بموضع يقال له (تثليث) في أرض اليمن، فاقتتلوا اقتتالاً شديدا، وصبر الفريقان فلم تظفر طائفة بالأخرىٰ، ففي هذا اليوم قال العباسُ سينيَّته التي منها هذه الأبيات، وهي إحدىٰ (المنصفات)، وتقدَّم الكلام عليها بعد القطعة الرابعة عشرة، والشاعرُ هنا يذكر فيها ذلك اليوم، وما لقي فيه من أعدائه من الشجاعة والبأس والضِّراب والكرِّ والفرِّ، وقد تقدَّم أن مِن شرط أبي مالك تركَ الانتقاء مما حوته المفضَّليات والأصمعيات، والقول فيها كالقول في القطعة الثامنة والأربعين، جلَّ من لا يسهو!

- **البيان:**

(مُصبَّحا): أي أغرنا عليهم وقتَ الصباح، قال الحق سبحانه ﴿ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٌ مُّسۡتَقِرٌّ ﴾[القمر: ٣٨]. (فوارسا): تمييز منصوب، وجمعَه تبييناً للتنوع والكثرة، نحو ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾[الكهف: ١٠٣]. (أكرّ): أحسن كرًّا. (وأحمىٰ للحقيقة): وأبلغ حمايةً ومدافعةً وذبًّا. (وأضربَ): وأشدَّ ضربا. (القوانسا): جمع قَونس، وهو أعلىٰ الخوذة. (نصبوا لنا): أقاموا لنا، قال الحق سبحانه ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴾[الغاشية: ١٩]. (المذاكي): يُقال فرسٌ مُذكٍّ إذا تمَّ سنُّه وكملت قوته، وجمعه مذاكي. (الدَّواعسا): الدوافع، وأصل الدَّعس الدَّفع، ثم استعمل في غيره كالطَّعن وشدَّة الوطء. (جالت): دارت وسارت. (صريع): ميت، ومنه ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ ﴾[الحاقة: ٧]. (نكرُّها): من الكرِّ والهجوم. (عوابسا): تقدم أن أصل العبوس الكلوح والانقباض في الوجه.

- **العرض:**

(١ـ٤): **يقول**: لم أر قوماً مغاراً عليهم مثلَ الذين صبَّحناهم في الشدة والثبات، ولم أر مُغيراً علىٰ قومٍ مثلَنا يوم لقيناهم في القوة والبأس، ولم أرَ أحسن كرًّا، وأبلغَ في الحماية والدَّفع عن أنفسهم مثل أولئك الذين لقيناهم، كما لم أر أشدَّ منَّا ضرباً بالسيوف علىٰ رؤوس القوم وخُوَذهم، فإذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا، وأقاموا لنا صدور الخيل، وأعدُّوا لنا الرِّماح يدفعوننا بها، وإذا دارت الخيلُ عن مصروعٍ منَّا، كررنا عليهم بالخيل نفسِه فنصرع واحداً منهم، ولا نزال نكرُّ الخيل وهي كارهة لذلك كالحة.

(٥١)

وقال مُساوِرُ بنُ هِنْدٍ: [من الكامل]

١. أَوْدَىٰ الشَّبابُ فما له مُتَقفَّرُ   وفَقَدتُ أترابي فأينَ المَغْبَرُ
٢. وأرَىٰ الغَوانِيَ بعدَما أَوْجَهْنَني   أعرَضْنَ ثُمَّت قُلْنَ: شيخٌ أعوَرُ
٣. ورأيْنَ رأسي صارَ وَجْهًا كلُّه   إلا قَفايَ ولِحْيةً ما تُضْفَرُ
٤. ورأيْنَ شَيْخًا قد تَحَنَّىٰ صُلْبُه   يَمْشِي فيَقْعُسُ أو يُكِبُّ فيَعْثُرُ
٥. لَمَّا رأيتُ الناسَ هَرُّوا فتنةً   عَمْياءَ تُوقَدُ نارُها وتُسعَّرُ
٦. وتَشعَّبوا شُعَبًا فكُلُّ جزيرةٍ   فيها أميرُ المؤمنين ومِنبرُ
٧. ولَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إنْ هي أعرَضَتْ   أنَّا لنا الشيخُ الأغرُّ الأكبرُ
٨. ولنا قناةٌ مِن رُدَيْنةَ صَدْقةٌ   زَوْراءُ، حامِلُها كذلك أزْوَرُ

- **الكشف:**

هو المساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي، شاعر مخضرم، وسيد من سادات قومه، وكان أعورا، ذكره ابن حجر فيمن أدرك حياة النبي ﷺ فلم يُنقل له لقاء ولم يُحفظ له سماع، ولد في حرب داحس والغبراء، وأدرك زمن الحجاج، فهو من المعمِّرين.

وهذه القصيدة قالها في أحداث الفتنة التي جرت بين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وعبد الملك بن مروان، فبويع كل منهما أميراً في بلد، فيبدأ الشاعر بذكر كبر سنِّه وما اعتراه من الضعف والشيب، وأن ذلك هو الذي منعه للنهوض في هذه الفتنة، ثم يقول إن قومه بني ذبيان ليسوا محتاجين إلىٰ أمير، بل هم مكتفون بأنفسهم، وفيهم النسب الخالص والحسب الكريم.

- **البيان:**

(أودىٰ): أدبر وولّىٰ. (مُتقفَّرُ): مُتَتبَّع، يقال تقفَّر الشيء إذا تتبَّعه. (أترابي): الأتراب جمع تِرب، وتِربُك من كان علىٰ سنِّك، وأكثر ما يُستعمل في النساء فيُقال: هذه تِرب فلانة، أي في سنِّها، قال الحق سبحانه ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[الواقعة: ٣٧]. (المغبَّرُ): أراد به البقاء، يُقال: غبَر فلان إذا مضىٰ وإذا بقي، فهو من الأضداد، وهذا الكلام كله توجُّع وتحسُّر وتقديم لما سيعتذر منه. (الغواني): جمع غانية، وهي المرأة التي استغنت بجمالها عن التزيُّن بالحليِّ والخضاب. (أوجهنني): أي جعلنني وجيهاً مُعظَّما، والوجيه ذو المكانة العالية، ومنه ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]. (ثُمَّت): حرف عطف، وهي (ثُمَّ) زيدت عليها التاء. (أعور): الأعور فاقد إحدىٰ عينيه، وكان المساور كذلك. (صار وجهـًا): كناية عن الصلع وانحسار الشعر، فلم يعد في رأسه شعرة. (إلا قفاي): ففيه بقايا شعر. (ولحية ما تُضفَر): من الضفيرة وهي عقد الشعر علىٰ هيئة معروفة، كناية عن أنه لم يعد كسالف عهده يضفر شعره، وضَفرُ اللحية عند العرب ليس بمشهور، فربما كان هذا شاهداً علىٰ فعله أحيانا، وجاء في وصف المقداد بن الأسود (يضفر لحيتَه)، وجاء كذلك في وصف عثمان بن عفان وسهل بن سعد[1]، أو يكون معنىٰ البيت أن شعر لحيته تقلَّص وتساقط حتىٰ لو أراد أحدهم أن يضفره لما استطاع. (تحنَّىٰ صلبُه): أي احدودب ظهرُه، وصُلبُ الإنسان قوامُ ظهره، وهو (العمود الفقري)، قال الحق سبحانه ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[الطارق: ٧]. (يمشي فيقعُس): أي يمشي مشية القعَسان، وهو بروز الصَّدر ودخول الظهر. (يُكبُّ): يسقُط فينكبُّ علىٰ الأرض، ومنه ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾[النمل: ٩٠]، سلمنا الله. (فيعثُر): من العثار، وهو التعرقل قبل السقوط، والتعثر يكون قبل الانكباب، لكنه قال (يُكبُّ فيعثُر)، فلم يبال

---

(١) انظر: الكامل لابن عدي (٥/ ٤٦٣)، وصفة الصفوة لابن الجوزي (١/ ٤٢٣).

بالترتيب لأمن الالتباس، وهذا تفعله العرب. (لمّا رأيتُ): جواب لمَّا محذوف، وتقديره يدلُّ عليه السياق والكلام، وهو (امتنعتُ عن النهوض فيها، والخوض معهم). (هرُّوا): أي كرهوا، وفي المثل (ما يعرفُ هِرّاً من بِرّ)[1]، أي لا يعرف من يكرهه ممن يبرُّه، يُضرب لمن يتناهىٰ في جهله. (فتنة): هي فتنة ابن الزبير رضي الله عنه وعبد الملك. (عمياء): أي فتنة لا يُهتدىٰ لوجهها، ولا يُقدر علىٰ كشفها، وهذا شاهد علىٰ إبطال ما سمَّاه الفلاسفة (تقابل الملكة)، فإن العرب تصف الجمادات والأعراض بالموت والصمم والعمىٰ وغيرها، (وهذا مشهور في لغة العرب وفي غيرهم)[2]. (وتُسعَّرُ): تُضرَم وتُهيَّأ، ومنه ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾[التكوير: ١٢]، أجارنا الله. (وتشعَّبوا شُعَبًا): وتفرَّقوا، والشُّعَب الفِرَق، قال الحق سبحانه ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾[المرسلات: ٣٠]. (جزيرة): لم يقصد الجزيرة بعينها التي يحيط بها الماء من نواحيها، وإنما قصد البلدة والناحية، وهذا التوسع جار علىٰ سنن العرب. (فيها أمير المؤمنين): أي فيها خليفة يُقال له أمير المؤمنين، وأول من نودي به عمر رضي الله عنه. (ومنبرُ): هو ما يرتقي عليه الخطيب من عل، مأخوذ من النّبر وهو العلو والظهور. (ذبيان): أي بني ذبيان بن بغيض. (الشيخ الأغرُّ الأكبر): عنىٰ جدَّه قيس بن زهير، أو عنىٰ زهير بن جذيمة، وكلاهما سيد من سادات ذبيان، وسيأتي وصف السادة بهذا في القطعة الثانية والثمانين. (قناة): تقدم في بيان القطعة التاسعة والعشرين. (ردينة): تقدم في بيان القطعة الرابعة والأربعين. (صدقة): صلبة، وتقدم أن العرب تذكر القناة وصلابتها وأنها لا تلين كناية عن العزة والامتناع والتعسُّر علىٰ من يريد إكراههم. (زوراء): عوجاء مائلة، وتقدم أن الازورار هو الميل والانحراف، قال الحق سبحانه ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾[الكهف: ١٧]. (حاملها كذلك أزور): كناية عن زيادة الامتناع والتأبِّي.

---

(١) مجمع الأمثال (٣٧٩٧).

(٢) التدمرية (٣٨).، وانظر: التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية (١٢١).

- **العرض:**

(١ـ ٤): **يقول**: أدبر الشباب وولَّىٰ، فهو فائت لا يُتتبَّع، ومطلوب لا يُدرَك، وفقدت أصحابي وأقراني فأين بقائي بعدهم؟ فقد كبرتُ وضعفتُ، وصرت أرىٰ النِّساء بعدما كنَّ يعظمنني، ويجعلن لي جاهـًا؛ أعرضن عنِّي، وأبدلنني بالحمد ذمًّا، وعيَّرنني بعيني العوراء! ولعلَّ لهنَّ عذراً في ذلك، فإنهنَّ رأين رأسي قد أمسىٰ وجهـًا كلُّه، فلا فرق بين جبهتي وناصيتي، إذ كلاهما لا تبدو فيه شعرة، إلا شعيرات في قفاي وفي لحيتي التي كنتُ قبل هذا اليوم أضفرها لطولها! ورأين شيخـًا قد احدودب ظهرُه، يمشي إذا مشىٰ بارزَ الصدر، داخلَ الظهر، أو يتعثَّر فيسقط لكبر سنِّه، وضعف عظمه، ودقَّة جسمه.

(٥ـ ٦): **يقول**: لما رأيتُ النَّاس قد كرهوا الفتنة لكثرة تردُّدهم فيها، وتجرُّعهم غصَّاتها، تركتُها وأهلها، وهي فتنة عظيمة اشتعلت نارُها والتهبت، حتىٰ تفرَّق الناس فِرَقـًا كثيرة، واضطربوا اضطرابـًا عظيما، فأصبح في كل بلدة مُدعٍّ للخلافة يخطبُ النَّاس ويحثُّهم علىٰ مبايعته.

(٧ـ ٨): **يقول**: ولتعلمن قبيلتنا -إن هي أعرضت عن الخوض في هذه الفتنة- أنَّا لنا ذلك الشيخ المشهور الشأن، والسيد الذي كنَّا نجتمع إليه، فنحن مكتفون عن الناس، قائمون بأنفسنا، ومن أرادنا بسوء فقد جنىٰ علىٰ نفسه، فإن لنا قناة لا تستقيم لمن أراد تقويمها، ولا تلين لمن طلب إلانتها، ولا تنقاد لمن رام اجتذابها، فنحن أباة أعزَّاء.

(٥٢)

وقال عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ: [من الطويل]

١. قلتُ لقَوْمٍ في الكَنيفِ: تَروَّحوا عَشِيَّةَ بِتْنا عندَ ماوانَ- رُزَّحِ

٢. تَنالُوا الغِنَىٰ أو تَبلُغُوا بنُفوسِكم إلىٰ مُستراحٍ مِن حِمامٍ مُبَرِّحِ

٣. لِيَبْلُغَ عُذرًا أو يُصيبَ رغيبةً ومُبلِغُ نَفْسٍ عُذرَها مثلُ مُنجِحِ

● الكشف:

تقدمت ترجمته في القطعة الثامنة والأربعين، وخبر هذه القطعة أن مَعدًّا تتابعت عليهم سنوات عجاف، جهَدن النَّاس جَهداً شديدا، وترك الناسُ الغزوَ لجدوبة الأرض، علىٰ أن غطفان كانت أحسن الأحياء حالاً، وكان عروةُ في تلك السنين غائباً عن قومه، فجاءهم وقد ذهبت خيله وإبله ونعمه، وأودىٰ القحطُ بأكثر ماله.

فندب رهطاً من قومه ليخرج بهم إلىٰ أرض قضاعة، لعلهم يجدون هناك البُلغة والنجاة فيرجع إلىٰ قومه بالخيرات التي كان عوَّدهم عليها، فنزلوا في طريقهم بقرية اسمها (ماوان) وكنَّف عليهم كنيفاً من شجر يقيهم شدة البرد، وقد أنهكهم السير، فقابله رجل من فزارة -وقد نفد زادهم- فقال لعروة: أين تنطلق بفتيانك تهلكهم في هذه الضيعة؟ فقال عروة: إن الضيعة ما تأمروني به! أقيم في قومي حتىٰ أهلك هزالاً، فقال الفزاري: فأتِ قومي فكن فيهم مكرَّماً مكفيًّا، قال عروة: وما أصنع بمن كنتُ عوَّدتهم إذا جاؤوني وطلبوني؟ قال: تعتذر منهم فيعذرونك إذ ليس عندك شيء، قال عروة: لكن أنا لا أعذر نفسي بترك الطلب.

فهذه القطعة يقولها لقومه بعد أن جهدهم التعب وهو يحثُّهم علىٰ الرواح وترك الكسل، ويوصيهم ببذل الجهد، ويحذرهم من اليأس والاستسلام، ثم إنه أغار علىٰ إبل فغنمها، ورجع إلىٰ قومه وقسمها فيهم.

- **البيان:**

(قلتُ لقومٍ): يعني الذين ندبهم للخروج معه، والبيت مخروم. (الكنيف): هو في الأصل اسم لكل ما ستر من بناء أو شجر، ثم غلب استعماله بعد ذلك علىٰ مكان الخلاء. (تروَّحوا): أي سيروا في الرَّواح، وهو وقتٌ قريب العصر آخر النهار، قال الحق سبحانه ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[سبأ: ١٢]. (عشيَّة بتنا عند ماوان): يعني في مساء اليوم الذي بتنا فيه عند ماوان، والعشيُّ المساء، ومنه ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ﴾[آل عمران: ٤١]، وماوان قرية باليمامة في طريق السائر من الكوفة إلىٰ الحجاز. (رُزَّحِ): جمع رازح، وهو من اشتدَّ به التعب والإعياء، وتقدير البيت: قلتُ لقومٍ رزَّح -عشية بتنا عند ماوان-: تروَّحوا، وفي البيت تأخير وتقديم ظاهر، فقد فصل بين الصفة والموصوف وبين الأمر وجوابه الآتي. (تنالوا الغنىٰ): جواب الطلب. (مُستراحٍ من حِمام): أي تستريحوا بالموت، وتقدّم أن الحِمام الموت. (مُبرِّح): شديد مُلِحّ. (ليبلغَ عُذراً): اللام للتعليل، وعنىٰ ببلوغ العذر الموت. (يصيب رغيبةً): يصيب حاجة واسعة، كناية عن الغنىٰ. (مُنجِح): يُقال أنجحَ حاجته إذا قضاها علىٰ وجهها ونالها، كما قال لبيد (ونُجحُ صريمةٍ إبرامُها)[1]، أي قضاءُ الحاجة يكون بإحكامها والسعي إليها.

- **العرض:**

(١ـ ٣): **يقول:** قلتُ لقومٍ قد أنهكهم السفر وأعياهم فنزلوا بأرض ماوان واستظلُّوا بكنيف: تروَّحوا يا قوم! سيروا واجتهدوا ولا تستسلموا لليأس، فإما أن

---

(١) شرح القصائد العشر (٣٢١).

تبلغوا الغنىٰ الذي تطلبون، وإما أن تبلغوا حداً من الطلب يُفضي بكم إلىٰ الموت المريح، فإنكم إذا متم كنتم أعذرتم من أنفسكم، والمجتهد في طلب الشيء إذا حال أجلُه دون أمله فقد فعل ما عليه وأعذر، ويكون عند الناس كمن حصَّل حاجته، وظفر بطلبته، فلا تُكلَّفُ نفس إلا وسعها.

(٥٣)

وقال عَمْرُو بنُ كُلْثُوم: [من الطويل]

١. مَعَاذَ الإلـه أنْ تَنُوحَ نِساؤنا عَلىٰ هالكٍ أو أنْ نَضِجَّ مِنَ القتلِ

٢. قِراعُ السُّيوفِ بالسُّيوفِ أَحَلَّنا بأرضٍ بَرَاحٍ ذي أراكٍ وذي أَثْلِ

٣. فما أبْقَتِ الأيامُ مِلْمالِ عِندَنا سِوَىٰ جِذْمِ أذوادٍ مُحذَّفةِ النَّسْلِ

٤. ثلاثةُ أثلاثٍ؛ فأثمانُ خيلِنا، وأقواتُنا، وما نسوقُ إلىٰ العَقْلِ

- **الكشف:**

هو عمرو بن كلثوم بن مالك، من بني جُشَم بن بكر من تغلب بن وائل، وأمه ليلىٰ بنت مهلهل بن ربيعة، فهو شريف الأب، كريم الخال، شاعر فحل مُكثِر، وفارس جاهلي مشهور، ساد قومَه صغيرا، وهو صاحبُ المعلَّقة المعروفة، وما زال العزُّ ينمي إلىٰ تغلب مِن قصيدته هذه.

- **البيان:**

(معاذ الإله): تقدَّم في بيان القطعة الثالثة والأربعين. (تنوح نساؤنا): النَّوح والنياحة رفعُ الصوت بالبكاء علىٰ الميِّت. (نضجَّ): الضَّجيج والضِّجاج رفع الأصوات واختلاطها. (أحلَّنا): أنزلنا، قال الحق سبحانه ﴿أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ [فاطر: ٣٥]، وهذا مجاز سببي، نحو ما تقدم عند قول الحماسي (أفنىٰ أوئلَهم قولُ الكماة)[١]. (بأرضٍ براح): الأرض البراح هي الأرض التي لا بناء فيها ولا عمران، ثم استعيرت للأرض الواسعة، وكأنه يشير هنا إلىٰ أن قومه لا يحتمون بقلعة ولا

---

(١) بيان القطعة (٩).

حصن ولا جبل، وإنما هم في براح من الأرض، لا يخافون أحدا فيمتنعون منه، نحو قول الأخنس (ونحنُ أناسٌ لا حِجازَ بأرضنا)[1]. (أراك): شجر معروف، وتقدم أنه أطيب ما ترعاه الماشية. (أثل): شجر حسن معروف، يشبه الطرفاء، ويحتمل الماء فليس بسريع اليبس. (مِلمال): أي من المال، فلما اقترب مخرج النون من اللام؛ حُذفت النون للاختصار ولأمن الالتباس، وقد تقدَّم أن العرب تحذف النون أحياناً إذا التقت باللام الظاهرة كما قالوا (بلعنبر)، وهذا كثير، ومراده بالمال هنا الإبل، فإن العرب تُطلِق المال وتريد به الإبل، وهذا ظاهر من استثنائه بعده. (جِذم): أصل. (أذواد): جمع ذَود، وهو ما دون عشرةٍ من الإبل، وإذا قالت العرب (إبل) فإنها تقصد المئة منها غالباً، ولذلك قالوا في أمثالهم (الذَّود إلىٰ الذَّود إبل)[2]، يُضرَب في اجتماع القليل إلىٰ مثله حتىٰ يكثر. (مُحذَّفة النسل): أي مقطوعة النسل، لا تلد. (ثلاثةُ أثلاث): خبر لمبتدأ محذوف، وتقديره: أموالنا ثلاثةُ أثلاث، ثم سيشرع في بيان الأثلاث وقسمتها. (فأثمان خيلنا): أثمان جمع ثمن، وهو ما يُعتاض به، ومنه ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[يوسف: ٢٠]. (وأقواتنا): جمع قُوت، وهي ما يُقتات به، أي ما يستطعمُه المرء ويقوم به، قال الحق سبحانه ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾[فصلت: ١٠]. (العقل): تقدم في بيان القطعة الرابعة والعشرين، وهو نحو قول الحماسي (نأسو بأموالنا آثار أيدينا)[3].

- **العرض:**

(١-٢): **يقول:** نعوذ بالله أن تكون نساؤنا ممن ينوح علىٰ القتلىٰ، أو يكون حيُّنا ممن يُسمع له ضجاج إذا هلك منهم أحد، وكيف يكون أحد هذين منَّا وقد تعودت

---

(١) المفضليات، القصيدة (٤١).

(٢) مجمع الأمثال (١٤٥٦).

(٣) انظر بيان القطعة (٩).

نساؤنا الثكل، ونشأنا في ممارسة الحروب، وصبرنا في دار الحفاظ، وهذا هو الذي أنزلنا بأرض واسعة ذات أثل وأراك، خالصة لنا، فلسنا ممن يتنقَّل طلباً للنجع، وبحثاً عن الكلأ.

(٣ـ ٤): **يقول**: فلم يُبق لنا تأثيرُ الحوادث وصروفُ الدِّهر من أصول المال وما نقتنيه من الإبل سوىٰ أذوادٍ قطَّع الضرُّ نسلَها، وتمكَّن الهزالُ منها، فما تلبث أن تفنىٰ، وقد افترقت أموالنا علىٰ ثلاثة أمور، الأول: ما أنفقناه علىٰ خيلنا، لأننا كثيرو الغزو، معالجو الحروب، فلا نستغني عنها، الثاني: ما حبسناه من المال علىٰ معيشتنا وأقواتنا وضيوفنا، فهو قوامنا الذي به نعيش، والثالث: ما فرَّقناه من الديات وأروش الجنايات التي كسبتها أيدينا، واجترحتها رماحُنا، فنحن أعزَّة لا يُقتصُّ منَّا.

(٥٤)

وقال الشَّنْفَرَىٰ: [من الطويل]

١. لا تَقْبُرُوني إن قَبْري مُحرَّمٌ عليكم ولكنْ أبشري أمَّ عامرِ

٢. إذا احتَمَلوا رأسي وفي الرأسِ أكثري وغُودِرَ عند المُلتقَىٰ ثَمَّ سائري

٣. هنالِك لا أرجُو حياةً تَسُرُّني سَجِيسَ الليالي مُبْسَلًا بالجَرائرِ

• **الكشف:**

هو عمرو بن مالك، وقيل ثابت بن أواس، وهو قحطاني أزدي، وقد اختلفوا في فخذه من الأزد فقيل من بني الحجر بن الهنْء، وقيل من بني مالك بن زهران، وغلب عليه لقب (الشنفرىٰ)، قيل لغلظ شفتيه فلعله من الشَّفر، والمعروف أن الشِّنفارة سوء الخلق وحدَّته، وهو شاعر جاهلي، وصعلوك مغوار، كان رفيقاه في صعلكته تأبط شرًّا وعمرو بن بُراق، وكان الثلاثةُ عدَّائين يسبقون الخيل ولا يُدرَكون، وجرىٰ بالشنفرىٰ المثل فقيل (أعدىٰ من الشنفرىٰ)[1].

وهذه الأبيات قالها قبيل مقتله، وكان قد أكثر الإغارة علىٰ بني سلامان بن مفرِّج بن مالك بن زهران، حتىٰ قتل منهم تسعة وتسعين رجلاً، فأقعدوا له رجالاً يرصدونه، حتىٰ ظفروا به، فربطوه وقالوا له: أنشد لنا، فقال: إنما النشيد علىٰ المسرَّة، فأرسلها مثلاً، ثم قالوا له: أين نقبرك بعد قتلك؟ فأنشأ يقول هذه الأبيات.

• **البيان:**

(لا تقبروني): أي لا تجعلوا لي قبراً فإني في غنىٰ عن ذلك، قال الحق سبحانه

---

(١) مجمع الأمثال (٢٦١٤).

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾[عبس: ٢١]، والبيت مخروم. (ولكن أبشري أم عامر): أم عامر كنية الضبع، وقوله (أبشري أم عامر)، هذا اسم للضبُع علىٰ وجه الحكاية، لأن العادة في صيد الضبع أن يظلَّ راصدُها يضرِبُ ويحفرُ في وجارِها -والوِجار بيتُ الضبع- وهي تتأخر شيئاً فشيئاً حتىٰ تبلغ أقصىٰ الوِجار فتخرج حينئذ بعُنف، والعادةُ أن يقول صائدُها وهو يحفر: أبشري أم عامر، خامري أم عامر، فسمِّيت بهذين الاسمين علىٰ وجه الحكاية، وزعموا أنَّ العرب كانت تقول للضبع: أبشري أم عامر بشاء هزلىٰ، وجراد عظلىٰ، حتىٰ يوثقوها، ويشدُّوا رباطها، وهي ساكنة لا تتحرَّك، كما جاء في نهج البلاغة: (واللهِ لا أكون كالضَّبُع تنام علىٰ طول اللَّدم، حتىٰ يصل إليها طالبُها، ويختلُها راصدُها)[1]، ومعنىٰ البيت: ولكن التي يُقال لها (أبشري أم عامر) هي التي ستقبرني في بطنها، وقيل بل في البيت التفات، فكأنه التفت إلىٰ خطاب الضبع بكنيتها فقال لها: أبشري بلحمي يا أم عامر. (احتملوا رأسي): أي حملوا رأسي بعد قتلي ليشهّروا بي، وفيه التفات من الخطاب للغيبة. (وفي الرأس أكثري): جملة اعتراضية، لأن الحواس خمس، وأربعٌ منها في الرأس، وهي السمع والبصر والشم والذوق، وهذا معنىٰ لطيف، والعربُ تكني عن السيادة والحكمة بثقل الرأس وكبره، كما قالوا في رأس لقمان عاد، وقد عقد الجاحظ في كتابه (البرصان والعرجان) باباً في القول في الرؤوس صغارها وكبارها، فأورد قول الشنفرىٰ هذا وقال: (وجدناه عالياً علىٰ كل ما جاء في هذا الباب من الشعر)[2]. (ثَمّ): اسم إشارة متضمن معنىٰ الظرفية المكانية، ومنه ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير: ٢١]. (سائري): السائر الباقي من الشيء، وبعضهم يطلقه علىٰ (الجميع)، وهو أول وهمٍ شنَّع الحريري عليه في درته، غير أن جماعةً أجازوا ذلك[3]. (سجيسَ الليالي): سجيس بمعنىٰ أبداً، أي طوالَ الليالي

---

(١) نهج البلاغة (١/ ٤١).

(٢) البرصان والعرجان والعميان والحولان (٤٩٢).

(٣) درة الغواص (٤٧)، شرح درة الغواص للخفاجي (٦٨).

ودوامَها. (مُبسلاً): أي مُسلَماً، وهي رواية في البيت، قال الحق سبحانه ﴿أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟﴾[الأنعام: ٧٠]. (بالجرائر): جمع جريرة وهي الجناية والذنب، سمِّيت بذلك لأن صاحبها يجرُّ عاقبتها علىٰ نفسه.

- **العرض:**

(١ـ ٣): يقول: لا تجعلوا لي قبرا، فإن دفني محرم عليكم، ولستُ ممن يُقبَر ويوسَّد في قبره، بل أنا ممن يُترَك في العراء تنوشه السِّباع بعد موته، وإن الضَّبع هي التي ستأكلني وتقبرني في بطنها، أما أنتم فإني في غنىً عنكم، وإذا احتمل هؤلاء رأسي بعدما قتلوني -ورأسي فيه أعظم منافعي وحواسي- وأخذوا يدورون ليخبروا الناس بقتلي، وتركوا ما سوىٰ رأسي من بدني مجندلاً مطروحا، ففي تلك الحال لستُ أطمع في حياة تسرُّني وتبهجني، فإني مخذول مُسلَم بجناياتي، ولا يُرىٰ إلا شامتٌ بي، أو طالبٌ للانتقام منِّي.

(٥٥)

وقال سَعْدُ بنُ مالكٍ: [من مجزوء الكامل]

١. يـا بُـؤسَ لِـلْـحَـرْبِ الـتـي وَضَعَتْ أَراهِطَ فاستراحوا

٢. والـحَـرْبُ لا يَـبقَـىٰ لِـجَـا حِمِها التخيُّلُ والمِراحُ

٣. إلا الـفـتـىٰ الـصَّـبَّـارُ فـي الـنَّـ جَداتِ والفَرَسُ الوَقَاحُ

٤. والنَّـثْـرةُ الـحَـصْـداءُ والـ بَيْضُ المُكلَّلُ والرِّماحُ

٥. والـكَـرُّ بـعـدَ الـفَـرِّ إذْ كُرِهَ التقدُّمُ والنِّطاحُ

٦. وتَـسـاقَـطَ الـتَّـنْـواطُ والـذَّ نَبَاتُ إذ جُهِدَ الفِضاحُ

٧. كَـشَـفَـتْ لـهـم عـن ساقِـهـا وبَدَا مِنَ الشرِّ الصُّراحُ

٨. فـالْـهَـمُّ بَـيْـضـاتُ الـخُـدُو رِ هُناكَ لا النَّعَمُ المُراحُ

٩. بـئـسَ الـخـلائـفُ بَـعْـدَنـا أولادُ يَشْكُرَ واللِّقَاحُ

١٠. مَـن صَـدَّ عـن نِـيـرانِـهـا فأنا ابنُ قيسٍ لا بَرَاحُ

- **الكشف:**

هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، من بني بكر بن وائل، فارس شجاع مشهور، وسيد من سادات قومه، وله أخبار في حرب البسوس، وهو والد المرقِّش الأكبر، وجدُّ المرقِّش الأصغر، والجدُّ الثاني لطرفة بن العبد.

وهذه القطعة قالها في أحداث حرب البسوس، يعني بها الحارثَ بن عُباد البكريَّ، وكان الحارثُ قد اجتنب الحرب مع قومه، ونحن نذكر هنا خبر هذه الحرب موجزاً لما كان الجهلُ بها معيبا، فإنها حرب ربيعة ليس لها حرب أعظم منها،

وهي بين أعظم حيين من ربيعة وهما تغلب وبكر ابنا وائل، ولم يزالوا يتجرَّعون مراراتها، ويشرقون بغصَّاتها أربعين سنة! حتىٰ ضرب بالبسوس المثل فقيل (أشأم من البسوس)[1].

- **خبر حرب البسوس[2]:**

هي البسوس بنت منقذ التميمية، خالةُ جساس بن مرة بن ذهل البكري الذي قتل كُلَيبا، وكان كليب بن ربيعة التغلبي سيِّد الحيين من بكر وتغلب، وكان من خبر البسوس أن جاراً لها كانت له ناقة تُدعىٰ (سرابا)، فرعَت ناقتُه في حمىٰ كليب، ولم يكن يرعىٰ في حمىٰ كليب أحدٌ لعزَّته، إلا جساس بن مرة لمصاهرته، فإن كليباً كان متزوجاً بأخته جليلة بنت مرة.

فلما رأىٰ كليب الناقة أنكرها، فرماها بسهمٍ فأصاب ضرعها، فرجعت حتىٰ بركت بفناء صاحبها وضرعُها يشخب دماً ولبنا، فلمَّا رأت البسوسُ ذلك وَلْوَلت وصرخت بالذلِّ وضربت يدها علىٰ رأسها وقالت أبياتاً، منها:

لعمرُك لـو أصبحـتُ في دار مُنقـذٍ   لمـا ضيـمَ سعــدٌ وهو جـارٌ لأبياتي

ولكننـي أصبحـتُ في دار غُــــربةٍ   متىٰ يعدُ فيها الذئبُ يعدو علىٰ شـاتي

فلما سمع جساسٌ خالتَه سكَّنها وقال لها: ليُقتلنَّ غداً جملٌ هو أعظم عقراً من ناقة جارك، فتربَّص جساسٌ بكليب حتىٰ بلغه خروجه وأنه تباعد عن الحيِّ، فأخذ رمحه واتبعه فأدركه ودقَّ صلبَه بالرُّمح!

ورجع إلىٰ أهله راكضاً مشتدًّا قد انكشفت ركبته، فنظر إليه أبوه فقال: لقد جاءكم جساسٌ بداهية، قالوا: وما ذاك؟ قال: لظهور ركبته، وما أعلم أنها بدت قبل

---

(١) مجمع الأمثال (٢٠٨٢).

(٢) اختصرته وقربته، وانظر بسطه في: مجمع الأمثال (٢٠٢٨)، والكامل لابن الأثير (١/ ٤١٠)، والعقد الفريد (٥/ ٢١٣).

يومها، فجاء وأخبر أهله الخبر، وبلغ الخبرُ مهلهلاً أخا كليب فاهتاج، ونشب الشرُّ بين الحيين، واستحرَّ القتلُ في بني بكر.

وكان الحارثُ بن عباد البكريُّ اعتزل هذه الحرب، لما رأىٰ ابتداء قومه بالظلم، فقال سعد بن مالك البكري قصيدةً يعرِّض به -وهي هذه التي نقدِّم لها- فأرسل الحارثُ ابنه بجيراً إلىٰ مهلهل برسالة يقول فيها: أبو بجير يقرئك السلام، ويقول قد علمتَ أني اعتزلتُ قومي لظلمهم، وقد أدركتَ ثأرك منهم، فأنشدك الله في قومك، فلما سمع مهلهل رسالةَ بجير قتله وقال: بؤ بشسع نعل كليب!

فلما بلغ الحارثَ قتلُ ابنه -وكان حليما-: قال: نعم القتيل أصلح بين الحيين، فقيل له: إنه لم يقتله بكليب، وإنما بشِسع نعله! فلما تحقق الحارثُ الخبر اشتدَّ غضبُه، وأمرهم أن يجهزوا خيله (النعامة)، وكان لا يركبها إلا في حرب، وقال قصيدةً، منها:

قرِّبا مربط النعامة منِّي ... لقِحَت حربُ وائلٍ عن حيالِ

قرِّبا مربط النعامة مني ... إن قتل الغلامِ بالشِّسع غالي

وحلف ألا يدع تغلبياً حتىٰ تكلِّمَه الأرض! ثم جمع قومه والتقىٰ ببني تغلب فهزمهم في يوم (تَحلاق اللمم)، وسمي بذلك لأن الحارث أمر بني بكر أن يحلقوا رؤوسهم، وقتل منهم خلقاً كثيرا، ولم يقوموا لبكر بعدها، ولم يزل يقتل منهم برّاً بقسمه حتىٰ احتال بنو تغلب فحفروا حفرةً ووضعوا فيها رجلاً يكلِّمه حتىٰ يبرَّ بقسمه، وقالوا له إذا مرَّ الحارثُ فتغنَّ بهذا البيت:

أبا مُنذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنا ... حنانيك بعضُ الشرِّ أهون من بعض!

فتركهم بعد ذلك وعفا عنهم، وانتهت هذه الحربُ بعد أربعين سنة ولم يُعقَل فيها دم، فسمَّتها العربُ (البتراء).

- **البيان:**

(**يا بؤس للحرب**): أي بئساً لهذه الحرب، واللام زائدة لتأكيد الإضافة، فالعرب تقول يا بؤس كذا أي ما أبأس كذا. (**وضعت أراهط**): وضعت أي حطَّت وخفضت من قدر أراهط، والأراهط جمع رهط، وتقدم أن الرهط هم القوم دون العشرة. (**فاستراحوا**): فحالفوا الراحة، ورضوا بالقعود، وهذا تهكم بهم. (**لجاحمها**): تقدم في بيان القطعة الخامسة عشرة أنه يقال جحِمَت النارُ جَحمةً فهي جاحمة إذا تلظت واستعرت. (**التخيل**): من الخيلاء، وهو الكِبر والبطر. (**والمِراح**): من المرَح وهو اللهو والنزق والاختيال، قال الحق سبحانه ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾[الإسراء: ٣٧]. (**الصبَّار**): اسم مبالغة من الصبر، وهو حبس النفس. (**النجدات**): الشدائد. (**الوقاح**): الصلب الجريء. (**النثرة**): الدرع الواسعة. (**الحصداء**): المفتولة المحكمة. (**البيض المكلل**): تقدم أن البَيض جمع بيضة وهي الخوذة، والمكلل أي المثبت بالمسامير. (**والنطاح**): من المناطحة التي تكون بين الكبشين، وهي استعارة لمنازلة أشداء الفرسان لبعضهم. (**التنواط**): مصدر مبالغة، يعني ذوي التنواط، من النَّوط وهو التعليق، أراد الدخلاء والهجناء الذين نيطوا وعلقوا بصميم العرب فليسوا منهم. (**والذنبات**): يريد الأتباع وحثالة القوم، فإنهم الأذناب كما أن علية القوم وساداتهم يسمون الرؤوس والذوائب. (**جُهد الفضاحُ**): أي بُلغ بالفضيحة جَهدُها، واجتهد القوم أن يفضحوا بعضا، فلا يثبت في هذا الوقت إلا الشريف الكريم الصائن لعرضه. (**كشفت لهم عن ساقها**): يُقال كشفت الحرب عن ساق إذا حمي وطيسها واشتدَّ، وهو قول في تأويل قول الحق ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القلم: ٤٢]، أي يوم يُكشف عن شدة. (**الصُّراح**): الخالص الظاهر غير المشوب. (**فالهمُّ**): الهم ما يُهتم لأجله. (**بَيضات الخدور**): أي الجواري الجميلات التي هنّ كالبَيض في صونهن، وهو نحو قوله سبحانه ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ﴾[الصافات: ٤٩]. (**النعم المراح**): الإبل المُراحة من مراعيها. (**الخلائف**): من خُلِّفوا وأُخِّروا، يعني

الذين وضعتهم الحرب فلم يدخلوا فيها، مثل: (أولاد يشكر): من بني بكر بن وائل. **(واللقاح)**: أراد باللِّقاح هنا بني حنيفة من بني بكر بن وائل، وسُمُّوا لقاحـاً لأنَّهم كانوا لا يؤدُّون الطاعة للملوك، وقيل: بل اللقاح هنا علىٰ أصلها، وهي الإبل فيها اللبن، ساوىٰ بينها وبين أولاد يشكر تهكما بهم، كأنهم مما يُحامىٰ عنه. (لا براح): أي لا زوال وانحراف عن الحرب، و(لا) هنا عملت عمل (ليس).

- **العرض:**

(١-٥): يقول: ما أبأس هذه الحرب التي حطَّت أناساً من قومنا ركنوا فيها إلىٰ السلامة والجبن والراحة، فإن الحرب تكشف الحقائق، ولا تبقي نيرانُها للمتكبرين كبرياءً، ولا للمرحين نشاطا، بل تبين كل واحد علىٰ حقيقته، فلا يثبت فيها إلا الفتىٰ الصبور الجسور، والفرس الشجاع المقدام، بالدرع الواسعة المحكمة، والخوذة القوية الثابتة، والرمح الطويل القويم، يكر علىٰ القوم ويفر في وقتٍ يُكرَه فيه الإقدام والمنازلة والمناطحة.

(٦- ٨): يقول: وتساقط الدخلاء والهجناء في هذه الحرب، وقعد عنها كل من قعَد به شرفُه، أما الكريم الشريف فإنه ثبت فيها في وقت لا يثبت فيه إلا من هو مثله، صيانةً لشرفه، وحمايةً لعرضه، ثم اشتدت الحرب، واستعرت نارها، وبدا الشر الخالص المُستكره، وصار الرجل يهتمُّ لأمر النساء حتىٰ لا يسبين ويذهبن، أما النعَم والمال فأمرها يسير.

(٩- ١٠): يقول: بئس الذين خلفناهم بعدنا أولاد يشكر وبني حنيفة إذ لا دفاع بهم، وليسوا ممن يُرجَىٰ عند النَّاس عونُهم، ومن أحجم عن هذه الحرب وصدَّ عن نارها؛ فأنا ابن قيسٍ الذي لا يحجم ولا يصدُّ ولا يبرح.

(٥٦)

وقال حسَّانُ بنُ عُلْبةَ: [من الطويل]

١. إذا كنتَ مِن سَعْدٍ وأمُّك منهمُ غريبًا فلا يَغرُرْكَ خالُكَ مِن سَعْدِ

٢. فإنَّ ابْنَ أختِ القوم مُصْغًىٰ إناؤهُ إذا لم يُزاحِمْ خالَه بأبٍ جَلْدِ

- **الكشف:**

المشهور أنها للنَّمِر بن تولب بن زهير العُكْلي، وعُكْلٌ هم أبناء عوف بن عبد مناة بن أد، صحابي جواد، وشاعر مخضرم، وفارس شجاع، أدرك النبي ﷺ وأسلم كبيرا وروىٰ عنه، وعُمِّر كثيرا حتىٰ قيل إنه بلغ مئتي عام! وأبياته سيَّارة مشهورة، وأمثاله حسنة مذكورة.

وقيل في خبرها إن أخوال الشاعر -وهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم- أغاروا علىٰ إبلٍ له فاستاقوها، فقال أبياتا يذكر فيها أن عز الرجل بعشيرته وعمومته لا بخؤولته، وأن مَن لا يُنجده نسَبُه فإن حقَّه من الدفاع والنصرة مهضومٌ عند أخواله، واختار منها أبو تمام هذين البيتين.

- **البيان:**

(مِن سعد): بن زيد مناة بن تميم، وهو وهم من الشارح أو الناسخ، والصحيح مِن الرِّواية (في سعد) لأنَّه ليس منهم. (غريبا): حال منصوب، وعنىٰ بالغربة أنه لا ينتسب إليهم علىٰ الحقيقة، فهم أخواله. (يغررك): الغَرُّ الخداع وتزيين الباطل، ومنه ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾[الجاثية: ٣٥]. (مُصغىٰ إناؤه): مثلٌ يُضرَب لمن يُهضَم حقه

ولا ناصرَ له، كأن إناءه -الذي فيه عزُّه- أهريق ما فيه[1]. (جَلد): تقدم في بيان القطعة السادسة عشرة أن الجَلد هو الصبور الشديد، وأراد بالجَلادة هنا جلادة النسب، أي قوة النسب وعزته.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: إذا كنت في بني سعد وأنت غريب عنهم لست منهم، فلا تعتمد علىٰ قرابتك فيهم، ولا تثق بانتسابك إليهم، فإنك لا تنتسب إليهم علىٰ الحقيقة، بل أنت ابنُ أختٍ لهم، وليس لك منهم إلا الخؤولة، واعلم أن ابن الأخت مهضومُ الحق، منقوص الشِّرب، إذا لم يكن له من جهة أبيه نسبٌ صالحٌ يفخر به، وقبيلةٌ عزيزةٌ ينتصر بها.

وأكرم ما يكون الرجل إذا صفا نسبُه من أبيه وأمه وكان عزيزا فيهما، والعرب تفخر بذلك وتمتدح به كما قال امرؤ القيس: (بجِيدِ مُعَمٍّ في العشيرةِ مُخوَلِ)[2]، وقال عوفُ بن الأحوص: (ولكن نلتُ مجدَ أبٍ وخالِ)[3]، وقال جابر بن ثعلبة: (وإن كان فيهم واسطَ العمِّ مُخوَلا)،[4] وسيأتي هذا المعنىٰ في القطعة الخامسة والتسعين، ومعنىٰ القطعة السابقة هو نحو قول الشاعر:

بنونـا بنـو أبنائنـا، وبناتُنـا ... بنوهـنَّ أبنـاءُ الرجـالِ الأباعـدِ[1]

---

(١) انظر نحوه في مجمع الأمثال (٣٨٦٩).

(٢) شرح القصائد العشر (٣٨).

(٣) المفضليات، القصيدة (٣٥).

(٤) ديوان الحماسة (١/ ١٧٨).

(١) بيت مشهور، يُستشهد به في كتب العربية والفقه وغيرها، لا يُعرف قائله، ونُسب للفرزدق، وانظر: الحيوان للجاحظ (١/ ٣٤٦).

(٥٧)

وقال رَبيعةُ بنُ مَقْرُومٍ الضَّبِّيُّ: [من الوافر]

١. أخُـوكَ أخُـوكَ مَـن يدنو وترجو ... مَوَدَّتَـهُ وإن دُعِـيَ اسـتجابَا

٢. إذا حـارَبْـتَ حـارَبَ مَـن تُعادي ... وزاد سِـلاحُه منـك اقتـرابَا

٣. وكـنـتُ إذا قَـرِيـنـي جـاذَبَـتْـهُ ... حِبالـي مـاتَ أو تَبِـعَ الـجِـذَابَا

٤. فـإنْ أهـلِـكْ فَـذِي حَنَـقٍ لَـظَـاهُ ... علـيَّ يـكادُ يَلتهِـبُ الْتِهـابَا

٥. مَخَضْتُ بدَلوِه حتىٰ تَحَسَّىٰ ... ذَنُـوبَ الشَّـرِّ مَـلْأَىٰ أو قُـرابَا

- **الكشف:**

تقدمت ترجمته في كشف القطعة السادسة، وهذه القطعة يذكر فيها صفات الأخ الخالص الود، وأن الأخوة الحقة هي بالمناصرة والمؤازرة، ثم يتخلص بذلك إلىٰ الفخر بقوته وقهره لأعاديه.

- **البيان:**

(أخوك أخوك): كرر اللفظ للتوكيد، فالأول مبتدأ والثاني توكيد له، نحو قول الحق ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾[الواقعة: ١٠]. (من يدنو): خبر المبتدأ، والدنو الاقتراب، ومنه ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[النجم: ٨]. (مودته): المودة مفعلة من الوداد، وهي الألفة والمحبة، قال الحق سبحانه ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم: ٢١]. (سلاحُه): عُدَّته ونصرته. (قريني): نظيري، مثل القِرن الذي تقدم في القطعة الثامنة. (جاذبَته حبالي): هذا مثلٌ يُضرب للمنازعة والمشادة علىٰ أمر[١]، فيُقال جاذبَته

(١) انظر مجمع الأمثال (٢٩٦).

قرينتُه وجاذبَته حبالُه فلم ينجذب، أي نوزع على شدةٍ من الأمر فأبى، فإن انجذب فهو كناية عن القهر وترك الإباء، ومنه قول عمرو بن كلثوم يفخر بإباء قومه ومنعتهم:

متى نعقِد قرينتنا بحبلٍ نجذّ الوصلَ أو نقِص القرينا[1]

(تبع الجِذابا): أي رضخ وانقهر. (فذي حنَقٍ): مجرور بإضمار رُبَّ، فإن حرف رُبَّ قد يُحذف بعد الفاء ويبقى عمله، والمعنى: فرُبَّ صاحب حنَق، وهذا المعنى بلفظه مطروق عند الشاعر كما في القطعة السادسة، وهذا مما يُعرَفُ به نسبة الشعر. (لظاه): اللظى النار، ومنه ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾[المعارج: ١٥]، نجانا الله، وعنى بها الشاعرُ نار العداوة. (يلتهب التهابا): يتوقد توقدا ويشتعل اشتعالا، قال الحق سبحانه ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[المسد: ٣]، حمانا الله. (مخضتُ بدلوِه): أي حرَّكتُ بدلوِه للاستقاء، وهذا كله مجاز ويقصد أنه جاراه في أسباب العداوة. (تحسَّى): شرِب. (ذَنوبَ الشرِّ): الذَنوب النصيب، ومنه ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾[الذاريات: ٥٩]. (ملأى): أي ممتلئة، ويقصد الدلو. (قُرابا): يُقال قُرابا وقِرابا وهو ما قارب الامتلاء.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: إن أخاك الحقَّ -الذي يُخلص لك الوِداد- هو ذلك الذي يقرِّب مكانه منك، ويحسن شفقته عليك، وتطمع في قربه، وترجو ودَّه، وإن طلبته في ملمة ونازلة وجدته حاضرا، أو احتجته في حرب وواقعة رأيته ناصرا، فهو وثيق الوداد، دائم النصرة، صادق الصحبة.

(٣-٥): يقول: وكنتُ إذا رماني امرؤ بأسباب الشر، وصارحني بطرق العداوة، وأخذ يجاذبني حبالي؛ فإما أن لا يطيق منازعتي فيهلك دون ذلك وينقطع، وإما أن يذعن لي ويطاوعني وينزل على أمري، فهذه حالي لا يرغمني رجل، ولا يقهرني

(١) شرح القصائد العشر (١٦١).

قرين، وإذا كانت هذه حالي فلا أبالي بالموت، وهَبني مُتُّ، فقد قضيتُ حاجتي من العيش، وأدركتُ ثأري في هذه الحياة، فكم من رجلٍ مغتاظ مني، حانقٍ علي، تشتعل نيرانُ عداوته في صدرِه؛ جارَيتُه في أسباب عداوته التي بذلها حتىٰ أرغمتُ أنفَه وقهرتُه، وملأتُ دلوه التي جاء يستقي بها شرًّا فسقيتُه إياه، فانقلب علىٰ وجهه مدحورا.

(٥٨)

وقال شَمْعَلةُ بنُ الأَخْضَرِ: [من الوافر]

١. ويـومَ شَقِيقةِ الحَسَنَينِ لاقَتْ بنُـو شَـيْبانَ آجـالًا قِصَـارَا

٢. شَكَكْنـا بـالـرِّمـاحِ وهُــنَّ زُورٌ صِمـاخَيْ كَبْشِـهم حتـىٰ اسـتدارَا

٣. فـخَـرَّ علىٰ الأَلَاءةِ لـم يُـوَسَّـدْ وقـد كان الدِّمــاءُ لـه خِمـارَا

- **الكشف:**

شمعلة بن الأخضر بن هبيرة الضبي، من بني ضبة بن أد، فارس وشاعر، وكان أبوه سيدا من سادات بني ضبة، وفارسا من فرسانها، فورث ذلك عنه شمعلة، ووهِمَ بعضُهم فجعل (شمعلة) شاعرةً أنثىٰ، وهذا عجيب![1]

وهذه الأبيات يذكر فيها يوم (الشقيقة)، وهو يوم لبني ضبة علىٰ بني شيبان، وخبرُه أن قوما من بني شيبان علىٰ رأسهم سيدهم بسطام بن قيس أغاروا علىٰ إبل لبني ضبة، فأدركهم بنو ضبة، وقتلوا سيدهم بسطاما، طعنه أحدهم بالرمح في صماخ أذنه فسقط علىٰ ألاءة من شجر الرمل فمات، وستأتي القطعة الثامنة والتسعين في رثاء بسطام بن قيس، وهذه القطعة معارضة لها.

- **البيان:**

(شقيقة الحسنين): الشقيقة الرملة العظيمة، والحسنان كثيبان معروفان في بلاد بني ضبة، مثنىٰ الحسَن وهو شجر ألاء مصطف بكثيب رمل، وسُمي بذلك لحسنه. (بنو شيبان): من بني بكر بن وائل. (آجالا قِصارا): أي قصُرت آجالُهم فماتوا في

---

(١) أيام العرب في الجاهلية، لمجموعة من المؤلفين، ص (٣٨٦).

ذلك اليوم. (شككنا): أي طعنًا ونظَمْنا، وغالبا ما يُستعمل الشكُّ في الرمح، والطعنُ في السيف والرمح معا، وتأمَّل هنا فإنَّ الذي شكَّه بالرمح واحد، ولكنه نسب الفعل إليهم لاشتراكهم في الرضا بإيقاعه وبذل أسبابه، قال الحق سبحانه ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾ [الأعراف: ٧٧]، فجعلهم جميعا عاقرين. (وهنَّ زورٌ): أي والخيل مائلات، ولم يذكر الخيل ثقةً بفهم السامع علىٰ عادة العرب. (صماخَي كبشِهم): الصماخ هو الخَرقُ الباطن من عند الأذن يُفضي إلىٰ الرأس، وجعلها صماخين لأن الرمحَ شكَّه من جهةٍ وخرج من أخرىٰ، وتقدم أن الكبش رئيس القوم وسيد الكتيبة. (استدارا): أخذه الدوار في رأسه. (فخرَّ): مال وسقط، ومنه ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٦]. (علىٰ الألاءة): شجر ينبت في الرمل، مشهور في بلاد بني ضبة، حلو المظهر، مر المذاق. (لم يوسَّد): أي أنه خرَّ مقتولا لم يوسِّده أحد. (كان الدماء له خمارا): الخَمر والخِمار كل ما غطَّىٰ وستر، قال الحق سبحانه ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[النور: ٣١]، أي أن الدماء غطته وسربلته.

- **العرض:**

(**١-٣**): **يقول**: وفي يوم الشقيقة عند الحسَنين لقي أقوامٌ من بني شيبان آجالَهم، وقضينا هنالك عليهم، وانتصرنا منهم، وتبعناهم والخيول مائلات منحرفات للطعان، فطعنًا سيدهم وعظيمهم بسطاما طعنةً أصابته في جنب رأسه فخرجت من جنبه الآخر، فسقط بعد ذلك صريعا علىٰ شجرة من شجر الألاء، والدماءُ تغطيه من رأسه إلىٰ أخمص قدميه فكأنها خمار له.

(٥٩)

وقال سِنانُ بنُ الفَحْلِ: [من الوافر]

١. وقالـوا قد جُنِنتَ فقُـلتُ كلَّا ... وربِّـــي مـا جُنِنـتُ ولا انتشَـيْتُ

٢. ولكني ظُـلِمْـتُ فـكِـدْتُ أبكي ... مِـنَ الظُّـلْمِ الـمُبـيِّنِ أو بَـــكَيتُ

٣. فـإنَّ الـمـــاءَ مـاءُ أبـي وجَدِّي ... وبئـري ذو حَفَـرتُ وذو طَوَيـتُ

٤. وقَبْلَكَ رُبَّ خَصْمٍ قد تَـمَالَوْا ... علـيَّ فمــا هَلِعْـتُ ولا دَعَـــوْتُ

٥. ولكنِّي نَصَبْتُ لــهم جَبِيـني ... وأَلَّـــةَ فـــارسٍ حـــتىٰ قَــــرَيْتُ

● **الكشف:**

سنان بن الفحل الطائي الجرميُّ، شاعر إسلامي، من أعيان طيئ، عاش في صدر الدولة الأموية، ويُعرف بهذه الأبيات.

وخبرها أن قومه من بني طيئ اختصموا هم وجماعة من بني العشراء الفزاريين علىٰ ماء من مياههم، وتنازعه الحيان، فترافعوا إلىٰ والي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك، وكان من أصهار الفزاريين، فخشيت الجماعةُ من طيئ أن يجور عليها في الحكم، ويميل إلىٰ أصهاره من فزارة، فارتجل سنان بن الفحل هذه الأبيات أمامه.

وقد اعترض بعضُ شراح الحماسة علىٰ إيراد أبي تمام لهذه الأبيات في باب الحماسة وفيها ذكر البكاء من الظلم، وأن هذا خلاف الحماسة، وجواب هذا أن ينظر ذلك المعترضُ آخر الأبيات، فإن فيها فخر الرجل بقوته وثباته وتجلده وحسن دفاعه، وبهذا دخلت في الحماسة، وإنما ذكر تظلمه وبكاءه لأن الشأن في الإسلام غير الشأن في الجاهلية، فحكمُ الوالي يفضُّ النزاع، ويقضي علىٰ المحكوم، فلا سبيل لهم إلىٰ المغالبة كما كانت الناس تفعل في الجاهلية لا يردعها دينٌ ولا يخوِّفها

سلطان، ولم يَعنِ الشاعرُ إلا بكاءَ الأنفة والامتعاظ والغيظ لا بكاء الانقياد والذل والمطاوعة، والعربُ تأنف من أن يُنسب رجالها إلىٰ البكاء، ويصفون أنفسهم بالتجلد والصبر والقسوة والغلظة، كما قال مُهلهل:

يُبكىٰ علينا، ولا نبكي علىٰ أحدِ ... لنحنُ أغلظُ أكباداً من الإبلِ![1]

- **البيان:**

(جننتَ): أي أصابك جنون، وهو زوال العقل أو اضطرابه، وهي من التهم التي يُرمىٰ بها كل من أتىٰ غريبا من القول والفعل، كحال المشركين لما سمعوا الذكر ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾[القلم: ٥١]. (ولا انتشيتُ): يُقال انتشىٰ إذا شرِب فسكِر. (الماء): التي تنازعها الحيان. (ذو حفرتُ): ذو هنا بمعنىٰ الذي في لغة طيئ، فهي اسم موصول يستعمل للمذكر والمؤنث، والبئر مؤنثة. (وذو طويتُ): والتي طويتُها، أي بنيتُها بالحجارة. (تمالَوا): تمالؤوا، فحذف الهمزة تخفيفا، يقال تمالأ عليه القوم إذا تألبوا عليه، واجتمعوا علىٰ عداوته والنيل منه. (هلعتُ): سبق في بيان القطعة السادسة عشرة. (ولا دعوتُ): أي ولا استنصرتُ أحدا أو استغثتُ به، قال الحق سبحانه ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٣]. (نصبتُ لهم جبيني): نحو ما مر في القطعة الخمسين، والجبينُ جانب الجبهة، ومنه ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[الصافات: ١٠٣]. (وألّةَ فارسٍ): الألّة الحَربة يُطعن بها، وجمعها إلال. (قريتُ): القَريُ جبيُ الماء في الحوض، يقصد حتىٰ جبيتُ الماء وجمعتُه في حوضي.

- **العرض:**

(١-٣): **يقول**: لما رأوني أدافع عن حقي، وأناضل دون بئري، وأتشدد في إبائي وإنكاري، قالوا: إن هذا لمجنون أو سكران، وإلا فما يدفعه لكل هذا؟ فقلتُ لهم

---

(١) قواعد الشعر (٥٠)، وجعله ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢/ ٢٠٩) من الأبيات التي لا مثيل لها في جودتها، ونسبه للمخبل.

رادعا زاجرا: لا والله! لستُ مجنونا ولا سكرانا، ولكني أفعل كل هذا لِما نزل بي من ضيمٍ لم أكن آلفه، ووقع عليَّ من ظلمٍ لم أكن أعرفه، وأنا مع كل هذا عاجز عن أخذ حقي والانتصار لنفسي، حتىٰ إني كدتُ أبكي لذلك أو بكيتُ من شدة الغيظ والأنفة، فإن هذا الماءَ ماءٌ ورثتُه عن أسلافي لم ينازعني فيه أحد، والبئر التي عند الماء أنا توليتُ حفرها وبناءها بيدي، فبأي حقٍّ يُنتزَع هذا مني!

(٤-٥): **يقول**: وقد كنتُ قبل هذه الحال لا يستطيع منازعتي علىٰ الماء أحد، وكم من قومٍ تألبوا عليَّ، واجتمعوا علىٰ عداوتي، فثبتُّ في وجوههم، ولم أجزع لاجتماعهم عليَّ أو أستغث بأحد ينصرني عليهم، بل كنتُ أنا الحامي المدافع، وصبرتُ لهم، وانتصبتُ في وجوههم، وهيأتُ عدتي وسلاحي لدفعهم حتىٰ خلَّصتُ حقي منهم، وجمعتُ الماء في حوضي خالصـًا لي.

(٦٠)

وقال عُبَيْدُ بنُ ماوِيَّةَ: [من المتقارب]

١. أَلَا حَــيِّ ليلىٰ وأطلالَــها ورَمْلةَ رَيَّا وأَجْبالَــها
٢. وأنـعِـمْ بمـا أرسلَـتْ بالَـها ونالَ التحيةَ مَن نالَـها
٣. فـإنـي لـذو مِـرَّة مُـرَّةٍ إذا ركِبَتْ حالةٌ حالَـها
٤. أُقـدِّمُ بالزَّجْـرِ قبل الوعيدِ لتَنْهَىٰ القبائلُ جُهَّالَـها
٥. وقـافـيـةٍ مثلِ حَـدِّ السِّنَا نِ تَبقىٰ ويَذهبُ مَن قالَـها
٦. تـجـوَّدْتُ في مجلسٍ واحدٍ قِرَاها وتِسْعِينَ أمثالَـها

- **الكشف:**

عُبيد وقيل عَبيد بن ماوية الطائي، شاعر إسلامي أموي مغمور، وهذه قطعة يبدأ فيها بتحيَّة أطلال محبوبته ورمال ذلك الموضع وجباله، علىٰ سُنَّة العرب في ذلك، فإنهم يرون تحية الأطلال ومرابع الصِّبا ونحوها من الوفاء بالعهد، ثم يتخلص بذلك إلىٰ ذكر قوته وصلابته ويصفُ شِعرَه بالإحكام والجودة.

- **البيان:**

(حيِّ ليلىٰ): يخاطب امرأً في ذهنه لا تعيين له، فيصدق الأمر علىٰ كل سامع، أو أنه جرَّد نفسَه فخاطبها، وليلىٰ قد يكون اسما لمحبوبته، والغالب أنه اسم كنىٰ به عن اسم محبوبته كعادة العرب علىٰ ما يأتي في صدر باب النسيب. (وأطلالها): الأطلال جمعُ طلَل، وهو الباقي الشاخص من آثار الديار. (ورملةَ ريَّا): موضع قرب نجد في بلاد طيئ. (وأجبالها): جمع جبَل، يقال أجبُل وجِبال وأجبال، وعنىٰ جبالَ

طيئ وهضابها، وأشهرها الجبلان: أجا وسلمىٰ. (وأنعِم): هذه تحية عند العرب يقولون: عَم وعِم وأنعم، ويقولون: أنعم صباحا، وأنعم بالاً، كما في هذه القطعة. (بما أرسلَت): جملة اعتراضية بين الفعل ومفعوله، والباء للعوض، أي بدلا مما أرسلَت إلينا بالتحية. (بالَها): مفعول (أنعِم)، والبال هو الخلَد والخاطر، فيقول: أنعَمَ اللهُ بالَها، أي حياها الله وأقر عينها وسلمها. (ونال التحية): نال ينال نيلاً أي حصل علىٰ مطلوبه، قال الحق سبحانه ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾[التوبة: ٧٤]. (مَن نالها): الضَّمير راجع إلىٰ المرأة، ويحتمل أن يكون الفعل كالذي قبله مِن النَّيل، ويعني بالتحية تحية المُلك، فيكون المعنىٰ: ومن نال هذه المرأة فقد نال الملكَ كلَّه، ويحتمل أن يكون الفعل مِن نال ينول نَولا ونَوالا أي أعطىٰ يعطي عطاء وإعطاء، فيكون المعنىٰ: وأحيي كذلك من يوصل تحيتي إلىٰ هذه المرأة، وهذا أشبه بالسياق. (فإني): هنا انتقال عن معنىٰ إلىٰ معنىٰ آخر ليس له به صلة ظاهرة، ولعل أبا تمام اختار هذه الأبيات من قصيدة أطول، واستحسن منها مواضع، فوقعت بهذا الحرف في الانتقال، وهذا كثير في الحماسة. (لذو مِرَّةٍ مُرَّةٍ): المِرَّة القوة، قال سبحانه ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾[النجم: ٦]، وقوله مُرَّة ضد الحلوة، يصف نفسه بأن له قوة شديدة الإباء والمرارة علىٰ من يحاولها، وإتيانه باللفظين المتشابهين مع اختلاف معانيهما يُسمىٰ عند أهل البلاغة: جِناسا. (ركِبت حالةٌ حالَها): أي إذا اضطربت الأمور، والتبست الأحوال، كما تقول العرب (ركِبَ المُغمِّضة) إذا أقبل علىٰ أمر ملتبس من غير بيان[1]. (أقدِّم بالزجر قبل الوعيد): أي أحذر المتعرِّض وأردعه وأنهاه قبل أن أتوعده وأهدده، فهو إشارة إلىٰ حلمه واعتداده بنفسه وقوته. (جهالَها): تقدم الجهل في بيان القطعة الثانية، وهو هنا بمعنىٰ السفَه والطيش. (وقافيةٍ): العرب تسمي القصائد قوافيا، كما في القطعة العاشرة، وهذا البيتُ يُنسَب للخنساء. (مثل حدِّ السنان): في قوة أثرها، فتنفذ القافيةُ في القلوب نفاذ السنان في الأبدان، وهو مثل قول الحماسي

(١) مجمع الأمثال (١٥٦٦).

(ووقعَ لسانٍ كحدِّ السنان)[1]، وانظر كشف القطعة الخامسة والأربعين. (تبقىٰ): أي يستجيدها الرواةُ فيتناقلونها ويتحفظونها، وهذا المعنىٰ مشهور عند الشعراء، وأجاد فيه أبو الطيب بقوله[2]:

وما الدهـرُ إلا مـن رواةِ قلائـدي   إذا قلتُ شِعرا أصبحَ الدهرُ مُنشِدا
فســار بـهِ مـن لا يسـيرُ مُشـمِّرا   وغنَّـىٰ بـه مـن لا يغـنـي مُغـرِّدا

(تجودتُ): انتقيتُ ألفاظها وتخيرتُ معانيها. (قِراها): جَمعها، وتقدم في القطعة الماضية أن القريَ هو الجبيُ والجمع. (وتسعين أمثالها): أي وقِرىٰ تسعين أمثالها، للمبالغة، يريد أنه شاعرٌ لسِنٌ فصيح، وذلك في معرض الفخر والوعيد.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: سلِّم علىٰ ليلىٰ وعلىٰ ديارها، وسلِّم علىٰ رمال ريًّا وجبالها، وابعث إليها تحيتي قائلاً: أنعم الله بالَها، جواباً علىٰ مراسلتها وتحيتها الطيبة، وكلُّ من أنال هذه المرأةَ تحيتي فله مني التحيةُ كذلك.

(٣-٦): يقول: فإني لذو قوةٍ لا تتراخىٰ مع تزاحم الأعداء، وذو عزمٍ لا يردعه اضطرابُ الأمور وتراكمها والتباسها، أزجر المتعرِّض لي وأصبر عليه قبل أن أتوعده، وأعظه قبل أن أخشن جانبي له، لكي ينهىٰ حكماءُ القبائل سفهاءها، ولأتدرج في مؤاخذتهم، فأبتدئ بالزجر، ثم أرتقي إلىٰ الوعيد، ثم يكون الإيقاع فلا منجىٰ منه، ورُبَّ قصيدةٍ أقولها تنفذُ نفاذ السنان، وتخرق المسامع والآذان، وترويها الرواة لحُسنها وجودتها، فلا تخلق مع مرور الأيام، ولا تُبليها السنون والأعوام، أنا ارتجلتُها في مجلسٍ واحد، مصطفاةَ الألفاظ، مهذبةَ المعاني، وأقول تسعين من أمثالها كذلك، فإنها هينة علي.

---

(١) ديوان الحماسة (١/ ٢٦١).

(٢) شرح ديوان المتنبي للواحدي (١٤٦٣).

(٦١)

وقال بُرْجُ بنُ مُسْهِرٍ الطائيُّ: [من الطويل]

١. إلىٰ اللهِ أشكو مِن خليلٍ أَوَدُّهُ ثـلاثَ خِـلالٍ كلُّهـا لِـيَ غائـضُ

٢. فمِنهُنَّ أَلَّا تَجْمَعَ الدَّهْرَ تَلْعَةٌ بُيُوتَـا لنـا، يـا تَلْـعَ سَيْلُكِ غامِـضُ

٣. ومـنـهـن أَلَّا أسـتـطـيـعَ كـلامَـه ولا وُدَّهُ حتـىٰ يَـزُولَ عُـوارِضُ

٤. ومنهن أَلَّا يَـجْـمـعَ الـغَـزْوُ بيننا وفي الغَزْوِ ما يُلْقَىٰ العدُوُّ المُبـاغِضُ

٥. ويَـتـرُكُ ذا الـبَـأْوِ الـشـديـدِ كأنه مِنَ الـذلِّ والبَغْضـاءِ شَـهْباءُ ماخِـضُ

٦. فسائلْ هـداكَ اللهُ: أيُّ بني أبٍ مِـن النـاسِ يَسْـعَىٰ سَـعْيَنا ويُقـارِضُ

٧. نُـقـارِضُـك الأمـوالَ والـوُدَّ بيننا كأنَّ القلـوبَ راضَهـا لـك رائـضُ

٨. كفىٰ بالقُبـورِ صـارِمًا لو رَعَيْتَهُ ولكـنَّ مـا أعلَنـتَ بـادٍ وخافِـضُ

• **الكشف:**

هو البُرج بن مُسهِر بن جلاس، من بني جديلة من طيئ، شاعر جاهلي مشهور، وسيد من سادات طيئ، وقد عُمِّر كثيرا، وكان كثيرَ الشراب، قبيحَ السُّكْر، لا يتورع عن إتيان الفواحش إذا سكِر ولو بمحارمه.

وخبر هذه القطعة أنه كان جالسا مع عمه أبي جابر يتنادمان ويشربان حتىٰ سكرا، وكانت امرأة أبي جابر جالسة، فلما انتشىٰ البرجُ قام فقبَّلها، ثم رأىٰ عمه ينظر إليه فاستحيا وكفَّ وقال: غلبني الشرابُ يا عماه! فقال له عمُّه: أولم تكفَّ وتستح حين رأيتني؟ ولو غلبك الشرابُ لما كففت، ولكن كان عقلك معك، اذهب فوالله لا نجتمع في بلد، ولا تجمعنا غزوة، ولا أكلمك أبدا، فقال البرجُ هذه الأبيات يستعطفُ فيها عمَّه، ويعتذر إليه، ويذكِّره الود والقرابة.

- **البيان:**

(إلىٰ الله أشكو): تقديم الجار والمجرور مشعِرٌ بالحصر، وكأنه جعل شكواه إلىٰ الله وحده ليأسه من المخلوقين ومعونتهم. (خليل): قريب حميم، والخُلَّة أعلىٰ درجات المحبة، قال الحق سبحانه ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[النساء: ١٢٥]. (أودُّه): أميل إليه وأحبه، والودُّ -بتثليث الواو- والوِداد والوِدادة والوَدادة والمودة والمودِدَة والتوادُّ واحد. (خلال): كخِصال، وزنا ومعنىٰ، ومفردها خَلَّة. (غائض): ناقص لي ونائل مني، يُقال غاض يغيض غيضا: إذا نقص وقلَّ، ومنه ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤]. أو هو بمعنىٰ (غائظ) علىٰ لغة تميم. (الدهرَ): ظرف زمان بمعنىٰ أبدا، ومثله في القطعة الحادية والأربعين. (تلعةٌ): التلعةُ الأرض المرتفعة التي يتردد فيها السيل إلىٰ بطن الوادي، وأراد لا يجمعهم مكان، وخصَّ التلعة لأنها موضع تبني فيه العربُ بيوتها. (يا تلعَ سيلكِ غامضُ): التفت إلىٰ نداء التلعة، ودعىٰ عليها أن لا يجري فيها سيل، ولا يظهر بها خصب، والغامض الخفي. (ولا ودّه): أي ولا أستطيع العمل بمقتضىٰ ودِّه وموجبه. (حتىٰ يزول عوارضُ): مثلٌ ضربه في الامتناع والاستحالة، وعُوارِض جبل مشهور في أرض طيئ، يقال إن فوقه قبر حاتم الطائي. (ما يُلقىٰ): ما مصدرية. (المُباغضُ): من البُغض، وهو المقت والكراهية. (ويتركُ ذا البأو): أي ويتركُ الغزوُ ذا البأو، والبأو: الكِبْر. (شهباءُ ماخضُ): ناقة ضعيفة حامل، والشهباء البيضاء، وخصَّها لأنها أنعم الإبل وأرقها. (فسائل): يا عماه. (هداك الله): جملة اعتراضية. (ويُقارِض): يعطي ويُجازي، والمقارضة المجازاة والإعطاء، وأصل القرض ما يُعطيه الرجل ليُجزىٰ عليه ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[المزمل: ٢٠]، أي وأنفقوا في سبيله. (راضها لك رائضُ): مهَّدَها لك مُمهِّد، وسهَّلَها لك مُسهِّل، وألَّفَها لك مؤلِّف. (صارمًا): قاطعا، والصُّرم القطع. (رعيتَه): راقبتَه وتنبّهتَ له. (ما أعلنت): من العداوة والبغضاء. (باد): ظاهر، والبدوُّ الظهور، قال الحق سبحانه

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾[الزمر: ٤٨]. (وخافضُ): ومنقصٌ من منزلتنا، خافضٌ لشرفنا عند الناس، وأصل الخَفض الإنقاص والنزول والضعة، قال الحق سبحانه ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ ﴾[الإسراء: ٢٤]، أي وتواضع لهما.

- **العرض:**

(١-٥): يقول: أشكو إلىٰ الله وحده ما أصابني من عمي، فقد أصابتني منه ثلاث خصال، كل واحد منها يؤذيني ويهزلني وينقص لحمي ويكسر عزمي، وقد اجتمعت كلها زيادةً في البلاء، فمن هذه الخلال التي تؤلمني أنه لا يجمعنا مكانٌ أبدَ الدهر، ولا تحوي بيوتنا تلعةٌ من التلاع، فما الحاجةُ إليكِ أيتها التلعة؟ لا أجرىٰ الله سيلكِ ولا أنبتَ زرعكِ! ومن هذه الخِلال أني لا أقدر علىٰ كلامه، ولا أستطيع حديثه، ولا أجد ما أفعله لأتودد إليه، فإن هجره لي دائم، وإعراضَه عني متصل، وقطيعتَه باقيةٌ ما بقي جبلُ عُوارِض! ومن هذه الخلال أننا لم نعد نشترك في دفع صروف الدهر، ولا نتعاون في رد كيد الأعداء، ولا نجتمع للدفاع عن مظالمنا، وما أمسَّ الحاجةَ إلىٰ ذلك! فإنك لا تلقىٰ في الغزو إلا العدو الذي يبغضك، فأنت فيه أحوج ما تكون إلىٰ الصديق الذي ينصرك، وكيف لا يكون كذلك والغزو يَترُكُ الرجلَ المتكبر المتغطرس كالناقة الضعيفة الحامل لما يصيبه من ذل الحرب وبغضاء القتال، فهو أحوج ما يكون إلىٰ المعين المؤازر.

(٦-٨): يقول: فسل -أرشدك الله للهدىٰ والخير، وعدل بك عن سبيل الضلال والقطيعة-: أيُّ قومٍ من الناس يصونون عرىٰ القرابة من القطيعة، ويحمون وشائج الصحبة من الانفصال، مثلنا نحن؟ فإننا نقارضك الأموال علىٰ حالتي السراء والضراء، ولا نمنعك معروفنا، ولا نحرمك ودنا، وإن فعلت ما فعلت، وكأنَّ قلوبنا جُبلت علىٰ محبتك، وشربت من مودتك، وأنت مع هذا متمادٍ في الإعراض والقطيعة! وليتك تنظر إلىٰ القبور التي إليها مآلنا، فإنها أعظم قطيعة، وهي كافية في

حصول الفرقة والهجر، فلعلك تتفكر في سوء فعلك بعد هذا، ولكنك تأبىٰ ذلك بسبب ما ظهر منك من البغضاء والعداوة التي سمع بها كل الناس، فحطوا من قدرنا، وصغرنا في أعينهم بسبب ذلك.

ولأبي علي المرزوقي تعليقٌ لطيف علىٰ ترتيب الخصال الواردة في القطعة يقول فيه: (وقد رتَّب الشاعرُ في هذه الأبيات مسبِّبات المودة ونتائجها، وما يوجبُه غِراسُ المِقة وآثارها أحسنَ ترتيب، فابتدأ عند ذكر انتفائها وامتناعها بتعذُّر الاجتماع بالأبدان في المجالس والمَحالِّ، لأنه الأول والأصل في انعقاد الوداد، ثم أتبعَه بما يصحبُ الاجتماع للتألُّف حتىٰ لا ينفكَّ منه مِن التوانُس والتساؤل، والمخالَقة والإلطاف، لأنه تلو الأول وثانيه، ثم أردف المقدمتين بنتيجتهما من التعاون والتساعد، والاهتمام والشفقة عندما يحدث ويتجدد من صغير وكبير، ومردود ومقبول)[1].

---

(١) شرح الحماسة (٢/ ٦١٨).

(٦٢)

وقال قَوَّالٌ الطائيُّ: [من الطويل]

١. قُولَا لِهذا المَرْءِ ذُو جاءَ ساعِيًا ... هلُمَّ فإن المَشْرَفِيَّ الفرائضُ

٢. وإنَّ لنا حَمْضًا مِنَ الموتِ مُنقَعًا ... وإنَّكَ مُختَلٌّ فهَلْ أنْتَ حامِضُ

٣. أظنُّكَ دُونَ المالِ ذو جِئْتَ تَبتغِي ... ستَلْقَاكَ بِيضٌ للنُّفُوسِ قوابِضُ

- **الكشف:**

قوَّال الطائي، شاعر إسلامي مخضرم في الدولتين، ليس له كبيرُ ذِكر، ويُعرف بأبياته هذه، وقيل إن (قوالا) لقبٌ لُقِّب به معدان بن عبيد بن عدي الطائي، وقد نُسبت هذه الأبيات لمعدان، فيكون هذا الجمع بين النسبتين، وهو سيد من سادات طيئ، وفارس من فرسانها، ولا أظن ذلك صحيحا، لأن أبا تمام أورد في الحماسة شِعرا لمعدان باسمه ونسبه، ولو كان هو نفسه لم يفرق بينهما، وأبو تمام طائي، فهو أعلم بقومه.

وخبر هذه الأبيات أن طيئاً أصابت دماً في بني بدر من فزارة، فأرادت طيئ أن تديه فلم يرض الفزاريون إلا القصاص، وأبت ذلك طيئ، فرفعت بنو فزارة أمرها إلىٰ مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية، فغضب، وكانت طيئ قد مَنعَت الزكاةَ منذ فتنة الوليد بن يزيد لما رأوا اضطرابَ الإمارة وفسادَ بيت المال، فكتب الخليفةُ مروان إلىٰ معدان بن عبيد -وكان سيدا في طيئ- أن أمكِن البدريين من دمهم، وابعث إليَّ زكاةَ قومك، فإن امتنعتَ أتاني الرسولُ برأسك! فامتنعَت طيئ عن ذلك إباءً وأنفة، وواجهوا جندَ مروان وهزموهم، ولهم في ذلك أشعارٌ مشهورة، ووقائعُ مأثورة، فهذه الأبيات يقولها الشاعرُ لساعي الزكاة الذي بعثه مروان، يؤيسه في الزكاة، ويحذره السيف.

• **البيان:**

(قولا): خطاب للمثنىٰ، علىٰ عادة العرب في ذلك، فإن العرب جرت عادتُها في شعرها علىٰ المخاطبة بخطاب الاثنين، وإن كان المُخاطَب واحدا، (والعلةُ في هذا أن أقل أعوان الرجل في إبله وماله اثنان، وأقل الرفقة ثلاث، فجرىٰ كلامُ الرجلِ علىٰ ما قد ألِفَ من خطابه لصاحبيه)[1]. (ذو جاء): ذو الطائية، اسم موصول بمعنىٰ الذي، كما في القطعة التاسعة والخمسين. (ساعيا): عنىٰ به عامل الصدقات، والساعي عليها. (هلمَّ): اسم فعل بمعنىٰ أقبل، قال الحق سبحانه ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾[الأنعام: ١٥٠]. (المشرفيّ): السيف، كما في القطعة الخامسة والأربعين. (الفرائضُ): جمع فريضة، وهي الشيء المقدَّر، وعنىٰ بها الزكاة التي سماها الله فريضة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ ... فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾[التوبة: ٦٠]، وهو هنا يقول: ليس لك فريضة إلا السيف! (حَمضا): الشجر تتفكَّه به الإبل إذا سئمت أكلها المعتاد، وهو يصيبها بالعطش. (منقعا): ثابتا. (مختلٌّ): الخُلَّة المرتع الحُلو، وهو الشجر الذي اعتادت الإبل الأكلَ منه، وهذا مثل مشهور، فإن الإبل لا تزال تختلُّ حتىٰ إذا سئمَت الخُلَّةَ واتَّخمت منها، ذهبت إلىٰ الحَمض فأكلت منه لتُراوح بين الطعوم، فيُعطشها الحَمضُ حتىٰ إنها تدع المرتع من لهبان الظمأ، والعرب تقول (كانوا مُخلِّين فلاقوا حَمضا)[2]، يضربونه مثلا لمن يكون في السلامة فيتنكبها ويتعرَّض لتلَفِه، فيجعلون الحَمض مثلا للشر، والخُلَّة مثلا للدعة والسعة. (أظنك دون المال): أظنك بعيدا عنه، لا تستطيعه. (ذو جئت): الذي جئت. (بيضٌ): سيوف بيض، من الاستغناء عن الموصوف بصفته. (للنفوس قوابض): أي سيوف تقبض النفوس والأرواح، والقبض الأخذ والاستيفاء، قال الحق سبحانه ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[الفرقان: ٤٦].

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري (١٦).

(٢) مجمع الأمثال (٣٠٥٩).

- **العرض:**

(١-٣): يقول: أبلِغا هذا الرجلَ الذي جاء يسعىٰ في أخذ الصدقات، وقولا له: أقبِل فخذ صدقاتنا، فإنك لن تجد عندنا إلا السيف! وإني أراك -بقدومك إلينا، واستخفافك بنا- قد مللتَ العافية، وسئمتَ السلامة، وأراك رتعتَ في الخُلَّة طويلاً ثم آثرت خلاف ذلك، فتعال إلينا نذقك البلاءَ والشرَّ، فإن عندنا من نبات الموت حَمضا تتفكه به، وإني والله لا أحسبك تحصِّل مطلوبك من أموالنا، وتبلغ مرادك من زكاتنا، فلن تلقىٰ عندنا إلا السيوف قابضات الأرواح.

(٦٣)

وقال زُفَـرُ بنُ الحارِثِ: [من الطويل]

١. أفي اللهِ: أمَّا بَحْدلٌ وابنُ بَحْدلٍ فيَحيـا وأمّـا ابـنُ الزُّبَيـرِ فيُقتَـلُ

٢. كذَبتُم وبيـتِ اللـهِ لا تَقتُلونه ولَـمَّـا يكُـنْ يـومٌ أغـرُّ مُحَـجَّلُ

٣. ولَـمَّا يكُنْ للمَشْرَفيَّةِ فَوقَكم شُعاعٌ كقَرْنِ الشمسِ حين تَرَجَّلُ

● **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة الرابعة عشرة، وخبرُ هذه القطعة متصل بتلك، فإنا قد قدمنا أنه كان بين قيس وبني أمية ضِغن وحِقد، وذلك أن معاوية رضي الله عنه لما ولَّىٰ علىٰ عهده ابنَه يزيد بايعه الناسُ إلا قيس، فإنهم قالوا: ما نبايع ابنَ الكلبية! وكانت أم يزيد ميسونَ بنت بَحدل الكلبي، وابتدأ الشر بينهم وبين بني أمية، فلما مات يزيد ووليَه ابنُه معاوية أخذ خالُه حسان بن مالك بن بحدل يتقحَّم شؤون الحُكم، فصار كالمالك للأمر، المدبر له من وراء ستار، حتىٰ نسب الناسُ الخلافة له، وذكروا أنه تولىٰ الخلافة بنفسه أربعين ليلة، وصار الناس يسمون من كان علىٰ هوىٰ بني أمية (بحدليا)، وبايع أقوام ابن الزبير رضي الله عنه في مكة، فانقسم الناس فريقين: (بحدلي) وهو من كان مع بني أمية، و(زبيري) وهو من كان مع ابن الزبير رضي الله عنه، ومنهم زفر بن الحارث الكلابي، فإنه يذكر في هذه القطعة أن ابن الزبير رضي الله عنه أحق بالأمر من غيره، وأنهم عنه مدافعون.

● **البيان:**

(أفي اللهِ): أي أفي حُكم الله ومرضيِّه يكون كذا! ومراده الاستنكار وإكبار الأمر،

وأن هذا ليس من حكم الله. (أما بحدل): بني بحدل الكلبي. (وابن بحدل): عنىٰ به حسان بن مالك بن بحدل. (فيحيا): فتُطلب حياته. (فيُقتَلُ): فيُتطلَّب قتله. (ولمَّا يكن): لما هنا حرفُ نفي وجزم، ونفيُه مختص بما يسبق زمن التكلم، والمعنىٰ: أنه إلىٰ هذه الساعة لم يأذن الله بهذا اليوم، ففي الحرفِ معنىٰ الإطماع بحصول الشيء بعد زمن التكلم، نحو ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾[يونس: ٣٩]. (أغرُّ): الغُرَّة البياض في أعلىٰ رأس الفرَس، وهي علامة يُميَّز بها. (مُحجَّلُ): التحجيل البياض في أسفل القوائم، وهو علامة يُميَّز بها، وهذه استعارة، فقوله (يوم أغر محجَّل) أي يوم مشهور في الناس متميِّز عن غيره، كما قال السموأل بن عادياء:

وأيامُنا مشهورةٌ في عدوِّنا ... لها غُرَرٌ معلومةٌ وحُجولُ(١)

(للمشرفيَّة): للسيوف. (كقرن الشمس): أول ما يظهرُ من الشمس يُسمىٰ قرنها. (ترَجَّلُ): تقدم أن العرب كثيرا ما تحذف إحدىٰ تاءي المضارع المبدوء بتاء، أي تترجل، إذا ارتفعت الشمس بعد إشراقها، وأخذت تمتد ولما يبتدأ حرُّها، فذلك حين ترجُّلها.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: أيكون في حُكم الله أن تُطلَب حياة البحدليين والمتعصِّبة لبني أمية، ويُطلَب قتل عبد الله بن الزبير مع فضله ومكانته وشرَفه وسابقته! لا والله، كذبتم، لا تستطيعون ذلك قبل أن يكون بيننا وبينكم يومٌ في القتال مشهور، يومٌ ترتفع فيه سيوفنا عليكم، ولها شَعاعٌ كشعاع الشمس في الضحىٰ، ندفع بذلك عن ابن الزبير، ونحول بينكم وبينه.

وهذا الذي ابتغاه الشاعرُ لم يتحصل له، فقد كانت وقعة (مرج راهط) التي انتصر فيها بنو أمية من القيسيين، وقتَّلوهم فيها، فكان يوماً أغرَّ محجلا علىٰ قيس لا لهم!

---

(١) ديوان الحماسة (١/ ٨١).

ولقي بعد ذلك عبدُ الله بن الزبير رضي الله عنهما ربَّه صابراً شهيداً علىٰ يد الحجاج الثقفي، ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾[الرعد: ٤١].

(٦٤)

وقال القَتَّالُ الكِلَابيُّ: [من الطويل]

١. إذا هَمَّ هَمًّا لم يَرَ الليلَ غُمَّةً ... عليه ولم تَصْعُبْ عليه المَراكِبُ

٢. قَرَىٰ الهَمَّ إذْضافَ الزَّمَاعَ فأصبَحَتْ ... مَنَازِلُه تَعْتَسُّ فيها الثعالبُ

٣. جَلِيدٌ كريمٌ خِيمُه وطِباعُه ... علىٰ خَيرِ ما تُبنَىٰ عليه الضَّرائِبُ

٤. إذا جاعَ لم يَفرَحْ بأَكْلةٍ ساعةٍ ... ولم يَبْتئِسْ مِن فَقْدِها وهْو ساغِبُ

٥. يَرَىٰ أنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا ولا يَرَىٰ ... إذا كان عُسْرٌ أنه الدَّهْرَ لازِبُ

● **الكشف:**

هو عبد الله بن مجيب بن المضرحي، من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من قيس عيلان، شاعر إسلامي مشهور، وفارس صنديد شجاع، لُقِّب القتال لكثرة قتله وفتكه.

وهذه قطعة حسَنة يمدح فيها رجلا ويصفه بالعزيمة والمضاء، والصبر والجلَد، وكرم النفس وحُسن الخُلق.

● **البيان:**

(غُمَّة): تقدم نحوه في القطعة الرابعة، وأصل الغمِّ التغطية والإطباق، ويُقال هو في غُمَّة من أمره، إذا كان في كربة وعماء وحيرة واضطراب، قال الحق سبحانه ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١]. (قرىٰ الهمَّ إذ ضاف): القِرىٰ طعام الضيف، وهو هنا استعارة، كأنه يُطعم همَّه إذا نزل به العزيمةَ والنفاذ، وقوله (ضاف) أي نزل به الهمُّ ومال عليه، وهذا المعنىٰ قريب مما في القطعة التاسعة والستين.

(الزِّماع): العزيمة. (فأصبحت): فصارت. (تعتسُّ): الاعتساس الطواف بالليل، يقال عسَّ واعتسَّ عسًّا واعتساسا. (الثعالبُ): الحيوان المعروف، وخصَّها بالذكر لأنها أكثر ما يطوف مِن السِّباع في المنازل الخالية. (جليدٌ): شديدُ الصبر والقوة. (خِيمُه): جبلّتُه وطبيعتُه. (الضرائبُ): الخلائق، يُقال هو كريم الضريبة أي كريم الخليقة. (يبتئس): يحزن ويضيق صدره، ومنه ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]. (ساغبُ): جائع، والسغَب الجوع، قال الحق سبحانه ﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾[البلد: ١٤]. (يرىٰ): أي يعلم، وهي من أخوات (ظن)، ومنه ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[المعارج: ٧]. (لازب): لازم دائم، وفي قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾[الصافات: ١١]، سماه لازبا لأن التراب لما خُلط بالماء صار طينا لازبا، أي لازما لاصقا.

- **العرض:**

(١ـ٢): يقول: هو رجل مقدام، قوي العزيمة، حسن التصرف، متىٰ ما وقَع في نفسه الهمُّ بأمرٍ أتاه، ولم يقعد في الليل مترقبا وجِلا مهموما، ولا يمنعه عن قصده مانع، ولا يصعُب عليه في مُضيِّه مركب، وإذا ما نزل عليه الهمُّ ضيفـًا فإنه يقريه العزيمة والمضاء ولا يمهله حتىٰ يُنفذ همَّته وعزمه، ويمضي إلىٰ شأنه تاركا بيوته خالية من بعده، قد استبدلَت بسُكانها وحشا فهي خاوية.

(٣ـ٥): يقول: وهو قوي الجأش، كريم النَّفس، مجبول علىٰ خير ما تُجبل عليه النفوسُ من محاسن الأخلاق، لا يضيره تقلُّب الدهر وتصرُّف الحال، فهو لا يطغيه الشبَع، ولا يحزنه الجوع، يعلم أن الدنيا متقلبةٌ بطبعها، متصرفةٌ بحالها، فالعُسر بعده يسرٌ لا محالة، فهو إذا أيسر لم يأخُذه البطَر؛ لعلمه بفناء مالِه، وإذا أعسر لم يحكُمه اليأس؛ لعلمه بزوال حالِه.

وأنبه هنا إلىٰ مسألة مهمةٍ في تفطُّن كلام العرب، وربما كانت هي السبيلَ الأعظم لتحصيل معاني كلامهم وشِعرهم، وهي أن العربَ لما كانت حياتهم واحدة، يشبه بعضها بعضا، وخلائقهم متفقة، يرجو الرجل منهم ما يرجو صاحبه؛ توافقت معانيهم التي يذكرونها في شِعرهم، وربما تناقلوها بألفاظ متشابهة، ومسالك متقاربة، فإذا استقرَّت هذه المعاني عندك استطعتَ أن تفسر أشعارهم ببعضها، وتجمع الأبيات إلىٰ أقرانها، والمعاني إلىٰ أمثالها، حتىٰ إذا التبس عليك معنىً في بيت أرجعته إلىٰ مماثلٍ له من كلام العرب، وإذا ورد عليك معنىٰ غريب عن أشعارهم تفكرت فيه قبل قبوله، فيكون كلام العرب وشعرهم في ذهنك كالنَّعَم تتبع فحلها، لا تشذُّ منها ناقة إلا لعلة أوجبت انحرافها وشذوذها، ومن هذا أن تنظر في قطعة القتال الكلابي السابقة، فتعلم أنه أخذ البيت الثاني من قول بلعاء بن قيس الكناني:

وإني لأقـرىٰ الهـمَّ حيـن يَضيفنـي ... زَماعـًا، إذا مـا الهمُّ أعيت مصادرُه[1]

وتعلم أنه أخذ البيت الخامس من قول نابغة بني ذبيان:

ولا يحسـبون الخيـرَ لا شـرَّ بعـدَه ... ولا يَحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ[2]

فتحمل أبيات القتَّال علىٰ ما يوافقها من كلام العرب، وتستشهد بالبيت وأخيه في الموقف الواحد، وهذا يُنال بالتفكر في معاني شِعرهم، ويُنال كذلك بالنظر فيمن رتب شعرَهم باعتبار المعاني، كما هو الحال في ديوان الحماسة وغيره، ولو جرينا في كل قطعة علىٰ ذكر نظائرها وأمثالها لطالت في بسط هذا الأسفار، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

---

(١) المؤتلف والمختلف للآمدي، (١٣٣).

(٢) الأشعار الستة الجاهلية (٢٣٧).

(٦٥)

وقال أَوْسُ بنُ حَبْناءَ: [من الطويل]

١. إذا المرءُ أوْلاكَ الهَوَانَ فأَوْلِهِ هَوَانًا وإن كانتْ قريبًا أَواصِرُهْ

٢. فإنْ أنتَ لم تَقدِرْ علىٰ أنْ تُهِينَهُ فذَرْهُ إلىٰ اليومِ الذي أنتَ قادِرُهْ

٣. وقارِبْ إذا ما لم تكُنْ لك حِيلةٌ وصَمِّمْ إذا أيقنْتَ أنك عاقِرُهْ

- **الكشف:**

تُنسب هذه القطعة لأوس، وليست له ترجمة، وقيل إنها للمغيرة بن حبناء، وهو المغيرة بن عمرو بن ربيعة التميمي، من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وحبناء أمهم، يُنسبون إليها، وأبناؤها المغيرة ويزيد وصخر شعراء أمويون، وقيل بل (حبناء) لقبُ أبيهم، لُقِّب به لحِبنٍ أصابه، والحِبنُ ورمٌ في البطن.

وهذه القطعةُ مشهورة في باب مقارضة الإساءة بالإساءة، ومقابلة الشرِّ بمثلِه، وأظن سببَ ذلك ما رُويَ من الأخبار في خصامِ المغيرة لأخيه صَخر، وكان بينهما من المهاجاة والمخاصمة ما ذمَّهما الناسُ عليه.

- **البيان:**

(أولاك): جعله يليك ويحلُّ بك. (أواصره): الأواصر أسبابُ القرابة والرَّحِم، جمعُ آصرة. (فذره): فدعه واتركه، قال الحق سبحانه ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]. (قادره): أي قادر عليه، فحذف الجارَّ وأضاف للضمير اختصارا. (وقارب): المقاربة هنا المداراة والمجاملة والمخاتلة. (وصمِّم): أنفِذ عزيمتك، واثبت عليها. (عاقره): قاتله ومهلكه، وكثيرا ما يُستعمل العَقر لنحر الإبل والأفراس، قال سبحانه ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾[الأعراف: ٧٧].

- **العرض:**

(١-٣): يقول: إن عاملك امرؤ بالشرِّ فلا تعامله إلا بالشر، وإن بادءك بالإساءة فلا تقابله إلا بالإساءة، فمن أهانك أهنه ولو كان قريباً ذا رحِم، ومَن عاداك فعادِه ولو كان صاحباً ذا صلة، فإن كنتَ في مقام لم تمكنك فيه رد إساءته ومجازاته علىٰ شره فأنظِره إلىٰ أن يأتي اليوم الذي تقدر عليه فيه، وإن كنت لا تستطيعه فأظهر له المجاملة، وتصنَّع له الود، حتىٰ إذا أمكنتك الفرصة منه فلا تفُتك، وأنفذ عزيمتك علىٰ الانتقام منه والقضاء عليه.

(٦٦)

وقال آخَرُ: [من الرجز]

١. إنـي إذا مـا الـقـومُ كـانـوا أَنْـجِـيَـهْ

٢. واضْطَرَبَ القومُ اضطرابَ الأَرْشِيَهْ

٣. وشُــدَّ فـوقَ بعضِهم بــالأَرْوِيَــهْ

٤. هـنـاكِ أَوصِـيـنـي ولا تُـوصـي بِيَهْ

- **الكشف:**

هو سُحَيم بن وَثيل بن أعيقر التميمي الرياحي، من بني رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر مخضرم، وسيد جواد، وله مع والد الفرزدق قصة مشهورة في المعاقرة بالكوفة، وله قصيدة ذائعة مطلعها[1]:

أنا ابنُ جلا وطلّاعُ الثنايا ** متىٰ أضعِ العمامةَ تعرفوني

وهذه القطعة يفخر فيها بنفسه، ويخبر أنه أهل لأن تُسند إليه الأمور إن ضاقَت، وتُرمىٰ به الخطوبُ إن ألمَّت.

- **البيان:**

(أنجيه): أنجية جمع نَجِيٍّ، والنجيُّ الذي يحادثك سِرًّا، وهو اسم يقع للواحد والجماعة، قال الحق سبحانه ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾[يوسف: ٨٠]،

(١) هي أولى القصائد الأصمعيات.

وكُتبت التاء المربوطة هاءً لأنها وقعت ساكنةً في قافية الشعر، وجرىٰ علىٰ ذلك الاصطلاح، تنبيهاً علىٰ نطقها هاءً. (أرشيه): الأرشية حبال الدلاء، جمع رِشاء وهو الحبلُ الذي يُستقىٰ به من البئر، وضرب ذلك مثلا لاختلاف الآراء. (بالأرويه): الأروية حبالٌ تُشد بها الأمتعة علىٰ الأباعر، جمع رِواء، يُقال رُوي البعير إذا شُدَّت عليه الحبال حذر السقوط، وضرب ذلك مثلا لإحجام بعضهم عن الدخول فيما اختلف فيه القوم. (هناكِ أوصيني): يخاطب امرأته، يريد أنه أهل لأن يُسنَد إليه الأمر ويُوصىٰ به، وأصل الوصية الأمر الذي يُعهَد إلىٰ صاحبه، قال الحق سبحانه ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾[النساء: ١١].

- **العرض:**

(٤ـ١): **يقول:** إني إذا اختلط أمر الناس والتبس، وصاروا فِرَقا وجماعات يتناجون ويتشاورون فيما نزل بهم، واضطربت آراؤهم كما تضطرب حبال الدلاء المُرسلَة في البئر، وتردد بعضهم وأحجم عن الخوض في هذا الأمر= ففي ذلك الوقت تجدين عندي الكفاية والغناء والحزم، وترين فيَّ الصبر والمداومة والإقدام، فاجعلي وصاتك إليَّ لا بي، واعتمدي عليَّ لا علىٰ غيري.

(٦٧)

وقال المُتَلَمِّسُ: [من الطويل]

١. ألم تَرَ أنَّ المَرْءَ رَهْنُ مَنِيَّةٍ صريعٌ لعافِي الطيرِ أو سوف يُرْمَسُ

٢. فلا تَقبَلنْ ضَيْمًا مخافةَ مِيتةٍ ومُوتَنْ بها حُرًّا وجلدُكَ أملَسُ

٣. فمِنْ طَلَبِ الأوْتارِ ما حَزَّ أنفَهُ قَصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيفِ بَيْهَسُ

٤. نَعامةُ لَمَّا صَرَّعَ القومُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ في أثوابه كيفَ يَلْبَسُ

٥. وما الناسُ إلا ما رأوا وتحدَّثوا وما العَجْزُ إلا أن يُضامُوا فيَجْلِسوا

٦. ألم تَرَ أن الجَوْنَ أصبَحَ راسِيًا تُطِيفُ به الأيامُ ما يَتأيَّسُ

٧. عصَىٰ تُبَّعًا أزمانَ أُهلِكَتِ القُرَىٰ يُطَانُ عليه بالصَّفيحِ ويُكلَسُ

٨. هلُمَّ إليها قد أُثِيرتْ زُرُوعُها وعادت عليها المَنْجنُونُ تَكَدَّسُ

٩. وذاك أوانُ العِرْضِ حَيَّ ذُبابُهُ زَنَابيرُهُ والأزرَقُ المُتَلمِّسُ

١٠. يكونُ نَذِيرٌ مِن ورائيَ جُنَّةً ويَنصُرُني منهم جُلَيٌّ وأَحْمَسُ

١١. وجَمْعَ بني قُرَّانَ فاعرِضْ عليهِمُ فإن يَقبَلوا هاتَا التي نحنُ نُؤبَسُ

١٢. فإن يُقبِلوا بالوُدِّ نُقبِلْ بمِثلِهِ وإلا فإنَّا نحنُ آبَىٰ وأشمَسُ

١٣. وإن يَكُ عَنَّا في حُبَيْبٍ تثاقُلٌ فقد كان مِنَّا مِقنَبٌ ما يُعرِّسُ

• **الكشف:**

هو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله الضُّبَعي، من بني ضُبيعة بن ربيعة بن نزار، شاعر مُقِلٌّ مشهور، وعدَّه أبو عبيدة من شعراء العرب الثلاثة المُقلِّين[1]، وهو خال طرفة بن العبد صاحب المعلقة، وقد هجا المتلمسُ وابنُ أخته طرفةُ الملكَ عمرَو بن هند، فأرسلهما الملكُ إلىٰ عامله بالبصرة، وأعطىٰ كل واحدٍ صحيفةً فيها خطاب

(١) الديباج (٩).

إلىٰ عامله بقتلهما، أما المتلمسُ ففضَّها في طريقه ووجد من يقرأها له فإذا فيها الأمر بقتله، فرمىٰ صحيفته في نهر الحيرة وولَّىٰ، وأما طرفةُ فأبىٰ أن يفضَّها وصمَّم الذهاب فكان حتفه في يده، فذلك قول العرب (صحيفة المتلمِّس)[1]، وسُمِّي المتلمسَ لبيته التاسع في هذه القطعة.

وهذه القصيدةُ قالها لما تنازعت أحياءٌ من ربيعة في اليمامة، فأرادت بنو حنيفة الوائليون البكريون منازعةَ بني ضبيعة فيما كان لهم من الأرض والملك، إذ إن السيادة والجاه والرئاسة في ربيعة انتهت إلىٰ بني ضبيعة، فأرادهم عليها بنو حنيفة، وعزموا علىٰ أن يسوموهم سوء العذاب، ويوردوهم مواردَ الذل والهوان، وقد كانت بنو ذهل بن ثعلبة الوائليون البكريون حلفاءَ لبني ضبيعة، فوكلوهم ولم ينصروهم، فقال المتلمس هذه القصيدة الجزلة يذكر فيها فضيلة الشجاعة والثبات، ويصبِّر قومه ويجلِّدهم، ويَحمِلهم علىٰ الأنفة من الظلم والضيم، ثم يعرِّض بحلفائه الذين لم ينصروه.

- **البيان:**

(رهنُ منيةٍ): مرتهَنٌ بأجلِه، أي غير منفكٍّ عنه، فإذا حانت منيته فلا منجىٰ ولا مفرَّ. (لعافي الطير): العافي طالب الرزق من الإنسان وسائر الحيوان، وجمعه عُفاة، كغازٍ وغزاة، وحامٍ وحماة، وعنىٰ بالطير هنا النسور ونحوها مما يأكل الجيف. (يُرمَس): يُدفَن، والرَّمس الدفن وتسوية التراب، والرَّمس القبر كذلك. (ضَيما): ظلما وهوانا. (مخافةَ ميتةٍ): مفعول لأجله، أي لا تقبل الضيم لأجل خوفك من الموت. (وموتن بها حُرًّا): أي مت بمخافتك حُرًّا خير لك. (وجلدك أملسُ): وجلدك نقي لم يدنسه عيب ولم يشِنْه عار. (فمِن طلب الأوتار): أي: فمِن الأمثال والقصص المشهورة في الأخذ بالثأر، ثم ضرب مثلين لقومٍ استُضعفوا فلم يزالوا

---

(١) مجمع الأمثال (٢١١٣).

يحتالون حتىٰ أخذوا بحقهم، ويُقال وَترٌ ووِترٌ ووتيرة وهي جريرة القتل، وطلب الوتر هو طلب الثأر والانتقام، ويقال: فلانٌ موتور، إذا قُتل له قتيل فلم يُدرِك بدمه. (ما حزَّ أنفه قصيرٌ): أي: مِن الأمثال في طلب الأوتار والأخذ بالثأر قصةُ قصيرِ بن سعد اللخمي لما حزَّ أنفَه، وهي القصة المشهورة لما قتلت الزباءُ جذيمةَ الأبرش، فسعىٰ قصيرٌ واحتال سنوات حتىٰ أدرك الثأر، وأمكن قومَه من قتل الزباء[1]. (وخاض الموتَ بالسيف بيهسُ): أي: ومِن الأمثال في طلب الأوتار والأخذ بالثأر قصةُ بيهس بن خلف الفزاري المشهورة لما قتل ناسٌ من أشجعَ إخوته الستة، وكان بيهسُ أحمقا، لكنه استطاع بعد حينٍ أن يأخذ بثأره، ويتوصل إلىٰ قتل أولئك القوم[2]. (نعامةُ): لقب بيهس. (تبيَّن في أثوابه كيف يلبسُ): وكان بيهس بعد قتل إخوته يلبس القميص مكان السراويلات، والسراويلات مكان القميص، فحمَّقَه الناس وسخروا منه، ثم توصَّل بحاله تلك إلىٰ أخذ الثأر لدماء إخوته، كما هو معلوم من قصته، فتبين كيف كان لبوسه وتحامقه حالةً توصَّل بها إلىٰ درك ثأره، وفي هذا إشارة إلىٰ أن القتال لا يكون بمجرد الشجاعة والقوة ووفرة العدد وكثرة السلاح، فإنه وإن احتاج إلا هذا إلا أن (القتال يحتاج إلىٰ التدبير والرأي)[3]. (الجَون): حصن في اليمامة، كان لبني ضُبَيعة. (راسيا): ثابتا ما يتزحزح، قال الحق سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾[المرسلات: ٢٧]، أي جبالا ثابتات عاليات. (تُطيف به الأيام): تنزل به المصائب، وتلمُّ به النوائب. (يتأيَّس): يتأثر ويلين. (عصىٰ تُبَّعًا أزمان أُهلكت القرىٰ): كانوا يزعمون أن تبعـًا ملكَ اليمن لما غزا القرىٰ والمدن لم يستطع حصنَ اليمامة. (يُطان عليه بالصفيح ويُكلَسُ): كذا رواه أبو تمام، أي أنه يُطان بالحجارة، وأنكر بعضُ المتأخرين هذه الرواية، فالحجارة لا يُطلىٰ بها، وزعم

(١) انظرها في مجمع الأمثال (١٢٥٠).
(٢) انظرها في مجمع الأمثال (٧٧١).
(٣) منهاج السنة (٨/ ٨٦).

أن قوله (يُكلَس) لا يُعرف في اللغة، والصواب كلَّس يُكلِّس تكليسا، وأنَّ الشرَّاح لم يحسنوا القول في هذا البيت، وتأولوه علىٰ غير وجهه، والصواب (يُطانُ علىٰ صُمِّ الصَّفا ويُكلَّسُ) والصفا الحجارة الملساء، ومعنىٰ الشطر أن الحِصن بُني بالحجارة الملساء القوية ثم طُلي عليها، فهو منيع[1]. (هلم إليها): تعال إلىٰ اليمامة إن كنتَ قادرا، وهذا الكلام تهكم وسخرية. (أثيرت زروعُها): أخصَبت واخضرَّت وطابَت. (المنجنون): الدولاب الذي يدير الماء للزرع. (تكدَّسُ): تتحرك مثقلةً بالماء، يريد أن سقيها لا ينقطع، والتكدّس في الأصل المشي بتحريك المنكبين والارتفاع والانحدار، مشية المتكبرين. (العِرض): واد باليمامة. (حيَّ ذبابُهُ): أي حيي الذبابُ بالخصب وظهَر. (زنابيرُهُ): جمع زنبور، وهو من جنس الذباب، وقيل إنه ذباب الروض خاصةً. (والأزرقُ المتلمِّسُ): الأزرق ضربٌ من الذباب يكثُر في النبات، والمتلمِّس الطالب للعيش، واعلم أن (الذباب عند العرب اسمٌ واقعٌ علىٰ صنوفٍ شتىٰ... والعوام لا تُوقِع اسم الذباب إلا علىٰ الجنس الذي يألف البيوت)[2]، وبهذا البيت سُمي المتلمس، وهذا كله استطراد في ذكر محاسن حصنهم ومحلهم، كأنه يحضض أعداءه علىٰ القدوم إليهم، ويستهين بضعفهم وأنهم لا يستطيعون بلوغ هذا. (نذير): قيل هو رجل من ساداتهم اسمه نذير بن بهثة بن وهب. (جُنةً): مانعا وواقيا، قال الحق سبحانه ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾[المجادلة: ١٦]. (جُلَيٌّ وأحمسُ): فخذان في بني ضُبَيعة. (وجمعَ بني قرَّان): قبيلة عزيزة ممتنعة، توازي قبيلة الشاعر وتساميها. (فاعرض عليهم): أي فاعرض عليهم قبولَ خطَّة الضيم والإذلال. (هاتا): هذه الخطَّة التي تعرضون عليهم. (نُؤبَسُ): نكرهها ولا نُقرِّها ولا نرضاها. (فإن يُقبِلوا بالودّ): ابتدأ في ذكر شرط جديد، وترك جواب الشرط الأول، لأن جواب الشرطين واحد آت. (نُقبِل بمثله): أي إن رضوا بخطة الذل هذه -وهم لا يرضون-

(١) انظر أسرار الحماسة لسيد المرصفي (١/ ١٧).

(٢) لحن العوام للزبيدي (٨٧).

فإنا نرضىٰ بما رضوا به. (آبىٰ): أكثر إباءً. (وأشمَسُ): أكثر امتناعا، والشِّماس الامتناع. (حُبَيب): هو حُبيِّب بن كعب بن يشكر بن وائل، وعنىٰ حلفاءه من بني بكر بن وائل جميعا، والياء مشددة خففها للضرورة. (تثاقل): عن نصرتنا. (مِقنَب): كتيبة زهاء ثلاثمئة من الخيل. (ما يُعرِّسُ): التعريس النزول بالليل للراحة، وعنىٰ أنهم لا ينامون، بل يسهرون للدفع عن أنفسهم وطلب ثأرهم.

- **العرض:**

(١-٥): **يقول**: ألم تر أن الإنسان مرتهن بأجله، لا يدري متىٰ يحين، إما أن يُقتَل بالسيف فيُترك للطير والسباع، وإما أن يموت حتفَ أنفِه فيُدفَن، فهو في كلا الحالين ميتٌ ميت، فادفع عن نفسك الذل والهوان، ولا تقبل الظلم والقهر، ولا تلزم العار والدنية خوفاً من الموت، فإن طعم الموت في أمر حقير كطعمه في أمر عظيم، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، فمُت حرا لم يستعبدك الخصم، ولم يستوطئك الظُّلم، واعلم أنه قد ظُلم قبلك ناس فما هانوا ولا استسلموا، بل لم يزالوا يحتالون حتىٰ توصلوا إلىٰ درك ثأرهم وأخذ حقهم، منهم قصيرٌ اللخمي صاحب جذيمة لما نال من الزباء، ومنهم بيهسٌ الفزاري الذي أخذ ثأره من دم إخوته، وتبين كيف كان تحامقُه وخلطُه في لبوسه حالةً توصل بها إلىٰ طلب وَتره، فإذا كان هذا حالُ من ركب الإباء، وأنِفَ العار، فكونوا أنتم مثلهم وخيراً منهم، واعتبروا بحال الأباة المنتصرين قبلَكم، فإن الناس بسلفهم متأثرون، وبما مضىٰ من حالهم معتبرون، وهل العجزُ إلا أن تُظلموا فتجلسوا قد رضيتم الذل والهوان!؟

(٦-٩): يقول: وما بالُ عدوِّنا يتوعدنا ويهددنا؟ ألم تر أن حصننا باليمامة غدا ثابتا شامخا منيعا، لا يُوصَل إليه، ولا يُستباح حماه، وقد كان استعصىٰ علىٰ من هو أشد منكم قوة وأكثر جمعا، فلم يستطعه تبَّعٌ لما غزا القرىٰ والمدن، فإن كنتَ ترىٰ نفسك مستطيعا عليه فتعال، نعم أقبل إلىٰ اليمامة فإنها أخصب ما يكون، لها أرضٌ

مُخضرَّة، وساقيةٌ دوَّارة، لا يجف نبتها، ولا ينقطع سقيها، وهذا الوقت هو أحسن ما يكون لوادي العِرض، حتىٰ إنك ترىٰ ذبابه انتشر لما كثُر الخصب، فترىٰ الزنابير، وترىٰ ذبابَ الروض، فهذه صفة أرضنا وما فيها من الخيرات والنعيم، فإن كنتَ ترىٰ نفسك أهلا لغزوها فتعال لترىٰ ما يلاقيك.

(١٠-١٣): **يقول**: فإن أتيتَ إلىٰ غزونا فلترينَّ من النصرة والدفاع ما تُخذَل به، فإن نذيرا من ورائي حامٍ وناصر، وإذا جاء وقت التجاذب والتدافع رأيت قبيلتي جُلَيٍّ وأحمسَ تؤازراننا وتناصراننا، واعرِضوا هذا الذي توعدوننا به من الإذلال والقهر علىٰ جمع بني قرَّان، فإن أقبلوا بعد ذلك وادِّين مُحبِّين -ولن يُقبلوا- أقبلنا نحن، فمثلنا مثلهم، وإلا فاعلموا أنا نحن أشدَّ إباء، وأعزَّ امتناعا، وأحمىٰ أنفا، وأصعبَ جانبا، ولئن تكاسل بنو حُبيِّب عن نصرتنا ومؤازرتنا، فإن لدينا فرسانا يسعون في حقنا فلا يرتاحون، ويسهرون في نصرتنا فلا ينامون، نحن في غنىٰ بهم عنكم.

(٦٨)

وقال قُرَادُ بنُ عَبَّادٍ: [من الطويل]

١. إذا المرءُ لم يَغضبْ له حين يَغضبُ فوارسُ إنْ قيل اركبوا الموتَ يَركبوا

٢. ولم يَحْبُه بالنصرِ قومٌ أعِزَّةٌ مَقاحيمُ في الأمر الذي يُتهيَّبُ

٣. تَهضَّمَه أدنىٰ العدوِّ ولم يزَلْ وإن كان عِضًّا بالظُّلامة يُضرَبُ

٤. فآخِ لحال السِّلمِ مَن شئتَ واعلمَنْ بأنَّ سِوَىٰ مولاكَ في الحربِ أَجنَبُ

٥. ومولاك مولاك الذي إن دعوتَه أجابك طوعًا والدماءُ تَصبَّبُ

٦. فلا تخذُلِ المولىٰ وإن كان ظالمًا فإنَّ به تُثْأَىٰ الأمورُ وتُرأَبُ

● **الكشف:**

هو قُراد بن العَيَّار بن مُحرِز المازني، من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، أبوه العيار أحد شياطين العرب، وكان قُراد شاعراً بذيءَ اللسان، وعُمِّر دهرا طويلا، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

وهذه القطعةُ يُخبر فيها أن عز الرجل بعشيرته، واعتلاءه إنما يكون بأقاربه، وأن الرجل ما لم يكن له حام وناصر من أهله وأقاربه فإن العدوَّ قاهرُه ومُذِلُّه.

● **البيان:**

(فوارس): تقدم أنه جمعُ فارسٍ علىٰ غير قياس. (اركبوا الموت): خوضوا الخطر، وواجهوا العدو. (ولم يَحبُه): ولم يعطه، والحِباء العطاء بجود نفس. (مقاحيم): جمع مِقحام، وهو المقدام الذي يخوض الأمور ويقاسي شدائدها وأهوالها، وأصل الاقتحام والتقحُّم الدخول بقوة، قال الحق سبحانه ﴿هَٰذَا فَوْجٌ

﴿مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ﴾[ص: ٥٩]. (يُتهيَّب): يُخشىٰ ويُخاف. (تهضَّمه): نقصَه حقه وأذله، ومنه ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴾[طه: ١١٢]. (عِضا): شديدا داهية، كأن الدهر عضَّه وأثر فيه. (بالظُّلامة): هي الهضيمة وما يُؤخذ ظُلما. (فآخِ): فعل أمر من المؤاخاة. (لحال السِّلم): وقت السكون وترك الحرب، قال الحق سبحانه ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾[الأنفال: ٦١]. (مولاك): تقدم في القطعة السادسة والعشرين أن المولىٰ له معاني منها القريب كما هو هنا. (أجنبُ): غريب عنك، مباعد لك، وهي نحو المقابلة التي وردت في قول الحق سبحانه: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾[النساء: ٣٦]، فالأول القريب والثاني الغريب. (ومولاك مولاك): توكيد لفظي، والمعنىٰ نحو ما في القطعة السابعة والخمسين. (طوعا): برضاه واختياره، قال الحق سبحانه ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾[التوبة: ٥٣]. (تَصبَّبُ): أراد تتصبَّب، فحذَف تاء المضارع جوازاً فيما ابتدي بتاء، وهو في التنزيل كثير جدا، ومنه ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[القدر: ٤]، ومعنىٰ تتصبب: تسيل بغزارة، ومنه ﴿صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا﴾[عبس: ٢٥]. (فإن به): أي فإنه به، فضميرُ الشأن مقدَّر. (تُثأىٰ): الثأي الضعف الفساد. (وتُرأبُ): الرأبُ الإصلاح، يُقال في هذا المعنىٰ (رأَبَ الثأي)، و(رأَبَ الصَّدع)، و(لمَّ الشعَث)، و(رتَق الفتْق)، و(شعَب الصدْع)، وغير ذلك، ومر نحو هذا في القطعة السادسة والأربعين.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: إن عز الرجل بعشيرته، فإن المرءَ إذا لم يكن معه فرسانٌ يغضبون لغضبه، ويسخطون لسخطه، ويأبون قبول الظلم عليه، ويأنفون من وصول الضيم إليه، يؤازرونه وينصرونه، ويدافعون عنه ويحمونه، ويخوضون الشدائد لأجل نصرته وأخذ حقه= تجاسر عليه الأعداء، وغمطوا من حقِّه، ونقصوا من قدرِه، وإن كان في نفسه داهيةً شديدا لا يُجارىٰ، إلا أنه لا يزال مضروبا بالظلم والهضم ما خذله عشيرته.

(٦٤): يقول: فصاحِب مَن شئت أيام السلامة، ووالِ مَن أردتَ حال الموادعة، ولكن اعلم أن وقتَ الحرب لا ينصرك إلا قريبك، ولا يؤازرك إلا مولاك، فلا يصلح الغريبُ لمجاذبة الأعداء، إنما هو القريب وحده، واعلم أن قريبَك في الحقيقة هو الذي إن دعوتَه وجدته حاضرا قريبا، وإن استغثتَ به أغاثك ولو كان يقطرُ منه الدم! فأُلفَتُه لا تنقطع، ومودتُه لا تتغير، فاستمسك بالقريب ولا تخذله وإن كان ظالما، بل انصره علىٰ كل حال، فإنما بالأقارب تصلُح الأمور وتفسُد.

(٦٩)

وقال الـهُذْلُولُ بنُ كَعْبٍ العَنْبَرِيُّ: [من الطويل]

١. تقولُ -ودَقَّتْ صَدْرَها بيَمينِها-: أَبَعْلِـيَ هـذا بالرَّحَـىٰ الـمُتـقاعِسُ

٢. فقلتُ لـها: لا تَعْجَلي وتَبَيَّني بلائـي إذا التفَّـتْ علـيَّ الفـوارسُ

٣. أَلَسْتُ أَرُدُّ القِرْنَ يركَبُ رَدْعَـهُ وفيـه سِـنانٌ ذو غِرارَيـنِ يابِـسُ

٤. وأحتمِلُ الأَوْقَ الثقيلَ وأَمْتَري خُلُوفَ المنايا حين فرَّ الـمُغـامِسُ

٥. وأَقرِي الـهُمومَ الطارِقاتِ حَزَامةً إذا كثُـرَتْ للطارقـاتِ الوَسـاوِسُ

٦. إذا خـامَ أَقـوامٌ تقحَّمتُ غَمْرةً يَهـابُ حُميَّاهـا الألـدُّ الـمُداعِـسُ

٧. لعَمْرُ أبيكِ الـخيرِ إني لَـخَادمٌ لِضَيْـفي وإني إنْ رَكِبْـتُ لَفـارِسُ

٨. وإني لأشْـري الـحمدَ أبغي رَبَاحَه وأتـرُكُ قِـرْني وهْـو خَزْيـانُ ناعِـسُ

● الكشف:

هو الهذلول بن كعب التميمي العنبري، من بني العنبر بن عمرو بن تميم، شاعر جاهلي من أعيان قومه، وكان فارسا شجاعا، وسيدا جوادا، وتُنسب الأبيات لأعرابي من بني تميم.

وخبر هذه الأبيات أن قوما نزلوا علىٰ الشاعر أضيافا، فأقبل إلىٰ الرحىٰ يطحن لهم، فرأته زوجتُه كذلك فأنكرَته وضربت صدرَها، وقالت: أهذا المتبذِّل بعلي!

فأنشأ يقول هذه الأبيات، يذكر قول امرأته هذا ثم يعرِض إلىٰ الافتخار بنفسه لترىٰ بعلها علىٰ الحقيقة، ويذكر طرفـاً من شجاعته وصبره، ثم يذكر كرمَه وأن خدمة الضيف منقبةٌ لا مثلبة.

- **البيان:**

(أبعلي): الهمزة للاستفهام، والبَعل الزوج، قال الحق سبحانه علىٰ لسان امرأة إبراهيم ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾[هود: ٧٢]. (بالرحىٰ): تقدم أن الرحىٰ آلة لها حجران يُطحن بها، إلا أنها في القطعة الثالثة مجاز وهنا حقيقة. (المتقاعس): تقدم في القطعة الحادية والخمسين أن القعَس بروز الصدر ودخول الظهر، والمتقاعس المتكلِّف القعس، كالمتعامي متكلف العمىٰ، فهي رأته يطحن في الرحىٰ قد أبرز صدره، وأدخل ظهره، عاملا متبذلا. (التفت عليَّ الفوارس): يعني في حومة الحرب. (القِرن): الخصم والنظير والمنافس. (يركبُ رَدعَه): الرَّدع الكفُّ والدفع، وتقول العرب (قد ركبَ ردعَه)[1] أي خر لوجهه صريعا. (وفيه سنان): أي وقد غُرِز فيه نصلُ السيف. (ذو غِرارين): ذو حدَّين. (يابس): صلب شديد. (الأوق): الثِّقْل. (أمتري): أمسح. (خُلوفَ المنايا): جمع خِلف، وهو الضَّرع الذي يُحلَب، وقوله (أمتري خلوف المنايا) أي أمسح ضرع الموت ليدرَّ، يريد أنه يغامر ويستخرج الموتَ والشرَّ. (المُغامِسُ): المنغمس في الحرب. (وأقري الهمومَ الطارقات حزامةً): نحو ما في القطعة الرابعة والستين، أي أنه يضيف الهمَّ إذا نزل به، فيطعمه الحزم والعزيمة والمضاء. (للطارقات): أي للهموم الطارقات. (الوساوس): جمع وَسوَسة، وهي الحديث الخفي والخطرات الواردة، ومنه ﴿وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾[ق: ١٦]. (خام أقوام): رجعوا ونكصوا، وجبنوا عن المواجهة. (تقحمتُ غمرةً): تقدَّم التقحُّمُ في القطعة السابقة، والغَمرة الشدَّة كما في القطعة الرابعة. (حُميَّاها): حُميَّا الكأس سورتها وشدَّتها. (المُداعِس): المُدافع المطاعن، ومر نحوه في القطعة الخمسين. (لعمرُ أبيكِ الخير): يقسم بحياة أبيها، وإضافة أبيها إلىٰ الخير كقولهم: فتىٰ صدق، ورجلُ كرم. (إني لخادمٌ لضيفي): وهذا مما تفخر به العرب، كما يأتي في باب الأدب.

---

(١) مجمع الأمثال (٢٨٧١).

(إن ركبتُ لفارسُ): في هذا بيان أن الخدمة لها محل يُفتخر فيه بها، والشجاعةُ لها محل آخر يُفتخر بها فيه، وهو معطوف علىٰ جواب القسم فيكون مقسما عليه كذلك. (لأشري الحمد): معطوف علىٰ جواب القسم أيضا، وأراد أنه يصنع الخير ليُخلَّد عند الناس بالذكر الحسن والثناء الجميل. (خزيانُ): شديد الخزي. (ناعس): أراد غاضًا طرفَه مما أهنتُه وكسرتُه، فشبَّهه بالناعس لثِقَل عينه عن الارتفاع.

- **العرض:**

(١-٦): **يقول:** رأتني امرأتي أطحن الرحىٰ للضيفان فأنكرَتني وضربَت صدرها وقالت: أيكون هذا -المتبذل في الخدمة والعامل في الرحىٰ- زوجي! فقلتُ لها: لا تتسرعي في إنكاركِ، ولا تتعجلي في لومكِ، بل تثبتي من فعالي، وانظري بلائي في الشدائد، وغَنائي في المعارك، ألستُ أنا الذي أنازل نظرائي من الفرسان فلا يصمدون أمامي، ويخرون صرعىٰ قد طُعنوا بسيفٍ ذي حدين صلب! ألستُ أنا الذي أتحمل الأعباء الثقيلة وأتكلَّفها، وأستخرج من ضروع المنايا الشرَّ في الوقت الذي يَنكصُ فيه الشجاعُ ويَخاف فيه القويُّ! وإذا ما نزلت بي الهموم فإني أواجهها بالحزم والصبر والجلَد والبأس، في الوقت الذي تزدحم فيه الوساوس علىٰ القلوب، وتزيد فيه الهموم علىٰ النفوس، وإذا ما ضعُفَ أقوامٌ عن الرأي، وهابَ أناسٌ من الإقدام، واضطربت بهم الأمور؛ كنتُ أنا الحازمَ الذي لا يتردد، والمقدامَ الذي لا يهاب، والخوَّاضَ لأمورٍ يخشاها أشداء الرجال.

(٧-٨): **يقول:** وإني -وحياةُ أبيكِ الخير- لأخدم ضيفي إن نزل بي حتىٰ تحسبيني أصغرَ الخدم، وأكر علىٰ عدوي وقت الحرب حتىٰ تحسبيني أشد الفوارس، فإني رجلٌ يُحسِن الصنائع، ويُكثِر المعروف، لعل ذلك يجلب لي الثناء الحسن، والذِّكر الجميل، وإني رجلٌ جَلدٌ في القتال، لا أترك خصمي إلا وقد لبس ثوبا من الخزي والهوان، لعل ذلك يرهب مني الأعداء.

(٧٠)

وقال سالِمُ بْنُ وابِصةَ: [من البسيط]

١. عليكَ بالقَصْدِ فيما أنت فاعِلُه إنَّ التخلُّق يأتي دُونه الخُلُقُ

٢. ومَوقفٍ مثلِ حدِّ السيفِ قُمتُ به أحمِي الذِّمارَ وتَرميني به الحَدَقُ

٣. فما زَلِقْتُ ولا أبلَيْتُ فاحِشةً إذا الرجالُ علىٰ أمثالِها زَلِقوا

● **الكشف:**

سالم بن وابصة بن معبد الأسدي، من بني أسد بن خزيمة، وأبوه الصحابي المعروف، وكان سالم تابعيا جليلا، وفارسا شجاعا، وشاعرا فصيحا، وكان في عِداد شعراء عبد الملك بن مروان.

وهذه القطعة يحث فيها علىٰ الاستقامة في الطريقة، وترك التكلف، ثم يفخر ويذكر شجاعتَه عند احتدام المخاوف، وثباتَه في شِداد المواقف.

● **البيان:**

(عليك): اسم فعل أمر، بقصد الحث والتحضيض. (بالقصد): القَصد الوسط من الأمور، والمعتدل من الأحوال، ومنه ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾[لقمان: ١٩]. (التخلُّق يأتي دونه الخُلق): أرسلها مثَلا، ومعناه أن تكلَّفَ شيءٍ ليس من شيمتك ممجوج، ولا بد أن تغلبك السجية وإن طال بك التكلُّف، وسيأتي نحوه في القطعة الثامنة والتسعين ومئة. (وموقفٍ): أي ورُبَّ موقفٍ. (مثل حدِّ السيف): يُقال للمكان الذي لا يستقر به صاحبُه هو مثل حدّ السيف، لبيان خطورة هذا الأمر، وصعوبة الثبات عليه. (أحمي الذمار): ذِمار الرجل ما يجب عليه حفاظُه. (وترميني به الحدَقُ):

حدقة العين سوادُها الذي يُنظَر به، يقصد أن العيون ترمقه في هذا الموقف المهيب، وهذا من نسبة الفعل للجارحة لا لصاحبها. (فما زلقتُ): فما زلَّت قدمي، قال الحق سبحانه ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾[الكهف: ٤٠]، أي تزل فيها الأقدام لملوستها. (ولا أبليتُ فاحشةً): أي ولم آتِ أمرا يشينني، وفعلا يعيبني، والفاحشة القبيح من القول والفعل، قال الحق سبحانه ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾[الأعراف: ٢٨].

- **العرض:**

(١-٣): يقول: الزم الأمور الحسنة المعتدلة، واحرص علىٰ ملابسة الأقوال والأفعال المستقيمة، ولا تتكلف ما ليس من شيمتك وسجيتك، فإنك لا تزال تتكلف حتىٰ يغلبك طبعُك الأول، وشيمتُك القديمة، فتعود إليه ويلحقك الذم بذلك، ورُبَّ مكانٍ دقيق تهابُه النفوس، ولا تثبت فيه الأقدام؛ قمتُ به حامياً لما يحق عليَّ حمايتُه، والعيون ترمقني وما أصنع، والنفوس تتطلع إلىٰ ما يكون مني، فثبتُّ في موقفي، واستقمتُ في فعلي، ولم آتِ أمرا شينا، ولم أقدم علىٰ عيبٍ وسقطة، بل كنتُ حسن الفَعال في الوقت الذي تزلُّ فيه أقدام الرجال، وثابتَ الجنان في الموقف الذي تهابه وتعجز عنه الناس.

(٧١)

وقالت عاتكةُ بنتُ عبدِ المطَّلِبِ: [من مجزوء الكامل]

١. سـائِـلْ بـنـا فـي قـومِـنـا -ولْيَـكْفِ مِـن شَـرٍّ سَمـاعُهْ-

٢. قَـيْـسًـا ومـا جَـمَـعـوا لنا في مَجْـمَعٍ باقٍ شَـنَاعُهْ

٣. فـيـه الـسَّـنَـوَّرُ والـقَـنَـا والكَبْـشُ مُلتمِـعًا قِناعُـهْ

٤. بِـعُـكـاظَ يُعْـشِـي الـناظِرِيـ ـنَ -إذا هُـمُ لَـمَحوا- شُـعاعُهْ

٥. فـيـه قَـتَـلْـنـا مـالِـكًـا قَسْـرًا وأَسْـلَمَهُ رَعَـاعُهْ

٦. ومُـجَـدَّلًا غـادَرْنَـه بالقـاعِ تَنْـهَسُه ضِبَاعُـهْ

• **الكشف:**

هي عاتكة بنت عبد المطلب القرشية الهاشمية، عمة النبي ﷺ، اختُلف في إسلامها، وهي صاحبة الرؤيا المشهورة التي رأتها قبيل غزوة بدر.

وهذه القطعةُ تذكر فيها حرب الفِجار الآخِر، وهي حرب بين كنانة وقيس، سُميت الفِجار لأنها كانت في الشهور الحرم، ففجروا فيها، وكان سببها أن البرَّاض بن قيس الكناني -وكان رجلا سكِّيرا فاسقا خليعا في قومه- اغتال رجالا من قيس أيام عكاظ، منهم عروة بن عتبة بن جعفر العامري، وكان البرَّاض حليفا لحرب بن أمية من قريش، فغضبَت هوازنُ والقيسية لذلك وقاتلت كنانة، وكانت بينهم أيامٌ منها: يومُ شَمطة ويوم العَبلاء ويوم عُكاظ ويوم الحُرَيرة، ثم إنهم تداعوا للصلح، وتم لهم ذلك، فتذكر عاتكةُ في هذه القطعةِ هذه الحربَ وتصفها بالشر، وتفخر بحُسن بلاء قومها وشجاعتهم.

- **البيان:**

(سائل بنا في قومنا): أي اسأل عنا وعن أخبارنا في قومنا. (وليكف من شرٍّ سماعُه): هذا مثل قولهم (حسبك من شرٍّ سماعُه)[1]، أي اكتفِ إذا سألت عن الشرِّ بالسماع دون المعاينة، وسماعك هذا لا يخلو من الشر فكيف بالمعاينة! فالمعنىٰ: يكفيك شرًّا أن تسمعَ الشرَّ، وابتعد عن مواطنه. (قيسا): قيس عيلان، وهو مفعول (سائل). (وما جمعوا لنا): من الجيوش. (مجمع): اسم مفعل من الاجتماع، وأرادت مكان الواقعة والحرب. (باقٍ شناعُه): أي أخباره الشنيعة باقية لليوم. (السنوَّر): الدرع ونحوه من الأسلحة والعدة. (والقنا): الرماح. (والكبشُ ملتمعًا قناعه): تقدم أن كبش القوم سيدهم والمقدم فيهم، ولم تُرِد واحدا بعينه، إنما جنس القادة والفرسان الكبار، وقولها (ملتمعًا قناعُه) حال، أي عليه الخوذة والبيضة تبرق، وأرادت وصف مقاتليهم بالتدجيج، وهو نحو ما في القطعة الثالثة عشر. (بعُكاظ): وكانت حرب الفجار في بقاع حول عكاظ. (يُعشي الناظرين): يعميهم وينقص أبصارهم لقوة ضوئه. (لمحوا): أي نظروا بسرعة، قال الحق سبحانه ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾[النحل: ٧٧]. (شُعاعُه): فاعل (يُعشي)، والضمير راجع إلىٰ القناع الملتمع. (فيه): في ذلك المجمع. (قتلنا مالكا): رجل من قيس عيلان. (قسرا): أرادت قتلناه قصدا وقهرا لا اتفاقا. (وأسلمه): خذله ولم ينصره. (رعاعُه): الرِّعاع سفلة الناس وسُقَّاطهم. (ومُجدَّلا): المُجدَّل المصروع علىٰ الجدالة، وهي الأرض. (غادرنه): أي الخيل. (بالقاع): الأرض المستوية. (تنهسه): النهسُ قضمُ الشيء بمقدَّم الفم. (ضباعُه): خصَّها لأنها تأكل جيف القتلىٰ، مثل ما في القطعة الرابعة والخمسين وغيرها.

---

(١) مجمع الأمثال (١٠٢٦).

- **العرض:**

(١-٦): **تقول:** اسأل قيساً عن مكانتنا في قومنا وحسن بلائنا في الحروب، واسأل عن ذلك الجيوشَ التي جمعوها في وقعةٍ لا تزال أخبارُها الفظيعة تُذكَر لليوم، ولا تنفكُّ أيامُها المؤلمة تُحكىٰ للساعة، وكان فيها أنواع السلاح من الدروع والرماح، وفيها الرجال الفرسان الأشداء مدججون بالحديد والسلاح، فترىٰ سلاحهم يوم عكاظ لامعاً بارقاً يكاد يذهب بالأبصار، وكانت لنا الغلبة في ذلك اليوم، وقتلنا فيه مالكا وقهرناه حين خذله أصحابه ومن حوله من السفَلة الجبناء، فغادرَته الخيلُ وهو صريعٌ مضرجٌ بالدماء، تنوشُ جيفتَه الضباعُ وتأكل منه.

(٧٢)

- **وقالت امرأةٌ من بني عامرٍ:** **[من الطويل]**

١. وحَرْبٍ يَضِجُّ القومُ مِن نَفَيَانِها ضَجيجَ الجِمالِ الجِلَّةِ الدَّبِراتِ

٢. سيَتْرُكُها قومٌ ويَصْلَىٰ بحَرِّها بنو نِسوةٍ للثُّكْلِ مُصْطَبِراتِ

٣. فإنْ يَكُ ظنِّي صادقًا -وهْو صادِقِي- بكُم وبأحلامٍ لكُمْ صَفِراتِ

٤. تُعِدْ فِيكُمُ جَزْرَ الجَزُورِ رِماحُنا ويُمْسَكْنَ بالأكبادِ مُنكَسِراتِ

- **الكشف:**

يروىٰ أنها امرأة من بني قشير بن كعب من عامر بن صعصعة، وأنها أمامة بنت إبراهيم بن زهير العامرية، وهذه القطعة تحذر فيها أعداءهم من الحرب، وتصفها أنها مستفحلة الشرِّ، متفاقمة الخطب، وتذكِّر مَن تخاطبهم بحربٍ كانت عليهم، فأصابت فيهم رجالا، وأثكلت منهم نساء.

- **البيان:**

(وحربٍ): أي ورُبَّ حربٍ، أو هي معطوفة علىٰ أبيات قبلها لم يخترها أبو تمام. (يضجُّ القوم): تقدم أن الضجيج والضِّجاج هو رفع الأصوات واختلاطها، وهي طريقة عند العرب في وصف استعار الحرب كما قال العجاج (وأغشت الناسَ الضِّجاجَ الأضجَجا)[1]. (من نفيانها): نفَيان القدر ما يتطاير منها عند الاحتماء والغليان، ونفَيان الريح ما تنفيه في أصول الشجر من التراب، ونفيان النار ما يتطاير منها من الشرر، وتقصد هنا ما يتدافع وينتشر في جوانب الجيش من الرجال في

(١) شرح ديوان العجاج للأصمعي (٣٤٥).

الحرب. (**الجمال الجِلَّة**): الإبل المُسِنَّة. (**الدبِرات**): التي أصابتها الدبِرَة، وهي القرحة تكون في ظهر البعير من حكِّ القتَب وكثرة العمل، وخصّت الدبرات لأنها أقوىٰ من غيرها، وهذا كله تشبيه لبيان هول الحرب وشدائدها. (**سيتركها قوم**): فلا يخوضون الحرب، ولا يلابسونها. (**ويصلىٰ بحرِّها**): تقدم في بيان القطعة الثالثة، وهذا طِباق. (**للثكل مصطبرات**): أي صابرات لفقد أولادهن، قد تعوّدن الثكل فلا يجزعن منه. (**فإن يكُ**): أي فإن يكن، وتقدم أن حذفَ نون (كان) جائز إن كانت مضارعاً مجزوماً بالسكون، وكان الحرفُ بعدها متحرِّكاً، ولم تتصل بضمير نصب، نحو قول الحق سبحانه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾[غافر: ٢٨]. (**وهو صادقي**): جملة اعتراضية للتأكيد. (**وبأحلام لكم**): تقدم أن الأحلام العقول، قال الحق سبحانه ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾[الطور: ٣٢]. (**صفِرات**): خاليات من التدبير، من قولهم صَفِر الإناء إذا خلا. (**تُعِد فيكم**): جواب الشرط، وفيه إشارة إلىٰ حربٍ سابقة. (**جزر الجزور**): نحر الإبل، وأرادت تشبيه الطعن في القتال بنحر الإبل. (**ويُمسَكن بالأكباد**): أي أن الرماح يُضبَطن ويحللن في الأكباد، وهذا من الحِذق في الطعن وإصابة المَقاتل. (**منكسراتِ**): منقصفة من شدَّة الطعان.

- **العرض:**

(**٤ـ١**) **تقول**: رُبَّ حربٍ عظيمةٍ يتشكَّىٰ الرجال منها ستأتي، وتضجُّ العشيرة لما يقاسونه فيها كضجيج الإبل عندما تقاسي العملَ وقد قرح جلدها، وسيتجنبها أقوام وينفضون منها أياديهم، طلباً للسلامة من عاقبتها، ويخوضها أقوام قد جربوا الحرب، وقد تعودت أمهاتُهم الثكل فلسن بجازعات عليهم، يصبرون فيها، ويقاسون شدائدها، فإن يصدق ظني -وهو صادق- فيكم وفي عقولكم الخاويات التي لا تؤدبها التجارب؛ لتعودَنَّ حربٌ كالتي كانت من قبل أو أشد، وتُطعنون بالرماح كما كنتم تُطعَنون، فنصيب أكبادَكم، ونقتل رجالَكم.

(٧٣)

وقال مَعْبَدُ بنُ عَلْقمةَ: [من الطويل]

١. غُيِّبْتُ عن قتلِ الـحُتَاتِ وليتَني شـهِدْتُ حُتاتًـا يـومَ ضُـرِّجَ بالـدمِ

٢. وفي الكَفِّ مني صارمٌ ذو حقيقةٍ متـىٰ مـا يُقـدِّمْ في الضَّريـبةِ يُقْـدِمِ

٣. فيَعـلـمَ حَـيًّـا مـالـكٍ ولَـفِـيفُـهـا بأنْ لَسْتُ عن قتلِ الـحُتـاتِ بمُحْرِمِ

٤. فقُلْ لِزُهيرٍ إنْ شَتَمْتَ سَرَاتَنا فلَسْـنا بشَـتَّامِينَ للمُتَشَـتِّمِ

٥. ولكنَّنا نأبىٰ الـظُّلَامَ ونَعتصي بـكُلِّ رَقيـقِ الشـفْرَتينِ مُصمِّـمِ

٦. وتَـجـهَلُ أيدينا ويَـحلُمُ رأيُنا ونَشـتِمُ بالأفعـالِ لا بالتـكلُّمِ

٧. وإنَّ التمـادي في الـذي كان بينَنَا بكفَّـيْكَ فاسـتأخِرْ لـه أو تَقَـدَّمِ

- **الكشف:**

هو معبد بن علقمة بن عباد التميمي المازني، من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي، وفارس شجاع، شهد وقائع الخوارج وحاربهم، وقال في ذلك أشعارا، وهو وأخوه عباد يغلب علىٰ كل واحد منهم اسم (ابن أخضر)، نسبةً إلىٰ زوج أمهم ابن أخضر.

وهذه القطعة يذكر فيها أن قوماً قتلوا رجلا اسمه (الحُتات)، فيتمنىٰ لو كان موجودا فيكون له ناصرا، وعنه مطاعنا، ثم يذكر أن قومه ليسوا بأهل سفه وأقاويل، ولكنهم أهل قتال وفعال، يأنفون من الظلم، ثم يتوعد خصمه بالشرِّ إن تمادىٰ.

• **البيان:**

(غُيِّبتُ): أي تغيَّبتُ فلم أحضر. (قتل الحُتات): أي عن حادثة قتل الحتات، وقيل إن المقصود هو الحتات بن يزيد المجاشعي، وردَّه العسكري[1]، لأن الحتات بن يزيد مات علىٰ فراشه زمن معاوية رضي الله عنه. (ضُرِّج بالدم): أي لُطِّخ به وصُبغ. (صارمٌ): أي سيفٌ صارم. (ذو حقيقةٍ): الحقيقة ما يصير إليه حق الأمر، والعربُ تصف السيف الصارم بأنه ذو حقيقة، لأنه يفضُّ النزاع بحدِّه، ويعجِّل علىٰ الخصم بأجلِه. (الضريبة): فعيل بمعنىٰ مفعول، أي المضروبة، وكل ما ضربتَه بالسيف فهو ضريبة. (حيا مالك): قيل إنه عنىٰ مالك بن زيد مناة بن تميم، فيكون الحيان حنظلة وربيعة، وأظنه عنىٰ مالك بن عمرو بن تميم، لأنهم قومه وإليهم ينتسب، فيكون الحيان مازنـًا والحرماز. (ولفيفها): اللفيف الجماعات، قال الحق سبحانه ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾[الإسراء: ١٠٤]. (بمُحرِم): بممتنع، يُقال أحرم الرجل إذا دخل في الحرم وقتا أو بلدا، فيكون ذلك مانعا له عما يخدش حرمة الوقت أو البلد، ومن هذا سميت الأشهر الحرم بذلك، قال الحق سبحانه ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، سميت حُرُما لامتناعهم عن القتال وعما ينافي التعظيم. (شتمت): سببت، وقلت قولا مقذعا. (سراتنا): تقدم أن السراةَ جمعُ سَريٍّ علىٰ غير قياس، وهو الشريف من الناس، والسيد في القوم. (للمتشتم): الذي يتطلب الشتم ويكثر منه. (الظُّلام): الظُّلام والمظلمة واحد، وهو ما يقع من ظلم. (ونعتصي): نتخذها كالعصا. (بكل رقيق الشفرتين): أي بكل سيف مسنون الحدّين. (مصمِّم): نافذ قاطع. (وتجهل أيدينا): الجهل هنا ضد الحِلم، وتقدم في بيان القطعة الثانية، يعني أنهم إذا شُتِموا فلا يردون السفه بمثله من القول، بل يردونه بالفعال، وهذا من نسبة الفعل إلىٰ الجارحة لا صاحبها. (ويحلُم رأينا): هذا طباق، ويعني أن جهلنا وتهورنا

---

(١) تصحيفات المحدثين (٢/ ٢٤٣).

وغضبنا تجده في فعالنا وحسب، أما عقولنا فرزينة، وآراؤنا ثاقبة. (ونشتِم بالأفعال لا بالتكلُّم): هذا شطرٌ بديع، ويكثر الاستشهاد به. (التمادي): اللجاج والاستمرار والازدياد علىٰ الحدِّ، وكان الوجه أن يقال (التماديَ)، إذ اسمُ (إن) منصوب، ولكنه سكَّن الياء ضرورة. (فاستأخر له وتقدم): هذا وعيد وتهديد، أي فاختر لنفسك الازدياد في غيك أو الارعواء عنه، فإن مصيرك بيدك، وهذا طباق.

- **الكشف:**

(١-٣): يقول: تغيبتُ عن واقعة قتل الحتات ولم أحضرها، وليتني شهدتُ حتاتا حين سالت منه الدماء حتىٰ تلطخ بها، إذن والله لأنصرنَّه، وفي كفِّي سيفٌ قاطعٌ باترٌ ينفذ في الضريبة، ويأتي علىٰ المضروب بحده وصرامته، حتىٰ يتيقن الحيان من بني مالك وجمعهم بأني لستُ بممتنعٍ عن القتال في وقعة الحتات، ولستُ بناكصٍ علىٰ عقبي في ذلك الحين.

(٤-٧): يقول: فأبلغ زهيرا وقل له: إذا أنت ركبتَ السفَه في خصامنا، وتعمدتَ سبَّ سادتنا وخيارنا، وقصدتَ وضعنا وثلب أعراضنا، فإنا نربأ بأنفسنا عن مجاراتك في هذا الميدان، ولا نكيل لك بمكيال السب، فإننا قوم لا نرضىٰ بالدنيَّات، ونأبىٰ من التزام الظُّلامات، ونَدافعُ عن أعراضنا وأحسابنا بكلِّ سيفٍ مسنون الحدَّين، نافذ في الضرب، باتر في القطع، ونحن إذا بطشنا بأيدينا كنا جبارين، وإذا رفعنا سيوفنا أسرفنا في القتل، أما عقولنا فليس فيها نقص ولا سرف، بل فينا الرأي الثاقب، والوقار الغالب، والأناة والحلم، فإذا نحن حُملنا علىٰ الخروج عن عادتنا كانت أفعال أيدينا أفعال الجهَّال الذين ليس لهم رادع ولا مانع، فنرد الشتم بالفعال، ونترك الكلام لكم، فاترك عنك التمادي في غيك، واعلم أن الاستمرار علىٰ ما أنتَ فيه هو بيدك، فانظر لنفسك أي السبيلين تريد، إما الخير والحلم، وإما الشرَّ والجهل.

(٧٤)

وقال أميَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ: [من الطويل]

١. غَـذَوْتُـكَ مـولـودًا وعُلْتُكَ يافِعًا ... تُعَـلُّ بمـا أُدْنِـي إليـكَ وتُنْهَـلُ

٢. إذا ليلةٌ نابَتْكَ بالشَّكْوِ لم أبِتْ ... لشَـكْوِكَ إلا ساهِـرًا أتمـلمَلُ

٣. كأني أنا المطروقُ دُونك بالذي ... طُرِقْـتَ بـه دُوني وعينِـيَ تَهمِـلُ

٤. فلمَّـا بلَغْـتَ السنَّ والغايةَ التي ... إليهـا مَـدَىٰ مـا كنـتُ فيـكَ أؤمِّـلُ

٥. جَعَلْتَ جزائي منك جَبْهًا وغِلظةً ... كأنـك أنـت المُنـعِمُ المتـفضِّلُ

٦. فليتك إذ لـم تَـرْعَ حـقَّ أبوَّتـي ... فعلتَ كمـا الجـارُ المجـاورُ يفعَلُ

٧. تـراهُ مُـعِـدًّا لـلـخِـلافِ كـأنـه ... بِـرَدٍّ علىٰ أهـلِ الصـوابِ مُـوكَّلُ

● **الكشف:**

أمية بن عبد الله أبي الصلت بن ربيعة الثقفي، من بني عوف بن ثقيف، حكيم من حكماء العرب، وشاعر مخضرم مشهور، جعله أبو عبيدة أشعرَ ثقيف، وتبعه ابن سلام في طبقاته[(١)]، اطلع علىٰ كتب الأمم السابقة، فكان ينبذ الأصنام والسفَه، وقال النبي ﷺ لما سمِع شِعرَه: (إن كادَ ليُسلِم)[(٢)]، ومات في السنة التاسعة من الهجرة ولم يُسلِم.

وهذه قطعةٌ تفيضُ حزنـًا وتنضح أسىً، يشكو فيها الشاعرُ عقوقَ ابنه أبي ربيعة، ويذكر فضلَه عليه، وحاله معه، ثم يذكر ما لقيه من العقوق والإساءة، (وهذه -أبقاك

(١) الديباج (١١)، وطبقات فحول الشعراء (٢٥٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٨٤١)، (٦١٤٧)، وصحيح مسلم (٢٢٥٥).

الله- رسالةٌ تدلُّ علىٰ قرحةٍ دامية، وعينٍ باكيةٍ هامية، ونفسٍ قد ولِهَت عما حلَّ بها، وإن غلامـًا يُحوِج أباه إلىٰ أمثال هذه البراءة والشكوىٰ منه والتألم لَغُلامُ سُوء! واللهُ أكرمُ من أن يحبُرَه في الدنيا، وأن يُسعِدَه في الآخرة)[1].

- **البيان:**

(غذوتك): أي قمتُ علىٰ غذائك من طعام وشراب. (مولودا): أي من ابتداء طفولتك. (وعُلتك): أنفقتُ عليك، وكفيتُك معاشك. (يافعا): شابا، يُقال أيفَعَ الغلامُ إذا شبَّ. (تُعَلُّ): تقدم أن العرب تسمي الشُّرب الأول نهَلا والثاني عَلّا، وهو نحو ما في القطعة الخامسة والأربعين. (بما أدني إليك): أقربه لك وأجمعه من طعام وكسوة. (وتنهَلُ): أراد أنه كان يتفضل عليه مرةً بعد أخرىٰ. (نابتك): أصابتك. (بالشكو): الشكوىٰ والتألم، وقال الليث: الشكو المرض نفسُه[2]، والشواهد تؤيده. (أتململ): أتقلب وأضطرب، وأصله أتملل من المَلَّة وهي الرماد الحار يُدفَن فيه الخبز لينضج، كأن المتقلب علىٰ فراشه من الهم يتقلب علىٰ تلك الملَّة. (المطروق): المُصاب. (وعيني تهمِلُ): تسيل دمعا وتفيض. (جبها): مأخوذ من قولهم: جبَهَهُ بالمكروه، إذا استقبله به، والجَبه: المقالة التي يكرهها الإنسان تُقال له في وجهه، كأنه يُصَكُّ في جبهته، ويروىٰ البيت (جعلت جزائي غلظة وفظاظة). (وغلظة): خشونة جانب، وسوء معاملة، قال الحق سبحانه ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. (الجار المجاور): الجار القريب المُراعي لحق الجوار. (تراه): انتقال من خطاب الحاضر إلىٰ الغائب. (مُعِدا للخلاف): مُتهيئـًا للخلاف والجدال في كل حال، وهذا من سوء أدبه. (موكَّلُ): يقال وُكِّل بالشيء إذا أُسند إليه القيام به.

---

(١) اقتباس من قصة غير هذه، حكاها التوحيدي في أخلاق الوزيرين (١٨١).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ١٦٥).

• **العرض:**

(**١-٣**): **يقول**: قمتُ على تربيتك من حين ولادتك، وأخذتُ في تنشئتك في مهد طفولتك، وأحسنتُ بك الرعاية وأنت غلام، وأكملتُ لك المؤنة وأنت شاب، فأنت تُسقى العلَل والنهَل، وتُطعَم الحار والبارد، وتُكسَى اللين والخشن، كل ذلك مما أجمعه لك، وأدنيه منك، وكنتَ إذا أصابك المرضُ في ليلةٍ سهرتُ طول الليل مما آذاك، وبقيتُ قائما حزينا لِما أضناك، لا يطيب لي نوم، ولا يقرُّ بي فراش، فكأني أنا المصاب بالمرض لا أنت، وأنا المطروق بالهم لا غير، لا يجف لي مدمع، ولا يُوطَأ لي مضجع، شفقةً عليك، واهتماما بك.

(**٤-٧**): **يقول**: فلما استوى شبابُك، واشتدَّ عودُك، وتعلَّقَت بك الآمال، وبلغتَ الغاية التي كنتُ أرجوها من الانتفاع بك، والاضطلاع بكفايتك= أقبلتَ تجازيني الإساءةَ بالإحسان، والغلظةَ بالرحمة والتحنان، وأخذت تكيل إليَّ أنواع المساوئ، وترمي عليَّ أقذع الكلام، كأنك أنت صاحب النعمة والفضل والتربية والإحسان! ووددتُ -إذ لم تقم بواجب الأب، ولم ترع حق الوالد- لو صنعتَ بي كما يصنع الجارُ بجارِه، ويُحسن الصاحب لصاحبه، فإن ذلك أدنى درجات الإحسان، وأقل مراتب البرِّ، ولكن ابني امرؤٌ ضاع أدبُه، وساء خُلُقه، وبلغ من ضعف عقله وجهل رأيه الإكثار من اللجاج والخصام، فإن رآه الرائي ظنه لا يُحسن إلا المخالفة والشقاق، ولا يحب إلا النزاع والافتراق، كأنَّ أحدا وكَّله بهذا فهو لا يفعل غيرَه!

(فإن قيل: بماذا دخل هذه الأبياتُ وما يتلوها وهو في معناها في باب الحماسة؟ قلت: دخلَت فيه بالمشاكلة التي بينها وبين ما تقدمها من الأبيات المُنبئة عن المُفاسَدة بين العشائر، وما يتولَّد فيها من الإحن والضغائن المُنسِية للتواشج والتناسب، المُنشئة لهتك المحارم، المبيحة لسفكِ الدماء وقطع العِصَم، إذ كان عقوق البنين للآباء وتناسي الحُرَم فيه مثل ذلك، وهو ظاهر بيّن)[1].

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقي (٢/ ٧٥٦).

(٧٥)

وقالت امرأةٌ من بني هِزَّانَ: [من البسيط]

١. ربَّيْتُه وهْو مثلُ الفَرْخِ، أعظَمُهُ أمُّ الطعـام، تَـرَىٰ في جِلْـدِه زَغَبَـا

٢. حتىٰ إذا آضَ كالفُحَّالِ شَـذَّبَه أبَّـارُه ونَفَـىٰ عـن مَتْنِـه الكَرَبَـا

٣. أنـشـا يُـمـزِّقُ أثـوابـي يُـؤدِّبُـنـي أبَعْـدَ شـيبِيَ عنـدي تَبتغـي الأدَبَـا

٤. إنـي لأُبصِرُ في تَرجِيلِ لِـمَّتِهِ وخَـطِّ لِحْيـتِه في وجهـه عَجَبَـا

٥. قـالت له عِرْسُهُ يومًا لتُسْمِعَني مَهْـلًا فـإنَّ لنـا في أمِّنـا أَرَبَـا

٦. ولـو رأتـنِـيَ فـي نـارٍ مُسعَّـرةٍ ثـم استطاعتْ لَزَادتْ فوقَها حَطَبَا

● **الكشف:**

امرأة يُقال لها أم ثواب الهِزَّانية، من بني هِزَّان بن صباح، من عنزة بن أسد بن ربيعة، وكان ابنها قد تزوج امرأةً ماكرةً أخذت تغريه بعقوق أمه، وتحضُّه علىٰ ذلك من وراء ستار، فقالت الأم هذه الأبيات التي تنسكب لها العبرات، تؤنب ولدها، وتشكو حالها، وصدقت العرب إذ قالت: (العقوقُ ثُكلُ مَن لم يثكَل)[1]!

● **البيان:**

(الفرخ): صغير الطائر. (أعظمُه أم الطعام): أي أكبرُ شيء فيه بطنُه، وأم الطعام المعدة. (زغبا): واحدته زغبة، وهو أول ما يبدو من ريش الفرخ، تريد تضعيف شأنه. (آض): صار. (كالفُحَّال): هو ذكرُ النَّخل الذي يُلقح به إناثه الحوائل، ولا يُقال لغير ذكر النخل فُحَّال، وجمعه فحاليل. (شذَّبه): ألقىٰ عنه أصول السعف

---

(١) مجمع الأمثال (٢٤٣١).

الغلاظ التي إذا يبست صارت أمثال الأكتاف. (أبَّارُه): الأبار والمؤبِّر مُلقِّح النخل ومُصلح شأنها. (ونفىٰ عن متنه الكربا): أي خلَّصه وقطع عنه أصول السعف الباقي بعد القطع والتشذيب، التي يُرتَقىٰ عليها في النخل، وهو تشبيه لاستتمام شباب ابنها وبلوغ غايته. (أنشا يمزق أثوابي): أخذ يضربني ويخرِّق ثيابي. (أبعد شيبي عندي يبتغي الأدبا): هذا التفات، ومعناه: أبعدَ المشيب يطلب تأديبي! وهذا مثل قول الآخر: (ومن العناءِ رياضةُ الهرِمِ)، وقد جمع الجاحظُ شواهد هذا المعنىٰ غير مرة[1]، وزدتُ شاهداً جاهليا، وهو قول الجميح الأسدي: (إن الرياضةَ لا تُنصِبك للشيبِ)[2]. (ترجيل لمَّته): الترجيل مشطُ الشَّعر بعد غسله، واللمَّة شعر الرأس دون الجُمَّة. (وخطِّ لحيته في وجهه): ظهور لحيته ونباتها في وجهه، وفيه أن اللحية من الوجه. (عجبا): يُقال أمر عَجَب وعَجيب وعُجاب، إذا خرج عن النهج وتجاوز الحدِّ. (عِرسُه): زوجُه. (لتُسمِعَني): أي لتقول ما تقول تصنعا ونفاقا وسُمعة. (مهلا): تقدم في بيان القطعة السادسة والعشرين. (أرَبا): حاجة، وجمعه مآرب، ومنه ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾[طه: ١٨]. (نار مسعرة): مُضرمَة مشتعلة، قال الحق سبحانه ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾[النساء: ٥٥]، أعاذنا الله.

- **العرض:**

(**١-٤**): **تقول**: ربيتُ ابني حين كان صغيرا ضعيفا، متساقط القوة، متخلخل البنية، كأنه فرخُ طائرٍ لصغره وضعفه، فأقبلتُ أربيه وأعظمُ شيء فيه بطنُه، وأرعاه وهو لا يعرف ما ينفعه مما يضره، بحفظٍ متصل، ورعايةٍ كاملة، وشفقةٍ بالغة، ولم أزل أصنع ذلك إلىٰ أن كمُل شبابُه، وبرع نباتُه، وامتدَّ قوامُه، فصار كفحل النخل وقد قطع عنه متعهِّدُه أصل سعفه الغليظ، وقام علىٰ ما يحتاجه من الإصلاح والاهتمام،

---

(١) انظر: الحيوان (١/ ٤٠)، (٣/ ١٠٢)، والبيان والتبيين (١/ ١٢٠)، ومجمع الأمثال (٤٠٢٢)، وسمط اللآلئ (١/ ١٠٤).

(٢) المفضليات، القصيدة (٤).

فلما صار كذلك ابتدأ يعقني ويسيء خطابي، ويضربني ويخرق ثيابي! أفبعد المشيب يطلب تأديبي؟ وإني لأبصره فأعجبُ كيف تحول من الضعف إلىٰ القوة، وانقلب من الصغر إلىٰ الكبر، وكيف تنقَّل الحال به حتىٰ غدا ذا شعر وافر، ولحية ظاهرة، وقد كان قبل ذلك في كنفي صغيرا ضعيفا.

(٦ـ٥): تقول: وكانت زوجته الماكرة هي التي تغريه بي، وقد أقبلت زوجتُه يوما متصنعةً العَطف والشفقة، ورفعت صوتها لتُسمِعَني وهي تقول لزوجها: كُفَّ عن إيذاء أمِّنا! فإنا لا نستغني عنها، ولا قيام لحياتنا إلا بها، تقول ذلك تملقاً ومداراة، وأنا أعلم أنها لو وجدتني في نار مضطرمة مُحرِقة -ثم قدرت- لزادت وقودها وضرامها!

(٧٦)

وقال جُرَيْبةُ بنُ الأَشْيَمِ الفَقْعَسِيُّ: [من المتقارب]

١. فِـدًىٰ لِفَـوارِسِـــيَ الـمُعْلَمِيـ ـنَ تـحتَ العَجاجـةِ خالـي وعَـمْ
٢. هُـمُ كشَـفـوا عَـيْبـةَ العـائِبيـنَ مِـنَ العـارِ أَوْجُهُـهُـمْ كالـحُـمَـمْ
٣. إذا الـخيلُ صاحتْ صِياحَ النُّسُورِ حَـزَزْنا شَراسِيـفَها بالـجِـذَمْ
٤. إذا الـدَّهْــرُ عضَّتْك أنيـابُه لَـدَىٰ الشـرِّ فـأْزِمْ بـه مـا أَزَمْ
٥. ولا تُـلْـفَ فـي شــرِّه هـائِـبًا كأنـك فيـه مُسِـرُّ السَّـقَمْ
٦. عَـرَضْـنـا نَـزالِ فـلَـم يَـنـزِلـوا وكانـتْ نَـزالِ عليهِـم أطَـمْ
٧. وقـد شَـبَّـهـوا الـعِـيـرَ أفـراسَـنَا وقـد وجَـدوا مَيْرَهـا ذا بَشَـمْ

● الكشف:

جُرَيبة بن الأشيم بن عمرو الأسدي الفقعسي، من فقعس بن طريف من أسد، كان أحد شياطين بني أسد وشعرائها وفرسانها في الجاهلية، وأدرك الإسلام فأسلم، وذكره ابن حجر فيمن أدرك حياة النبي ﷺ فلم يُنقل له لقاء ولم يُحفظ له سماع.

وجاء في خبر هذه القطعة أن قوما من بني ضبيعة بن عجل من بكر بن وائل خرجوا يطلبون غزاة، وخرجت بنو فقعس بن طريف من أسد في غزاة لهم يطلبون الغنائم، فالتقىٰ الجمعان ولا يريد واحد منهم صاحبَه، فلما التقوا صاحت بنو فقعس: نزال! نزال! فلم ينزلوا، وقاتلوا علىٰ الخيل، وهزمت بنو فقعس بني ضبيعة، وقتلوا منهم عددا، فقال الشاعرُ هذه القطعة يحمد فيها حسن بلاء قومه، ويثني فيها علىٰ شدة قتالهم، ثم يذكر عرضَهم النزول علىٰ بني عجيل، وانتصارهم عليهم.

• **البيان:**

(فدىٰ لفوارسي): هو نحو ما ابتدأ به أبو الغول في القطعة الثالثة. (المُعلِمين): الذين يُشهِرون أنفسهم في الحرب بوضع علامات وسمات عليهم يُعرَفون بها إذا أبلوا، ويصح فتح اللام. (العجاجة): أراد غبار الحرب. (خالي وعم): خبر المبتدأ، أي أفدي الفوارسَ بعمي وخالي. (عَيبة العائبين): العَيبة نحو الجِراب من الأدم، وعَيبةُ الرَّجل موضع سِرِّه، والعائبين الذين يتطلبون العيب، اسم فاعل من العَيب وهو الأمر المُستكرَه الدال علىٰ الفساد، ومنه ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[الكهف: ٧٩]، وقوله (كشفوا عيبة العائبين) أي أظهروا الخافيَ من عيوبِ مَن كان يتطلب عيبهم. (كالحُمَم): الفحم الأسود. (حززنا): الحزُّ القطع، وأراد به هنا الجَلد بالسوط. (شراسيفها): جمع شرسوف، وهو طرف الضلع. (بالجِذَم): السياط. (إذا الدهر عضَّتك أنيابه): العضُّ إطباق الأسنان علىٰ الشيء، قال الحق سبحانه ﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[آل عمران: ١١٩]، وهو هنا استعارة أراد بها تقلب حوادث الدهر وتصرفه. (فأزِم به ما أزم): الأزم القطعُ بالناب والسكين، وعنىٰ به العضَّ الشديد، وهي مقابلة، أي فاثبت له ما ثبت لك. (تُلف): تُوجَد، قال الحق سبحانه ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾[الصافات: ٦٩]، أي وجدوهم كذلك. (مُسِرُّ السقَم): الإسرار إخفاء الشيء، عكس إعلانه، قال الحق سبحانه ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[يس: ٧٦]، والسَّقَم والسُّقم والسَّقام المرض، ومنه ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾[الصافات: ٨٩]. (نزالِ): تقدم في بيان القطعة السادسة بتفصيله. (أطم): أغلب وأشدُّ، من الطامَّة وهي الخصلة التي تطمُّ ما سواها، أي تَغلبه وتُنسيه، وهي من أسماء يوم القيامة كما في قول الحق سبحانه ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[النازعات: ٣٤]. (شبَّهوا العِيرَ أفراسَنا): العِير الإبل عليها المتاع من الطعام وغيره، قال الحق سبحانه ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾[يوسف: ٩٤]، والمراد أنهم ظنوا أفراسَنا كالعِير غنيمةً

للمُنتهِب. (مَيرها): يُقال مارَ يَميرُ مَيرا، إذا جلب لهم الطعام، ومنه ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [يوسف:٦٥]، والمِيرة الطعامُ يُجلَب للبيع وغيره. (ذا بشَم): ذا تُخمة وامتلاء، كما قال الآخر (لم يتجشأ من طعامٍ يُبشمُه)[1]، أي يُتخِمه ويملؤه.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: أفدي بخالي وعمي أولئك الفوارسَ الشجعان، المتعودين الحروبَ والخوض في غبارها، المُعلِمين أنفسَهم بسمات يُعرَفون بها، وهم الذين أظهروا عيب من يتطلب عيبهم بعد أن كان عيبه مستورا، وردوا من رام النيل منهم علىٰ وجهه خاسئا مدحورا، فترىٰ وجوه أعدائهم مسودة من العار كأنها الفحم، وكنا إذا ضجَّت خيلنا من الطعن الواقع علىٰ النحور، وصهلت وصاحت كما تصفر وتصيح النسور، وهمَّت بالازورار والفرار؛ أكرهناها علىٰ الإقدام بالسياط، وأجبرناها علىٰ الصبر والتقدم بالقوة.

ومعنىً آخر في البيت الثالث ذكره النمَريُّ بقوله: (وإنما تصيح الخيلُ صياحَ النسور، وهو صوتٌ واحدٌ فيه قِصَر وصفاء علىٰ ما شاهدناه في الجوارح، من أجل أنها عُوِّدَت منعَ الصهيل في الغزو، لئلا يُنذَر بها... يقول [الشاعر]: فهذه الخيلُ لتجربتها ومعرفتها لا تفعل ذينك، فإذا كان منها ذلك الصَّويتُ ضربناها بالسياطِ لتذكُر العادة)[2].

(٤-٥): يقول: وإذا أصابتك حوادث الدهر، وتقلبت بك صروف الزمان؛ فاثبت لها ثباتَ الحازم الشجاع، ولا تقابل شدةَ وطأة الدهر إلا بشدة التجلد والصبر، ولا تُوجَدن فيما تُمتحَن به من نوائب الدهر خوارا جبانا، مستشعرا لليأس، مترقبا للفرار، فتكون كمن نزل به داءٌ عضال ومرضٌ مميت، فأعيته مداواته حتىٰ سئم من ذلك،

(١) مجالس ثعلب (١/ ١٩٥).

(٢) معاني أبيات الحماسة (١٠٩).

فطفق يكتم أثرَه، ويخفي خبرَه، وهو خائف مما قد يتعقبه من شر، ويائس مما قد يتلوه من خير.

(٦-٧) **يقول**: ولجهلِ أعدائنا بخصمهم، وانخراطِهم في سوء تدبيرهم، وتمكُّنِ الضعف من رأيهم؛ ظنوا جيشنا غنيمةً تُنتهَب، وحسبوا سلاحنا متاعا يُختَلس، وقدَّروا خيلنا إبلاً تُقتَسم، فأتاهم ما لم يكونوا يحتسبون، وذاقوا وخامة العاقبة التي سعوا إليها، وظهر لهم سوء التدبير الذي كانوا عليه.

هذا -بفضل الله ومنته- تمام شرح باب الحماسة من هذه الألفية، وعِداده فيها (٣٩٨) بيتا، وهو رأس الأبواب، وواسطة العقد، ويتلوه باب المراثي.

باب المراثي

المراثي جمعُ مرثيَّة، وهي القصيدة التي يريد بها قائلُها تأبينَ هالكٍ بإظهار التوجع على فراقه، وتعداد محاسنه ومحامده، ووصف الفجيعة بفقده، مأخوذة من الرِّثاء وهو الإشفاق والرقة، يُقال: رثيت لفلان، إذا أشفقت على حاله، ومنه قول الأعشى[1]:

فآليتُ لا أرثي لها من كلالةٍ ** ولا مِن حفىً حتى تزور محُمَّدا

وكثيرٌ من قِطَع الرثاء تراها والمدح سواء، (فليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أن الشاعر يخلط بالرثاء شيئاً يدل على أن المقصود به ميت، مثل (كان) أو (عدمنا به كيت وكيت) وما يشاكل هذا ليُعلم أنه ميت)[2]، لذلك قرَن الشعراءُ والأدباء بينهما في الأحكام، وقالوا: (ينبغي أن تتوخى في المرثية ما تتوخى في المديح)[3].

وكان الوجهُ أن يُقال (باب الرثاء) حتى ينتظم مع قوله (الحماسة) و(الأدب) و(الهجاء) و(المدح) وغيرها مما جعل المصدر علماً عليه، ولكن صنيع أبي تمام هنا هو صنيعُ كثير من المتقدمين في تواليفهم، مِن تجنُّب التدقيق في عناوين الأبواب، وتركِ النظر في الاتساق بين أعطاف الكتاب، ولا يعيبهم ذلك، فالعِلمُ في كتبهم هو العِلم وإن لم يبوبوا له، بل ربما كان التكلفُ في تزيين تراتيب الأبواب وعناوينها مذموماً إذا شغل عن التحقيق في مسائل العِلم ومباحثه، وهذا بلاء فشا عند المتأخرين.

---

(١) ديوان الأعشى .(١٣٥).

(٢) العمدة في الشعر لابن رشيق (٢/ ١٤٧).

(٣) الصناعتين لأبي هلال (١/ ١٣١).

(٧٧)

وقال عَبْدةُ بنُ الطَّبِيب: [من الطويل]

١. عليك سَلامُ اللهِ قيسَ بْنَ عاصمٍ ورحمتُه ما شاء أن يَترحَّمَا

٢. تحيَّةَ مَنْ غادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَىٰ إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سَلَّمَا

٣. فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلكُ واحدٍ ولكنه بُنيانُ قومٍ تهدَّمَا

● **الكشف:**

عبدة بن الطبيب، واسمُ الطبيب يزيد بن عمرو بن وعلة، من بني عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر مخضرم مُقلّ مُجيد، أدرك الإسلام فأسلم، وشهد مع المسلمين فتوحَ فارس.

وهذه القطعة يرثي فيها قيسَ بن عاصم بن سنان المِنقَري رضي الله عنه، وقيسٌ صحابيٌ جليلٌ من سادات تميم وأشرافها، سيد أهل الوبر، وهو من حلماء العرب كما عده أبو عبيدة[١]، وقد قال أبو عمرو بن العلاء عن البيت الثالث: (إنه أرثى بيتٍ قالته العرب)[٢]! وكان قيسٌ كثيرَ الإفضال على عبدة بن الطبيب، فآلى عبدةُ ألا يخرج في سفَرٍ إلا بدأ بتوديعه، ولا يقدم من سفرٍ حتى يبدأ بزيارته والسلام عليه، وجعلَ ذلك دأبه في حياتِه، وثبتَ عليه بعد وفاتِه!

● **البيان:**

(عليك سلام الله): على عادة العرب في بعث التحية إلى الميت والدعاء له بالسلامة والرحمة، والدعاء للميت بالسلامة يعني توفر الرحمة عليه وطيب مستراحه من الحياة،

---

(١) الديباج (١١٦).

(٢) ديوان المعاني للعسكري (٢/ ١٧٥).

والمشهور في تحية الموتى عند العرب تقديم (عليك) على غيرها، فجاء الإسلام بضد ذلك فسوَّى بين الميت والحي في التحية، وفي حديث زيارة المقابر: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين)[1]. (قيسَ): منادى منصوب، وحُذف حرف النداء. (ورحمتُه): معطوف على السلام الماضي، أي: عليك سلام الله ورحمته. (ما شاء أن يترحما): ما مصدرية، قيل معناه طولَ مدة ترحمه، والرحمة من الله دائمة متصلة، فيكون المعنى: عليك سلام الله ورحمته أبدا، وقيل بل معناه على التكثير والمبالغة، وهذا أقربُ إلى مذهب العرب، كما قال ذو الرمّة (ما رأيتُ أفصحَ من أمةِ بني فلان، سألتُها عن الغيث فقالت: غِثنا ما شئنا)[2]. (تحيةَ من غادَرتَه): منصوب بفعل محذوف، أي: أحييك تحيةَ مَن غادَرتَه، وعنى بقوله (مَن غادَرتَه) نفسَه. (غرضَ الردى): هدفا للموت والمهالك، وهو حال منصوب. (عن شحطٍ): عن بُعد. (هلك واحدٍ): يجوز في (هُلك) الرفع على أنه خبر المبتدأ (هلكُه)، والنصب على أنه خبر كان. (ولكنه): أي ولكن هلكه، وهذا شاهد على أن لفظ (الهلاك) لا يختص بموت المذموم من الناس، بل يصح لكل ميت، ومن ذلك قول الحق سبحانه على لسان ثمود: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾[النمل: ٤٩].

- **العرض:**

(١-٣): **يقول**: يا قيس بن عاصم! عليك سلامُ الله ورحمتُه رحمةً كثيرةً فائضةً متصلةً لا تنقطع، وليست هذه التحيةُ مني إلا تحية الرجل الذي تركته هدفا للمهالك والمعاطب، ومحلا للمصائب والنوائب، فتركته وهو أشد ما كان حاجةً إليك، فلا يجد من يقضي له حوائجه، ولا من يكفيه أموره، ولا يملك إن أتاك -على بعد بلادك، ونزوح محلك- إلا الوفاء بنذره بزيارتك والسلام عليك! وما يغنيه السلام والزيارة؟ فقد عظمت المصيبة بموتك، وما كان هلكُ قيسٍ هُلكَ واحدٍ من الناس، بل مات بموته خلقٌ كثير، وتهدّم لوفاته بنيانٌ رفيع.

(١) رواه مسلم (٢٤٦)، وانظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ١٩٥).
(٢) معاني أبيات الحماسة (١١٥).

(٧٨)

وقال هِشامٌ أخو ذي الرُّمَّةِ: [من الطويل]

١. تعزَّيْتُ عن أوفَىٰ بغَيْلانَ بعدَهُ عَـزاءً وجَفْـنُ العيـنِ مَـلْآنُ مُتْـرَعُ

٢. نَعَىٰ الرَّكْبُ أوفَىٰ حين آبَتْ رِكابُهم لعَمْـري لقـد جاؤوا بِشَـرٍّ فأوجَعُوا

٣. نَعَوْا باسِقَ الأفعالِ لا يَخْلُفُونَهُ تكـادُ الـجِبـالُ الصُّمُّ منه تَصَـدَّعُ

٤. خَوَىٰ المسجدُ المعمورُ بعدَ ابنِ دَلْهَمٍ وأمسَىٰ بأوفَىٰ قومُه قد تَضَعْضَعُوا

٥. فلم تُنْسِني أوفَىٰ الـمُصِيباتُ بعدَه ولكـنَّ نَـكْـءَ القَرْحِ بالقَـرْحِ أوجَعُ

• **الكشف:**

هشام بن عقبة بن بُهَيس التميمي الربابي العدوي، من بني عدي بن عبد مناة بن أد، واعلم أن الرباب هم تيم وعدي وعوف وثور وأشيب أبناء عبد مناة بن أد، سُمّوا بذلك لأنهم تحالفوا مع بني عمهم فغمسوا أيديهم في رُبٍّ -والرُبّ خلاصة التمر بعد عصرِه- والعربُ تنسب الرباب إلى تميم، وإن كانوا أبناءَ عمِّهم، (وقد جرت عادتُهم ينسبون أولاد البطن القليل إلى أخيه إذا كان مشهورا)[1].

كان هشام هو وإخوته: ذو الرمة وأوفى ومسعود شعراء، فغلب ذو الرمة على شعرهم حتى أخملهم، وهذه القطعة قالها هشام لما مات أخوه أوفى، يرثيه فيها، ويذكر عظم المصيبة بفقده، ثم يذكر شيئا من حميد خصاله وطيب فعاله.

• **البيان:**

(تعزيتُ): صبّرتُ نفسي وقوّيتُها. (عن أوفى): أخي. (بغيلان): أخي الآخر،

(١) أسد الغابة لابن الأثير (١/ ١٢٣).

وهو ذو الرمة. (عزاءً): العزاء صبر النفس على المصيبة. (جفن العين): غطاء العين من الجلد، وأراد السفلي منه إذ هو محضن الدمع. (مُترَع): الترَع امتلاء الشيء إلى أقصاه، أراد أن جفن عينه امتلأ دمعا وزيادة فهو يتصبب. (نعى الركبُ أوفى): النِّعاء والنعيّ خبرُ الموت الذي يسير به المُخبِر بين القبائل. (آبت ركابُهم): رجعوا من رحلتهم، وكأنه أراد أن يصِف حالَ وصول الخبر إليه وصفاً دقيقا، ليبين به عظيم الفقد والمصيبة. (باسق الأفعال): الباسق الطويل العالي، ومنه ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾[ق: ١٠]، وقوله (باسق الأفعال) أي شريف الأفعال حسَن الذكر. (لا يخلفونه): أي لا يقومون مقامه ولو اجتمعوا، ومنه ﴿ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾[الزخرف: ٦٠]، أي يقومون مقامكم. (الجبال الصمّ): الراسية الصلاب الذي لا تخلخل فيها، وهو زيادة في الوصف. (تصدَّع): تتشقق، وتقدم أن العرب كثيرا ما تحذف إحدى تاءي المضارع المبدوء بتاء، ووصفُه الجبالَ بالتصدع إشارة إلى هول الأمر، قال الحق سبحانه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]. (خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم): خلا من أهله ومن القائم على شؤونه، ومنه ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾[النمل: ٥٢]، وعمارة المسجد القيام على شؤونه وبذل أسباب خدمته وصلاحه، ومنه ﴿ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [التوبة: ١٩]، وهذا مثلٌ ضربه لمسجدٍ بناه (ابن دلهم) وكان هو القائم على إصلاح أمره وتفقد شؤونه، فلما مضى لسبيله أمسى المسجد خالياً لا يقوم عليه قائم ولا يصلح من شأنه مُصلح، فجعله مثلاً لموت أوفى وفقد قومه له، (أراد أن يشبه تضعضعَ القوم بموتِ أوفى بخراب المسجد بموت ابن دلهم، فلم يأت بلفظ التشبيه إذ كان معناه من الكلام مفهوما)(١). (تضعضعوا): الضعضعة الخضوع والتذلل. (نكء القرح): بعث الجرح بعد مقاربة التئامه، والقَرْح والقُرْح: الجرح في الجسد، ومنه ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾[آل عمران: ١٧٢].

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقي (٢/ ٧٩٥).

- **العرض:**

(١-٣): يقول: مات أخي أوفى فاشتدّ مصابي به، وأخذتُ أُسلّي نفسي وأصبّرها ببقاء أخي غيلان من بعده، وجفنُ عيني مملوءٌ دمعا حتى إنه ليتصببُ من ذلك، وقد ذكر الركبانُ لي موتَ أوفى وجاؤوني بهذا الخبر البئيس، ولعمري لقد ذكروا شراً عظيما، وأوجعوا قلباً سليما، لقد نعوا رجلاً عاليَ الشأن، شريفَ الفعال، عظيمَ الحكمة، واسعَ المعروف، هم بأجمعهم لا يقومون مقامه، ولا يسدون محله، فقد كان يتولى الإحسانَ إلى الناس، وبذْلَ المعروف إليهم، وبسْطَ الخير فيهم، فليس أحد منهم يبلغ مبلغه، وإن الجبال الصلبة تكاد تتشقق من خبر موته.

(٤-٥): يقول: وقد كان ابنُ دلهم قائماً على عمارة مسجده، راعياً لأموره، قائماً بشؤونه، فلما مات خلا مسجده، وتغير حاله، وفسد أمره، فكذلك حالُ أخي أوفى في قومه، فقد كان قوام عشيرته به، وانتظام شؤونهم بمكانه، فلما مات اضطربَت أحوالهم، وفسدَت أمورهم، ولقد وردَت عليّ مصائبُ كثيرةٌ بعد موته، وطرقتني نوائبُ عدةٌ بعد هلاكه، فما أنسَتني مصيبتي بأوفى، ولا حجبَت عني الحزن عليه، ولكنها كانت تهيجُ الجرحَ القديم، وتبعثُ الداءَ الدفين، فكلما استجدَّت لي مصيبةٌ ذكرتني مصيبتي به.

(٧٩)

وقال مُتمِّمُ بنُ نُوَيْرةَ: [من الطويل]

١. لقد لامني عندَ القبورِ علىٰ البُكا ... رَفِيقي لتَذْرافِ الدُّموعِ السَّوافِكِ

٢. فقال: أتبكي كلَّ قبرٍ رأيتَهُ ... لقَبْرٍ ثَوَىٰ بين اللِّوَىٰ فالدَّكادِكِ

٣. فقلتُ له: إن الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا ... فدَعْني فهذا كلُّهُ قبرُ مالِكِ

● **الكشف:**

هو مُتمِّم بن نويرة بن جمرة التميمي اليربوعي، من بني ثعلبة بن يربوع بن حنظلة من تميم، صحابي جليل، وشاعر فحل، وقد أكثر رثاء أخيه مالك، وكان مالكٌ سيداً مطاعا، وفارساً شجاعا، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ ثم قيل إنه امتنع عن الزكاة، فقتله بعضُ جند خالد بن الوليد، فرثاه متممٌ بقصائد مشهورة سيّارة، واستحسنها أمير المؤمنين عمر فقال: (رحم الله زيدا، لو كنتُ أُحسِن الشِّعر لقلتُ في أخي مثل ما قلتَ في أخيك)، فقال مُتمِّم: (لو أن أخي ذهب على ما ذهب عليه أخوك ما حزنتُ عليه)، فقال عمر: (ما عزّاني أحدٌ بمثل ما عزّيتَني به)[1]! رضي الله عن الصحب أجمعين، وتُنسَب هذه الأبيات لغيره.

● **البيان:**

(على البكا): متعلق بقوله (لامني). (لتَذراف): صيغة تكثير ومبالغة من الذَّرف، وذرفُ الدموع سيلانُها، واللام للتعليل. (السوافك): اسم فاعل من السَّفك، والسفكُ الإراقة والصبّ. (أتبكي كلَّ قبر): فعل البكاء متعد بنفسه وبالحرف، يُقال

(١) انظر: أسد الغابة (٢/ ١٣٤)، وزيد هو ابن الخطاب رضي الله عنه، من السابقين للإسلام، واستُشهد في حروب الردة في اليمامة.

بكى الرجلُ الديارَ وبكى عليها. (لقبرٍ): اللام للتعليل، أي لأجل قبرٍ. (ثوى): من الثَّواء وهو الحلول والإقامة، قال الحق سبحانه: ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[محمد: ١٢]، نجانا الله. (اللِّوى): مسترَقُّ الرَّمل وآخره قبل انقطاعه، سمي بذلك لأن الأرض تلتوي من بعده، ويقع على أمكان مختلفة، فتطلقه العرب وتضيف إليه كثيرا في شِعرها، فتقول (سَقطَ اللوى) و(نَعفَ اللوى) و(منزلةَ اللوى) و(أطرافَ اللوى) و(جراميزَ اللوى) وغير ذلك. (فالدكادكِ): الدكادِك والدكاديك الأرضُ الغليظة التي قد تلبّد فيها الرّمل، وهو هنا إما أن يقصد موضعا بعينه هو الذي دُفن فيه مالك، وإما أن يريد الإطلاق والإشارة إلى أن شأن القبر الحلولُ في التراب على اختلاف أنواعه. (الشجا يبعثُ الشجا): الحزنُ يهيج الحزن ويثيره، وقد أرسله مثلا. (فهذا كلُّه): الإشارة للقبور التي في طريقهم. (قبر مالكِ): بن نويرة، أخي.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: لامني صاحبي إذ رآني أبكي عند القبور، وعذلني لّما رأى ما سال مِن الدموع، وقال موبخاً مستنكرا: أمِن أجل قبرٍ بعيدٍ حلّ بين تراب رقيقٍ وآخر غليظ تبكي كلَّ قبر تراه! فما شأنك وهذه القبور؟ فأجبته بأن الحُزن يهيج الحزن، والذكرى تجر الذكرى، فاتركني وشأني، فإن كل قبر أنتهي إليه يذكرني قبرَ مالك.

(٨٠)

وقال رجلٌ من خَثْعَمَ: [من الكامل]

١. نَهِلَ الزَّمانُ وعَلَّ غيرَ مُصرَّدِ ... مِن آلِ عتَّابٍ وآلِ الأسْوَدِ

٢. مِن كلِّ فيَّاضِ اليدينِ إذا غَدَتْ ... نَكْباءُ تُلْوِي بالكَنِيفِ المُوصَدِ

٣. فاليومَ أَضْحَوْا للمَنُونِ وَسيقةً ... مِن رائحٍ عَجِلٍ وآخَرَ مُغتَدِ

٤. خَلَتِ الدِّيارُ فسُدْتُ غيرَ مُدافَعٍ ... ومِنَ الشقاءِ تفرُّدي بالسُّودَدِ

- **الكشف:**

المشهور أنها لحارثة بن بدر بن حصين التميمي اليربوعي، من بني غدانة بن يربوع بن حنظلة من تميم، شاعر مخضرم، وفارس شجاع، وكان رجلَ بني تميم في وقته.

وهذه الأبيات يذكر فيها تأثير الزمان بقومه، وأنه اصطفى خيارهم، فهلكوا سيدا بعد سيد حتى انتهت السيادة إليه.

- **البيان:**

(نهِل الزمانُ وعلَّ): النهَلُ الشربُ الأول، والعلَل الشربُ الثاني، ويقصد أن الزمان أثّر فيهم حالا بعد حال، ووقتا بعد وقت. (غيرَ مُصرَّدِ): أي شرب وافياً غير مُقلّل، والتصريد التقليل. (من آل عتابٍ وآل الأسود): يقصد أن الزمان ألحّ على هؤلاء وأضرّ بهم، ولم أعرف عتابا والأسود المقصودَين، فربما كان دليلا على نفي نسبة الشعر لحارثة. (من كل فيّاض اليدين): بدلٌ من قوله (من آل عتاب) وأعاد العامل فيه كما في قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾[الأعراف: ٧٥]، وقوله (فيّاض اليدين) استعارة لسعةِ الكرم وكثرة العطاء. (نكباءُ): اسمٌ للريح التي تهب

من غير الجهات الأربع، وإذا هبّت كان القحط والجدب، سُمّيت بذلك لأنها تتنكب مهابّ الريح الأربع، أي تميل عنها. (تُلوي بالكنيف): تَذهب به، وأصل الكنيف كلُّ ما ستر من بناء وشجر، وتقدّم في القطعة الثانية والخمسين. (المُوصَد): المُغلَق، قال الحق سبحانه ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[الهمزة: ٨]، أي مُغلَقة مُطبَقة. (فاليوم أضحوا): أي ففي هذا الزمن صاروا. (للمنون): جمع منية، وهي الموت. (وسيقة): الوسيقة الطريدة. (رائح): سائر وقت الرواح، وتقدم في القطعة الثانية والخمسين. (عجِل): اسم فاعل من العجلة، وهي الإسراع. (مُغتدِ): سائر وقت الغدوّ، وهو أول الصبح قبل طلوع الشمس، قال الحق سبحانه ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[الأعراف: ٢٠٥]، وذكرُ العجَلة في الغدو والرواح هو نحو قول النابغة الذبياني (رائح أو مغتد عجلان)[١]. (فسُدتُ): فعل ماض من السيادة، أي فأصبحتُ سيدا. (غيرَ مُدافَع): غير مُنازَع في سيادتي، والرواية المشهورة (غير مسوَّدِ) أي قبل أوان سيادتي، ولمّا أُسوَّد. (بالسُّودد): يُقال ساد يسود سوددا وسيادة، والسُّودد بترك الهمز، وقد يُهمَز.

- **العرض:**

(١-٤): **يقول**: أثّر الزمانُ في قومي من آل عتاب وآل الأسود واحدا بعد واحد، وأخذت المصائب منهم سيدا بعد سيد، واستوفى الدهرُ منهم ما أراد حالا بعد حال، وتناول منهم الأفضلَ فالأفضل غيرَ مقلِّل ولا مطفِّف، فذهب منهم بكل رجل سخيٍّ واسعِ المعروف، معطاءٍ إذا اشتدّ الزمان وأجدبت الأرض، وإلى اليوم هم أهدافٌ للمصائب، وطرائدُ للمنون، يذهب الواحد منهم في إثر الآخر، حتى خلت منهم الديار، فأصبحت لوحدي سيدا، لا ينازعني في السيادة أحد، وليس في هذا إلا الشقاء والبلاء، فقد فنِيَ سادات العشيرة ورؤساؤها فلم يبق غيري.

---

(١) الأشعار الستة الجاهلية (٢٦٨).

(٨١)

وقال البَـرَاءُ بنُ رِبْعيٍّ الفَقْعَسيُّ: [من الطويل]

١. أبَـعْـدَ بني أمِّـي الـذيـن تَـتَابَـعُـوا أُرجِّي الـحـياةَ أمْ مِنَ الـموتِ أجزَعُ
٢. ثـمـانيـةٌ كـانـوا ذُؤابـةَ قومِهم بهم كنتُ أُعطي مَن أشاءُ وأمنَعُ
٣. أولئك إخـوانُ الصَّفاءِ رُزِئتُهُمْ ومـا الكـفُّ إلا إصبَـعٌ ثـم إصبَـعُ
٤. لَعَمْرُك إنـي بالـخليلِ الـذي له علـيَّ دَلالٌ واجِـبٌ لـمُفـجَّعُ
٥. وإنيَ بالـمَولىٰ الذي ليس نافِعِي ولا ضائِـرِي فِقْدانُـه لـمـمـتَّعُ

- **الكشف:**

هو أبو الحناك البراء بن ربعي الفقعسيّ، من بني فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين من بني أسد، شاعر جاهلي، وهو مشهور بقطعته هذه التي يرثي فيها أخاه سليما.

وهذه القطعةُ يتوجّع فيها الشاعر لموت إخوته الثمانية، ويذكر أن الحياة بعدهم لا نفع فيها ولا رجاء منها ولا طعم لها.

- **البيان:**

(أبعدَ بني أمِّي): استفهامٌ يراد منه التوجع، ونسبةُ إخوته لأمه فيها زيادةُ رِقّة وعَطف، كما قال الحق سبحانه في قول هارون ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ﴾ [طه: ٩٤]. (تتابعوا): مات الواحد منهم تلو أخيه. (أرجّي الحياة): أطمع في البقاء، وأحب العيش. (أجزع): الجزع قلةُ الصبر والضعفُ عن احتمال المصيبة، قال الحق سبحانه ﴿قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا

﴿مِن مَّحِيصٍ﴾[إبراهيم: ٢١]. (ذؤابة قومهم): ذؤابةُ كلِّ شيء أعلاه، وتقول العربُ هو ذؤابة قومه إذا كان فيهم سيدا عزيزا، وعلىٰ العكس منه (ذنابة قومه)، ووصفَ الشاعرُ إخوته بذلك ولم يقل (ذوائب) بل قال (ذؤابة) لأنه عدّهم شيئا واحدا؛ لتناصرهم واتفاق أهوائهم. (إخوان الصفاء): أضافهم للصفاء تنبيها علىٰ زوال الخلاف بينهم، وخلوص نية كلٍّ منهم لأخيه، واجتماع قلوبهم وتآلفها. (رُزِئتهم): أُصِبت بهم وفُجِعت، والرزء المصيبة. (وما الكفُّ إلا إصبعٌ ثم إصبعُ): أراد أنهم كانوا في التعاون والتظاهر كالكفّ الواحدة، فصار نقصانهم وموتهم واحدا بعد واحد كتراجعِ الكفّ بنقصان أصابعها حتىٰ ما عادت تُغني في البطش بها. (لعَمرك): بفتح العين، أي لَحياتك، وهو قسَمٌ كثير الجريان علىٰ لسان العرب يُقصَد به التأكيد. (بالخليل): القريب الحميم، والخُلّة أعلىٰ درجات المحبة، ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾[الإسراء: ٧٣]، والعربُ تُطلِق الخليل وتريد به ما يُعتمَد عليه وقت الحاجة فلا ينفعُ غيرُه، حتى إنهم لَيُسمّون الفرَس والسّيف خليلا. (له عليّ دلالٌ واجب): يرى لنفسِه مكانةً عندي، وتدللاً عليّ، وتمكّناً مني، ولا يكون هذا إلا للحبيب القريب. (لمفجَّعُ): لشقيٌّ بموته، ومفجوعٌ بفراقه. (بالمولى): تقدم أن المولىٰ له معان، منها: القريب والناصر والمُعتق والمالك، وهو هنا بالمعنىٰ الأول. (ولا ضائري فِقدانه): ولا يضرّني ذهابه وموته، والضَّير والضرر والمضرة واحد، ومنه ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: ٥٠]، والفِقدان بكسر الفاء لا غير. (لممتَّعُ): لشاهدٌ لحياته، مرافقٌ له في عيشه، وفي البيتين الأخيرين طباقٌ ظاهر.

- **العرض:**

(١-٣): **يقول**: كيف أرجو الحياة وأخاف الموت بعد إخواني الذين انقرضوا؟ وذهبَ الواحدُ في إثر الواحد فدرجوا، أفَيحسُن الطمع في الحياة بعد هذا! وقد كان إخوتي الثمانية رؤساء قومهم، وبعزِّهم ومكانهم من قبيلتهم كنتُ أعطي من أشاء،

وأمنع من أشاء، وأدفع عن نفسي ما أشاء، وأقبل لنفسي ما أشاء، أولئك هم الإخوة حقا، فلم أر منهم غير التصافي بلا كدر، ولم أجد معهم إلا التوافق بلا حسد، ففُجِعتُ بهم، وتولوا واحدا بعد واحد كما تُقطَّع أصابع الكف الواحدة إصبعا بعد إصبع، فلا بطش لليد بغير أصابعها، كما لا غناء لي بغير إخوتي.

(٤ـ٥): يقول: وما أعجبَ ذلك! وحياتك إني دائم الفقد للخليل الذي تعزّ عليّ حياته، ويكرم عليّ مقامه، حتى يرى لنفسه تدللاً واجباً عليّ، وتمكناً مكيناً مني، أما الذي لا نفع لي منه، ولا رغبة لي فيه، فأنا واجده كل حين، ومُمتَّع به كل يوم!

(٨٢)

وقال نَهْشَلُ بنُ حَرِّيٍّ: [من الطويل]

١. أغَـرُّ كـمِصْباحِ الـدُّجُنَّـةِ يتَّقِي ... قَـذَىٰ الـزادِ حتـىٰ يُستفادَ أطايِبُـهْ

٢. وهَـوَّنَ وَجْـدي عن خليلِيَ أنني ... إذا شِئتُ لاقَيْتُ امْرَأً ماتَ صاحِبُهْ

٣. أخٌ ماجدٌ لم يُخْزِني يومَ مَشْهَدٍ ... كمـا سيفُ عَمْرٍو لم تَخُنْهُ مَضارِبُهْ

- **الكشف:**

هو نَهشل بن حَرِّي بن ضَمرة بن ضمرة التميمي الدارمي، من بني دارم بن مالك بن حنظلة من تميم، شاعر مخضرم، وسيد شريف، وكان هو وأخوه مالك مع عليٍّ رضي الله عنه في حروبه، وجده ضمرة بن ضمرة الذي قيل فيه (تسمعُ بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه)[1]، وبيته من خير بيوت بني دارم وأشرفها.

وهذه القطعةُ يرثي فيها نهشلُ أخاه مالكا، وكان مالك حاملَ لواء بني حنظلة يومَ صفّين، فقُتل ذلك اليوم، ورثاه نهشل بشِعر كثير، منه هذه القطعة التي يذكر فيها شيئا من فضائل أخيه، وتصبره عنه بالاتساء بغيره.

- **البيان:**

(أغرُّ): أصل الغُرّة البياض أعلى رأس الفرَس، ثم استُعمل لكل أمرٍ فيه شرفٌ واضح مشهور، فيُقال للرجل (أغر) ويراد بهذا أنه كريمُ الفعال نقيُّ العِرض أبيضُ الطلعة. (كمصباح الدُّجنّة): الدُّجنّة الظُّلمة، فهو يشبه أخاه بمصباح الظلام؛ لتهللِ وجهه وانفراج أساريره. (يتقي قذى الزاد): يصون نفسه عنه، ويجعل بينه وبين قذى

---

(١) مجمع الأمثال (٦٥٥).

الزاد وقايةً من المروءة والأنفة، قال الحق سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[البقرة: ١٨٩]، أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية، و(قذى الزاد) خبائث الطعام، وهو ما يتكسبه المرء بالخيانة أو الغدر أو الابتذال ونحو ذلك. (حتى يُستفاد أطايبُه): أي لا يَستطعمُ من الزاد ولا يُطعم ضيفانَه إلا ما كان طيّبَ الكسب، لا بِذلة في جمعه ولا خيانة في كسبه. (وهوّن وَجدي): وخفَّف حُزني، والوَجدُ الحُزن من فِقدان شيء، أو هو ما يعتمِل في النفس من الشوق والمعاناة. (عن خليلي): تقدم الخليل في القطعة السابقة، ويريد به هنا أخاه مالكا. (أخ ماجد): يعني أخاه مالكا، وقوله (ماجد) أي أتى من الأفعال ما استحقّ به المجد، والنكرة هنا مخصصَّة بالنعت، فجاز الابتداء بها، أو يكون خبرا حُذِف مبتدؤه. (لم يُخزني): الخزي الهوان والفضيحة، قال الحق سبحانه ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾[آل عمران: ١٩٢]. (يوم مشهد): يوم حربٍ وغزو يجتمع فيه الناس ويشهدونه. (سيفُ عمرو): بن معدي كرب، تقدمت ترجمته في القطعة السادسة عشرة، وسيفُه الصمصامة أشهر سيوف العرَب، وبه يُضرب المثل في الحدة والمضاء. (لم تخنه): الضمير راجعٌ إلى عمرو، وهذا خلافُ الأصل في رجوع الضمير إلى المضاف، ولكن معناه أجود، ومِن رجوعه إلى المضاف إليه قول الحق سبحانه على لسان فرعون ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾[غافر: ٣٧]، ويجوز أن يرجع الضمير في البيت إلى السيف.

- **العرض:**

(١-٣): **يقول**: إن أخي مالكاً كريمُ الفعال نقيُّ العرض كأنه مصباحُ الظلام لنورِ وجهه وإشراق محيّاه، يزهدُ فيما يشينه، ويعافُ ما يجرّ عليه الخزي، فيجتنب الطعامَ إن كان خبيثَ الكسب، ولا يُطعِمُ الأضياف إلا الطيبَ الذي لا عار في كسبه، ولا بِذلة في جمعه، ولقد خفَّف حزني عليه وهوَّن مصابي به اتسائي بغيري من الناس، فمتى شئتُ لاقيتُ امرأً فقد خليلا له، فلستُ أول فاقد، وليس مالكُ أولَ مفقود، وقد كان

أخي ماجدَ الأخلاق، شهمَ النفس، لم يخذلني أمام قوم، ولا جلب لي في مشهد خزيا وعارا، بل كان دائمَ العون، حاضرَ الإجابة، كصمصامة عمرو بن معدي كرب، نافذَ الضربة، سريعَ المضاء.

وقوله (وهوَّن وجدي عن خليلي...) فيه معنى لطيف مشهور، وهو أن الأسوة تخفف المصيبة، فإن المرء متى ما رأى مصيبة غيرِه هان عليه ما لقي، ومتى ما علم بحال مَن هو دونه حمِد نعمةَ الله عليه، وإن الرجل ليتصبّر بأخبار الصابرين ولو لم يكن يعرفهم! واعتبِر ذلك بتصبير الله سبحانه لنبيه ﷺ والمؤمنين بقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٦]، وهذا المعنى مشهور جدا، فمنه قول الحماسي[1]:

ولولا الأسىٰ ما عشتُ في النَّاس بعده ولكن إذا ما شئتُ أسعدني مثلي

ومنه كذلك قول الخنساء[2]:

ولولا كثرة الباكين حولي علىٰ إخوانهم لقتلتُ نفسي

(١) ديوان الحماسة (١/ ٤٢٠).
(٢) ديوان الخنساء بشرح ثعلب (٣٢٦).

(٨٣)

وقال رجلٌ من بني أَسَدٍ: [من الطويل]

١. خليليَّ هُبَّا طالَ ما قد رَقَدْتُما أجِدَّكما لا تَقضِيانِ كَرَاكُما

٢. ألم تَعْلما ما لي بِرَاوَنْدَ كلِّها ولا بخُزاقَ مِن صديقٍ سِواكُما

٣. أقيمُ علىٰ قبرَيْكما لستُ بارِحًا طَوَالَ الليالي أو يُجيبَ صَدَاكُما

٤. أصُبُّ علىٰ قبرَيْكما مِن مُدامةٍ فإن لم تذُوقاها أبُلَّ ثَرَاكُما

٥. وأبكيكُما حتىٰ المَماتِ وما الذي يَرُدُّ علىٰ ذي عَوْلةٍ أن بَكَاكُما

• **الكشف:**

قيل في خبر القطعة إن رجلين من بني أسد خرجا إلى أرض أصبهان، فصادفا دهقانا فأنِسَ إليهما وأنِسَا إليه فآخياه في طريقهما، فلما بلغا (راوند) مات أحد الأسديين، فأقام صاحباه على قبره لا يفارقانه، وصارا يُنادمانه في قبره! فيشربان كأسين ويَصُبّان على قبره كأسا، ثم مات الدهقان ولحق بصاحبه الأول، فأمسى الأسديُّ الغابر مقيما على قبريهما لا يبرح ذلك المكان، ينادمهما فيشرب كأسا ويصبّ على قبريهما كأسين، ويترنّم بهذا الشِّعر متوجِّعاً حتى لحق بصاحبيه، فللّه ما أوفاهم!

وتُنسَب القطعة لقسّ بن ساعدة، في خليلين كانا له فسبقاه إلى الموت، فبنى عند قبريهما مسجدا يعبد الله فيه، فكان إذا اطلع على قبريهما ترنّم بهذا الشعر، وظل على حاله هذه حتى لحق بهما، وللأبيات بقيةٌ حسَنة.

وقس هو ابن ساعدة بن عمرو الإيادي، من بني أفصى بن دعمي بن إياد، خطيب مِصقَع، وحكيم مشهور، وبه يُضرَب المثل في الفصاحة والحكمة والخطابة، وله كلام حسَن في التوحيد والبعث والنشور، ورويت أحاديث مرفوعة في الثناء على كلامه.

- **البيان:**

(خليليّ): خطاب للاثنين على الحقيقة، ويريد صاحبيه الذين تقدم خبرهما، وتقدم معنى الخليل في القطعتين السابقتين، فتأمل كثرة وصفهم الميت بالخليل! وهذا نحو قول العامة اليوم (الله لا يبيّن غلاك)، وهو دعاءٌ له بأن لا يعجل اللهُ موتَه فتتبين منزلتُه في نفوس الناسِ وحبِّهم له، فكثير من مشاعرهم محبوسة عن الأحياء، مبذولة للموتى! (هُبَّا): قوما. (طال ما): طال وقلّ وكثر إذا تلتها (ما) كفّتها عن العمل، ولم تدخل إلا على الفعل، وقيل بل يُعرَب الفعل ماضياً و(ما) مصدرية، ويكون المصدر المنسبك منها ومن صلتها في محل رفع فاعل فهو هنا: طال رقودُكما، وتقدم نحوه في القطعة السابعة والثلاثين. (رقدتما): نمتما، وأصل الرقود نوم الليل، قال الحق سبحانه: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[الكهف: ١٨]. (أجِدَّكما): الهمزة للاستفهام، و(أجِدَّكما) مثنىٰ (أجِدَّك)، كأنه قال: أجِدّاً لا تفعل كذا؟ وهي بمعنىٰ (أحقّاً؟) غير أنها لا تكون إلا مضافة، وذكرها سيبويه في (باب ما ينتصب من المصادر توكيداً لما قبله)[1]. (كراكما): نومكما، والكَرى يُطلَق على اللذيذ من النعاس أو النوم، والأوجه هنا الثاني. (براوند): راوند منطقة معروفة قرب أصبهان، وفيها موضع القبرين المذكورين. (بخُزاق): خُزاق موضع عند راوند. (صديق): صاحب، مشتقٌّ من الصّدق في المودة، ومنه ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء: ١٠١]. (لستُ بارحا): لستُ زائلا، قال الحق سبحانه ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾[طه: ٩١]، أي لن نزال مقيمين. (أو يجيبَ): منصوب بإضمار أن. (صداكما): الصدى طائر كانت العرب تزعم أنه يخرج من قبر الميت فيجيب عنه، ويقولون إن عظامه هي التي تصير طائرا. (مُدامة): يعني الخمر الذي كان يشربه عند قبورهما. (أَبُلَّ): مدغَمٌ من أبلُل، فعلُ مضارع من البلَل، ويجوز في إدغامه الضم للإتباع، والفتح للتخفيف. (ثراكما):

---

(١) الكتاب (١/ ٣٧٩).

ترابكما، أي تراب قبريكما، قال الحق سبحانه ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾[طه: ٦]. (ذي عَولة): العَول والعَولة والعَويل رفع الصوت بالصياح.

- **العرض:**

(١ـ٥): يقول: يا خليليّ! قوما من نومكما فقد امتدّ رقادكما، أفتجعلان طولَ نومِكما هذا جِدّاً منكما وأنا على هذه الحال! وكيف يتّصل نومكما ويمتدّ رقادكما وأنتما تعلمان أني لا صديق لي سواكما في هذا المكان، ولا صاحب لي غيركما في هذه البلاد، فأنا أَصِلُ مقامي على قبريكما باتصال الليالي ودوامها، ولا أبرح إلا أن يجيبني صداكما، وأجريكما في المنادمة والشُّرب مجراكما حال حياتكما، فإن كانت نوبتكما صببتُ على قبريكما ما نابكما من المُدامة، فإنه إن لم يبلَّ ريقكما رطَّب ترابكما، ولأبكينّكما ما اتّصل عمري، وأذكركما ما بقيتُ دهري، وأيَّ شيءٍ يُغني البكاءُ والعويل!؟

(٨٤)

وقال خَلَفُ بنُ خَلِيفةَ: [من الطويل]

١. أُعاتِبُ نفسي أنْ تبسَّمْتُ خاليًا ... وقد يَضْحَكُ المَوتُورُ وهْو حزينُ

٢. وبالدَّيْرِ أشجاني وكم مِن شَجٍ له ... دُوَيْنَ المُصلَّىٰ بالبَقِيعِ شُجُونُ

٣. رُبًا حَوْلَها أمثالُها إنْ أتيتَها ... قَرَيْنَكَ أشجانًا وهُنَّ سُكُونُ

٤. كذا الهَجْرُ أنَّا لم يَضِحْ لك أمرُنا ... ولم يأتِنا عَمَّا لديك يقينُ

• **الكشف:**

هو خلف بن خليفة الأقطع، يُنسَب لبني قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل، وسُمّي الأقطع لأنه سرق في صباه فقُطِعت يده، وهو شاعر أموي ظريف مطبوع، وذكره الزمخشري من العقَقة[1].

وهذه قطعة حسَنة يعاتب فيها نفسَه على التبسم والمضاحكة وقد فقَد من الأخلاء ما ينبغي أن يكون حاجباً له عن ذلك، ويذكر ما تُحدِثه القبور من الأشجان، وما تهيجُه المقابر من الذكرى.

• **البيان:**

(أعاتب): العِتاب والتعتّب والمعاتبة اللومُ على سبيل الحُبّ والإدلال، فإذا رضي عنه فتلك العُتبى، ويُقال استعتبَ صاحبَه فأعتبَه، إذا طلب رضاه فناله، قال الحق سبحانه ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾[فصلت: ٢٤]، أي وإن طلبوا رضا الله فما هم بنائليه. (خاليا): حال من قوله أعاتب، أي أعاتب نفسي حالَ خلوّي بها

(١) ربيع الأبرار ٤/ ٢٦٩

على تبسمي. (وقد): هو هنا لمعنى التقليل. (الموتور): يقال: فلانٌ موتور، إذا قُتل له قتيل فلم يُدرِك بدمه، وطلب الوتر هو طلب الثأر والانتقام. (وبالدَّير): أصل الدَّير اسمٌ للدّار، ثم خُصّص للموضع الذي تسكنه الرهبان وصار علماً عليه، وهو عند العرب يقعُ على أماكن كثيرة جدا، وشِعرهم مليء بها، ولعلّ أحسن من جمع أماكن الأديرة ياقوت في معجمه[1]. (أشجاني): أحزنني. (وكم من شجٍ): وكم من حزينٍ، يريد التكثير، وهذا جارٍ مجرى ما ذكرنا من أن الأسوة تخفف المصيبة. (دُوَين): تصغير دون، مثل قُبَيل وبُعَيد. (بالبقيع): يريد بقيع الغرقد، محل قبور الموتى. (رُبىً حولها أمثالها): الرُّبى جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض، قال الحق سبحانه ﴿رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[المؤمنون: ٥٠]، ويقصد الشاعرُ القبورَ، ففيه دلالة على تسنيمها عند العرب، وثبتت بذلك السُّنة، وقوله (حولها أمثالها) إشارة إلى كثرة القبور. (قَرينك أشجانا وهنّ سكونُ): أصل القِرى طعامُ الضيف، وأراد أنك إذا نزلتَ بالقبور سقتك الحُزن وهي ساكنة! وهذا نحو قول نادب الإسكندر لما مات (لقد حرّكَنا بسكونه)[2]، وهذا الاستعمال في البيت قريب مما في القطعة الرابعة والستين. (كذا الهجر): يشيرُ إلى ما سيقوله من انقطاع الأخبار واللقاءات، والرواية المشهورة (كفى الهجر)، أي كفانا من الهِجران انقطاعُ الوصال بيننا فلا يعلم كلٌّ منا حالَ الآخر، وهذا أجود. (لم يضِح لك أمرنا): لم يستبن لك أمرنا، ولا تعلم شيئا عن حالنا، و(يضح) مضارع وَضَح الأمر، إذا تبين. (ولم يأتنا عما لديك يقين): ولا نحن نعلم يقينا من حالك وأمرك، وهذا المعنى مأخوذ من قول النابغة الذبياني (حسبُ الخليلين نأيُ الأرضِ بينهما)[3]، قال ثعلب (أخذ الناسُ كلُّهم هذا المعنى من النابغة، يعني حسب الخليلين)[4].

---

(١) معجم البلدان (٢/ ٤٩٥).

(٢) أمالي الزجاجي (١/ ٩٣)، والكامل للمبرد (٢/ ١٠).

(٣) ديوان الحماسة (١/ ٤٣٨).

(٤) مجالس ثعلب (١/ ١١٤).

- **العرض:**

(٤-١): **يقول**: إذا خلوتُ بنفسي أبسطُ عليها العتَب لما يحصُل منها في الملأ من متابعة الناس في أحوالهم، والتصرّف معهم في أمور المؤانسة والمضاحكة، فكيف يكون ذلك مني وقد عظُمت مصيبتي! لكن الموتور وإن تناهى حزنه، واشتدت كربته، فقد يضحك متجلدا أمام الشامتين، ويبتسم ليغيظ الأعداء الحاسدين، ولقد أحزنَتني مصارعُ القوم في الدَّير، وكم من حزينٍ على موت أخلائه بقربه، لكن أين حُزن مَن كانت قبور أحبابه بجانبه في البقيع مِن حُزن من نأت بقبور أحبابه البقاع! ولَكَم تُبكي القبورُ الرجال، فيا عجَبا للقبور وهي سواكن كيف تثير الأحزان وتبعث الكوامن! ويكفي من المصيبة والرزية تغير الحال بيني وبينكم -يا أهل القبور-، فالأخبار استعجمَت، واللقاءات انقطعَت، وليس لأحدنا من أخبار خليله شيء.

(٨٥)

وقال آخَرُ في أخٍ له مات بعد أخٍ: [من الطويل]

١. كأني وصَيْفِيًّا خليـلِيَ لم نقُلْ لِمُوقِـدِ نـارٍ آخِـرَ الليـلِ أوْقِـدِ

٢. فلو أنهـا إحـدىٰ يَـدَيَّ رُزِئْتُـها ولكنْ يَدِي بانت علىٰ إثرِها يَدِي

٣. فأقسَمْتُ لا آسَىٰ علىٰ إثرِ هالكٍ قَدِي الآنَ مِن وَجْدٍ علىٰ هالكٍ قَدِي

- **الكشف:**

هو الرُّقَيع عمّارُ بن عُبَيد بن حبيب الأسدي الوالبي، من بني والبة بن الحارث من بني أسد، شاعر إسلامي، وأورد القطعةَ أبو تمام والقالي على أنه قالها في أخويه، وأوردها بعضُهم على أنه قالها في أخيه صيفي وابن أخيه معبد، وهي قطعة يتوجّع فيها لفقيد له مات تلو فقيد، فكأنما قُطعت يد له بعد يد!

- **البيان:**

(وصيفيا): أخي، وانتصب عطفا على اسم كأنّ. (لموقِد نار): مَن يُشعلها للضيافة والاستدفاء، والإيقاد الإشعال، قال الحق سبحانه ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾[البروج: ٥]، وأراد أنه استوحش بعد فقد أخيه فكأنما لم تجمعهما ليلةٌ قط، نحو قول متمم بن نويرة[1]:

فلمـا تفرَّقنـا كأني ومالـكًا لطولِ اجتماعٍ لـم نبِت ليلـةً معـا!

وهو معنى مشهور جدا في المراثي، على تعدد صوره. (آخرَ الليل): فيه إشارة إلى تلازمهما في كل وقت، حتى في آخر الليل. (فلو أنها): جواب لو محذوف ثقةً بفهم السامع، كما تقول: لو رأيتني وأنا شاب، يعني لكان حالي خلاف هذا. (إحدى يديّ):

(١) المفضليات، القصيدة (٦٧).

كناية عن أخيه الفقيد، وفي الكناية عنه باليد إشارة إلى الاعتماد عليه والقرب منه. (رُزئتها): أُصِبتُ بها. (بانت): فارقَت. (لا آسى): لا أحزن، تقدّم بيان الأسى في القطعة الثانية والعشرين. (قدِي): أي حسبي، وهي كلمة قَدني، وحُذِفت منها نون الوقاية فقيل قَدِي، وجمعهما حميد الأرقط في رجزه (قَدنيَ من نَصر الخُبَيبين قَدِي)[1]. (من وجدٍ على هالكٍ): أي حسبي من الحزن على الموتى بعده، فإنما كان خوفي من فقده.

- **العرض:**

(**١-٣**): **يقول**: لما انقطع ما بيني وبين أخي صيفي بالموت صرتُ كأن لم يجمعني وإياه أخوة ووصال، ولا وِلادة ولبان، فكأننا ما ترافدنا لابتناء مكرمة وإقامة مروءة، ولا تعاونّا لإيقاد نار للطارقين ليلا، وليت مصيبتي اقتصرَت على موت أخي صيفي وحسب، فإن موته كفقد إحدى يديّ التي أجد في الأخرى عنها بعضَ الغَناء، ولكن المصائب توالت، والخطوب تفاقمت، فلحق به أخي الثاني، وتبِعَت اليد الآخرةُ الأولى، فأدى فقدُهما إلى انقطاع الحياة، وافتقاد العدة، فحلفتُ لا أحزن لموتِ هالكٍ بعد هذين، لأن حذري كان عليهما، ورجائي كان معلقا بهما، فلا أعبأ بعد رحيلهما برحيل أحد!

وهذا المعنى مشهور، كأنّ عِظَم مصيبته هوَّن كلَّ مصيبة بعدها فأضحى لا يبالي بشيء، (ومعنى هذا البيت الأخير تداوله الناس نظما ونثرا)[2]، ومنه في الحماسة قول الأشجع السَّلَمي[3]:

وما أنا من رُزءٍ -وإن جلَّ- جازعٌ ولا بسرورٍ بعد موتك فارِحُ!

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٧١)، أمالي ابن الشجري (٢/ ٣٩٧).

(٢) زهر الآداب للقيرواني (٣/ ٨٥٣).

(٣) ديوان الحماسة (١/ ٤١٤).

ومنه كذلك في الحماسة قول ابن المقفع[1]:

فإن تكُ قد فارقتَنا وتركتَنا ... ذوي خَلَّةٍ ما في انسدادٍ لها طمَعْ

فقد جرَّ نفعًا فقدُنا لك إننا ... أمِنَّا على كلِّ الرزايا من الجزَعْ!

ومنه أيضا قول الحماسي[2]:

ألا ليمُت من شاء بعدك، إنما ... عليكَ من الأقدار كان حِذاريا

ولو طفقنا نتتبع المعاني هذا التتبع في كتابنا لما انقضى، على عظيم نفعِه، واعتبر ذلك بما تقدم عند القطعة الرابعة والستين.

(١) ديوان الحماسة (١/ ٤١٦).

(٢) ديوان الحماسة (١/ ٤٤٣).

(٨٦)

وقالت فاطمةُ بنتُ الأحْجَمِ الخُزَاعيَّةُ: [من الكامل]

١. يا عينُ بَكِّي عندَ كُلِّ صَباحِ	جُودي بأربعةٍ علىٰ الجَرَّاحِ
٢. قد كنتَ لي جبلًا ألوذُ بظِلِّهِ	فتركتَني أَضْحَىٰ بأجْرَدَ ضاحِ
٣. قد كنتُ ذاتَ حميَّةٍ ما عِشتَ لي	أمشي البَرَازَ وكنتَ أنتَ جَنَاحي
٤. فاليومَ أخضعُ للذليلِ وأتَّقي	منه وأدفَعُ ظالمي بالرَّاحِ
٥. وإذا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنًا لها	يومًا علىٰ فَنَنٍ دَعَوْتُ صباحي
٦. وأغُضُّ مِن بَصَري وأعلمُ أنه	قد بانَ حَدُّ فوارسي ورِماحي

- **الكشف:**

فاطمة بنت الأحجم بن دندنة الخزاعية، أدركت الإسلام فأسلمت، وهي معدودة في الصحابيات، رضي الله عنها، كانت من أكمل قومها أدبا، وأجرئهم لسانا، وأبوها سيد من سادات قومه في الجاهلية.

وهذه القطعةُ ترثي فيها زوجَها الجرّاح، وتذكر عظم رزيتها بفقدِه، وأنها كانت به عزيزةً فذلَّت، وقويةً فضعُفَت.

- **البيان:**

(يا عينُ بكِّي): أمرَت عينَها بكثرة البكاء، وكذا وزن (فعَّل) إذا لم يكن للتعدية فإنه يكون للتكثير أو التكرير. (جُودي): أمرَت عينَها أن تجودَ بالبكاء ولا تقتصر على القليل منه، وتفصيلُ الجود يأتي في باب الأضياف. (بأربعة): تعني شؤون الدمع، وتُسمى قبائل الرأس، وهي مجاري الدمع الأربعة، في كلِّ عين اثنان من طرفيها، تقول ذلك

زيادةً في التوجع. (الجرَّاح): زوجي. (قد كنتَ لي جبلاً): التفات من خطاب الغيبة إلىٰ الحضور، وجعلَته جبلا لثباته ومنعته وعزته. (ألوذ بظلِّه): أحتمي وألتجأ بظلّ هذا الجبل، والجبل استعارة لزوجها. (فتركتني أضحىٰ): فتركتني أتعرَّض للشمس، فلا أجد من أتظلل به، والضاحي البارز للشمس، قال الحق سبحانه ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩]، وهذا طباق، لأنها قابلت بين استظلالها وضحوتها، ولم ترد حقيقة ذلك بل أرادت أنها كانت تأوي إلىٰ ركن عزيز فأمسىٰ حالها بخلاف ذلك. (بأجرد ضاحِ): أي بمكانٍ أملس عارٍ مكشوف للشمس، وهو من حذف الموصوف وإقامة الصفة محله. (كنتُ ذات حميّةٍ): الحميّة الأنفة والغضب والعزة. (ما عشتَ لي): طيلة مدة حياتك. (أمشي البَراز): البَراز المكان الفضاء من الأرض، وأرادت بمشيها فيه أنها كانت تسير آمنةً في الفضاء لا تهاب أحدا. (وكنتَ أنتَ جناحي): الجناح من الطائر والإنسان يداه اللتان يعتمد عليهما، والمعنىٰ كنتُ عليك أعتمد. (فاليوم): بعد موتك. (وأدفع ظالمي بالرَّاح): الراح جمع راحة، تريد راحة الكفّ، والمعنىٰ أدفعُ الظالم بكفِّي فعلَ الخائف المُستأمِن، والعربُ تقول (دفعَه بالرّاح) إذا صرفَه عنه صرفا يسيرا لطيفا، فإن غلظ الصّرفُ قالوا (دفعَه بأصابعه)، والمرتبتان بيّنتان في قول الحماسيّ[1]:

دفعناكـمُ بالقـولِ حتـىٰ بطِرتـمُ وبالـرّاحِ حتـىٰ كان دفـعُ الأصابـعِ

(وإذا دعَت قُمريّة شجنًا لها): وإذا ناحت حمامةٌ علىٰ غُصن حُزنا، وقولها هذا جارٍ علىٰ سنن العرَب في اعتقاد بكاء الحمام، وأنها تهيج حزنهم ونوحهم بنوحها وحزنها، وشِعرهم في هذا كثير جدّا، ولعوفِ بن محلّم قطعةٌ في هذا تفيضُ عذوبة وحُزنا[2]، وضربوا بذلك المثل فقالوا (أشجىٰ من حمامة)[3]! (علىٰ فنَن): الفنَن

(١) ديوان الحماسة (١/ ١٣٢).

(٢) انظرها في أمالي القالي (١/ ١٣٠)، وانظرها وكثيرا من نظائرها في الحماسة البصرية (٢/ ١٥٠).

(٣) مجمع الأمثال (٢٠٧٤).

الغصن، وجمعه أفنان، قال الحق سبحانه ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾[الرحمن: ٤٨]. (دعوتُ صباحي): أي صِحتُ قائلةً واصباحاه! وهي كلمةٌ تقولها العرب عند حدوث الخطب الجلل، وهذا لأن عادة الغارات أن تكون صباحا، فيُفجَع القوم في صبحهم، ومِن مدح أبي الطيب لسيف الدولة (فقد مَلَّ ضوءُ الصبح مما تُغيرُه)[1]! (وأغضُّ من بصري): أصل غضّ البصر صرفُه وترك الاستطالة به، ويكون تعففاً واختياراً نحو قول ربنا تبارك وتعالىٰ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾[النور: ٣٠] وقول كعب (أغنُّ غضيض الطرف مكحول)[2]، أو يكون تذلّلًا واضطراراً نحو قول ربنا تبارك وتعالىٰ ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[السجدة: ١٢] وقول جرير (فغُضَّ الطرفَ إنّك من نُمَيرٍ)[3]، والمراد هنا الثاني. (بان حدُّ فوارسي ورماحي): يُقال بان حدُّ السيف إذا أصابته الفلول فلم يعد قاطعا؛ فيذهب نفعه، تريد ذهابَ نفع فوارسها ورماحها.

- **العرض:**

(٤ـ١): **تقول**: ابكي يا عينُ في كل وقت، واهملي الدمع في كل حين، وجودي بدمعِ شؤونك كلِّه فلا تدّخري منه شيئا، وعلى مثلِ الجرّاح فليُبكَ، فقد كنتَ لي يا جرّاحُ جبلاً من العزِّ آوي إليه في الشدائد، وأعوِّل عليه في النوائب، وكنتُ أستكنُّ بظلِّك، وأتحصّنُ بمنعتِك، فغادرتَني بارزةً للمصائب والآفات، معرضةً للحوادث والنكايات، وكنتُ في حياتِك آنفُ من الضيم وأتسخطه، وآبى الظلمَ وأمتنع منه، أما بعد موتك انقلب السّخطُ رضا، والأنفةُ ذلّة، وبلغ بي الحال أن خضعتُ للذليل، وخنعتُ للمَهين، وأصبحتُ لا أجد دفعَ الظالم عني إلا بألطف سبيل، وألين قول، فِعلَ الضعيف الخائف، فلا حيلةَ لي.

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي (١٠٧٨).

(٢) الشعر والشعراء (١/ ١٥٣)، وأمالي المرزوقي (٨٣).

(٣) شرح نقائض جرير والفرزدق (٢/ ٦١٣).

(٦ـ٥): **تقول**: وإذا ما ناحت حمامة على غصنٍ وهي تدعو حزنَها، فاهتاج بكاؤها، وامتدّ صوتُها؛ أرّقَني ذلك منها، فتذكرتُ حزني المتصل، واهتاج شجوي الغريب، فأخذتُ أدعو: واصباحاه! وكأن مصيبتي تتجدد، وحزني ينبعث، وأمسيتُ من بعدك مطرقةَ الطرف من الذل، ناكسةَ الرأس من الهوان، فأنا مستيقنة بعد موتك من انفلال سيوفي، وذهاب عزتي، وانقضاء زمني.

(٨٧)

وقالت أمُّ السُّلَيْك: [من مجزوء الرمل]

١. طـــافَ يَـبْـغـي نَـجْـوةً مِـن هـلاكٍ فهَـلَكْ
٢. لـيـتَ شِـعْــري ضَـلَّــةً أيُّ شـيءٍ قَـتَلَـكْ
٣. أمـريـــضٌ لـم تُــعَـدْ أم عـدوٌّ خَتَـلَكْ
٤. كـــلُّ شــــيءٍ قـاتـــلٌ حيـن تَلقَىٰ أجَلَـكْ
٥. والــمـــنــايـا رَصَــدٌ للفتىٰ حيثُ سَـلَكْ
٦. أيُّ شـــــيءٍ حَـسَـنٍ لِفَـتًىٰ لـم يَـكُ لَـكْ
٧. سـأُعـــزِّي الـنـفـسَ إذْ لـم تُجِـبْ مَنْ سَـأَلَكْ
٨. إنَّ أمـــرًا فــادحًـا عـن جوابـي شَغَـلَكْ
٩. طـــالَ مـــا قــد نِـلْــتَ في غيـرِ كَـدٍّ أمَلَـكْ

• **الكشف:**

السُّليك هو ابن عمرو بن يثربي التميمي السعدي، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وأمه (سُلَكة) سوداء إليها يُنسَب، لذلك عده أبو عبيد من أغربة العرب الثلاثة[1]، هو الصعلوك المشهور، والشجاع المعروف، وجعله أبو عبيدة من رُجليّي العرب الثلاثة، وهم الذين يُغيرون على أرجلهم، ولا يُجارَون شدًّا، (وكان ربما جاع أحدهم فيعدو على الظبيِ حتى يأخذَه بقرنه)[2]!

---

(١) الديباج (٤٠)، قال: (وإنما سُمّوا أغربةً لأن أمهاتهم سود).
(٢) الديباج (٣٢)

وقيل إن هذه القطعة لأمه ترثيه بعد مقتله، وجاء في خبر قتله أنه كان قافلاً من إحدى غزواته وغاراته، فإذا ببيتٍ من خثعم قد خرجت رجالُه وبقيَت نساؤه فهم خُلوف، فرأى امرأةً شابة في الحي، فعمد إليها فأتى منها ما يأتي الرجل من امرأته، ثم فرَّ عنهم، وابتدرت المرأةُ الماءَ فوجَدت رجالَ خثعم فشكت إليهم الحال، فركِبَ إليه أنس بن مدرك الخثعمي فأدركه فقتله.

فهذه القطعة ترثيه بها أمُّه لما بلغها نبأ موت ابنها في مُنقطَعٍ من الأرض، وتذكُر أنه عاش صعلوكاً شارداً طلباً للعيش والحياة، فأدركه الممات حيث لم يحتسب، وكأنها لم تعرف علةَ موته فتساءلت عن ذلك سؤالَ المتلهّف المحزون، وأخذت تصبّر نفسَها، وكان الأصمعي يروي هذه القطعة للسلكة ويستحسنها ويقول: (أما ترون إلى هذه؟ أمة سوداء، تلبسُ الشَّعَر، وتجمعُ البَعَر، وتأكل خبزَ الشّعير، وتعصِب البعير، ثم تقول مثل هذه الأبيات!)[1].

- **البيان:**

(طاف): أصلُ الطواف الدوران حول الشيء، ومنه ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ويُطلَق على السعي في الأرض، كأنه يدور فيها. (يبغي نجوةً من هلاك): يريد النجاةَ من المهالك والسلامةَ من المعاطب، وأصل النجوة ما يُعتَصم به مما ارتفع من الأرض فلا يبلغه السَّيل. (فهلكْ): فأصابه الموت، وتأمل همسَ الكاف في القافية فإنه مُمِضٌّ مؤلِم. (ليت شعري): ليت عِلمي، أي ليتني أشعر بكذا وليتني أعلم كذا. (ضَلّةً): من الضلال، تريد أن حال ابنها استبهمَت عليها فضلَّت عن العِلم به. (قتلك): التفات من الغيبة إلى الحضور. (لم تُعَد): لم تُزَر، وتقدَّم أن زيارة المريض تُسمَّى عيادة، لأنه يزار مرةً بعد أخرى. (ختلك): خدعك في غفلةٍ منك، والختل والمخاتلة الخداع عن غفلة. (والمنايا رصَدٌ للفتى): أي أن المنايا للفتى بالمرصاد،

(١) شرح الحماسة للأعلم (١/ ٥٣٦).

وإطلاق الصفة المشبهة على المنايا فيه زيادة تأكيد، والمعنى نحو قوله تعالى ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾[النساء: ٧٨]. (حيثُ سلك): حيثُ مضى وولى، يُقال سلَك الطريق إذا مضى فيه، قال الحق سبحانه ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾[طه: ٥٣]. (سأعزي النفس): التعزية التصبير على المصيبة. (لم تُجِب من سألك): لم تردَّ على أحد جوابا لأنك ميت، فأنا وهم سواء في تركك إجابتنا. (أمرا فادحا): عظيماً مُنكَرا. (طال ما): تقدم في بيان القطعة الثالثة والثمانين. (كدّ): تعب وجهد. (أملك): مأمولك ومبتغاك.

- **العرض:**

(١ـ٥): تقول: سعى ولدي في الأرض طالباً للعيش، وفرّ من قومه يبغي النجاة، فأتاه الموتُ من حيث لا يحتسب، وهلك في منزلٍ لم يظن يوماً أن يَهلك فيه، ولقد تمنيتُ أني أعلم أيُّ شيءٍ هذا الذي أهلكك؟ فقد ضلَّت أخبارك عني، وذهب علمي بك، أيكون مرضاً بلغ بك حدَّ الموت ولم يعلم بحالك أحد فمُتّ حتف أنفك؟ أم يكونُ عدواً ترصّد لك حتى استمكن منك على حين غِرّةٍ فقتلك؟ وعلى كلِّ حالٍ فقد تعددت الأسبابُ والموتُ واحد، وإذا دنا أجل المرء استوت أسباب المنية عنده، ولا يُغني الإنسان تحوله من بقعة لبقعة، وانتقاله من بلد لآخر، فإن قضاء الله عليه محتوم، وأمر الله به نافذ.

(٦ـ٩): تقول: وما أشدَّ فقدي لك يا ولدي! فقد جمعتَ المحاسنَ كلَّها، فليس من خصلةٍ تُحمَد في امرئ إلا كانت فيك، ولكن سأصبّر نفسي عنك باستواء حالي مع الناس في المصيبة بك، فلستَ تُجيبُ أحدا، ولستَ ترجعُ قولا، فحالي حالهم، ولقد علمتُ أنك ما كنتَ لتمتنع عن جواب سؤالي ورجع قولي إلا لأن أمراً عظيماً شغلك عني، فقد كنتَ بي بارّا، ولي مجيبا، وعليّ مُقبِلا، فها أنتَ قد رحلتَ! وطالما كانت الدنيا بين يديك، والأرزاقُ مقبلةً عليك، فهذا وقت رحيلك عن الدنيا، وانقطاع الآماني، وتوقف الغايات.

(٨٨)

وقال العُجَيْرُ السَّلُوليُّ: [من الطويل]

١. تَرَكْنا أبا الأضيافِ في ليلةِ الصَّبَا ... بِمَرَّ ومِرْدَىٰ كُلِّ خَصْمٍ يُجادِلُهْ

٢. تَرَكْنا فتًىٰ قد أيقنَ الجُوعُ أنه ... إذا ما ثَوَىٰ في أرْحُلِ القوم قاتِلُهْ

٣. فتىٰ قُدَّ قَدَّ السيفِ لا مُتضائلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وأَباجِلُهْ

٤. إذا جَدَّ عند الجِدِّ أرضاك جِدُّهُ ... وذو باطلٍ إن شئتَ ألهاك باطِلُهْ

٥. يَسُرُّك مظلومًا ويُرْضِيك ظالمًا ... وكُلُّ الذي حمَّلتَه فهْو حامِلُهْ

● **الكشف:**

هو عُمير بن عبد الله بن كعب القيسي السلولي، وبنو سلول هم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، يُنسَبون لأمهم سلول بنت ذهل بن شيبان، والعُجير لقبٌ له، وهو شاعر إسلامي مُقِلّ، وكان جواداً كريما.

وكان للعجير ابنُ عمٍّ يُدعى جابر بن زيد، وكان كريماً سخياً مفضالا، فكان إذا سمع بأضياف نزلوا على ابن عمه العجير لم يدَعهم حتى يأتي بناقةٍ كوماء فينحرها لهم، فيبيتون في شواءٍ وقَدير، وكان الناس يقولون لجابر: مالك لا تكثُر إبلك؟ فيقول: إن العجير لم يدعها تكثر، فمدحَه العجير بشعرٍ كثير، ويأتي طرفٌ منه في باب الأضياف القطعة التاسعة والثمانين ومئة، ثم إن جابراً سافَر فمات بموضعٍ يُقال له (مَرّ)، فرثاه العجير بهذه القطعة التي يثني فيها على كرمه وشرفه وشجاعته وطيب خصاله، وهي قريبة من قطعة بنت الطَّثرية التي ستأتي قريبا، وبعض أبيات القطعتين اشتبهت ببعضها عند الرواة.

• **البيان:**

(أبا الأضياف): جعله أباً للأضياف إشارةً إلى توفُّره وحرصه عليهم، وصيانته ورعايته لهم، كما سُمِّي إبراهيم عليه السلام (أبا الضيفان)[1]، وسيأتي هذا الاستعمال في أول قطعة من باب الأضياف. (ليلة الصَّبا): الصَّبا ريحٌ طيّبة باردة تهبّ من المشرق، يريد الإشارة إلى كرمه في ليالي الصّبا، والعربُ تحمَد ذلك كما نذر لبيدٌ أن يُطعِم كلما هبَّت الصبا[2]، وكما قال الفرزدق (المطعمون إذا الصّبا بردَت لهم)[3]، وذلك لموافقة البرد فيها والجدب، وسيأتي تفصيل ذلك في باب الأضياف، (والصَّبا عند بعضهم من رياح الجدب، وعند بعضهم من رياح الخصب، بحسب القَطر الذي تهبُّ فيه وتأتيه، بريّةً أو بحريّة، فلذلك جعلها هنا كنايةً عن شدّةِ الزمان وجدبِه)[4]. (بمرَّ): هو موضع، قيل إن بينه وبين مكة خمسة أميال، فهو قريبٌ من ديار هوازن. (ومردى كلِّ خصمٍ يُجادلُه): أصل (المِرداة) الصخرة الصلبة التي تُكسّر بها الحجارة، والمِردى من الرجال الذي يعلو خصمَه ويظهر عليه، فيقول هو ظاهرٌ على كل خصومه الذين ينازعونه، غالبٌ لهم، وقوله (يجادله) أي يخاصمه، ومنه ﴿يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٦٩] أي يُخاصمون فيها، فجمع في البيت وصفَه بالكرم والشجاعة. (أنه): الضمير عائد على الفتى. (ثوى): أقام. (أرحل القوم): أرحُل جمعُ رَحل، وهو متاع المسافر. (قاتله): أي أن الفتى هذا قاتلٌ للجوع بما يُفيضه على الناس من الإحسان. (فتىً قُدَّ قَدَّ السيف): انتقل الشاعرُ من ذكر حُسن خُلقه إلى حُسن خَلقه، والقَدُّ من المرء قوامه، فيقول إن قوامه ممشوقٌ كالسيف، وهي أمارة على تماسك خلقه ورباطة جأشه، والعربُ تمتدح رجالها بالهزال مع القوة، وسيأتي في باب الهجاء: (لهم أذرعٌ

---

(١) أخرجه هناد في الزهد (٦٥٠) مقطوعاً عن عكرمة، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٣٥) كذلك.

(٢) طبقات فحول الشعراء (١٣٦).

(٣) ديوان الفرزدق بتحقيق الحاوي (٢/ ٢٧٠).

(٤) شرح الحماسة للأعلم (١/ ٥٤٤).

بادٍ نواشرُ لحمِها). (لا مُتضائلٌ): الضُّؤولة الصِّغَر والدقّة، يريد أن قوامه ممشوق في غير ضعف، وهي أمارة على قوته وأنه بعيد عن التخشع والخضوع. (ولا رهِلٌ لبّاتُه وأباجلُه): الرَّهِل المسترخي من اللحم سِمَناً، واللبّات جمعُ لبّة وهو الصَّدر، والأباجلُ جمعُ أبجَل وهو عِرق في السّاق، والمعنى أنه ليس بكثير اللحم، والعرب تمدحُ الرجال بالهزال مع القوة. (عند الجِدّ): ضد الهزل. (وذو باطلٍ): لهو ومزاح. (يسرُّك مظلوماً): يحتمل أن تكون الحال في قوله (مظلوماً) للفتى الممدوح، فيسرّك إذا ظُلِم بأَنَفته للضيم وسرعة انتقامه، ويحتمل أن تكون الحال للسامع، فيسرّك إن ظُلمتَ بنصرته لك والانتقام من خصمك. (ويرضيك ظالماً): إن كانت الحال في قوله (ظالماً) للفتى الممدوح فيسرّك إذا ظلَم بقوته في الأخذ، وعلوِّه على غيره، وإن كانت الحالُ للسامع فيسرُّك إن ظَلمتَ بإعانتك في أمرك، ومناصرتك على أعدائك. (وكلُّ الذي حمّلته فهو حاملُه): أي أنه يتحمل الأعباء الثقيلة عن ذويه، ويتكلّف جسائم الأمور في مساعيه، وهو كقول الخنساء تمدحُ صخرا (يُحمّلُهُ القومُ ما عالَهم)[1].

- **العرض:**

(١-٥): **يقول:** لقد تركْنا في موضع (مَرّ) جابراً ميتا، وإذ نتركه فإنا ترك أبا الأضياف، وسيدَ الكرام، والمُطعِمَ في ليالي البرد، والظاهرَ على خصومه، والعاليَ في أمره، فما فقدُنا له بيسير! لقد تركْنا فتىً كان للفقراء ربيعا، وللضيفان مألفا، وإذا اشتدّ الزمانُ وأجدبَت الأرض تيقّن الجوعُ أنه لا يجالس هذا الفتى في موضع، ولا ينزل معه بمكان، فهذا الفتى يفيض الإحسان على قومه، ويوالي البِرَّ على ذويه، وكما أنه كريمُ الفعال فهو حسَن الهيئة، ممشوق القوام، كأنما هو السيف في مضائه ونفاذه، ليس بالنحيل الضعيف، ولا بالسمين العاجز، بل هو المقدَّم في كل أمر، والسابق إلى كل خير، وهو مُستصلَح للجدّ والهزل، فإذا كان وقتُ الجِدّ حسُن جِدُّه واستُعجب، وإذا

---

(١) ديوان الخنساء بشرح ثعلب (١٤٦).

كان وقتُ الهزل ظرُف هزلُه واستُلطِف، فقد أخذ من مكارم الأخلاق بأوفر نصيب، وهو يسرُّك على كل حال، فإن كان مظلوماً سرَّك بأنفته للضيم، ومبادرته للانتقام، وإذا كان ظالماً سرَّك بقوته في الأخذ، وعلوِّه على غيره، وهو رحيبُ الصدر، واسعُ الصبر، يتحمل الأعباء الثقيلة، ويتكلف الأمور الشاقة، فما أتعسنا بفقد مَن هذه صفتُه!

وفي قوله (إذا جدَّ عند الجدّ أرضاك جدُّه...) تنبيهٌ لطيف على أن العرب كانت تحمد للرجل دخولَه في كل أمرٍ بحِذق، وانخراطَه في كل سلكٍ بإحسان، وأن يكون حسَن الأخذ في الجدّ، لطيفَ الطُّرفة في الهزل، (وهذه الصفاتُ التي ذكرها قل ما تجتمع في إنسانٍ إلا من خصَّه الله بهذه الموهبة، لأنها مع تضادّها محمودة، ولا يتفقُ ذلك إلا من اعتدال المزاج)[1]، ونحوه قول طرفة[2]:

فإن تبغني في حلقة القومِ تلقني ... وإن تقتنصني في الحوانيت تصطدِ

ومن جيّدِ هذا الباب قول أبي تمام[3]:

الجدُّ شيمتُه وفيه فكاهةٌ ... سُجُحٌ ولا جِدٌّ لمَن لم يلعبِ

شرِسٌ ويُتبِعُ ذاك لينَ خليقةٍ ... لا خير في الصهباء ما لم تُقطَبِ

وكما أن الهزل إذا استطال بصاحبِه استخفَّه الناسُ واستهجنوه، فكذلك الجدُّ إذا امتدَّ بصاحبِه استثقله الناسُ وذمُّوه، وليس كلُّ جد يُمدَح، كما أنه ليس كل هزل يُذَمّ، (ونحن نعوذُ بالله أن نجعل المزاح في الجملة كالجدّ في الجملة، بل نزعم أن بعض المزاح خير من بعض الجدّ، وعامة الجدّ خير من عامة الهزل)[4].

---

(١) شرح لامية العجم للدميري (٤٨).
(٢) شرح القصائد العشر (٦٠).
(٣) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي (١/ ٦٤).
(٤) رسائل الجاحظ (١/ ١٨٢).

(٨٩)

وقال مُهَلهِلٌ: [من الكامل]

١. نُبِّئْتُ أنَّ النارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ	واسْتَبَّ بعدَكَ يا كُلَيْبُ المجلِسُ
٢. وتكلَّموا في أمرِ كلِّ عظيمةٍ	لو كنتَ شاهِدَهُمْ بها لم يَنبِسُوا

• **الكشف:**

هو عدي بن ربيعة بن الحارث الوائلي التغلبي، من بني جُشَم بن بكر بن حبيب من تغلب، والمهلهل سيد تغلب وفارسها وشاعرها، وهو خال امرئ القيس، وجدُّ عمرو بن كلثوم، وهو الذي هاج حربَ البسوس لما قُتل أخوه كليب، وسُمّي مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعرَ، أي رقَّقَه، وقيل إنه أول من قصَّد الشعر، أي جعله قصائد، وكان قبله أراجيز ومقطعات، ولذلك قال الفرزدق (ومهلهلُ الشعراء ذاك الأوَّلُ)[1].

وهذان البيتان من رثائه لأخيه كليب، وقد فُجِعت وائلُ كلها بفقده، وقد تقدم خبر مقتله في كشف القطعة الخامسة والخمسين، فيذكر في هذين البيتين افتقاده لهيبة كليبٍ في المجالس، وأن الناس تفرقوا بعده، واضطرب أمرهم بدونه.

• **البيان:**

(نُبِّئتُ): أي أُخبِرتُ، والنبأ الخبر، يُقال نبّأتُ وأنبأتُ، قال الحق سبحانه ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾[الحجر: ٥١]، و(نبّأ) من الأفعال التي تتعدىٰ إلىٰ ثلاثة مفاعيل. (النار بعدك أوقدت): كان كليبٌ -لعزِّه وسيادته- لا تُوقَد مع ناره نار، فإذا أوقَد ناره للضيفان أُخمِدت كل نار في حماه، فلما مات ذهبَت هذه الحال. (واستبَّ

---

(١) شرح نقائض جرير والفرزدق (٢/ ٣٧٤)، وانظر: العمدة لابن رشيق (١/ ٨٧).

بعدك): سبَّ بعضهم بعضا بعد موتك. (كل عظيمةٍ): كل حادثة عظيمة. (لم ينبِسوا): لم يتكلموا بحرفٍ واحد.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: لقد خُبِّرتُ أن نيران الضيافةِ أُوقِدت بعدك يا كُليب! لسقوط احتشامك، وغياب هَيبتك، وقد كانت لا تُوقَد مع نارك نار، ولا يشاركك في الضيافة أحد، وخُبِّرتُ كذلك أن أهل المجلس تنازعوا الكلام بعدك وتجاذبوه، وسقطت الكلفة بينهم، وبلغ بهم الحال إلى أن يسبّ بعضهم بعضا، فلا رقيب يردعهم، ولا حشمة تدفعهم، وصار أمرهم فوضى بينهم، يتكلم كل رجلٍ منهم فيما يريد كيفما يريد، ولو كنتَ حاضراً لما حصل من ذلك شيء، ولما نبسَ أحدهم ببنتِ شفة، فإنا فقدنا بموتك الحشمة التي كانت حاضرة، والهيبة التي كانت طاغية.

(٩٠)

وقالت أمُّ الصَّرِيحِ الكِنْدِيَّةُ: [من الطويل]

١. هَوَتْ أمُّهم ماذا بهم يومَ صُرِّعُوا — بجَيْشانَ مِن أسبابِ مَجْدٍ تَصَرَّما

٢. أبَوْا أن يَفِرُّوا والقَنَا في نُحُورِهم — وأن يَرتَقُوا مِن خَشْيةِ الموتِ سُلَّما

٣. ولو أنهم فَرُّوا لكانُوا أعِزَّةً — ولكنْ رأَوْا صَبْرًا علىٰ المَوْتِ أكْرَمَا

- **الكشف:**

أم الصّريح الكندية شاعرةٌ إسلامية، عُرِفت بكنيتها وبقطعتها هذه، وقيل إنها من المخضرمات، وكان لها أبناء قاتلوا بموضعٍ يُقال له (جيشان) في اليمن، فقُتِلوا جميعا، فقالت هذه القطعة ترثيهم بها، وتذكر شجاعتهم وجلَدهم.

- **البيان:**

(هوَت أمُّهم): هلكَت أمهم، وهي لفظةٌ تقولها العربُ وتُخرِجُها مخرجَ المدح وإن كان ظاهرُها الدعاء، وتقولها لمن أشرف على داهيةٍ أو وقع فيها، يقصدون بها التعجب والاستعظام، وهو قولٌ في معنى قول الحق سبحانه ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾[القارعة: ٩]، أي وقع في الهلاك والبوار، نجَّانا الله، والهاوية والهُوَّة والمَهواة واحد. (صُرِّعوا): قُتِلوا وماتوا، وتقدم في القطعة الخمسين. (بجيشان): موضعٌ باليمن، سُمّي باسم جيشان بن غيدان بن حجر بن ذي رعين، لأنه كان ينزل به. (تصرّما): تقطّع. (أبوا): امتنعوا، من الإباء وهو الامتناع. (والقنا في نحورهم): والرماح في رقابهم، والجملة حالية. (يرتقوا): يصعدوا، قال الحق سبحانه ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الإسراء: ٩٣]. (رأوا صبراً على الموت أكرما): أي أن القتل استحرَّ فيهم، ورأوا أن الموت بالسيف أكرم من غيره، والصبر عند اللقاء أشرف من سواه.

- **العرض:**

(١-٣): **تقول**: عجباً لأبنائي هؤلاء! ولله درُّهم! أيُّ شيءٍ تقطّع بهم من أسباب المجدِ يوم قُتِلوا في (جيشان)، فقد ثبتوا في وجه البلاء، وصبروا على كثرة الطعان، وامتنعوا من الإحجام والنكوص، وأنِفوا من التقهقر والهروب، على أنّ الرماحَ كانت في رقابهم! والطعانَ كان في صدورهم! فلو فرّوا في ذلك الوقت لم يلحقهم ذلٌّ ولا غضاضة، ولم يتسلط عليهم عيبٌ ولا نقيصة، ولكنهم رأوا أن أشرفَ الموت ما كان في اللقاء، وخيرَ المنايا ما كان على شفرات السيوف، ورأوا أن ميتتهم في ساح القتال أكرم في الحديث بين الناس، وأنفى للعار والمذمة، فقاتلوا حتى قُتِلوا جميعا.

(وقولها (فلو أنهم فروا لكانوا أعزةً) ظاهرُه أنه كلامٌ بشِع، ولو كان كلُّ من فرَّ عزيزاً كان الجبانُ كذلك، ولكنّ الكلام يدلّ على أنهم أُسلِموا وخُذِلوا وكثَرتْهمُ الخيل، فأحسنوا البلاء فقُتِلوا، ولو فرُّوا لعُذِروا وكانوا أعزةً لم يتهضّمهم عدو، ولم يتطرّق عليهم لوم، لوضوح عذرِهم، وأنهم عُرِفوا بالشجاعة قبل، ولو فرُّوا يوماً لنُسِبوا إلى حُسن الرأي لا قبح الفرار، كما قال أوس بن حجر:

وليس الفرارُ اليوم عاراً على الفتى ... إذا جُرِّبَت منه الشجاعةُ بالأمسِ)[1].

---

(١) معاني أبيات الحماسة (١٣٢).

(٩١)

وقال الـحُسَينُ بنُ مُطَيرٍ: [من الطويل]

١. أَلِـمَّــا علىٰ مَـعْـنٍ وقُــولَا لقبرِهِ سَـقَتْكَ الغَـوادي مَرْبَعًـا ثـم مَرْبَعَـا

٢. فيا قـبرَ مَـعْـنٍ أنـتَ أولُ حُـفْـرةٍ مِنَ الأرضِ خُطَّتْ للسمـاحةِ مَضْجَعَا

٣. ويا قبرَ مَعْن كيفَ وارَيْـتَ جُودَهُ وقـد كان منـه البَـرُّ والبَحْـرُ مُتْـرَعَا

٤. بلىٰ قد وَسِعْتَ الجودَ والجودُ ميِّتٌ ولـو كان حيًّا ضِقْـتَ حتىٰ تَصَدَّعـا

٥. فَتًىٰ عِيشَ في معروفه بعد موتِه كمـا كـان بعدَ السَّيْلِ مَـجْـراهُ مَرْتَعَا

٦. ولَـمَّـا مضَـىٰ مَعْنٌ مضىٰ الجُودُ فانْقَضَىٰ وأصْبَـحَ عِرْنِيـنُ الـمَكَـارمِ أجْدَعَـا

- **الكشف:**

هو الحسين بن مطير بن مكمل، مولى لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مُقدَّم فصيح، وكان زيُّه وكلامُه يشبه مذهب الأعراب وأهل البادية.

وكان الحسين قد وفد على معن بن زائدة لما وليَ اليمن، فمدحه، فأجزل له معنٌ العطاء، وأكرم وفادته، ثم إن الخوارجَ قتلَت معن بن زائدة في سجستان سنة إحدى وخمسين ومئة، فقال الحسينُ هذه القطعةَ يرثيه بها، ويذكر عظيم الفقد بمقتله، ويُثني على واسع كرمه، وامتداد معروفه، ويذكر معانيَ بديعة جعلَت عبد الله بن طاهر يقول (إنه أشعر شعراء الدولة العباسية) لأجل هذه القطعة[1]!

---

(١) أمالي المرتضى (١/ ٢٢٧)

• **البيان:**

(ألَّا): الإلمام هي الزيارة الخفيفة، وجرى الخطاب للاثنين على ما كان مِن عادة العرب في ذلك مما تقدم في القطعة الثانية والستين. (معن): بن زائدة الشيباني، الأمير المشهور. (سقتك الغوادي): سقتك السُّحب الغادية عليك، وخصَّ الغوادي لأنه أراد حصول السقيا غداةَ كل يوم. (مربعاً ثم مربعا): ربيعاً بعد ربيع. (خُطَّت للسَّماحة): حُفِرت ليكون فيها الجود والكرم، وهذا معنى لطيف. (مضجعا): مفعَل من الضجوع، وهو لصوق الجنب بالأرض. (ويا قبر معن): في تكرار النداء زيادة توجع وتحسر. (واريت): أخفَيت وسترت، قال الحق سبحانه ﴿لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٦]. (مُترَعا): مُمتلئا. (والجود ميت): يعني أن الجود مات بموته، وهذه مبالغة حسَنة في محلها، (فإنك إذا أردتَ أن تذكر الميت بالجود والشجاعة تقول: مات الجود، وهلكت الشجاعة؛ ولا تقول: كان فلان جوادا وشجاعا؛ فإن ذلك باردٌ غيرُ مستحسَن)[1]. (تصدَّعا): التصدُّع كالتشقُّق وزنا ومعنى، ومنه ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢]، لأنها تتشقق عما فيها من نباتٍ وثمر. (عِيش): فعلٌ من العَيش، مبنيٌّ لما لم يُسَمَّ فاعلُه. (مرتعا): المرتَع المنزلة التي يستقرُّ فيها الإنسان لما يجد فيها من الخصب والكلأ، ويُقال: رتع فلانٌ إذا أكل ما شاء وكان مُخصِبا، قال الحق سبحانه على لسان إخوة يوسف ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢]. (وأصبح عِرنين المكارم أجدعا): العِرنين ما ارتفع من الأنف، ويُطلق على أوائل الشيء، وأشراف القوم وسادتهم، وأراد هنا أن (أنف المكارم) جُدِع بموته، على الاستعارة، والجَدع القطع، وكثيرا ما تستعمله العربُ في قطع الأنف خاصّة.

• **العرض:**

(١-٤): **يقول:** عرِّجا يا صاحبيّ على قبر معن بن زائدة، وقولا لذلك القبر: سقياً

(١) الصناعتين لأبي هلال (١/ ١٣١).

لك من السُّحب الغوادي، وواصَلَ الله لك ذلك السقي ربيعاً بعد ربيع، وحالاً بعد حال، فلا يجفّ قبرك، واعلم -أيها القبرُ- أنك أولُ حفرةٍ استُحدثت لتُواريَ تحتها السماحة والسخاء والمروءة! فقد مات الجودُ بموته فالجود مدفون في هذا القبر، وعجباً لك -أيها القبر- كيف واريتَ جُود معن على كثرته ووفوره؟ وقد كان يضيق عن جوده البرُّ والبحر! ولكن نعم.. قد وسعتَه واشتملتَ عليه لأنه ميت، ولو كان حيّاً لضقتَ عنه حتى تتقطَّع وتتشقَّق.

(٥-٦): يقول: وإن مَعناً فتى دائمُ المعروف، متصلُ البرّ، فإحسانه بعد موته لم ينقطع، وكرمه بعد مقتله لم ينفد، فقد بقيَ من خيراته ما يُطعِم الجوعى ويكسو العراة، وعلَّم الناسَ الجود والكرم بعده فاستنُّوا بسُنّتِه، وسلكوا مسلكه، فهو كالغيث يصوبُ فيحيي العباد، ولا يَعدم الناسُ منه خيرا، بل يعيش الناسُ في آثاره بعد انقطاعه ومُضيِّه، وحينَ مضى معنٌ إلى سبيله وانقطعَت حياتُه، فُقِد الجود وانمحَت آثارُه، فأصبحت المكارمُ ذليلةً بعده، إذ مات من كان يعمُرها ويُحييها، فهي كمن جُدِعِ أنفُه إرغاماً وإهانة، لا تجد من يُحييها ويعمُرها مثل ما كان يفعلُ معن!

(٩٢)

وقال عبدُ اللهِ بنُ الزَّبِير الأسديُّ: [من الوافر]

١. رَمَىٰ الحَدَثانُ نِسْوةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقدارٍ سَمَدْنَ له سُمُودَا

٢. فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا ورَدَّ وُجُوهَهن البِيضَ سُودَا

- **الكشف:**

هو عبد الله بن الزَّبير -بفتح الزاي- بن الأشيم الأسدي، شاعرٌ مُكثِرٌ مُجيد، من شعراء الدولة الأموية، وكان منقطعاً إلى مدحهم، فلما غلب مصعب بن الزُّبير على الكوفة أتى به أسيراً فمنَّ عليه ووصلَه، فمدحه عبد الله وانقطع إليه.

وهذان بيتان يذكر فيهما ما جرَّت الحروب على بني أمية من النكبات، حتى شابَت لأجل ذلك شعورُ نسائهنّ!

- **البيان:**

(الحدثان): ما يُحدِثه الدهرُ من النكبات والنوازل، وتقدم في بيان القطعة السادسة عشرة. (نسوة): نسوة ونساء ونسوان جمعُ امرأة من غير لفظه، ولا مفرد له من لفظه، ومنه ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾[يوسف: ٣٠]. (آل حرب): هو جدُّ معاوية رضي الله عنه، فمعاويةُ هو ابن صخر بن حرب بن أمية. (بمقدارٍ): بقدَرٍ من أقدار الله، وأصل المقدار الشيء المُقدَّر، قال الحق سبحانه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد: ٨]. (سمدن له سُمودا): السُّمود الغفلةُ عن الشيء وذهاب القلب عنه، يُقال سمد للشيء إذا استقبله بغفلةٍ من أمره، قال الحق سبحانه ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾[النجم: ٦١]، أي لاهون عنه وغافلون. (فردَّ شعورهنّ السود بيضاً): أي شابت شعورهنّ لكثرةِ ما يُقاسين من الشدائد والنكبات، نحو ما مرّ في القطعة التاسعة. (وردّ وجوهَهن البيضَ

سودا): أي اسودّت وجوهُهنّ لما أثّر الدهر فيها بمصائبه، وفي البيت طِباقٌ حسَن، وجعله الأخفش الأصغر أجود بيتٍ في الطباق[1].

- **العرض:**

(١-٢): **يقول:** جرَّت المقادرُ على بني معاوية النكبات، وأثّرت فيهم مصائب الزمان، ورمَت نسوتهم بنائبةٍ أثّرت في عقولهنّ حتى غفلن عن أسباب الدين والدنيا، ولهين عن أمرهنّ الذي ينبغي لهنّ الاعتناء به، وحتى شيّبْتهنّ هذه المصائبُ ولفحَت وجوهَهنّ، فانقلبت شعورهنّ السود بيضاً من النكبات والخطوب، وانقلبت وجوههنّ البيض سوداً من الشدائد والمصائب.

---

(١) العمدة لابن رشيق (٢/ ٧)

(٩٣)

وقالت صَفِيَّةُ الباهِلِيَّةُ: [من البسيط]

١. كنا كغُصْنَين في جُرثُومةٍ سَمَقَا حِينًا بأحسَنِ ما تسمو له الشجرُ

٢. حتىٰ إذا قيل قد طالتْ فُرُوعُهما وطالَ فَيْئَاهُما واستُنظِرَ الثَّمَرُ

٣. أَخْنَىٰ علىٰ واحدٍ رَيْبُ الزمانِ وما يُبْقي الزمانُ علىٰ شيءٍ ولا يَذَرُ

٤. كنا كأنجُمِ ليلٍ بينها قمرٌ يجلو الدُّجَىٰ فهَوَىٰ مِن بينِها القمرُ

- **الكشف:**

صفية الباهلية، شاعرةٌ أعرابية إسلامية، وقيل جاهلية، وعُرِفت بقطعتها هذه التي ترثي فيها أخاها أو زوجها، وتذكر ما كان بينهما من الإلف والاجتماع، ثم ما أحدثه فيها الفقدُ من الوجد.

- **البيان:**

(كغصنين في جُرثومة): الجرثومةُ الأصل، والأغصان فروعٌ من الجرثومة. **(سمقا)**: طالا واكتملا. **(حِيناً)**: زماناً. **(بأحسن ما تسمو له الشجر)**: بأحسن ما تنمو له الأشجار، وتكتمل به الفروع. **(وطال فيئاهما)**: كذا ذكره أبو مالك في ألفيته، والرواية المشهورة (وطاب فيئاهما)، وكذلك هي عند المرزوقي والتبريزي وغيرهما، والمعنى طاب ظِلّا الفرعين، والفيء الظِّل. **(واستُنظر الثمر)**: وصار يُنتظَر ثمرُهما، يُقال استَنظَر الشيءَ إذا بقي ينتظره. **(أخنى على واحدٍ ريبُ الزمان)**: أناخ الدهرُ على واحدٍ منا بمصائبه، و(خنى الدهر) مصائبُه وآفاته. **(يذر)**: يدع، قال الحق سبحانه ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام: ١١٢]. **(كنا كأنجم ليلٍ)**: هذا تشبيه ثانٍ، فضربَت الغصنين مثلاً لها ولأخيها، ثم القمر والنجوم مثلاً لأخيها وعشيرته كلها، حتى تبيّن

مصيبتها الخاصة، ومصيبة العشيرة العامة. (يجلو الدجى): يكشفُ الظلامَ ويُزيحه. (فهوى): فسقطَ وخرَّ، قال الحق سبحانه ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. (القمرُ): كررَت لفظ القمر زيادةً في التوجّع، وإمعاناً في التحسّر.

- **العرض:**

(٤-١): **تقول:** كنا أنا وأخي كغُصنين خرجا من أصلٍ واحد فنميا وطالا، واستكملا زماناً، وبقيا يزدادان على أحسن ما تزداد له الأشجار، حتى إذا فرَعا من بين الأغصان، وحسُنا وامتدّا من ذلكم الأصل، وكثُر ورقُهما، واستُطيب ظلُّهما، وصار يُنتظَرُ ثمرُهما؛ وقفَ الأمرُ بهما دون الغاية المرجوّة! وأتى الزمانُ بمصائبه على واحدٍ منهما! وكذلك صروفُ الدهر لا تُبقي حالاً على حال، وقد كانت عشيرتنا بأخي كأنجم الليل بالقمر، فهو يتوسطها حُسناً بجماله، ويجلو عنها ظلام الليل بنوره، والنجومُ محدقةٌ بذلك القمر، ثم خرَّ القمرُ فجأةً فعاد الليل إلى ظلامه كما كان، واستوت الأنجم فيما بينها، فكذلك حالنا بفقد أخي.

(٩٤)

وقال سُلَيْمانُ ابنُ قَتَّةَ العَدَويُّ: [من الطويل]

١. مَرَرْتُ علىٰ أبياتِ آلِ محمَّدٍ فلم أرَها أمثالَها يومَ حُلَّتِ

٢. فلا يُبعِدُ اللهُ الديارَ وأهلَها وإن أصبَحَتْ منهم برَغْمي تَخَلَّتِ

٣. ألَا إنَّ قَتلَىٰ الطَّفِّ مِن آلِ هاشمٍ أذلَّتْ رِقابَ المسلمين فذَلَّتِ

٤. وكانوا غِياثًا ثم أضْحَوْا رَزِيَّةً ألَا عظُمَتْ تلك الرَّزَايا وجَلَّتِ

• **الكشف:**

هو سليمان ابن قتة العدوي البصري، المقرئ المحدِّث، وقتةُ أمُّه نُسِب إليها، وهو ابن قتة التيمي، لأنه كان مولىً لتيم بن مرّة من قريش، تابعيٌّ جليل، وثقه ابن معين وابن حبان وغيرهما، وكان فارساً شاعرا.

وهذه القطعةُ مشهورةٌ في رثاء الحسين رضي الله عنه ومن معه من آل البيت الذين قُتِلوا في (الطفّ) بالعراق، وقيل إنه أول من رثى آل البيت بعد تلكم الوقعة، (وقد كانت الشعراءُ لا تُقدِم على رثائهم؛ مخافةَ بني أمية وخشيةً منهم)[1].

• **البيان:**

(أبيات آل محمد): يريد أنه مرَّ على بيوت (أهلِ البيت)، حتى يتخلَّص بذلك إلى رثائهم، و(آل محمد) يعني أهل بيته صلوات الله وسلامه عليه وعليهم. (فلم أرها أمثالها يوم حُلّت): أي أنه لم يرها كسابق عهدها يوم كانت مأنوسة مأهولة، لما ظهر عليها من آثار الفجيعة، و(حُلَّت) أي سكنها أهلها ونزلوا بها، من الحلول وهو الإقامة

---

(١) مقاتل الطالبيين (١٢١).

والنزول. (فلا يبعد الله الديار وأهلها): تقدم في القطعة التاسعة عشرة أن قولهم (لا تبعد) يريدون به ندب الميت الفائت، فجعَل الدار وأهلها من المفقودين، وتحسر على فوات ذلك كلِّه، كأن الدار بلا أهلها لا تُغني شيئاً. (برغمي): كلمة اعتراضية، يريد أن هذا قدرهم لا أملك فيه أمراً. (تخلت): أخرجتهم الدارُ منها، قال الحق سبحانه ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[الانشقاق:٤] ، أي وأخرجت الأرض ما في بطونها وتخلّت منهم إلى الله. (الطفّ): أصل الطف في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، ويعني به هنا موضعاً مشهور بالعراق قرب الكوفة، قُتِل فيه الحسين رضي الله عنه ومن معه. (أذلت رقاب المسلمين): يريد لما امتنع المسلمون عن نصرتهم، وخذلوهم في مقامهم؛ كان عليهم ذلًّا وعارا. (وكانوا غياثاً): أي كانوا للمسلمين غوثاً في الشدائد، وعوناً في النوازل. (رزية): الرزء والرزية المصيبة. (وجلَّت): واستُفظعت، والجلل هنا العظيم المُستفظَع وهو من الأضداد، كما تقدم في القطعة الحادية والعشرين.

- **العرض:**

(٤ـ١): **يقول**: مررتُ على ديار آل البيت، فلم أرها كما كانت في سابق عهدها أيام سكناهم بها، فقد ظهرت عليها آثار الفجع والمصيبة، وصارت خاليةً موحشةً بعد أن كانت مأهولةً مأنوسةً بهم، وليس حالها وقت الجزع كحالها أيام السرور، فلا يبعد الله هذه الديار ولا أهلها، فإنا قد فقدناهم جميعا، وما تُغني الديار إذا لم يكن أهلها حاضرين! فقد قضى الله بزوالهم عن ديارهم فأخرجَتهم إلى مصارعهم، وسعوا إلى مقاتلهم، ألا إن اليوم الذي قُتِل فيه الحسين ومن معه من آل هاشمٍ يومُ ذلةٍ وخزي للمسلمين، فقد استُحلّت محارم أهل البيت وهم صامتون، واعتُدي على أقارب رسول الله ﷺ وهم ينظرون، وقد كان المسلمون يستعينون بهم في الشدائد، ويستغيثون بهم في النوازل، فتفقُّدُ المسكين شيمتُهم، وإعانةُ المحتاج دأبهم، فلما نيل منهم ما نيل؛

عظُمت مصيبة المسلمين، لأنه بحسب رجائهم الذي كان فيهم، ومكانتهم التي كانت في قلوبهم؛ صارت المصيبة تطعن في قلوبهم، والهمُّ يجثمُ على صدورهم، فما أعظم المُصاب بتلك الحادثة المُبكية!

وصدق والله، فما أعظم مصيبة المسلمين يوم ذاك! وقد اختلفت موازين الناس في تقدير هذه المصيبة، فمنهم من غلا فيها كالرافضة حتى جعلوه يومَ مأتمٍ يضربون فيه وجوهَهم ويشقون عليه جيوبهم، ومنهم من هوَّن المصاب وفرّط فيه كفعل النواصب والخوارج الذين لم يروا قتله ظلما، ولا حادثتَه مصيبة، وما أقبح صنيع الفريقين! أما أهل العلم والإيمان، والتقوى والإنصاف؛ فقد توسّطوا بين الفريقين، ولعمري ما أعدل ميزان أهل السنة الذي يقرره أبو العباس بقوله (وأما مقتل الحسين، فلا ريب أنه قُتِل مظلوماً شهيدا، كما قُتِل أشباهه من المظلومين الشهداء، وقتلُ الحسين معصيةٌ لله ورسوله ممن قتله أو أعان على قتله، وهو مصيبةٌ أُصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله، وهو في حقِّه شهادةٌ له، ورفعُ درجة، وعلو منزلة، فإنه وأخاه سبقَت لهما من الله السعادة التي لا تُنال إلا بنوعِ بلاء، ولم يكن لهما من السوابق ما لأهلِ بيتهما، فإنهما تربيا في حجر الإسلام في عزٍّ وأمان، فمات هذا مسموماً وهذا مقتولاً لينالا بذلك منازلَ السعداء وعيشَ الشهداء، وليس ما وقع من ذلك بأعظمَ من قتل الأنبياء، فإن الله تعالى قد أخبر أن بني إسرائيل كانوا يقتلون النبيين بغير حق، وقتلُ النبيِّ أعظمُ ذنباً ومصيبة، وكذلك قتلُ عليٍّ أعظمُ ذنباً ومصيبة، وكذلك قتلُ عثمان أعظمُ ذنباً ومصيبة، إذا كان كذلك فالواجب عند المصائب الاسترجاع والصبر، كما يحبه الله ورسوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦])[1].

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٥٥٠)، ونحوه كلام الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ٥٧٩).

(٩٥)

وقالت قُتَيْلةُ بنتُ النَّضْرِ: [من الكامل]

١. يا راكبًا إنَّ الأُثَـيْـلَ مَظِنَّةٌ مِـن صُبـحِ خامسـةٍ وأنـت مُوفَّـقُ
٢. بَـلِّـغْ بـه مَـيْـتًـا فـإنَّ تحيةً مـا إنْ تـزالُ بهـا الركائـبُ تَـخـفِقُ
٣. مِـنِّـي إليـه وعَـبْـرةً مسفوحةً جـادَتْ لـمائِحِـها وأُخرىٰ تَخنُـقُ
٤. فَلَيَسْمعنَّ النضرُ إن ناديتَهُ إن كان يسـمعُ ميِّـتٌ أو يَنطِـقُ
٥. ظلَّت سيوفُ بني أبيه تنوشُهُ للهِ أرحـامٌ هنـاك تُشـقَّقُ
٦. أمحمدٌ ولأنـت نجلُ نجيبةٍ مِـن قومِهـا والفَحْـلُ فحـلٌ مُعـرِقُ
٧. ما كـان ضَـرَّك لو مَنَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفتىٰ وهُو المَغيـظُ المُحنَـقُ
٨. والنضرُ أقربُ مَن أصبْتَ وسيلةً وأحَـقُّهم إن كان عِتـقٌ يُعتَـقُ

- **الكشف:**

قيل إنها ابنة النضر، والمشهور أنها أخته، فهي قُتَيلة بنت الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من قريش، وأخوها النضر بن الحارث من سادات مكة وأشرافها، وكان عالماً بأخبار الأمم وقصصها، لِما كان له من زيارة الرهبان والأحبار في طريقه للاتجار بالشام، وكان يؤذي النبي ﷺ، ويصرف الناس عن الجلوس إليه، ويقول (عندي لكم ما هو خير مما أتاكم به محمد)، فيقصّ عليهم قصص الأمم وأخبارها، ونزلت بشأنه عدة آيات، ثم إنه شهد بدراً، فلما أعز الله نبيَّه ونصرَه كان النضرُ فيمن أُسِر، فلما بلَغ النبيُّ ﷺ في منصرَفِه الصفراءَ أمر علياً فقتله، ودُفن النضرُ بموضعٍ يقال له (الأُثَيل) عند الصفراء.

فلما كان بعد سنوات، وأقبل النبي ﷺ يطوف بالبيت، لقيَته قتيلةُ فاستوقفَته وأنشدَته هذه الأبيات، تندب أخاها، وتستعطف رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم، فرقَّ لها لمّا سمِعها وقال: (لو كنتُ سمعتُ شِعرَها هذا ما قتلتُه)[1].

- **البيان:**

(يا راكباً): تنادي واحداً من الركبان غير معيّن، فكأنها تقصد كل راكبٍ مسافِر. (الأُثَيل): موضعٌ بين بدر والمدينة. (مظنةٌ من صبح خامسة): مظِنّةُ الشيء معلَمه ومكانُه، والعربُ تقول في وصف الطريق (إذا خرجتَ من مكان كذا، فموضعُ كذا مظنةٌ من عشية السبت) أي المكان الذي يُظنّ وصولك إليه عشية السبت هو ذلك الموضع، فقولها (مظنةٌ من صبح خامسة) أي أن الراكب إذا ابتدأ السَّير من موضعها؛ فإنه يصل للأُثيل بعد خمسة أيام. (وأنت موفَّقُ): مسدَّد مُرشَد، تريد وأنت على طريقك غير عادلٍ عنها ولا جائر. (بلِّغ به ميتاً): أي أخبر بهذا المكان ميتاً، ويُقال ميِّت وميْت على ما يأتي في باب الأضياف[2]، وتريد بالميت النضر، والتبليغ والإبلاغ الإخبار والإعلام، ومنه قول الحق سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧]، وقد حُذِف المفعول الثاني لـ(بلِّغ)، وتقديره (تحية)، يدل عليه ما بعده. (فإن تحيةً ما إن تزال بها الركائب تخفقُ): حرف (إن) زائد، أي تحيةً ما تزال الركائبُ تخفق بها، والركائب جمع رَكوبة، وهي الناقة التي أُعدَّت للركوب، والخَفْقُ الاضطراب. (مني إليه): أي هذه التحية مني إلى الميت. (وعبرةً مسفوحة): ودموع مصبوبة، وانتصب بالعطف على التحية. (جادت لمائحها): المَيح إدخالك الدلوَ البئرَ لملئها إذا قلّ الماء، ففيه زيادةُ جهد وقلةُ ماء، فهو أبلغ في وصف دمعها من الرواية الأخرى (لماتحها)، لأن

---

(١) الخبر مشهور في كتب الأدب، كما في: البيان والتبيين (٣/ ٢٧٣)، والعمدة لابن رشيق (١/ ٥٧)، وزهر الآداب (١/ ٦٦)، وذكره الماوردي في الحاوي الكبير (١٤/ ٢٢٨)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٤/ ٩٠٥)، وقيل إنه موضوع مختلَق.

(٢) في بيان القطعة (١٨٤) للعرندس.

المَتح مطلق الاستقاء. (وأخرى تخنق): ودمعة أخرى تخنقني. (فليسمعنّ النضر): بن الحارث، أخي. (سيوف بني أبيه): سيوف قومه وإخوانه، تعني النبيَّ ﷺ ومن معه من الصحابة القرشيين. (تنوشه): تتناوله، والتناوش التناول، قال الحق سبحانه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾[سبأ: ٥٢]. (لله): اللام للتعجب، وهم إذا تعجبوا من أمرٍ وعظّموه نسبوه إلى الله سبحانه تفخيماً للأمر. (تشققُ): تتشقق، أي تتقطع أسبابها، وحذَفت تاء المضارع جوازاً فيما ابتدي بتاء، ومنه في التنزيل ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾[الفرقان: ٢٥]. (أمحمدٌ): تخاطب النبيَّ ﷺ، وكان الوجه أن يُبنى المفرد العلم على الضم إذا نودي، لكن يجوز للشاعر إذا اضطُرّ تنوينُ المنادى المفرد المبنيِّ على الضم، وله في تنوينه الرفع والنصب. (نجلُ): ابن. (نجيبة): كريمة ذكية، تعني أن نسبَه من جهة أمه كريم. (والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ): وأبوك عريقٌ في الكرم والشرف، والعريق الخالص القديم، وتعني أنه ﷺ جمع المجد والكرم من طرفيه، آبائه وأخواله، وقد تقدم هذا المعنى في القطعة السادسة والخمسين، إلا أن الكرم والمجد السابق لا يبلغ ذرةً من مجد النبي ﷺ وكرمه، وهذه الجملة كلها اعتراضية في موضع الحال. (ما كان ضرَّك لو مننت): أي ما يضرُّك لو كنتَ عفوت عن الحارث وأطلَقته؟ ومنه ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾[محمد: ٤]، وخفيَ عليها أن النبي ﷺ لم ينتصر لنفسه، ولكنها الغيرة لله ولمحارمه. (وربما منَّ الفتى): جملة اعتراضية، والقصد بها الحث على العفو والترغيب فيه، و(رُبَّ) هنا للتقليل. (وهو المغيظ المُحنَقُ): الغيظ الغضبُ الكامنُ في النفس، والحنَق شدة الغيظ. (أقربُ من أصبتَ وسيلةً): تعني ما بينهما من القرابة، واجتماعهما في قصي، فلذلك هو أحق بالعفو من غيره، فأما قول الحق سبحانه ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[الإسراء: ٥٧]، فمعناه أنهم يتقربون إلى ربهم بالأعمال الصالحة. (وأحقُّهم): وأولاهم وأجدرهم، ومنه ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[الفتح: ٢٦]. (عِتقٌ): تعني فكاكه من أسر الرقِّ الذي كان فيه.

• **العرض:**

(١ـ٥): تقول: مهلاً أيها الراكبُ السائر، فإنك تقدم -وفقك الله- بعد خمسة أيام على (الأُثيل) إن لم تعدل عن طريقك أو تحِد، وإني أريدك أن تبلغ تحيتي ميتاً هنالك، فلطالما خفقَت بالتحيات الركائبُ، وسارت بها القوافل، وأبلغه كذلك دموعي المصبوبة على فراقه، وبكائي المتصل الذي لم ينقطع، فأنا ما بين كفكفة الدمع والاختناق بالعبرات، وأنت إذا بلغتَ ذلك الموضع فناديتَ النضر، فليسمعنّ نداءك وليجيبنّك إن كان يسمع الميتُ أو ينطق! وما أظنه كذلك، فلقد ظلت سيوف قومه هناك تتناوله بعد أن كانت تذبُّ عنه، وتضع منه بعد أن كانت ترفعه، فللّه أرحامٌ وقراباتٌ قُطِعت أسبابُها في بدر وهُتِكت أستارُها!

(٦ـ٨): تقول: يا محمد -وأنت امرؤ كريمُ الخال، شريف العم، مجيد الأصل- ما كان يضرُّك لو مننتَ على أخي الحارث بعد أن أمكنك اللهُ منه؟ والفتى قد يعفو وإن كان مُغضَباً حانقا، وهو أحقُّ الناس بعفوك؛ لقرابته، وأولى الناس بلطفك؛ لرَحِمِه، فهلّا كنتَ أبقيتَ عليه، وخليته لي.

(٩٦)

وقال رُقَيْبةُ الجَرْميُّ: [من الطويل]

١. أقولُ وفي الأكفانِ أبيضُ ماجِدٌ كغُصْنِ الأراكِ وَجْهُه حِينَ وَسَّمَا

٢. أحقًّا عِبادَ اللهِ أنْ لَسْتُ رَائِيًا رِفاعةَ طُولَ الدَّهْرِ إلا تَوَهُّمَا

٣. فأُقسِمُ ما جَشَّمتُه مِن مُهِمَّةٍ تَؤُودُ كرامَ القومِ إلا تَجَشَّمَا

٤. ولا قُلتُ مَهْلًا وهْو غضبانُ قد غَلَا مِنَ الغَيظِ وَسْطَ القومِ إلا تبسَّمَا

- **الكشف:**

هو رُقيبة الطائي الجرمي، من بني جَرْم، وهو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طيئ، ولعله إسلاميٌّ من شِعره، وهو مشهور بقطعته هذه التي يرثي بها رجلاً اسمه (رفاعة)، ويذكر فضلَه وحُسن خُلقه وخَلقه.

- **البيان:**

(أقول): سيأتي قوله في البيت الثاني. (وفي الأكفان): جمعُ كفَن، وهو ثوبُ الميت. (أبيضُ ماجد): مشرق الوجه، كريم الفعال، وسبق الوصف بالبياض والمجد في القطعة الثانية والثمانين. (كغصن الأراك وجهُه): الأراك شجر طيب معروف، وغصنه معروف بالنضارة والنداوة، فشبه وجهه به، ويريد أنه شاب ناضر الوجه. (حين وسَّما): حين نبت فيه الشعر، أول شبابه، فالمصيبة بفقده أعظم. (أحقاً عبادَ الله): هذه جملة القول، وانتصب (حقاً) على الظرفية، كأنه قال (أفي الحقِّ ذلك)؟ ونادى عباد الله كلهم ليبين عظم الفجيعة، فكأنه أراد استثباتَهم جميعا. (رائياً): ناظراً ومُشاهِدا. (توهُّما): التوهُّم ظنُّ الشيء على غير حقيقته، واعتقاد ما ليس بكائن. (جشَّمتُه): حمَلتُه

وأثقلته. (مُهِمّةٍ): حادثةٍ تُهِمّ مَن تنزِل به. (تؤودُ): تُثقِل، قال الحق سبحانه ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾، أي ولا يثقله ويشقُّ عليه. (تجشَّما): تحمَّل وتكلَّف، ومرَّ هذا المعنى في بيان القطعة الثامنة والثمانين. (مهلاً): تقدم في القطعة السادسة والعشرين. (غضبان قد غلا من الغيظ): لم يكتف بقوله (غضبان) وهي صيغة امتلاء، بل وصف غيظه بالغليان، (والغضبان يشعله الغضبُ، ويغلي به الغيظ، وتستفرغهُ الحركة، ويمتلئ بدنه رعدة، وتتزايل أخلاطه، وتنحل عقدُه، ولا يعتريه من الخواطر إلا ما يزيده في دائه، ولا يسمع من جليسه إلا ما يكون مادةً لفساده)[1]، لكن رفاعة -مع هذا كله- له شأن آخر في حلمه وصبره.

- **العرض:**

(٤ـ١): **يقول:** أقول -وأنا متحسِّرٌ لما أرى في الأكفان أمامي من موت هذا الشاب الكريم الشريف، ومتوجِّعٌ له إذ قضى نحبَه ولم يُمتَّع بشبابه، وكان وجهُه كأنه غصن الأراك نظارةً وطراوة-: أفي الحقِّ -يا عباد الله- أني لستُ أرى رفاعةَ بقيةَ عُمري؟ وهل سأُحرَمُ منه طول دهري إلا ما يعتادني في المنام والذكرى؟ أما وقد مات فإني أقسم بالله لقد كان كريمَ الفعال، مهذبَ الأخلاق، مضطلعاً بالتكاليف، فما حمَّلتُه يوماً بأمرٍ ثقيلٍ تنقطعُ عن حمله ظهورُ الكرام إلا تحمّله راضياً، ولم أقل له: رفقاً! وقد اشتدّ غيظُه واستشاط غضبُه إلا سكنَت نفسُه وحسُنت فيئتُه، وأقبل عليَّ ضاحكاً متبسِّماً، فأين تجدُ في الناس مثلَه!

---

(١) رسائل الجاحظ (١/ ٢٦٠).

(٩٧)

وقال الرَّبيعُ بنُ زِيادٍ العَبْسيُّ: [من الكامل]

١. إنـي أرِقْــتُ فلم أغـمِّـضْ حـارِ ... مِـن سـيِّئِ النبـأِ الـجـليلِ السَّـارِي

٢. مِن مثلِه تُـمسي النساءُ حواسِرًا ... وتقـومُ مُعْـوِلةً مـع الأسْـحارِ

٣. أفَبَـعْـدَ مقتلِ مـالـكِ بْـنِ زُهَـيْرٍ ... ترجـو النسـاءُ عواقِـبَ الأطهـارِ

٤. ما إنْ أرىٰ في قتلِه لذوي القُوَىٰ ... إلا الـمَطِـيَّ تُشَـدُّ بالأكـوارِ

٥. ومُـجَنَّباتٍ ما يَـذُقْــنَ عَـذُوفًا ... يَقذِفْـنَ بالـمُـهُـراتِ والأمْهـارِ

٦. ٦- ومَساعِرًا صدأُ الـحديدِ عليهِمُ ... فكأنمـا تُطلَـىٰ الوُجُـوهُ بقَـارِ

٧. مَن كـان مسرورًا بمَقتَلِ مالكٍ ... فلْيَـأْتِ نِسْـوتَنا بوَجْـهِ نهـارِ

٨. يَجِدِ النساءَ حـواسِـرًا يَنْدُبْنَهُ ... يَلْطِمْـنَ أوجُهَهُـنَّ بالأسـحارِ

٩. قد كُـنَّ يَـخْبَأْنَ الـوُجوهَ تَستُّرًا ... فاليـومَ قـد أَبْـرَزْنَ للنُّـظَّارِ

١٠. يَضـرِبْنَ حُرَّ وُجوهِهِنَّ علىٰ فَتًىٰ ... عَـفِّ الشمـائلِ طيِّـبِ الأخبـارِ

- **الكشف:**

هو الربيع بن زياد بن عبدالله الغطفاني العبسي، من بني عبس بن بغيض، كان يُلقب بـ(الكامل) لشرفه وسيادته وجماله وشجاعته، وكان من دهاة العرب وفرسانهم، وكانت له في حرب داحس والغبراء صولاتٌ مذكورة، وأشعار مشهورة.

وتقدَّم خبرُ هذه القطعة بتفصيله في ذكر حرب (داحس والغبراء) في كشف القطعة العشرين، فهو يرثي مالك بن زهير بن جذيمة العبسي، السيد المطاع، والفارس الشجاع، ومَن قرأ الأبيات علِمَ منزلته في قومه، وعظيمَ مصيبتهم بفقده.

- **البيان:**

(إني أرِقتُ فلم أغمِّض): الأرَقُ انقطاعُ نومِ الليل لعلّة، والتغميض والغَمض والإغماض واحد. (حارِ): ترخيمُ حارث، وجرَت عادة الشعراء أن ينادوا اسماً فيخاطبوه، وإن لم يكن ذلك على الحقيقة، وسيأتي نحوه في أول باب النسيب. (سيء النبأ): أي النبأ السيء. (الجليل): العظيم. (السَّاري): الذي أتاني ليلاً، والسُّرى سير الليل، قال الحق سبحانه ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾[هود: ٨١]. (من مثلِه): أي الخبر. (تُمسِي النساء حواسراً): يأتي عليهنّ المساء وقد كشَفن وجوهَهنّ من هول المصيبة، وأسدلن شعورهَنّ من شدة الحادثة، فليست العادةُ منهنّ حسرَ الوجه وسدلَ الشعر، والمساء من بعد الظهيرة إلى غروب الشمس. (وتقومُ مُعولةً مع الأسحارِ): الإعوال البكاء والنياحة، والسّحَر قبل الفجر. (مالك بن زهيرٍ): في البيت نقصٌ يُسميه المتأخرون من العروضيين (قَطعا)، وسماه الخليل (إقعادا)، فقد جعل الشاعرُ عَروض الضرب الثاني من الكامل المقطوعة، وكان الوجه أن يأتي بها (مُتَفاعِلُن)، فأتى بها (فَعِلاتُن)، وكذا فعل في البيت الخامس. (عواقب الأطهار): جمع (عاقبة الطهر)، كنّى به عن النكاح بعد الطهر، وما يُراد مِن الولد بذلك، ووصفه بـ(عاقبة الطهر) لأن العربَ تُكثِر من إتيان النساء بعد انقضاء حيضهنّ، (والعربُ تزعمُ أن أكثر ما تكونُ المرأةُ اشتمالاً على الحبَل بعد مواقعة الرجلِ إياها= بُعَيد طهرها من حيضها، فيكون الحملُ عاقبة الطهر)[1]. (ما إن أرى): حرف (إن) زائد، للتوكيد. (لذوي القُوى): ذوي القوة في الرأي والعمَل، قال الحق سبحانه ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[النجم: ٥]. (المطيَّ): النوق. (تُشَدّ بالأكوارِ): الكُور المتاع والرَّحل يُوضَع على الناقة، وأراد (تُشدّ الأكوار بها)، ولكنه قلَبَ على عادة العرب في توسعهم ثقةً بفهم السامع، وعنى بذلك السفر للغزو. (ومُجنَّباتٍ): يعني الخيل مجنوبة، وكانت عادة العرب أن يركبوا الإبل ويجنّبوا الخيل

---

(١) الكناية والتعريض للثعالبي (٣١).

إلى أن يبلغوا موضع الغارة، فإذا بلغوا موضعَ الغارة ركبوا الخيل وهي في نشاطها وقوتها لم يركب عليها قبل ذلك أحد. (عذوفاً): هو أدنى ما يؤكل ويُشرَب، يُقال عَذُوف وعُذاف، وعَدوف وعُدَاف. (يقذفن بالمهرات والأمهار): أي أن الخيل لسرعة سيرها وشدته تقذفُ بأولادها، والمهُرات جمعُ مهرة، والأمهار جمعُ مُهر. (ومساعراً): جمعُ مِسعَر، وأراد الرجل الذي يُوقِد الحرب ويُشعِلها فكأنه آلةُ ضِرام. (صدأُ الحديد عليهم): أي أنهم مدججون بالسلاح والدروع. (فكأنما تُطلى الوجوه بقارِ): القار هو الزّفت، يريد أن السموم والحرور لفحَت وجوههم، وغيّرت ألوانهم؛ لأنهم كثيرو الغارات. (فليأت نسوتنا): أي فليقدم ساحتنا ولينظر إلى حال نسائنا، وقد استشنع الناس قوله (فليأت نسوتنا) لِما قد يوهمه من المعنى الفاسد، ولذلك عدل المرزوقي عن اختياره، وقال ابن العميد: (إني لأتعجَّب من أبي تمام مع تكلّفه رمَّ جوانب ما يختاره من الأبيات، وغسلِه من درَنِ بشِع الألفاظ، كيف ترك تأمل قوله: فليأت نسوتَنا، وهذه لفظة شنيعة)[1]! وقالوا لو أبدل لفظ (نسوتنا) بلفظ (ساحتنا) لكان ألطفَ في السمع، وأدلَّ على المعنى، وكذلك فعَل المرزوقي في شرحه. (بوجه نهار): بأول النهار، ومنه ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾[آل عمران: ٧٢]. (يجد النساء): جواب الطلب السابق. (حواسراً يندبنه): كاشفات وجوههن يصِحن عليه ويبكين، والنَّدب تعداد محاسن الميت، ولا تندب العربُ ميتها إلا بعد الأخذ بثأره، فهو إشارة إلى إدراك وترهم، والنيل من أعدائهم. (يلطمن أوجههن بالأسحار): فهنّ يبكين عليه من حين قيامهن قبل الصبح! (قد كنَّ يخبأن الوجوه تستراً): تقدم في بيان القطعة السادسة عشرة أن نساء العرب الحرائر لا يكشفن وجوههن إلا لعارضٍ استوجب منهنّ الذهول عن تغطية وجوههن، وهذا البيت صريحٌ في هذا. (أبرزن للنُظّارِ): أي أبرزن وجوهَهنّ للناظرين من وقع المصيبة، وإلا فعادتهن الستر، والعربُ تمدح النساء أنهن بيضاتُ خدور، وربّات حجال، لما فيه من

(١) شرح الحماسة للمرزوقي (٢/ ٩٩٦).

الستر والعفاف. (حُرَّ وجوههن): وجوههن الحُرّة. (عفّ الشمائل): كريم الطبائع، مهذب الأخلاق. (طيّب الأخبار): حسَن السُّمعة بين الناس.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: قد هجرني النوم، وانقطعَت الراحة، وطال الليل؛ لما أتاني الخبرُ العظيمُ المُفجِع، والداهية الفظيعة الشنيعة، فإني مذ علمتُ بمقتل مالك بن زهير لم تهنأ عيني بغَمض، وحُقَّ لي هذا، فإن الخبر من الفجيعة بمكان، فالنساء لا يأتي عليهنّ المساءُ إلا وقد طرحْن خُمرَهنّ، وكشفْن رؤوسَهنّ، وأسدلْن شعورَهنّ، وإذا كان السّحَرُ قمن صائحاتٍ باكيات، فلا ينمن إلا على العويل، ولا يقمن إلا عليه!

(٣-٦): يقول: قد قُتِل مالك بن زهير! فهل ترجو النساء بعد ذلك أن يلدن مثله؟! وهل لهن مطمعٌ بعد ذلك في النكاح ولذته؟! فإن الخطبَ عظيم، والوقعَ جسيم، ولا أرى لأصحابِ العقول من أولياء دمه، وأهلِ الرأي من طُلّاب ثأره، إلا امتطاء الإبل، وتجنيب الخيول، والاستعداد للغزو، وركوب كل صعبٍ وذلول حتى ينالوا من عدوهم، ويدركوا من وترهم، فيسيرون مجدِّين لا تطعَمُ خيلُهم ولا تشرب، بل تشتدّ في سيرها فتقذف بأولادها، فلا يوقفها شيء ولا يمنعها حتى تبلغ بني فزارة فتغزوهم، عليها الرجال الأشاوس مسعرو الحروب، قد لبسوا الحديد، وحملوا السلاح، ولفحَت السمومُ وجوهَم لكثرة الغزو والإغارة.

(٧-١٠): يقول: من كان فرحاً بمقتل مالك، وشامتاً بأهله وأوليائه، فليترك ما هو فيه، فقد أدركنا ثأرنا، ونلنا مرادنا، وشفينا أنفسنا، وليحضُرْ ساحتَنا أول النهار، ليرى نساءنا يندبن مالكاً بعد الأخذ بثأره، فيجدهن مكشوفات الرأس يذكرن فضائله ومآثره في كل وقت، ويبكين فعاله ومكارمه على كل حال، قد ابتذلن أنفسهن للمصيبة، وكنّ من قبل مستورات مصونات، لا يبرزن لناظر، ولا يتبرجن لأحد، فاليوم رمين قناعهنّ من هول الواقعة، وأظهرن مُحيّاهنّ، وشققن ثيابهن، وأخذن

يضربن وجوههن على مالك بن زهير، وما أحقَّه منهنّ بذلك! فقد كان رجلاً كريم الطبائع، حسَن المعاشرة، لا يُعرف بمنقصة، ولا يُنادى بمثلبة.

(٩٨)

وقال ابنُ عَنَمةَ الضَّبِّيُّ: [من الوافر]

١. لأمِّ الأرضِ وَيْلٌ، ما أجنَّتْ؟ بحيثُ أَضرَّ بالحَسَنِ السَّبِيلُ
٢. نُقسِّمُ مالَه فِينا وندعُو أبا الصَّهْباءِ إذ جَنَحَ الأصيلُ
٣. أَجِدَّك لن تَرَاهُ، ولن تَرَاهُ تَخُبُّ به عُذافِرةٌ ذَمُولُ
٤. حقيبةُ رَحْلِها بَدَنٌ وسَرْجٌ تُعارِضُها مُرَبَّبةٌ ذَؤُولُ
٥. إلىٰ ميعادِ أرعَنَ مُكفَهِرٍّ تُضَمَّنُ في جوانِبها الخُيُولُ
٦. لك المِرْباعُ منها والصَّفَايَا وحُكمُك والنَّشِيطةُ والفُضُولُ
٧. أفاتَتْهُ بنُو زيدِ بْنِ عمرٍو ولا يُوفِي ببِسْطامٍ قتيلُ
٨. فخَرَّ علىٰ الألَاءةِ لم يُوَسَّدْ كأنَّ جَبِينَه سيفٌ صَقِيلُ

● **الكشف:**

عبدالله بن عنمة بن حوثان الضبي، من بني ضبة بن أد، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم، وله شِعرٌ حسَن في المفضليات، وذكره ابن حجر فيمن أدرك حياة النبي ﷺ فلم يُنقل له لقاء ولم يُحفظ له سماع.

وكان ابنُ عنمة متزوجاً من بني شيبان، ونازلاً فيهم، فلما كان (يوم الشقيقة) الذي تقدم خبره في كشف القطعة الثامنة والخمسين، رثىٰ ابنُ عنمةَ بسطاماً بهذه الأبيات، لأنه كان نازلاً في بني شيبان، فعارضَه شمعلةُ بتلك القطعة التي تقدمت.

والقصيدةُ بأطول من هذا في الأصمعيات، والأمر فيها مثل ما تقدم في كشف القطعة الثامنة والأربعين، جلّ من لا يسهو.

- **البيان:**

(**لأمِّ الأرض ويلٌ**): أراد بـ(أم الأرض) بطنها الذي فيه قُبِر بسطام، فيقول (ويلٌ لها)، وهي كلمةٌ تُطلِقها العربُ ولا تريد بها حقيقتها من الدعاء، إنما تريد التعظيم والتهويل. (**أجنّت**): سترَت، والجَنُّ السَتر، ومنه الجنين الذي يُستر في بطن أمه ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾[النجم: ٣٢]، ومنه الجِنّ لاستتارهم عن الأعين ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾[الأنعام: ١٢٨]، وغير ذلك من الاشتقاقات التي فيها أصل الاستتار. (**بحيث**): جعل (حيث) اسماً، لدخول الحرف عليها. (**أضرَّ بالحسن السبيلُ**): دنا من الحسَن الطريق، يُقال (أضرَّ به) إذا دنا منه، و(الحسَن) أحد الكثيبين الذين تقدما في القطعة الثامنة والخمسين، و(السبيل) الطريق، ومنه ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[القصص: ٢٢]، يعني الموضع الذي دُفِن فيه بسطام. (**وندعو أبا الصهباء**): نندب بسطاماً، فنقول: وابسطاماه! يالَأبي الصهباء! (**جنح الأصيل**): مالت العشيّة، والأصيل قبل الغروب، قال الحق سبحانه ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾[الأعراف: ٢٠٥]، وهذا وقت قدوم الأضياف، فلذلك خصَّه. (**أجدَّك لن تراه**): تقدم القول فيها في بيان القطعة الثالثة والثمانين. (**ولن تراه**): جملة اعتراضية لبيان حقيقة الحال، ونحوها ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤]. (**تخبُّ به عُذافِرةٌ ذمولُ**): تُسرِع به ناقةٌ ضخمةٌ سريعة، من باب الاستغناء عن ذكر الموصوف بذكر صفته، والخَبب ضربٌ من السَّير فيه إسراع. (**حقيبةُ رحلِها**): أي متاعُها وما يحملُه راكبُها، والحقيبةُ ما يوضعُ من المتاع وراء الرحل. (**بدنٌ وسرجٌ**): البدَن الدرع القصيرة، وكانوا يجعلون الدروعَ وراءهم في الحقائب، ليلبسوها عند الغزو، والسروجَ كذلك، ليشدّوها فوق خيولهم، وأراد أنه كان كثير الغزو. (**تُعارِضها**): تسير إلىٰ جانبها، ومن هذا قالوا في القصيدة التي تُحاكُ علىٰ نسجِ أخرىٰ وتردّ عليها: هي مُعارِضةٌ لها. (**مربّبةٌ**): فرسٌ قد رُبِّت في البيت لدلالها، وكرمها علىٰ

ربِّها، ويُقال ربَبْتُها وربَّبْتُها، وحذفُ الفرَس من باب الاستغناء عن ذكر الموصوف بذكر صفته. (دَؤولُ): من الدألان، وهو ضربٌ من السَّير السريع. (إلىٰ ميعاد أرعن): أصلُ الرَّعن أنفُ الجبل، والجبل الأرعن هو الذي له أنفٌ يتقدمه، وأراد بذلك وصف جيش العدو بأنه ذو فضول وكثرة، أي يسير إلىٰ لقاء جيشٍ كالجبل الممتدّ. (مكفهرّ): مرتفع عال. (تُضمَّنُ في جوانبها الخيولُ): تُقرَن الخيلُ بالإبل في جوانبها، إذ لكلِّ رجلٍ راحلةٌ وفرَسٌ يقوده معه، ولذلك سموا الفرسَ التي تسير مع الرَّكب وتتبعُه (جنيبة) و(مُجنَّبة)، كما في القطعة السابقة. (لكَ المرباعُ منها والصفايا): هذا التفات إلىٰ خطاب الميت المرثي، والمرباعُ رُبع الغنيمة من مالٍ وأسارىٰ، والصَّفايا جمعُ صَفيّ وهي ما يصطفيه لنفسِه رئيسُ القوم من الغنيمة، من جاريةٍ أو سيفٍ أو ناقةٍ أو ما شاء، قال أبو عبيدة[1] (كان رئيسُ القوم في الجاهليّة إذا غزا بهم فغنِمَ أخذ من جماعة الغنيمة ومن الأسرىٰ والسبي علىٰ أصحابه المرباع، وكان له الصفيّ)، قال (فصار هذا الربعُ الذي كان في الجاهلية لرئيس القوم خُمساً... وبقي الصفيُّ علىٰ حاله في الإسلام، اصطفىٰ النبيُّ ﷺ سيفَ منبه بن الحجاج ذا الفقار يوم بدر، واصطفىٰ لنفسه جويرية بنت الحارث من بني المصطلق يوم المريسيع)، وصار الخُمس بعد ذلك لبيت مال المسلمين، وأمَّا الصفيَّة فمن خصائصه صلىٰ الله عليه وسلَّم. (وحُكمك والنشيطةُ والفضولُ): أي ولأنك رئيس القوم، فلك كذلك الحُكم، قال أبو عبيدة (وهو أن يبارز الفارسُ فارساً قبل التقاء الجيشين، فيقتله ويأخذ سلبه، والحُكم فيه إلىٰ الرئيس إن شاء نفَّلَه وإن شاء ردَّه إلىٰ جملة المغنم)، قال (وله النشيطة، وهو ما انتُشط [اكتُسِبَ] من الغنائم، ولم يوجفوا عليه بخيلٍ ولا ركاب)، قال (وكان له الفُضول، وهو ما فضَل بعد القسمة، ويَعجِز عن عدد الغزاة).

---

(١) انظر لهذه النقولات: شرح الحماسة للمرزوقي (٣/ ١٠٢٤)، والمعاني الكبير لابن قتيبة (٢/ ٩٤٩)، وأمالي القالي (١/ ١٤٤)، وغريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٤٦٤)، وشرح البيت بتفصيله في: معاني أبيات الحماسة للنمري (١٤٦).

(أفاتَتْه بنو زيد بن عمروٍ): يقال فلانٌ أفاتَ الشيءَ الناسَ، أي حرمَهم الانتفاعَ به، فهو متعدٍّ إلىٰ مفعولين، فتقديرُه: أفاتت بنو زيد بن عمروٍ الناسَ بِسطاما، أي حرمَت بنو زيدٍ الناسَ من الانتفاع ببسطام. (ولا يُوفي ببسطامٍ قتيلُ): اختار المرزوقي رواية (قبيل)، أي لا تُوفي بدمه قبيلةٌ من القبائل، وعلىٰ رواية (قتيل) يكون المعنىٰ لا يقومُ أحدٌ مقام بسطام. (فخرَّ على الألاءة لم يوسَّد): تقدَّم شرحُ هذا الشطر بلفظه في القطعة الثامنة والخمسين، وقُصِد به هناك معارضة هذا هنا، فقالَها على سبيل السخرية والذم هناك، وعلى سبيل الرثاء والمدح هنا. (كأن جبينَه): تقدم أن الجبين جانب الجبهة، ومنه ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾[الصافات: ١٠٣]. (سيفٌ صقيلُ): في إشراقه ونوره، مثل قول كعب: (لَسيفٌ يُستَضاءُ به)[١].

- **العرض:**

(١-٥): **يقول:** ويلٌ للأرض! أيَّ رجلٍ سترَت في جوفِ بطنها! وهل تدري الأرضُ مَن ذلك الذي قُبِر فيها جوار طريق جبل الحسَن؟ فنحن نقسِّم فواضلَ ماله فينا من بعده، ونوزع ما أبقاه لنا من الخيرات، فتهيج بذلك حسراتنا، ونندبه ونناديه: وابسطاماه! ونُحدِثُ له ذكراً كلما دنت الشمسُ للغروب، إذ كان هذا وقت حلول الأضياف عليه، فيكرمهم ويوسعهم جُودا، فهل حقاً قد انقطعَت عنا فَعاله!؟ وهل في الجِدِّ أنا لن نراه بعد يومنا هذ!؟ وقد كنّا نعلمُه كثيرَ الغزو، نشيطَ الرواح، بعيدَ الهمّة، تُسرِعُ به ناقةٌ ضخمةُ الخَلق، سريعةُ السَّير، قد أردفَ حقيبةً فيها دِرعُ القتال، وسَرجُ الخيل، وتمشي إلى جوار هذه الناقةِ فرسٌ مُسرِعةٌ قد رُبِّت في البيوت على الكرم والعز، أُعِدَّت لمثل هذا اليوم، ليلقى بها جيشاً عظيماً كالجبل في صموده وثباته، وهذه عادته في لقاء الجيوش والاستعداد لها.

(٦-٨): **يقول:** وقد كنتَ -يا بسطامُ- رئيسَ القوم، وقائدَ الجيش، فكانوا يقسمون لك الربعَ من غنائمهم، وكنت تصطفي ما شئت من سباياهم، ولك الحُكم

(١) طبقات فحول الشعراء (١/ ١٠١)

في المتبارزين، ويُرَدّ إليك أمر الغنائم التي استُلِبت من غير قتال، ويُرفَع لك الفاضلُ من الغنائم بعد قسمتها، لكنّ بني زيد بن عمروٍ حرمَت الناسَ الانتفاعَ ببسطام، فليس يقومُ مقامه أحد، ولا تُوفِي قبيلةٌ من القبائل بدمه، وسقطَ صريعاً على شجرةٍ من شجر الآلاء، وكأنّ جبينَه سيفٌ وضّاء لنورِه وإشراقِه.

(٩٩)

وقال الغَطَمَّشُ: [من الطويل]

١. ألا رُبَّ مَن يَغتابُني وَدَّ أنني ... أبوه الذي يُدْعَىٰ إليه ويُنسَبُ

٢. علىٰ رِشْدةٍ مِن أمِّهِ أو لِغَيَّةٍ ... فيَغلِبَها فَحْلٌ علىٰ النَّسْلِ مُنجِبُ

٣. فبالخير لا بالشَّرِّ فارْجُ مودَّتي ... وأيُّ امرئٍ يُقتالُ منه الترهُّبُ

٤. أقولُ وقد فاضتْ بعَيْنَيَّ عَبْرةٌ ... أرىٰ الأرضَ تبقىٰ والأخلاءَ تذهبُ

٥. أخِلَّاءِ لو غيرُ الحِمام أصابَكم ... عَتَبْتُ ولكنْ ما علىٰ الموتِ مَعْتَبُ

- **الكشف:**

هو الغطمَّش بن عمرو بن عطيّة الضبيّ الشَّقِري، من بني شقِرَة بن كعب من بني ضبة، شاعر جاهلي، وسُمّيَ الغطمَّش لضعف بصره، والغطمَّش في اللغة كليلُ البصَر.

وهذه القطعةُ ابتدأها الشاعرُ بذمِّ رجلٍ كان يغتابُه، ولم يسمِّه بل عمَّم القول، ثم افتخر ببعض مآثره، واختتمها ببيتين يذكر فيهما ذهابَ أخلائه من الدنيا، واخترامَ المنايا لهم، وقيل إن البيتين ليسا من هذه القطعة، فلا مدخل لها في باب الرثاء حينئذ.

- **البيان:**

(رُبَّ من يغتابني): الغيبةُ ذكر الرجل بما يكرهُ في غيابه، و(رُبَّ) هنا للتكثير. (ودَّ): رغِب وتمنّى، قال الحق سبحانه: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾[آل عمران: ١١٨]، أي تمنّوا ضرَّكم وحصولَ المشقّة لكم. (على رِشدةٍ من أمّه أو لِغَيّةٍ): الرِّشدة اسمُ الهيئة من الرَّشاد، وهو السداد في القول أو العمل، والغَيّة المرةُ الواحدةُ من الغَيّ، وهو الضلال

في القول أو العمل، وعنى بذلك: ود أبوَّتِي بكل حال، سواء كان ولدَ حلالٍ أو حرام، فقصَد بالرشد النكاح، وبالغيّ الزنا. (فيغلبها فحلٌ على النسل): عنى نفسَه، وغلبه للمرأة على النسل يعني خلوص شبه الولد به. (مُنجِب): كثير الإيلاد. (فارجُ مودتي): التفات من الغيبة إلى خطاب المغتاب. (يُقتال منه الترهُّب): أي يُحتكَم عليه بالرهبة ويُنال منه بالقوة، وهو فعلٌ على وزن (يُفتعَل) من القول، يُقال: اقتَل عليّ أي احكُم فيّ بما شئت. (أقول): سيأتي قوله في البيت الذي يليه، وبقية هذا البيت جملةٌ اعتراضية. (فاضت بعينيّ عبرةٌ): سالت من عينيّ الدموع، قال الحق سبحانه ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾[المائدة: ٨٣]. (الأرض تبقى والأخلاء تذهبُ): لطول عمر الأرض بالنسبة للناس جعلها خالدةً، فهو مثل قول زهير[1]:

ألا لا أرىٰ علىٰ الحوادث باقيا   ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا

والأخلاء جمع خليل، وهو الحبيب القريب، وتقدم في القطعة الثالثة والثمانين كثرةُ وصفهم الميت بالخليل. (أخلاءِ): بالحذف ومدّ ياء الإضافة، وهي أجود مِن لغة من روى (أخلايَ)، وكلتاهما صحيحتان. (الحِمام): الموت، وتقدم في القطعة الحادية عشرة. (عتبتُ): تقدم أن العِتاب والتعتّب والمعاتبة اللومُ على سبيل الحُبّ والإدلال، فإذا رضي عنه فتلك العُتبى، ويُقال استعتبَ صاحبَه فأعتبَه، إذا طلب رضاه فناله، قال الحق سبحانه ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴾[فصلت: ٢٤]، أي وإن طلبوا رضا الله فما هم بنائليه. (معتَبُ): ملام.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: رُبَّ إنسانٍ يأكل لحمي بظهر الغيب، ويتنقّص عرضي من وراء الناس، ومع ذلك هو يتمنّى أن كنتُ أباه الذي يُسمَّى به، ووالده الذي يُنسَب إليه، ووَدَّ أني كنتُ نكحتُ أمَّه بحلال أو حرام، فأتى شبيهاً بي، ومعزيّاً إليّ، ثم اسمع -أيها

---

(١) الأشعار الستة الجاهلية (٤٤٢).

الناحتُ أثلتي، والشاتمُ عرضي-: لئن كنتَ تبغي مودتي، وتتطلب وَصلي، فإنما يكون ذلك بالخير لا بالشرّ، وباللين لا بالقوّة، ومَن هذا الذي يُطلَبُ ودّه بالقسر والإجبار والتخضيع!

(٤ـ٥): يقول: أقول -وقد اتصل البكاء مني، وسالت العبرات من عيني، إذ كنتُ أرى الأرض باقية، والإخوان الخُلّص ذاهبة، وأنا لا أملك شيئاً لذلك-: أخلاءِ إني مغلوبٌ على أمري، مغيظٌ في نفسي، لأن الذي أصابكم الموت، ولو كان غيرُ الموت أخذكم لأكثرتُ لكم اللوم، ولكن ما على الدهر ملامٌ في نوائبه، فإنه يصيبُ الشريفَ والوضيع، ويخترمُ الصغيرَ والكبير.

(١٠٠)

وقال عِكرِشةُ أبو الشَّغْبِ: [من البسيط]

١. قد كان شَغْبٌ لَوَ انَّ اللهَ عَمَّرَهُ — عِـزًّا تُـزادُ بـه في عِـزِّها مُضَـرُ

٢. فارَقْتُ شَغْبًا وقد قوَّسْتُ مِن كِبَرٍ — لَبِئْسَـتِ الـخَـلَّتانِ الثُّكْلُ والكِبَـرُ

• **الكشف:**

هو عكرشة بن أربد بن مسحل العبسي، تقدمت ترجمته وترجمة ابنه في كشف القطعة الثانية والثلاثين، وهذان بيتان مشهوران في رثاء ابنه.

• **البيان:**

(شغبٌ): ابني. (لو ان): الأصل فيها قطعُ الهمزة، وقُلِبت وصلاً للضرورة الشعرية، وهو كثير جدا في شِعرهم. (عمَّره): أطال في عمره، قال الحق سبحانه ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ﴾[يس: ٦٨]. (مضرُ): هو عبسيٌّ من قيس، ولكن في انتسابه إلى أبيه الأعلى زيادة فخر، فهو عِزٌّ لقيس بفروعها، وخندف بفروعها، وتقدم في القطعة الثالثة والأربعين نحو ذلك. (قوَّستُ مِن كبرٍ): احدودب ظهري من كبر سنّي، وفي فقده لابنه مع كبره زيادة تحسر وتوجع. (لبئست الخَلّتان): تقدَّم أن الخَلَّة والخِلال، كخَصلةٍ وخِصال وزناً ومعنى، و(بئست) كلمةٌ تُطلَق ويُراد بها الذم، ولحِقَتها تاء التأنيث لأن فاعلها مؤنث. (الثُّكل): فقدُ الولد.

• **العرض:**

(١-٢): **يقول:** لو أن القضاءَ أمهل ابني شغباً ولم يتعجّل بوفاته ويسارع إلى استكماله؛ لكان بقاؤه عِزّاً مُستجَدّاً لقبائل مضر كلها، فيفتخرون به، ويقبلون عليه،

ويدافعون عنه، ولكن مضى عليه قدرُ الله، ففارقتُه وقد صافحني الكِبَر فانحنى ظهري، وانتقص جلدي، ووهنت قواي، وبئست الصفتان المجتمعتان لي: فقد الولد فلا أُمتَّع به، ومضيّ العُمر فأنا متحسِّرٌ عليه.

(١٠١)

وقال لَبِيدٌ: [من الطويل]

١. لَعَمْري لئن كان المُخبِّرُ صادِقًا لقد رُزِئَتْ في حادثِ الدهرِ جَعْفَرُ

٢. أخًا ليَ أَمَّا كُلَّ شيءٍ سألتُهُ فيُعْطي وأمَّا كُلَّ ذنبٍ فيَغفِرُ

• **الكشف:**

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن، شاعر مُجيد مُخضرم، وكان كريماً جواداً كأبيه الذي سُمّي (ربيعة المُقتِرين) لسخائه[1]، ووفد لبيد على النبي ﷺ فأسلم رضي الله عنه وحسُن إسلامه، وهو صاحبُ المُعلَّقة المشهورة.

وقد أكثر لبيدٌ من رثاء أخيه لأمه أربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وكان أربد بن قيس قد قدِم على النبي ﷺ هو وعامر بن الطفيل قبحهما الله، وحاولا قتله فما استطاعوا، ثم توعدا النبيَّ ﷺ وانصرفا، فدعا عليهما، فأما الطفيل فمات بالطاعون في عنقه، وأما أربد فوقعَت عليه صاعقةٌ فأحرقَته، فهذان البيتان مما رثى به لبيدٌ أربدا.

• **البيان:**

(لعمري): بفتح العين، أي لَحياتي، وهو قسَمٌ كثير الجريان على لسان العرب يُقصَد به التأكيد، وتقدم في القطعة الثانية والأربعين. (المُخبِّر): الناعي جعفرا، والمُخبِر بموته. (لقد رُزئت): لقد أصُيبت، وقد اجتمعت في البيت ثلاثُ لاماتٍ زوائد، فأما لامُ (لعمري) فللابتداء، وأما (لئن) فتوطئةٌ للقسَم، وأما (لقد) فجوابُ القسَم. (حادث الدهر): مصائب الدهر. (جعفرُ): أي بني جعفر بن كلاب. (أخاً لي): مفعول لقوله

(١) الشعر والشعراء (١/ ٢٦٦).

(رُزئت)، أي رُزِئَت جعفرُ شقيقاً لي. (فيغفرُ): يستر ويتجاوز، وأصلُ الغَفْر الستر، ثم يُقال: غفر الله ذنبَه، أي ستر عليه وتجاوز عنه، قال الحق سبحانه ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[الشورى: ٣٧].

- **العرض:**

(١-٢): **يقول**: وحياتي لئن كان هذا الذي أخبرَ بموت أخي ورفع صوتَه بنعيه صادقاً، لقد أُصِيبت قبيلةُ جعفر بن كلابٍ كلها فيما حدث من مصائب الدهر واستجدّ من نوائبه، وقد فقدوا أخاً لي كان واسع العطاء، بالغَ الجود، لا يرد السائل، ولا يمنع الطالب، سمح الخليقة، حسن العِشرة، يغضُّ عن سيئات إخوانه الطَّرف، ويبادرُ إلى سيئاتهم العفوَ والصَّفح.

وما استفتَح به الشاعرُ قطعتَه هذه من التشكيك في صدقِ الخبَرِ هو منهجُ غالب الشعراء في تصوير عِظَم النبأ ووقعه على النفوس، فكأنهم لفخامة نفس المتوفى عندهم ودّوا لو يرجعون على ناعيه بالتكذيب، وقد مر هذا المعنى في القطعة الثامنة والثلاثين، والثالثة والثمانين، والسادسة والتسعين، وأحسنَ التعبيرَ عنه أبو الطيب لما رثى أخت سيف الدولة فقال[1]:

طوىٰ الجزيرةَ حتىٰ جاءني خبرٌ ... فزعتُ فيهِ بآمالي إلىٰ الكذبِ
حتىٰ إذا لم يدع لي صدقُه أملاً ... شرقتُ بالدَّمعِ حتىٰ كاد يشرقُ بي

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي (١٦٤٤).

(١٠٢)

وقالت زينبُ بنتُ الطَّثْرِيَّةِ: [من الطويل]

١. أرَىٰ الأَثْلَ مِن بَطْنِ العَقِيقِ مُجاوِرِي ... مُقِيمًا وقد غالَتْ يَزِيدَ غوائِلُهْ

٢. فَتَىٰ قُدَّ قَدَّ السيفِ لا مُتضائِلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وأَباجِلُهْ

٣. إذا نَزَلَ الأضيافُ كان عَذَوَّرًا ... علىٰ الحيِّ حتىٰ تَستقِلَّ مَراجِلُهْ

٤. مَضَىٰ ووَرِثْناه دَرِيسَ مُفاضةٍ ... وأبيضَ هِندِيًّا طويلًا حمَائِلُهْ

٥. وقد كان يُرْوِي المَشْرَفِيَّ بكَفِّه ... ويَبلُغُ أقصىٰ حَجْرةِ الحيِّ نائِلُهْ

٦. كريمٌ إذا لاقيتَه مُتَبسِّمًا ... وإمَّا تَولَّىٰ أشعثُ الرأسِ جافِلُهْ

٧. إذا القومُ أَمُّوا بيتَه فهْوَ عامِدٌ ... لأحْسَنِ ما ظَنُّوا به فهْوَ فاعِلُهْ

٨. تَرَىٰ جازِرَيْهِ يُرْعَدانِ ونارُه ... عليها عَدامِيلُ الهَشِيمِ وصامِلُهْ

٩. يَجُرَّانِ ثِنْيًا خيرُها عَظْمُ جارةٍ ... بصيرًا بها لم تَعْدُ عنها مَشاغِلُهْ

● **الكشف:**

هي زينبُ بنت سلمة بن سمرة العامرية القشيرية، من بني قشير بن كعب من عامر بن صعصعة، والطَّثريةُ أمها، سُمّيت بذلك لأنها من (بني طَثر) من عنز بن وائل، شاعرة إسلامية مُقلّة مُجيدة، وأخوها يزيدُ بن الطَّثرية شاعر حاذق مشهور كذلك، ستأتي ترجمته في باب النسيب.

وزينبُ ترثي بهذه القطعة البديعة أخاها، وتندبه بها، وتذكر كرم فعاله، ومحاسن أخلاقه، وتصفه بالشجاعة والندى.

• **البيان:**

(الأثل): تقدم أن الأثل شجرٌ حسن معروف، يشبه الطرفاء، ويحتمل الماء فليس بسريع اليبس. **(بطن العقيق)**: العربُ تُسمِّي كل وادٍ يجري به السيلُ عقيقا، وعنَت هنا الموضعَ الذي كانت تسكنه. **(مجاوري)**: تتعجبُ من بقاء الوادي والشجر جنبها على ما هو عليه بعد موت أخيها، وكأن العادة أن تتحوَّل الأحوال لموته فلا تعرف من أمرها شيئا! كما سيأتي في القطعة التي تلي تِلوَها. **(غالت يزيد غوائله)**: أهلكَت أخي المُهلِكات، ويُقال لما يذهَبُ بالشيء قد غالَه، قال الحق سبحانه في خمر الجنّة ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾[الصافات: ٤٧]، أي لا تذهَب بالعقول. **(فتىً قُدَّ قَدّ السيف)**: تقدم هذا البيتُ بلفظِه في القطعة الثامنة والثمانين، فإما أن يكون ذلك من باب سرقات الشعراء، (وهذا بابٌ متسعٌ جدا، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه)[١]، فالغالب على مذهب الأولين أنهم يأخذون البيت بلفظه إن أعجبهم، والغالب على مذهب المتأخرين أخذ معنى الأبيات المُعجِبة دون ألفاظها، أو يكون خُلِّط في الرواية بين القطعتين، وهذا كثيرٌ كذلك. **(الأضياف)**: جمعُ قلَّةٍ لضيف، (وذلك أمدَح؛ لأنَّه إذا قرى الأضياف وهم قليلٌ بمراجل الحيِّ أجمع، فما ظنُّك به لو نزل به الضيفان الكثيرون)![٢] **(عذوَّراً على الحيّ)**: العذوَّرُ هنا: السيءُ الخُلق مع قومه، الحادُّ المعاملة لأهل بيته، تريدُ أنه إذا جاء الأضياف يتشدد في الأمر والنهي مع خدمه، ويتعجّل في الإنضاج والطبخ مع أهله، فهَمُّه رضا الأضياف، وهذا تحمَده العربُ مع نزول الضيفان، وقد فعَل هذا صدِّيقُ هذه الأُمّةِ مع أهله لما أتاه ضيوفُه، فغضِب من ابنه وسبَّه لما وجد القومَ لم يأكلوا[٣]. **(تستقلَّ مراجلُه)**: المراجل جمعُ مِرجَل وهي القدر يُهيَّأُ فيها الطعام، تريد أنه لا يهدأ حتى يرى الطعام مُهيّئاً. **(وورثناه)**: أي وورثنا منه.

---

(١) العمدة لابن رشيق (٢/ ٢٨٠).

(٢) الخصائص لابن جني (٢/ ٢٠٨).

(٣) القصة بطولها في صحيح البخاري (٣٥٨١).

(دريسَ مفاضةٍ): الدريس الخلِقُ البالي، والمفاضة الدرع الواسعة. (وأبيض هندياً): أي وسيفاً أبيض من سيوف الهند. (طويلاً حمائله): الحمائل قلائدُ السيف، ووصفُها بالطولِ إشارة إلى طول صاحبها. (يُروِي المشرفيَّ بكفِّه): يُنهِلُ السيفَ بكفِّه من دماء أعدائه، وتقدم بيان المشرفي في القطعة الخامسة والأربعين. (حجرةِ الحيّ): ناحية الحي. (نائلُه): النائل العطاء، فوصفَته في البيت بالشجاعة والندى، ومرَّ مثلُ هذا كثير، وتأمل قرن هذين الوصفين ببعضهما، فقد أبانَ فيهما القولَ شيخُ الإسلام ابن تيمية، وبيَّن أن أمر الدين والدنيا لا يقوم إلا بهما معا، وهما أصل كل خُلق حسن، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة[1]، وسيمرُّ قرن هذين الوصفين كثيرا. (وإما تولى أشعثُ الرأس جافلُه): أي إذا أدبر عنك كان على حاله المعهودة، فهو أغبرُ الرأس، كثيرُ الشعر، لا يهمُّه أمرُ نفسه من لباسٍ وطعام، فهمُّه فوق ذلك، وهذا المعنى تمدحُ به العربُ رجالَها كثيراً فيقولون[2]: (منشقُّ أعطاف القميص)، و(منشقُّ القميص)، و(مخرَّقٌ عنه القميص)، (خلِقُ القميصِ مخرَّقُ الأردان)، (ويغدو في القميصِ المقدَّدِ)، ورُوي في قطعة زينبَ هذه (فتىً لا يرى خرقَ القميصِ بخصره). (أمُّوا بيتَه): قصدوا دارَه، قال الحق سبحانه ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، أي ولا قاصدين. (عامدٌ لأحسن ما ظنوا به): يُقال عمَد إلى فعل كذا، إذا انثنى لقصد هذا الفعل، فهو يقصدُ إلى إكرامهم وفِعل أحسن ظنونهم به. (جازريه): الجازر الذي ينحر الإبل ويهيئها، وجعلهما اثنين على عادة العرب في ذلك. (يُرعَدان): يرجفان من شدة البرد، وأجودُ ما يكون الكرمُ إذا حلَّ البرد. (عداميل الهشيم وصاملُه): العداميل جمعُ عدمول، وهو الخشب الغليظ العتيق، والصامل من الخشب اليابس، وهذه صفةٌ لحطبِ ناره. (يجُرّان ثنياً): أي أن الجازرين يجرّان ناقةً ثِنيا، والثِّنيُ ما ولدَت بطنين، وهي مما يُضَنّ بها،

---

(١) انظر: السياسة الشرعية (٤٦)

(٢) انظرها على التوالي في: القصيدة (١٩) من الأصمعيات، ديوان الفرزدق (٢/ ٢١١)، ديوان الحماسة (٢/ ٢٧٧)، (الوحشيات ٨٨)، ديوان الحماسة (١/ ٣٩٨)، وغير ذلك كثير.

فهو أمارةٌ على كرمه. (عظمُ جارةٍ): يعني عظم الناقة الذي يصيرُ بلحمه إلى جارته، ولم تعن جارةً بعينها، بل تريد شمولَ تفقّده لجاراته. (لم تعدُ عنها مشاغلُه): لم تُنسِه المشاغلُ إطعامَ جاراته وتفقدهنّ.

العرض:

(١ـ٣): **تقول**: أرى شجر الأثل في بطن العقيق ما زال قائماً على حاله بجواري، وكان ينبغي للأماكن أن تتغير، والأحوال أن تتبدل، والمعالم أن تختلف، إذ إن أخي يزيد قد نادَته الحتوف، واختطفَته المنايا، وقد كان يزيدُ حسنَ الهيئة، ممشوقَ القوام، كأنما هو السيفُ في حدته ومضائه وعزمه، ليس بالنحيل الضعيف، ولا بالسمين العاجز، بل هو المقدَّم في كل أمر، والسابق إلى كل خير، وكان إذا نزل به الأضيافُ يقوم على قِراهم بنفسه، ويقف على ضيافتهم في بيته، فتراه يتشدد في الأمر والنهي، ينهرُ الخدم، ويستحثّ الطهاة، ويتعجّل القِرى، فلا يهدأ حتى يرى الأكل مهيئاً، والطعامَ مُعدّا.

(٤ـ٧): **تقول**: قضى أجله، ومضى لمصيره، وورثنا منه درعاً واسعة قديمة، وسيفاً صارماً طويلَ الحمائل لطول صاحبِه، فلم يكن شأن يزيد إلا خوض غمار الحروب، ومقارعة الأعداء، ومطاعنة الفوارس، يُعطي السيفَ حقَّه إذا أعملَه في إقدام وشجاعة، كما أنه يُكرم قومه بالعطاء والأرفاد في جودٍ وسماحة، وإذا رأيته مقبلاً عليك رأيته راضياً متبسماً مشرقَ الطلعة، فإذا أدبر عنك تنبهتَ أنه أغبرُ الرأس، خلِقُ اللباس، فهو لا يهمه أمر نفسه من طعام وشراب ولباس، وإنما همُّه جسائمُ الأمور التي تكسبه شرف الفعال وجمال الأخلاق، ولا يقصدُ الناسُ بيتَه طالبين، ويزورونه في داره سائلين، إلا وجدوا منه خيراً مما يظنون، وآنسوا منه أفضل مما يرجون.

(٨ـ٩): **تقول**: وإذا اشتدَّ الزمانُ، وعمَّ البردُ، وشمِل القَحط؛ كان له جازران ينحران أحسن نوقه، وأطيب إبله، ثم يطبخان بناره العظيمة التي لها وقود من الحطب الغِلاظ العظيمة، وتراه بعد ذلك يُقسِّم اللحم على قومه، ويتفقد الجوعى من جيرانه، فلا تبقى جارة إلا ونالها من طعامه نصيب، فقد كان خيره وافرا، وفضله عميما.

(١٠٣)

وقال النَّابِغةُ الجَعْدِيُّ: [من الطويل]

١. ألم تَعْلمي أني رُزِئْتُ مُحارِبًا فما لكِ منه اليومَ شيءٌ ولا لِيَا

٢. ومِنْ قَبْلِهِ ما قد رُزِئْتُ بوَحْوَحٍ وكان ابنَ أمي والخليلَ المُصافِيَا

٣. فَتًى كَمَلَتْ خَيْرَاتُه غيرَ أنه جَوَادٌ فما يُبقي مِنَ المالِ باقِيَا

٤. فَتًى تَمَّ منه ما يَسُرُّ صديقَه علىٰ أنَّ فيه ما يَسوءُ الأعادِيَا

- **الكشف:**

هو أبو ليلى قيس بن عبدالله بن عُدس العامري الجَعدي، من بني جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من قيس عيلان، شاعر مخضرم مجيد، وصحابي معمر جليل، وكان نبَذ الخمور وهجَر الأوثان قبل الإسلام، وهو من نوابغ العرب الثلاثة الذين نبغوا في الشعر وجوَّدوه على كِبَر، وهم نابغة بني ذبيان، ونابغة بني شيبان، ونابغة بني جعدة رضي الله عنه.

وهذه القطعة يحدّثُ بها زوجتَه وقد مات ابنهما محارب، ويصبّرها، ويذكرها بأخيه وحوح الذي مات على كرمه وشجاعته.

- **البيان:**

(ألم تعلمي): خطاب لامرأته. (رُزئتُ): أُصِبتُ وفُجِعتُ، وتقدَّم. (مُحارباً): ابني. (ما قد): ما زائدة للتوكيد. (بوحوحٍ): هو أخو النابغة الجعدي، قُتِل في الجاهلية فرثاه أخوه بأشعار منها هذه القطعة. (والخليل المُصافيا): تقدَّم كثيراً في هذا الباب ما جرت عادة العرب به من من وصف الميت بالخُلَّة والقرب، وقوله (المصافي) أي

الذي صفَت مودّتُه. (كملت خيراتُه): استوفى خصال الخير كله. (غير أنه جواد فما يُبقي على المال): هذا الاستثناء مدحٌ في صورة الذم، فيستوفز السامع بابتداء الاستثناء ثم يُقِرّ عينَه بالمدح، نحو قول الحق سبحانه ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾[التوبة: ٧٤]، ومن مثاله المشهور قول النابغة الذبياني[1]:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

(فتى تمَّ فيه...): هذا استثناءٌ مثل الذي قبله في سياق المدح بصورة الذم، فقد تقدم في القطعة الثانية والثلاثين أنهم يحمدون الرجل إذا كان سَهلاً لمحبيه، صَعباً على أعاديه، (وليس هذا الاستثناءُ على ما رتبه النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء المعروفة، وإنما سُمّي استثناءً اصطلاحاً وتقريبا)[2]، وفي البيت مقابلة ظاهرة.

- **العرض:**

(١-٤): **يقول:** أما علمتِ إني فقدتُ ابني محارباً وفُجِعت به، فلا أنا انتفعتُ ببقائه، ولا أنتِ استمتعتِ بحياته، ولم يكن لنا فيه نصيب، وليست هذه بأول حادثةٍ تُصيبني، ولا أول نائبةٍ تفجعني، فإني فُجِعتُ قبل ذلك بأخي وَحوَح، وقد كان نسيباً قريبا، وخليلاً حبيبا، وكان قد استكمل خصال الخير كلها، واستوفى منازل الكرم جميعها، غير أنه كان لسعةِ جوده وفيضِ إحسانه لا يُبقي من المال شيئا، ولا يرى صديقُه فيه إلا ما يسرُّه، فهو متصل الخير، دائمُ البر، كما لا يرى عدوُّه منه إلا ما يكرهه، فهو بالغُ الشجاعة، صعبُ الجانب.

(١) الأشعار الستة الجاهلية (٢٣٥).
(٢) العمدة لابن رشيق (٢/ ٤٨).

(١٠٤)

وقال الأُبَيْرِدُ اليَرْبُوعيُّ: [من الطويل]

١. ولَـمَّـا نَعَىٰ الناعي يَزِيدَ تَغوَّلتْ — بِيَ الأرضُ فَرْطَ الحُزْنِ وانقطعَ الظَّهرُ

٢. عساكِرُ تَغشىٰ النفسَ حتىٰ كأنني — أخـو سَـكْرةٍ دارَتْ بهامتِـه الـخـمرُ

٣. فتًىٰ إنْ هو استَغْنىٰ تَخرَّقَ في الغنىٰ — وإنْ قَـلَّ مـالًا لـم يضَـعْ مَتْنَه الفقرُ

٤. فتًىٰ لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقضي ذِمامَه — إذا نـزَل الأضيـافُ أو تُنْحَرَ الـجُـزْرُ

- **الكشف:**

هو الأبيرد بن المعذِّر التميمي الرياحي، من بني رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر بدوي إسلامي، كريمٌ عزيزُ النفس، مات أخوه بُرَيد فرثاه في قصيدةٍ رائيةٍ حسَنة، وهي مشهورة أوردها اليزيديُّ في أماليه وغيره[١].

واختار أبو تمام منها هذه الأبيات التي تصحّف فيها بُرَيد إلى يزيد.

- **البيان:**

(نعى الناعي): تقدم غير مرة أن النِّعاء والنعيّ خبرُ الموت الذي يسير به المُخبِر بين القبائل. (يزيد): صوابه بُرَيد التميمي، فيكون مصروفاً في البيت (بُريداً). (تغوَّلَت): تحوَّلَت وتبدَّلَت، مأخوذ مِن الغُول، والعربُ تزعمُ أن الغُولَ ضربٌ من الشياطين كثيرُ التحوّل والتقلّب، فتضرب بالغول المثل في التلوّن والتقلب (كما تلوّنُ في أثوابها الغولُ)[٢]! (فرطَ الحُزن): مفعول له منصوب، أي لأجل فرط الحُزن، والفرط

---

(١) أمالي اليزيدي (٢٨).

(٢) الشعر والشعراء (١/ ١٥٣)، وأمالي المرزوقي (٨٣).

الإسراف في الأمر. (وانقطع الظهرُ): خصَّ الظهر لأنه صلبُ الإنسان وبه قوامه، فإذا انقطع فكأنه هلك. (عساكرُ): شدائد، جمعُ عَسكَرة وهي الشِّدَّة. (أخو سكرةٍ): رجل سكران، كما قالوا: (أخو عِلم) للعالم و(أخو حروب) للفارس و(أخو قنَص) للصائد ونحو ذلك. (بهامته): برأسه. (استغنى): صار غنياً. (تخرَّق في الغِنى): توسَّع في غناه وتكرَّم، مِن الخَرق وهو الثقب، ومنه قيل للرجل الكريم خِرق، لأنه يتخرَّق بالمعروف، أي يتوسع به. (قلَّ مالاً): أي وإن قلَّ الفتى مالاً، منصوب على التمييز، ورواه المرزوقي بالرفع (مالٌ) يعني قل ماله. (لم يضَع متنَه الفقرُ): لم يورثه الفقر ذلاً واستكانة وانكسارا. (الرِّسل): اللبن. (يقضي ذِمامَه): يفي بحقِّه. (تُنحرَ الجزرُ): الجُزر الإبل، وانتصب الفعلُ بإضمار أن.

- **العرض:**

(٤ـ١): **يقول:** لما سمعتُ خبرَ موت أخي بريد تلوَّنت الأرضُ في عيني، واسوّدَت المعالمُ في وجهي، واشتدَّ حُزني عليه حتى أنكرتُ كلَّ شيء، وحتى انقطع ظهري وخارت قواي، وغشِيَت نفسي أنواعُ البلاء، وتواردَت عليّ أشكال الهموم، فزال عقلي لذلك، حتى صرتُ كأني سكران هبَّت الخمرُ في رأسِه فلعِبَت به، ولقد كان بُريدٌ نِعمَ الفتى، فهو إن تموَّل واتسع غناه أعقبَه ذلك سعةً في المعروف وإجزالاً في العطاء، وهو إن قل ماله وافتقر لم يورثه الإقلالُ خضوعاً وذلة، فأكرِم به في الحالين، وكان إذا نزل به الأضياف لا يرى اللبنَ يقضي قِراهم ويفيهم حقَّهم، بل لا يتركهم حتى ينحر الجزور إكراماً لهم واحتفاءً بهم.

(١٠٥)

وقال سَلَمةُ الجُعْفيُّ: [من الطويل]

١. أقولُ لنفسي في الخَلاءِ ألومُها: لكِ الويلُ ما هذا التجلُّدُ والصبرُ

٢. ألم تعلمي أنْ لَسْتُ ما عِشتُ لاقيًا أخي إذْ أتىٰ مِن دُونِ أوصالِه القبرُ

٣. وكنتُ أرىٰ كالموتِ مِن بَيْنِ ليلةٍ فكيف ببَيْنٍ كان مِيعادَه الحَشْرُ

٤. وهَوَّنَ وَجْدي أنني سوف أغتدي علىٰ إثْرِه يومًا وإنْ نُفِّسَ العُمْرُ

٥. فتًىٰ كان يُعطي السيفَ في الرَّوْعِ حَقَّه إذا ثَوَّبَ الداعي وتَشْقَىٰ به الجُزْرُ

٦. فتًىٰ كان يُدْنِيه الغِنَىٰ مِن صَدِيقِه إذا ما هو استغنىٰ ويُبعدُه الفقرُ

- **الكشف:**

هو سلمةُ بن يزيد بن مشجعة المذحجي الجُعفيّ، من بني جُعفيّ بن سعد العشيرة بن مذحج، صحابي جليل، وشاعر مخضرم، وفد على النبي ﷺ وحدَّث عنه، رضي الله عنه.

وهذه القطعة يرثي فيها أخاه لأمه قيس بن سلمة، ويصبّر نفسَه على فراقه، ثم يذكر مِن مآثر أخيه ما يهوّن به المصاب، ويخفف به الحادثة، وقيل إنها في رثاء شقيقه قيس، وهي قريبة من القطعة السابقة لفظاً ومعنى، وهذا من بصَر أبي تمام في تبويبه.

- **البيان:**

(أقول لنفسي): سيأتي قوله في الشطر الثاني. (لك الويل): تقدم أنها كلمةٌ تُطلِقها العربُ ولا تريد بها حقيقتها من الدعاء، إنما تريد التعظيم والتهويل. (التجلّد): إظهار الاحتمال وتكلّف الصبر. (الصبر): حبس النفس عما لا يجمل بها من الجزع. (ألم تعلمي): يخاطب نفسَه. (أتى من دون أوصاله القبر): الأوصال الأعضاء المتصلة،

والمعنى: إذا حال بيني وبين أعضائه القبر، وذكر الأعضاء زيادة في التفجع. (بينِ ليلةٍ): فراق ليلة، والبَينُ هنا الفراق، وتقدَّم أنه من الأضداد. (ميعاده): أي ميعاد انقضائه. (وهوّن وَجدي): وخفَّف حُزني، والوَجدُ الحُزن من فِقدان شيء. (سوف أغتدي على إثره): سأموت ويحين أجلي كما حان أجله، وكذا حال كل إنسان. (نُفِّس العُمر): أُطيل أجلي ومُدَّ فيه. (يُعطي السيفَ في الرَّوع حقَّه): الرَّوع الحرب، وإعطاءُ السيف حقَّه: تفليقُ الهامات، وإراقة الدماء، ودفاع الأعداء. (ثوَّب الداعي): أراد بالداعي المُستنصِر المُستصرخ في الحرب، الذي يدعو: يا لفلان! يا لفلان! والتثويبُ التكرار والإعادة. (وتشقى به الجزرُ): هو كما تقدم في القطعة السابقة، فالجُزر الإبل، وشقاؤها به: أن ينحر مِنها كلما نزل به ضيف. (يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى): أي أنه إذا كثُر ماله اتسعَ جودُه، فإن التفرَّد بالغنى لؤم، وما زائدة للتوكيد، ومرَّ هذا المعنى في القطعة السابقة. (ويُبعِده الفقرُ): أي أنه إذا افتقر يحتجب عن أصدقائه، ولا يُظهر لهم حاله، وذلك لتعففه وكرمِ نفسه.

- **العرض:**

(**١-٤**): **يقول**: إني أرى نفسي صابرةً فأرجع عليها -إذا خلوتُ بها- باللوم والتأنيب، وأقول لها معاتباً: حل بك الويل! كيف تُظهرين التجلّد وتتكلفين الصَّبر والذي أصابكِ جلل! أما علمتِ أنني لن ألاقي أخي ما حييت؟ ولن أتمتع به ما بقيت؟ فقد حال بيني وبينه القبر، وحجز بيني وبينه الثرى، وكنتُ إذا فارقتُه ليلةً واحدة وجدتُ لذلك الهم والغمّ، فكيف أصنعُ بفراقٍ لا نجتمع بعده إلا في ساعة الحشر! ولكن مما يخفف حزني عليه، ويهوِّن مصابي به أني سوف أتبعه ويحين أجلي وإن طالت سلامتي ومُدَّ عمري.

(**٥-٦**): **يقول**: وكان أخي إذا حضر الوغى تصوَّر للسيفِ عليه حقًّا، فجاهد نفسَه في توفير ذلك الحق بإراقة الدماء ومطاعنة الأعداء، وكان أول المجيبين للداعي،

والمغيثين للصارخ، وأما إذا كان وقت الأضياف فلا تراه إلا بالغاً أعلى منازل الإكرام والضيافة، وترى إبلَه شقيّةً مما ينحرها كلما حل به ضيف، وكان إذا استغنى بسَط معروفَه على قومه، ونشَر إحسانه على جيرته، فإن التفرد بالغنى مذموم، (وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُه)[1]، وإذا ما افتقر احتجب عن رفاقه، وابتعد عن أصدقائه، من أجل أن لا يكون في التعرض لهم أمارةُ ذلّ الحاجة والسؤال، ولكنه يمضي على وجهه عفيفاً كريماً فلا يَعرفُ بافتقاره أحد.

---

(١) مرَّ هذا الشطر ببيانه في باب الحماسة، في القطعة الحادية والثلاثين.

(١٠٦)

وقالت عَمْرةُ الـخَثْعَمِيَّةُ: [من الطويل]

١. لقد زَعَموا أني جَزِعْتُ عليهما ... وهـل جَـزَعٌ أن قلـتُ: وا بِأباهُمـا

٢. هما أَخَوَا في الحربِ مَنْ لا أخَا لَهُ ... إذا خـاف يومًـا نَبْـوةً فدَعَـاهما

٣. هما يَلْبَسانِ الـمَجْدَ أحسَنَ لِبْسةٍ ... شَـحِيحانِ ما اسْطاعا عليه كِلَاهما

٤. شِهَابان مِنَّا أُوقِـدا ثُـمَّ أُخْمِدَا ... وكان سَـنًا للمُدْلِجِـين سَـنَاهما

٥. إذا نَزَلَا الأرضَ المخُوفَ بها الرَّدَىٰ ... يُخفِّضُ مِن جَأْشَـيْـهمـا مُنْصُلاهما

٦. إذا استَغْنَيا حُبَّ الجميعُ إليهما ... ولـم يَنْأَ عـن نَفْـعِ الصديـقِ غِنَاهمـا

٧. إذا افتَقَرَا لم يَـجثُما خَشْيةَ الرَّدَىٰ ... ولـم يَـخْـشَ رُزْءًا منهمـا مَوْلَـيَاهما

٨. لقد ساءني أن عَنَّسَتْ زَوْجَتاهما ... وأنْ عُرِّيَـتْ بعـد الوَجَـىٰ فَرَسَـاهما

٩. ولن يَلْبَثَ العَرْشانِ يُستَلُّ منهمـا ... خِيـارُ الأَواسـي أن يَمِيـلَ غَمَـاهُما

• **الكشف:**

هي امرأة جاهليةٌ من بني خثعم تُعرَف بهذه القطعة الدامعة التي ترثي فيها ابنيها وقد قُتِلا في بعض الغزوات، وقيل هما أخواها، فتذكر بأسَهما في الحرب، وشرفَهما في القوم، وخُلقَهما في الناس، وتصفهما بالشجاعة والندى، وتندبهم لذلك.

ومن نظَر إلى لهجات العامة المتداولة اليوم؛ رآهم قد استغنوا عن المثنى بالجَمع مُطلقا، فإذا ما عمد أحدهم إلى الكلام بالفصحى اعتاصَ عليه باب المثنى، حتى إنك لتجد الرجل يقيم أبواباً من النحو صحيحةً على سجيته، ثم لا يُحسن أن يصنع ذلك في المثنى إذا التبسَت عليه الضمائرُ وافترقَت به الأساليب! ودواءُ ذلك أن يسمع التعابير

الفصيحةَ في هذا الباب وينظر فيها ويتأملها، ثم يبني عليها ويقيس، ومِن خير ما يُسمَع ويُحفَظ هذه القطعة التي حوَت غالب أحكام المثنى وصوره، ونحوها القطعةُ الثالثة والثمانون.

- **البيان:**

(زعموا): الزَّعم الادّعاء، وكثيراً ما يُستعمل فيما هو باطل أو فيه ارتياب، وقد يُستعمل في الحق المعلوم، وكلُّ مواضعه في القرآن متوجّهةٌ لذمِّه، نحو ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ ﴾[التغابن: ٧] وغير ذلك، وهي هنا تنفي عنها الجزع خشيةَ الشامتين. (جزعتُ): تقدم أن الجزع قلةُ الصّبر والضعفُ عن احتمال المصيبة. (وا): حرفُ نداء يُقال عند التوجّع والندب. (بأباهما): أرادت بأبي هما، فقلبت الياءَ ألفاً تخفيفا، وهي أخف على اللسان وأقرب لصوتِ البكاء، وهذا البيت من شواهد النحو في القَلب. (أخوا في الحرب من لا أخا له): قولها (في الحرب) شبهُ جملة اعتراضية، والمعنى أنهما أخوا مَن ليس له أخ في ساحة الحرب، وهذا شاهد نحويٌّ على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بشبهِ الجُملة في الشِّعر، وقولها (أخا) بالألف على نيّة الإضافة. (نبوة): ذلة وضعفا. (يلبسان المجد): استعارة لبلوغهم مراتب المجد، والعربُ تستعير اللباس للتمتع بالشيء، فتقول: لبستُ كذا أي تمتعتُ به. (لِبسة): اسم هيئة للباس، وتقدم بيانه في القطعة الثانية. (شحيحان): لا يريدان أن يسبقهما في المجد أحد، فهما يضِنّان به على الناس. (ما اسطاعا عليه): أي ما استطاعا على المجد، فتحذفُ العربُ التاء أحياناً لقرب مخرج الطاء منها، ومنه قول الحق سبحانه ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ ﴾ [الكهف: ٩٧]. (شهابان منا أوقدا): الشهابُ الجِرم المضيء، كجذوة النار والكوكب، قال الحق سبحانه ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴾[الصافات: ١٠]، وقولها (أوقدا) زيادة في وصف ضوئهما. (ثم أخمدا): زال ضوؤهما وخبا وهجهما بموتهما. (سنا): ضوء، ومنه ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[النور: ٤٣]. (للمُدلجين): للسائرين ليلا، وفي هذا

إشارة إلى نارهما الموقدة للضيفان بالليل فيستضيء بها الطارقون. (المخوف بها الرَّدى): التي يُخاف فيها من الموت. (يُخفِّض من جأشيهما): يُهدِّئ من روعِهما، ويسكِّن من قلقهما. (مُنصُلاهما): تريد سيفيهما، والمنصُل السيف، من باب تسمية الشيء ببعضِه، وهو حقيقةٌ في النصل القائم. (استغنيا): أصابهما الغنى، ومر هذا اللفظ بمعناه في القطعتين السابقتين، وأظن أبا تمام قصَد هذا المعنى فأورد القطع هذه متتالية. (حُبَّ الجميعُ إليهما): حُبِّب جميعُ العشيرة إليهما، فبسطوا معروفَهما فيهم، ورواية المرزوقي (حَبَّ) أي حبَّب، والأُولى أَولى. (ولم ينأ): ولم يبعد. (لم يجثُما خشيةَ الردى): لم يجلسا لازمَين بيوتهما خوفاً من الموت. (رُزءاً): مصيبةً وثِقلا. (مولياهما): تقدم في القطعة السادسة والعشرين أن المولى له معاني منها القريب كما هو هنا، ولم تقصد بالموليين التثنية بل أرادت الكثرة. (عنَّسَت زوجتاهما): يُقال عنَست المرأةُ وعنَّسَت إذا قعدَت بعد بلوغ النكاح أعواماً لا تُنكَح، وأرادت هنا المعنىٰ الكلي من بقاء الزوجتين بلا زوج بعد مقتل زوجيهما. (عُرِّيت): تعريةُ الفرَس نزعُ آلته من سرجٍ ولجام. (الوجىٰ): يُقال وجِي الفرس وَجاً إذا حفِيَ واشتدَّ مشيه، تصفهما بكثرة الغزو. (العرشان): جعلَت لكل واحد منهما عرشا تنبيهاً علىٰ شرفهما ومجدهما، والعرشُ هنا البناء المسقوف، ومنه قول الحق سبحانه ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[البقرة: ٢٥٩]، وكنَّت بالعرشين هنا عن عزّ قومها ومجده. (يُستلّ منهما): يُنتزَع منهما برفق. (خيار الأواسي): الأواسي جمع آسيّة، وأرادت أعمدة البناء وقوائم العرش، وهي كناية عن المرثيَّين. (يميل غَماهما): يسقط سقفهما، والغَما السقف.

- **العرض:**

(٤ـ١): تقول: لقد سمعتُ الناس يتذاكرون أمري، ويقولون: (ما لهذه جازعةٌ من موت ابنيها)؟ وما كنتُ جازعة! وهل من الجزع أني ندبتهما وقلتُ: وبابأهما! وكيف لا أندبهما وقد كانا نِعم الناصر في الحرب، وخيرَ العُدة في الوغى، وإذا لم يكن للرجل ناصرٌ في النزال لم يدعُ أحداً غيرَهما، فإنهما يكفيانه أمره، وقد اكتسبا المجد من

كل أطرفاه، ولبساه على اختلاف ثيابه، وكانا يضنّان به فلا يتركناه لأحدٍ ينازعهما فيه، فهما أحق به من كلٍّ أحد، وقد كانا في قومنا كالشهابين المضيئين، فهما الحاضران في المجالس، والمُكرِمان للضيفان، والسابقان بالخيرات، إلا أنهما لم يُمهَلا للتمام والكمال، فوافتهما المنيّةُ في شبابهما.

(٥ـ٧): تقول: وكانا صابرَين في دار الحفاظ، فإذا نزلا أرضاً مخوفةً طردا عنهما القلقَ بالتصبر بسلاحهما، والخوفَ بالتثبّت بسيوفهما، فهما لا يعتمدان في الشدة على غيرهما، ولا يستنصران إلا عُدَّتهما، وكانا إذا نالا الغِنى، وأيسَر حالُهما؛ حُبِّبَت العشيرةُ إليهما، فبُسِط منهما المعروف، وعمَّ بهما النفع، ولم يقتصرا في الإحسان على قومهما بل شمِل كلَّ صاحب حاجة من الأصدقاء، وكانا إذا مسَّهما الفقر، وألَمَّت بهما الحاجة؛ لم يكونا من اللازمِين بيوتهم، القاعِدين في مساكنهم، بل يخرجان طالبان الغزو، وساعيان للرزق، وكأنَّ ضرّاً لم يُصبهما! وليسا ممن يحمل أقاربَه الفقر، ويثقل عليهم التكاليف، بل هما كريمان متعففان، فقد ساءني لما تغيرت الأحوال، فأمست زوجتاهما عانستين زاهدتين في النكاح بعدهما، وأمست فرساهما لابثتين بلا سرج ولا لجام بعد طول غزو وحروب، فقد زال عنا مجدهما وعزهما بموتهما، وكذلك كلُّ بناءٍ ما يلبث أن تميل أعمدتُه ويخرَّ سقفُه.

وكلُّ حصنٍ -وإن طالَت إقامتُه- عَلىٰ دعائمِه لا بدَّ مهدومُ![1]

---

(١) المفضليات، القصيدة (١٢٠) لعلقمة بن عبدة.

(١٠٧)

وقال الشمَّاخُ بنُ ضِرَارٍ: [من الطويل]

١. جَزَىٰ اللهُ خيرًا مِن أميرٍ وبارَكَتْ يـدُ اللهِ في ذاكَ الأديـمِ الـمُمـزَّقِ

٢. فمَنْ يَسْعَ أو يَرْكَبْ جَنَاحَيْ نَعامةٍ ليُـدرِكَ مـا قدَّمْـتَ بالأمـسِ يُسْـبَقِ

٣. قضَيْتَ أمورًا ثم غـادَرْتَ بعدَها بوائِـجَ في أكمـامِها لـم تُفَتَّـقِ

٤. أبَعْـدَ قتيلٍ بالـمدينة أظلَمَتْ لـه الأرضُ تَهتـزُّ العِضَـاهُ بأسـؤُقِ

٥. تَظَلُّ الـحَصَانُ البِكْرُ يُلقِي جَنِينَها نَثَـا خـبرٍ فـوقَ الـمَـطيِّ مُعلَّـقِ

٦. وما كنتُ أخشىٰ أن تكونَ وفاتُه بكَفَّـيْ سَـبَنْتَىٰ أزرَقِ العيـنِ مُطْـرِقِ

● الكشف:

هو معقل بن ضرار بن حرملة الغطفاني الذبياني، الشاعر الفحل المخضرم المشهور، كان شديدَ متون الشِّعر، وهو من أجود أهل طبقته وَصفا، وله في وصف حُمر الوحش مقاطعُ بديعة، وكان سريعَ البديهة في الرجز، مصيباً للمعاني الحسان، وكان له أخوان شاعران مشهوران كذلك، وهما المزرّد وجَزء، ونُسِبت هذه القطعةُ لكل واحدٍ منهم، رضي الله عنهم.

وهذه الأبيات في رثاء أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فهو أعظمُ مرثيٍّ في هذا الباب، يليه الحسين رضي الله عنه في قطعة ابن قتة، وكان من شأن عمر ما اشتهر في صلاته الفجرَ بالنَّاس، فتخلَّص إليه أبو لؤلؤة المجوسيُّ غلامُ المغيرة بن شعبة فطعنه في صلاته، وقد كان يترصَّد له قبل ذلك، فما لبثت المنيةُ أن أنشبَت أظفارها بعُمر رضي الله عنه ورحمه.

• **البيان:**

(وباركَت يدُ الله): أصلُ البركةِ النماءُ وزيادةُ الخير، فهو يدعو بالخير -من الله- لعمر رضي الله عنه. (الأديم الممزَّق): الأديمُ الجِلد، وقصَد بالجِلد الممزَّق جسدَ عمر رضي الله عنه بعد طعن الخبيث له. (أو يركب جناحي نعامة): مثلٌ أراد به أن عمر لا يُدرَك شأوُه ولو على جناح نعامة! والعربُ تضربُ بالنعامة المثلَ في الإسراع، فيقولون (أندُّ من نعامة)، ويقولون لمن جدَّ في أمر (ركِبَ جناح نعامة)[1]. (قدَّمتَ بالأمس): من بِرٍّ وطاعة وإحسان فيما مضى من حياتك. (يُسبَق): أي تكون أنت -يا عمر- سابقَه لا محالة، وهذا جوابُ الجزاء. (بوائج في أكمامها لم تُفتَّق): دواهي في أغطيتها لم تنكشف، فالبوائج الدواهي والأمور الجسيمة، والأكمام الأغطية، قال الحق سبحانه ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾[فصلت: ٤٧]، والفَتقُ الانكشاف والاتساع، ضد الرَّتق وهو الالتئام والتضييق، قال الحق سبحانه ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[الأنبياء: ٣٠]. (أظلمَت له الأرض): هذا على ما تقدَّم من توهُّمهم تغيرَ المعالم وتبدّلَ الأحوال لموت عظيم. (تهتزُّ العِضاهُ بأسوُقِ): العِضاه كلُّ شجر يعظُم وله شوك، وأسوُقها جذوعها وسيقانها، وفي البيت تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: أيحقُّ للعضاه على أسوُقها أن تهتز كما هي بعد قتلِ مَن أظلمَت لموته الأرض!؟ وهذا كما مرّ في مطلع القطعة الثانية ومئة من استنكارهم بقاء الشجر على حاله، إذ كان الحكمُ عندهم أن تتغير الأمور، وتتقلَّع الأشجار، وتتساقط الأوراق. (الحَصان): المرأة الحَصان والمُحصَنة العفيفةُ ذات الزوج، ومنه ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [النساء: ٢٥]. (البِكر): البِكر هنا التي حملت أول مرة، فيكون ولدها بكرا، ولم يُرِد البكر التي لم تتزوج. (يُلقي جنينَها نثا خبر): أي أنها إذا سمِعت خبرَ الموت هذا ألقَت جنينها لهول الفاجعة، فهو نحو قول ربنا تبارك وتعالى ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج: ٢]، إلا أنَّ الحال يوم

---

(١) مجمع الأمثال (٤٣٢٣) و(١٥٨٢).

القيامة أشد، بل أين هذا من هذا؟ سلمنا الله ونجانا، وقوله (نثا خبر) النثا الكلامُ الظاهر المُعلَن خيراً أو شرًّا. (فوق المطيِّ مُعلَّق): المطيُّ الإبل المركوبة، كأن الخبر -لسرعة انتشاره- معلَّقٌ فوق المطايا فالركبان تسير به في كل واد! (بكفي سَبنتى): بيدي غلامٍ جريء متهور. (أزرق العين): كناية عن عجمته، وخسة أصله. (مُطرق): ثقيلُ الأجفان، مسترخي الأهداب.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: جزى الله أميرَ المؤمنين عمرَ خيرَ ما جزى أميراً عن رعيَّته، وبارك اللهُ في ذلك الجسدِ الممزق المطعون، فكم أسدى للأمة من إحسان، ومَن أراد أن يسعى سعيَه ويبلغ شأوَه فلا يطمع في ذلك، فإن أحداً لا يرتقي مرتقاه ولو على جناح نعامة! ولقد أحكمتَ -يا أمير المؤمنين- أموراً بصائبِ نظرك، وحُسن تدبيرك، وجميل رأيك، ثم وافَتك المنيةُ فتركتَ الناسَ بعدها للخطوب العظيمة التي لم تكن لتظهر، والأمور الجسيمة التي لم تكن لتنكشف، فيا أسفا على فراقك!

(٤-٦): يقول: وكيف للأشجار أن تهتزَّ والأوراقِ أن تزهوَ وقد أظلمَت المدينةُ لموت أمير المؤمنين! أما كان الأولى بالأشجار أن تتقلع؟ وبالأوراق أن تتساقط؟ وأنت ترى الحامل من النساءِ تُسقِط حملها وتقذفُ به من هول الواقعة التي سار بها الركبان لعظمها، وامتلأت منها الأقطار لهولها، وإني -وإن كنتُ أرقبُ أسبابَ الردى فيه، ولا آمَنُ الموتَ عليه- لم يخطر ببالي أن يكون في جلالته وارتفاع محلِّه يُرديه عبدٌ جسور، ويُصيب منه غلامٌ لئيم، أزرقُ العينين، ثقيلُ الأجفان، فيا لعِظَم الرزية!

وتأمل كيف كرِهَ الشاعرُ أن تكون ميتة عمر رضي الله عنه على يد عبد أعجمي، فإنهم كانوا لا يرون للجليل العظيم العربي من الناس كفؤاً يقتله إلا الجليل العربي مثله، فهذا ميزانُ الشاعر للأمور على ما اعتادته العربُ في ذلك، أما عمرُ رضي الله عنه فكان له ميزانٌ من الإيمان مختلف! فإنه قال لما عرف من طعنه (الحمدلله الذي لم يجعل

ميتتي بيد رجلٍ يدّعي الإسلام)[1]، وذلك -كما صرَّحت به الروايات الأخرى- أنه أراد ألا يقتله إلا كافر ليكون مخلَّداً في النار، ولا يريد لمسلمٍ أن يبوءَ بإثمه، وهذا طرَفٌ تعلمُ به فضلَ الصحابة وعلمَهم وفقهَهم، فما أعظمَ الوحي الذي غيَّر موازين النظر عند الصحابة!

هذا -بفضل الله ومنته- تمام شرح باب المراثي من هذه الألفية، وعِداده فيها (١٥٣) بيتا، وهو أشجىٰ الأبواب وآلَـمُها، ويتلوه باب الأدب.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٠).

بابُ الأَدَب

أصل الأذب جمعُ الناس ودعوتهم لنحوِ طعام، فيُقال للداعي آدِب وللوليمة مأدُبة، ومنه اشتُقَّ الأدَبُ المقصود هنا، وهو ما يُدعى إليه من كريم الفعال وحسَن المآثر، واجتمع الناسُ على استحسانه، ومن استعماله بهذا المعنى قولُ الحماسي[1]:

كذاك أُدِّبتُ حتىٰ صار من خُلقي ... أني وجدتُ مِلاكَ الشيمةِ الأدبا

ومعنى البيت ظاهر، وبه نطقَت الحُكماء، (فلا مروءة لمن لا أدبَ له، ولا أدبَ لمن لا عقلَ له)[2]، والتمثُّل بالأدب والتحلي بمكارم الأخلاق سبيلُ زيادة العقل، وهل يُعرف عقل الرجل إلا بلسانه وأخلاقه! (فكما أن الحبَّةَ المدفونة في الأرض لا تقدر أن تَخلع يبسَها وتُظهِر قوتَها وتطلُع فوق الأرض بزَهرتها ورَيعها ونَضرتِها ونمائها إلا بمعونةِ الماء الذي يغورُ إليها في مُستودَعها فيُذهب عنها أذى اليبس والموت، ويُحدِثُ لها بإذن الله القوةَ والحياة= فكذلك سليقةُ العقل مكنونةٌ في مَغرِزها من القلب، لا قوةَ لها ولا حياةَ بها ولا منفعةَ عندها حتى يعتملَها الأدبُ الذي هو ثِمارُها وحياتُها ولِقاحُها)[3].

---

(١) ديوان الحماسة (١/ ٥٧٤)، ويأتي بيانه في القطعة السابعة عشرة ومئة.

(٢) الأدب والمروءة لابن جناح اللخمي (١٢).

(٣) الأدب الصغير لابن المقفع (٢١).

(١٠٨)

قال مِسْكِينٌ الدارِمِيُّ: [من الطويل]

١. وفتيانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بعضِهم على سرِّ بعضٍ غيرَ أني جِمَاعُها

٢. لكلِّ امرئٍ شِعْبٌ مِنَ القلبِ فارغٌ وموضِعُ نَجْوَىٰ لا يُرامُ اطِّلاعُها

٣. يَظلُّون شَتَّىٰ في البلادِ وسِرُّهُم إلىٰ صَخْرةٍ أعيا الرجالَ انصداعُها

● **الكشف:**

هو ربيعة بن عامر بن أنيف التميمي الدارمي، من بني دارم بن مالك بن حنظلة من تميم، شاعر أموي مطبوع، وكان هواه مع بني أمية، شهِد له الفرزدق وغيره بجودة الشِّعر، وكانت بينهما مهاجاة معروفة، وسُمّي مسكيناً لقوله:

أنا مسكينٌ لمن أنكرَني ولمن يعرفُني جِدُّ نطِقْ!

وهذه القطعةُ الحسَنة يتمدّحُ فيها الشاعرُ بحفظه للأسرار، ويذكر حرصَه على كتم أسرار رفاقه جميعاً حتى إنه لا يطلعُ الواحد منهم على سر غيره، وهو الحافظُ لها جميعا، والأمين عليها كلها.

● **البيان:**

(وفتيانِ صدقٍ): أي وربَّ فتيانِ صدق، وإضافةُ الفتيان للصدق هو كما تقدم في القطعة الثامنة، فالمقصود به وصفهم بالفضل، وأنهم فتيانُ خير. (لستُ مطلعَ بعضِهم على سرِّ بعض): لستُ مظهراً سرَّ أحدهم لغيره، يُقال أطلعَه على كذا إذا أراه إياه وأوقفه عليه وأخبره به، قال الحق سبحانه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. (جِماعُها): الجِماعُ اسمٌ لما يجمعُ الشيء كالوِثاق والرِّباط. (شعبٌ من القلب):

مكانٌ يستأمن فيه سِرَّه، والشِّعب الطريقُ المنفرج بين جبلين، وهو هنا استعارة لطيفة، كأن لكل واحد من صحابه طريقٌ مختلف في قلبه لا يشركه فيه غيرُه. (وموضعُ نجوى): ومحلٌّ للسرِّ، والنجوى ما يكونُ من الحديث سِرّا، قال الحق سبحانه ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾[طه: ٦٢]. (لا يُرام اطلاعُها): لا يُبتغى كشفُها، ولا يُستطاع الوصول إليها. (يظلون شتى في البلاد): يتفرقون في أقطار البلاد، ويتباعدون في الأسفار. (صخرة أعيا الرجال انصداعُها): يعني قلبَه، فلما أفضوا بسرِّهم إليه كأنهم جعلوه في صخرةٍ لا تُكسَر.

- **العرض:**

(**١-٣**): **يقول**: ورُبَّ فتيانٍ من أهل الخير والفضل استودعوني أسرارَهم، واستأمنوني أخبارَهم، فلا يعرفُ الواحدُ منهم سرَّ أخيه، ولا يطلعُ الرجل منهم على خبرِ غيره، وكنتُ مستودَعَ أماناتهم، وموئلَ أسرارهم، فلكلٍّ واحد طريقٌ في القلبِ لا يشركه فيه صاحبُه، ولكل امرئٍ محلٌّ في الفؤاد فرَّغتُه لحوائجه وأسراره، فتراهم يفارقونني إلى أقطار البلاد، ويتغيبون عني في نواحي الأرض، وقد علموا أن سِرَّهم مصونٌ محفوظ، قد أودعتُه صخرةَ قلبي التي لا تُستطاعُ ولا تُكسَر.

(١٠٩)

وقال الـمَرَّارُ الفَقْعَسيُّ: [من الطويل]

١. إذا شِئتَ يَومًا أنْ تَسُودَ عَشِيرةً فبالـحِـلم سُدْ لا بالتسـرُّعِ والشَّتْمِ

٢. ولَـلْـحِـلْـمُ خيـرٌ فاعلمَنَّ مَغبَّةً مِنَ الجَهْلِ إلا أنْ تَشَـمَّسَ مِن ظُلمِ

- **الكشف:**

هو المرار بن سعيد بن حبيب الأسدي الفقعسي، من بني فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين من بني أسد، شاعر فصيح من مخضرمي الدولتين، ووالدُ جدِّه هو خالدُ بن نضلة الذي مضى في القطعة الثانية والأربعين.

وهذان بيتان يصف فيهما طريقَ السيادة، وأنها تُنال بالحِلم والصفح لا بضدهما، و(أجلُّ الناس مرتبةً من صدَّ الجهل بالحِلم)[1].

- **البيان:**

(تسود): فعل مضارع من السيادة. (فبالحِلم سُد): أي فإنما تُنال السيادة بالحِلم. (وللحِلمُ خيرٌ فاعلمنّ مغبةً): كلمة (فاعلمنّ) اعتراضية للتوكيد، فالتقدير: الحلمُ خيرٌ مغبة، والمغَبّة العاقبة، وتقدَّم بيانُ الجهلِ والحِلم في القطعة الثانية. (تشمَّس من ظُلم): تقدّم أن الشِّماس الامتناع والنفرة، والمعنى: تنفر من الظلم وتأباه.

- **العرض:**

(١ـ٢): **يقول**: إذا أردتَ أن تبلغَ السيادة في قومك فاعلم أن للسيادة طرقاً وآلات، وإليها مراقيَ ودرجات، ولا تؤتى السيادةُ بمثل استعمال الحِلم، وترك

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان (١٦٩).

التعجل، وكظم الغيظ، وتسهيل الجانب، واحتمال الأذى، أما الذي يخشِّن جانبَه، ويقطِّب جبينَه، ويغلِّظ كلامَه؛ فلا تجد عشيرتَه إلا نافرةً منه، وقومَه إلا منصرفين عنه، فعاقبةُ الحِلم محمودة، وهو زَين المواقف، اللهم إلا أن يركبَك ظُلم، ويتهضمَك عدو، فهنا لا يجمُل بك الحِلم والرضوخ، ولا يحسُن بك إلا العزة والإباء.

(١١٠)

وقال عِصامُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ: [من البسيط]

١. أبلِغْ أبا مِسْمَعٍ عني مُغَلْغلةً ... وفي العِتابِ حياةٌ بين أقوامِ

٢. أدخَلْتَ قبلِيَ قومًا لم يكُن لهُمُ ... في الحق أن يَدخُلوا الأبوابَ قُدَّامِي

٣. لو عُدَّ قبرٌ وقبرٌ كنتُ أكرَمَهُمْ ... مَيْتًا وأبعَدَهُمْ مِن منزِلِ الذَّامِ

٤. فقد جَعَلْتُ إذا ما حاجتي نَزَلتْ ... ببابِ دارِك أدْلُوها بأقوامِ

• **الكشف:**

هو عصام بن عبيد الله البكري الزِمّاني، من بني زِمَّان بن مالك من بكر بن وائل، شاعر جاهلي، مشهور بقطعته هذه، وبعضهم ينسبها لهمام الرقاشي.

وهذه القطعةُ يقولها الشاعرُ لصاحبٍ له يُكنى أبا مسمع، وكان الشاعرُ وقف ببابه ليدخل، فقدّم أبو مسمع عليه ناساً وأدخلَهم قبله، فأنِفَ الشاعرُ من ذلك ومضى عن بابه، ثم أرسل إليه هذه الأبيات التي يعاتبه بها على أن أدخل قبله أقواماً هو أحق منهم وأشرف، ويخبره أنه لن يزوره بعد ذلك أبدا.

• **البيان:**

(أبلغ): أخبر. (مغلغلةً): أي رسالةً مُغلغلة، من باب الاستغناء عن الموصوف بصفته، والرسالةُ المغلغلة هي التي تسرعُ بين بلدٍ وآخر حتى تصل محلها، يُقال تغلغل الماءُ إذا دخل بين الأشجار وتفرق فيها. (وفي العتابِ حياة): أرسلَه مثلا، ومعناه أن العتاب بين الإخوة أقربُ لصلاحهم وحياة مودتهم، كما قال الآخر (ويبقى الودُّ ما

بقيَ العتابُ)[1]. (لم يكن لهم في الحق أن يدخلوا الأبواب قدامي): أي أنه كان أحقَّ بالدخول منهم، وليسوا بأحق أن يتقدموه. (لو عُدَّ قبر وقبر كنتُ أكرمَهم ميتا): لو عُدَّت قبورُ أسلافنا وآبائنا الموتى قبراً قبراً لكان آبائي أشرفَ من آبائهم، وأسلافي خيراً من أسلافهم. (الذام): الذامُ والذَّيمُ والعابُ والعيبُ واحد. (حاجتي نزلَت بباب دارك): عرض لي أمرٌ استوجبَ الوقوف على دارك. (أدلوها بأقوام): أبعثُ أقواماً بحاجتي فيقضونها لي، مِن إدلاء الدلو وهو إرساله طلباً للماء، قال الحق سبحانه ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف: ١٩].

- **العرض:**

(١ـ٤): يقول: أبلغ أبا مسمعٍ عني رسالة معاتبةٍ تصلُ إليه وتبلغه حيثُ كان، فإن معاتبة الإخوان أبقى للمودة، وأصلح للنفوس، وقل له: قد جئتُك زائراً مُستئذناً فصُددتُ عن بابِك، وقدّمتَ قبلي في الدخول أقواماً لم يكن لهم حقُّ التقدّم عليّ، وأنا أشرفُ منهم نسَبا، وأكرمُ منهم حسَبا، ولو عدَّ العادُّ قبور آبائي وقبور آبائهم قبراً قبراً لاستبان له أني أعلاهم في النسب والحسب، وأولاهم بالإكرام والفضل، وأبعدَهم عن المساوئ والمعايب، أما وقد فعلتَ هذا فلا أزورك ما حييت، ولا أستأذن عليك ما بقيت، ولئن عرضَت لي الحاجةُ عندك فإني أتسبّبُ إليك بغيري، وأصونُ عن التبذّل لك نفسي.

(١) التمثيل والمحاضرة للثعالبي (٤٦٥)، وذكر شواهد لهذا المعنى.

(١١١)

وقال شَبِيبُ بنُ البَرْصاءِ: [من الطويل]

١. وإنـي لَـتَرَّاكُ الضَّغِينةِ قد بَدَا ... ثَرَاهـا مِـنَ الـمـولىٰ فمـا أَسـتَثِيرُها

٢. مَـخافةَ أن تَـجْني عليَّ، وإنما ... يَهِيـجُ كَبِيـراتِ الأمـورِ صَغِيرُهـا

٣. لعَمْري لقد أشرَفْتُ يـومَ عُنَيْزةٍ ... علىٰ رَغْبةٍ لـو شَـدَّ نفسـي مَرِيرُهـا

٤. تَبَيَّنُ أعقابُ الأمـورِ إذا مَضَتْ ... وتُقبِـلُ أَشْـبَاهًا عليـك صُدُورُهـا

٥. إذا افتَخَرَتْ سَعْدُ بنُ ذُبْيانَ لم تَجِدْ ... سـوىٰ مـا ابْتَنَيْنـا مـا يَعُـدُّ فَخُورُهـا

٦. ألــم تَــرَ أنَّــا نُــورُ قَــوٍّ وإنـمــا ... يُبيِّـنُ في الظَّلْمـاءِ للنـاسِ نُورُهـا

• **الكشف:**

هو شبيبُ بن يزيد بن جمرة الذبياني المري، من بني غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان، و(البرصاء) أمُّه، سُمّيت بذلك لبياضها وحُسنها لا لبرصها، شاعر بدوي أموي فحل، وكان من سادات قومه وأشرافهم، لا يكاد يبلغ شرفَه أحدٌ من قومه.

وخبرُ هذه القطعة أن شبيباً مضى إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري يخطب ابنتَه، فقال يزيد: هي صغيرة، فقال شبيب: لا، ولكنك تبغي أن تردَّني! فقال يزيد: لا والله ما أبغي ذلك، ولكن أنظِرني هذا العام فإذا انصرَم فعليّ أن أزوجك، فرحَل شبيبُ من عنده مُغضَبا، فلما انصرف قال ليزيد بعضُ أهله: والله ما أفلحت! خطبَ إليك شبيبُ سيدُ قومه فرددتَه، فقال يزيد: إن ابنتي صغيرة، فقالوا: لئن كانت صغيرةً فلسوف تكبر عنده، فبعث يزيد إليه فقال: ارجع فقد زوجتُك، وقد كرهتُ أن ترجع إلى أهلك وقد رددتُك، فأنِفَ شبيبٌ أن يرجع وأبى ذلك، وأنشأ يقولُ هذه القصيدةَ التي يذكر

فيها تركه للضغائن واحتمال الحقد على قومه، ويذكر أن الفرصةَ سنَحت له في أمرٍ كان يهواه ولكنه فوَّتها، ثم يفخر بنسبه وحسبه.

وقد نُسِبت أبياتٌ كثيرة من هذه القصيدة لعوف بن الأحوص، وأنه كان يريد غزوَ قومٍ ففاته ذلك منهم، والقصيدةُ بأطول من هذا في المفضليات[1]، وقد ضبَط الشيخ أبو مالك انتقاءه بترك ما حوته الأصمعيات والمفضليات، لكن الحال فيها مثلما تقدم في القطعتين: الثامنة والأربعين، والثامنة والتسعين.

- **البيان:**

(لترّاك الضغينة): ترَّاك صيغةُ مبالغةٍ من التَرك، والمعنى أنه كثيرُ اجتناب الأحقاد والعداوات. (قد بدا ثراها من المولى): أي قد ظهر أثرُها وعلامتُها من قريبي، ورُوي (بدا ثآها)، أي فسادها، ولا يحملنّك ما ترى من هذا المعنى -في هذه القطعة وغيرها مما تقدَّم- على سوء الظنّ بالأقارب، فهذه حالات شذَّت عن أصلها، فإن (تباغض الأقرباء عارضٌ دخيل، وتحابّهم واطدٌ أصيل، والسلامة من ذلك أعمّ، والتناصر أظهر، والتصادق في المودة أكثر)[2]. (فما أستثيرها): فلا أهيجها ولا أكشف عنها. (تجني عليّ): تكسِبني جناية بإقدامي على معاداة صاحبها. (وإنما يهيجُ كبيرات الأمورِ صغيرُها): أرسلَه مثلا، وهو عينُ قول طرفة (قد يبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ)[3]. (لعَمري): تقدم في القطعة الثانية والأربعين، فهو قسَمٌ كثيرُ الجرَيان على لسانهم، يُقصد به التأكيد. (أشرفتُ): اطّلعتُ وقاربتُ. (يوم عنيزةٍ): لعله يعني اليومَ الذي جاء فيه خاطبا. (على رغبةٍ): وهي رَغبتُه في النكاح على الخبر الأول، وفي الغزو على

(١) المفضليات، القصيدة (٣٦)، وهي منسوبة هناك لعوف بن الأحوص، وقيل إنهما قصيدتان خُلِّط فيهما، وهو الذي أرجحه؛ إذ في كلِّ قصيدةٍ أبيات تدل على نسبتها لصاحبها صراحةً.

(٢) رسائل الجاحظ (٣/ ١٤٩).

(٣) الأشعار الستة الجاهلية (٥١٢).

الخبر الثاني. (لو شدَّ نفسي مريرُها): لو قوّى نفسي عزمُها وحصافتُها، والمرير المُحكَم، ولذلك سموا الحبل مريرا، وتقدم نحوُ هذا المعنى في بيان القطعة الثانية والخمسين. (تبيَّنُ أعقابُ الأمورِ إذا مضَت): أي أن الأمورَ إنما تُعرف بأواخرها ودوابرها، أما أولها فيغرُّ الناظر، ولا يُتحقَّقُ به الأمر، كما قيل (ولكنما تبيانُه في التدبّرِ)[1]. (وتُقبل أشباهاً عليك صدورُها): أي أن أوائل الأمور كثيراً ما تكون ملتبسةً مختلطة لا تتميز، كما قيل: (أُشبِّه غِبَّ الأمرِ ما دام مقبلاً). (إذا افتخرت سعدُ بن ذبيان): هذا البيتُ نقطع أنه ليس لعوف بن الأحوص، إذ هو من بني عامر بن صعصعة، وما أحقَّ شبيباً بالبيت! (ابتنينا): أنشأنا من مكارم الأخلاق وحسن المآثر. (نورُ قوٍّ): (قو) موضع، وجعل قومه نوراً فيه لشرفهم وحسن فعالهم.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: إني عظيمُ الصبر، واسعُ الحِلم، أصبر على أقاربي، وأحتمل أذاهم، وأترك ضغائنهم وإن بدَت أوائلها وظهرَت مخايلُها، ولا أكشف خافيها، ولا أنقب عنها مخافةَ أن يستفحل الشرّ ويرجع الصغيرُ منه كبيرا، والسهلُ منه عسيرا، فإن العرب قالت (الشرُّ يبدؤهُ صِغارُه)[2].

(٣-٤): يقول: وحياتي لقد وقفتُ يوم عنيزةٍ على فرصةٍ سانحة كنتُ أرغب فيها وأرجوها زمَنا، فليت عزيمتي قويَت! وليت همتي ثبتَت! ولكن الفرصة جاءتني فضيّعتُها، وكذلك الأمور تُقبِل عليك أولَ ما تُقبِل ملتبسةً مشتبهةً على غير هيئتها، حتى إذا مضى عنك الأمرُ تبيّنتَه على وجهه، وعرفتَه على حاله.

(٥-٦): يقول: إذا ما أرادت بنو سعد بن ذبيان أن تفتخر؛ فإنها لن تجد إلا مآثرنا ومفاخرنا، فإنما فخرُ سعدٍ على ما أسَّسَه قديمُنا، وعمرَه حديثُنا، فلا تُكاثَر الخصومُ

(١) انظره والشطر الذي يليه قريباً في شرح الحماسة للمرزوقي (٣/ ١١٢٥).
(٢) مجمع الأمثال (١٩٥٣).

إلا بها شيّدناه، ولا تُنافَر الأقوامُ إلا بها بنيناه، أما علمتَ أنّا لأهل قوٌّ بمنزلةِ النور للأبصار؟ فهم بنا يهتدون، وبمعالمنا يقتدون، ولرأينا يتبعون، ولولا نور قومي لما رأيتَ الناس إلا في ضلال وعماء!

(١١٢)

وقال مَعْنُ بنُ أَوْسٍ: [من الطويل]

١. لعَمْرُك ما أدري وإني لأَوْجَلُ ... علىٰ أيِّنا تَعدُو المَنيَّةُ أوَّلُ

٢. وإني أخوك الدائمُ العهدِ لم أخُنْ ... إنَ ابْزَاكَ خَصْمٌ أو نَبَا بِكَ منزلُ

٣. أُحارِبُ مَن حارَبْتَ مِن ذي عداوةٍ ... وأحبِسُ مالي إنْ غرِمْتَ فأَعقِلُ

٤. كأنَّك تَشْفي منكَ داءً مَسَاءتي ... وسُخْطي، وما في رَيْثَتِي ما تَعَجَّلُ

٥. وإنْ سُؤْتَني يومًا صَفَحْتُ إلىٰ غدٍ ... ليُعْقِبَ يومًا منك آخَرُ مُقبِلُ

٦. ستَقطَعُ في الدنيا إذا ما قَطَعْتَني ... يَمينَك فانظُرْ أيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ

٧. وفي الناسِ إنْ رَثَّتْ حِبالُكَ واصِلٌ ... وفي الأرضِ عن دارِ القِلَىٰ مُتحَوَّلُ

٨. إذا أنت لم تُنصِفْ أخاكَ وَجَدْتَه ... علىٰ طَرَفِ الهِجْرانِ إن كان يَعقِلُ

٩. ويَركَبُ حَدَّ السيفِ مِن أن تَضِيمَهُ ... إذا لم يكن عن شَفْرةِ السيفِ مَزْحَلُ

١٠. وكنتُ إذا ما صاحِبٌ رامَ ظِنَّتي ... وبدَّلَ سُوءًا بالذي كنتُ أفعَلُ

١١. قَلَبْتُ له ظَهْرَ المِجَنِّ فلم أَدُمْ ... علىٰ ذاك إلا رَيْثَما أتحوَّلُ

١٢. إذاانصرَفَتْ نفسي عنِ الشيءِ لم تكَدْ ... إليه بوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقبِلُ

• **الكشف:**

هو معن بن أوس بن نصر المُزَني، من بني عداء بن عثمان بن عمرو بن أد، وتقدم في مقدمة النسب أن أبناء عمرو بن أد يُنسَبون إلى أمهم مزينة، ومعنٌ شاعر فحل مخضرم، كان من مبرزي شعراء مزينة، وتُنسَب هذه القصيدةُ لغيره.

وجاء في خبر هذه الأبيات أن معناً تزوَّج أختَ صديقٍ له، فاتفقَ أن طلقَها معنٌ وتزوَّج غيرها، فحلف صديقُه لا يكلمّه أبدَ الدهر! فأنشأ معنٌ يقولُ هذه الأبيات يستعطف قلبه بها، ويعاتبه على هجره.

- **البيان:**

(وإني لأوجلُ): وإني لخائف، صفةٌ مشبهةٌ من الوجَل، ويجوز أن يكون صيغةَ (أفعل) التفضيل من الوجَل، أي وإني لأخوَفُ منك، ويجوز أن يكون فعلَ مضارع مِن وجِل يوجَل، والوجَل الخوف، قال الحق سبحانه ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. (على أيِّنا تعدو المنية): على أيِّ واحدٍ منا يهجمُ الموت، وقوله (تعدو المنية) استعارة صادقة، كأن المنية ذئبٌ يعدو على فريسته. (أولُ): ظرف مبني على الضم، لأن المضاف إليه حُذف ونُوِي معناه دون لفظه، نحو ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[الروم: ٤]. (الدائم العهد): الثابتُ على المودة والإخاء. (لم أحُل): لم أتغير عن محلي وأحِد عن طريقي، قال الحق سبحانه ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[الكهف: ١٠٨]، أي لا يريدون تغيراً عنها وتحولاً إلى ما سواها. (إن ابزاك خصمٌ): حذفَ الهمزة من فعل (أبزاك) ونقل حركتها إلى النون قبلها، وقوله (أبزاك خصم) أي أثقلك خصمُك وغلبَك. (نبا بك منزل): ألجأك منزلك إلى التحول عنه، وتركِ الاستقرار فيه. (وأحبس مالي): تقدم في القطعة الثالثة والخمسين أن العربَ تُطلق المال وتريد به الإبل، وكذلك هو هنا، والمعنى أنه يحبس إبله لنفع صاحبه. (إن غرمتَ فأعقلُ): أي إن جنيتَ جنايةً فإني أتكفّل بديتها من مالي وإبلي، وتقدم في القطعة الرابعة والعشرين أن العقلَ الدية. (كأنك تشفي منك داءً مساءتي وسُخطي): كأنك إذ تسيء إليّ وتُغضبني تشفي داءً نزل بك! فأنت لا تجد شفاءه إلا في إغضابي وهجري. (وما في ريثتي ما تعجّلُ): والذي تتعجله -من الغضب والقطيعة- لن تجده مني ولو في البطء! والرَّيثُ: البطء والتأني. (وإن سؤتني يوماً صفحتُ إلى غدٍ): وإن أسأتَ إلي في يومٍ صفحتُ عنك ولم أؤاخذك

لعلك تؤوب غدا. (ليعقب يوماً منك آخر مقبلُ): لأجل أن تفيء إلى الحق وتُقصِر عن غيك في قابل أيامك. (يمينك): خصَّ اليمين لأن بها تمام التصرف غالباً، ففي قطعِها قطعٌ لسبيل التصرف في الحوائج. (رثَّت حبالُك): خلَقت وبليَت، كنايةً عن انفضاض الوصال وحلول الهجران. (دار القِلى): دار البُغض، قال الحق سبحانه ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾[الضحىٰ: ٣]، وتقدم. (طرف الهِجران): الهِجران بكسر الهاء لا غير. (ويركبُ حدَّ السيف): أي يأتي من الأمور ما يقف فيه على شفا الهلاك. (من أن تضيمه): من للبدل، والضيمُ الظلم والإذلال. (مزحل): مُتحوَّل ومُنتقَل، يُقال زحَل يزحَل إذا بعد وتناءى. (رام ظنّتي): أراد اتهامي والتجنّي عليّ، والظِنّة التُّهمة. (قلبتُ له ظهر المجنّ): هذا مثلٌ يُضرَب لمن حال عن عهده، وتغير عن طبعه، فيُقال (قلب له ظهرَ المجنِّ)[1]، والمجنّ الترس، كأنه جعله عدواً فأخذ يدافعه بترسه. (ريثما أتحول): قَدرَ ما أنتقل وأتغير.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: وحياتك ما أدري على أيٍّ واحدٍ منا يهجمُ الموت أوَّلا! ولا أعلم مَن السابقُ فينا إلى أجله! وإني من ذلك لخائفٌ مترقِّب، واعلم أني أخوك الذي لا تنقطعُ مودّتُه، ولا تتقلّبُ حالته، فلستُ ممن يغيب إن تطاول عليك خصمٌ أو ضاق عنك منزل، بل لا تجدني وقت الخصوم إلا حاضرا، ولا تلفيني وقت الضيق إلا ناصرا، أحارب مِن أعدائك مَن تُحارِب، وأدافعُ عن حِماك مَن تُدافِع، وإذا ما غرمتَ في جنايةٍ وجدتَ مالي دونك، وإبلي بفنائك.

(٤-٩): يقول: وأنتَ على هذا تستمر في إساءتك إليّ، وسُخطك عليّ، حتى كأنّ بك داءً لا تجد شفاءه إلا في أذيتي! ولكن ما تتعجله من غضبي وصُرمي لن تجده مني حالَ البطء فكيف بالعجلة! فإني أصابرك ما استطعت، وأجاملك ما حييت،

---

(١) مجمع الأمثال (٢٨٦٩).

ولا أؤاخذك بما يظهر من إساءتك، بل أعجّل لك الصفح، وأؤخّر لك الأجل، لعلك ترعوي غداً عما أنتَ فيه، وتُبصِر قابلاً ما أنا عليه، فإن أبيت إلا الجِماحَ في غيِّك، والمضاءَ في قطيعتك؛ فاعلم أنك تقطعُ بهذا يمينك، وتشلُّ بما تفعله جوارحَك، فهل كنتُ لك إلا كاليمين للرَّجُل! فلستَ بمُعتاضٍ عنها، ولا أنتَ مُستبدلٌ منها، ولئن ابتغيتَ بنا بدلاً فإنا واجدون غيرَك، وملاقون مَن هو خيرٌ منك، وكذلك إذا لم تبذلْ لأخيك الإنصافَ وتحفظْ له الوفاءَ؛ ألفيتَه هاجراً لك، معرضاً عنك، هذا إن كان له عقلٌ يحكمُ به! نعم، ثم لا يبالي أن يركب من الأمور أصعبها ولا يلقى الهوان، ويسلك من الطرق أبعدَها ولا يقبل الظُّلم.

(١٠ـ١٢): **يقول:** وكنتُ إذا رأيتُ صاحباً رماني بالتهمة، ولاقاني بسوء الظنّ، وعدَّ حسناتي سيئات؛ اتخذتُه عدوّاً، وقلبتُ له ظهر الترس متقياً منه، ولم أدم على الإغضاء له إلا بقدر ما أتحول عن حالتي تلك، فلستُ ممن يرضى بالضيم، واعلم أني أمدُّ نفسي بالصبر ما أمكنَ إلى ذلك سبيلاً، لكن لي نفساً حُرَّةً إذا عافَت الأمرَ وانصرفَت عنه؛ لم ترجع إليه أبدَ الدهر!

(١١٣)

وقال رَبِيعةُ بنُ مَقْرومٍ: [من الوافر]

١. وكم مِن حاملٍ لي ضَبَّ ضِغْنٍ بَعيدٍ قلبُه حُلْوِ اللسانِ

٢. ولو أني أشاءُ نَقَمْتُ منه بشَغْبٍ أو لسانٍ تَيَّحانِ

٣. ولكني وَصَلْتُ الحبلَ مني مواصلةً بحَبْلِ أبي بَيَانِ

٤. وضَمْرةَ إنَّ ضَمْرةَ خيرُ جارٍ عَلِقْتُ له بأسبابٍ مِتانِ

٥. هِجَانُ الحيِّ كالذهَبِ المصفَّىٰ صَبِيحةَ دِيمةٍ يَجْنِيه جانِ

- **الكشف:**

تقدمت ترجمته في كشف القطعة السادسة، وهذه القطعةُ قريبة من سابقتيها في المعنى، يذكر فيها أن بعض الناس يُضمرون له الشر، ويُسرون له البغضاء، ولو شاء لانتقم منهم، ولكنه يعفو عنهم ويصل ودّهم حشمةً لأهل الخير من جيرانه.

- **البيان:**

(وكم): حرفٌ يُراد به التكثير. (ضبَّ ضِغنٍ): الضبُّ الغِلُّ في الصدر، وأضافه للضِّغن وهو الحِقد إمعاناً في الوصف. (بعيد قلبه): معرِض بقلبه عني. (حلو اللسان): متملِّق متصنِّع، كما قال آخر (لسانُك لي أريٌّ وغيبُك علقمٌ)[1]، والأريُ العسَل. (نقمتُ منه): يُقال نقِمَ منه وانتقَم، أي أخذ بحقه منه وثأره، ويُقال نقِمَ عليه إذا أنكرَ فعلَه. (بشَغبٍ): بخصام وملاجّة، يُقال رجل ذو شغَب أي ذو صياح وخصام ولجاج. (لسان تيَّحانٍ): التيَّحان الذي يعرِضُ في كل شيء ويتقحّمه

(١) المسائل البصريات للفارسي (١/ ٢٨٥)، والصداقة والصديق للتوحيدي (٢٥٣).

بشجاعة، وهو بفتح الياء. (وصلتُ الحبلَ مني): حفظتُ الود من جهتي. (مواصلةً بحبل أبي بيانٍ): أي فعلتُ ذلك بهم إكراماً لأبي بيان وحفظاً لحقِّه. (وضمرةَ): أي وتركتُ الانتقام منهم، وحفظتُ الوداد لهم حفظاً لحقِّ جاري ضمرة كذلك. (علقتُ له): أي اتصلتُ به. (بأسباب متان): أي بمحبة خالصة ومودة محضة. (هِجانُ الحيِّ): الهِجانُ هو الكريم الأصل، ولذلك يسمون الجمل الأبيض هِجانا، وكلمة (هِجان) تُطلق على المفرد والجمع، ولعله في البيت أراد وصف الرجلين السابقين، فكأنه أراد بها الجمع. (كالذهبِ المصفَّى): الذهب الخالص النفيس. (صبيحة ديمة يجنيه جان): الديمة المطر، أي إن ضمرة في كرم أصله ونقاء عرضِه كالذهب الذي نزل عليه المطر ليلاً في معدنه فأبرزَه وكشفَه، فجاء الناس من الصبح يجمعونه.

- **العرض:**

(**١ـ٥**): **يقول**: كم من رجلٍ يحتمل لي الحقد، ويُسِرّ لي البغضاء، وهو شانئ لي بقلبِه، متصنّع لي بلسانه، ولو شئتُ لانتقمتُ منه بالقول أو الفعل، فإني عريضُ الخصام، طويل اللسان، عالي اليد، أجزي المحسن على إحسانه كما أجزي المسيء على إساءته، ولكني أبقيتُ الانتقام من أولئك، وأخّرتُ مؤاخذتهم، وحفظت مودتهم؛ إكراماً لمقام أبي بيان في قلبي، وإجلالاً لمحلهم من نفسِه، واحتشمتُ كذلك فيهم جاري ضمرة، وضمرةُ خيرُ جار! فقد صفَت لي مودّتُه، وتعلّقَت بي أسبابُه، وهذان الرجلان من كرام الحيّ، لا عيب فيهما ولا ذم، وما أخلاقُهما وودّهما إلا كالذهب الخالص الذي يظهر صبيحةَ المطر، فترى عروقَه انكشفَت، ونفائسَه ظهرَت، كما أن أخلاقهما الحسَنةَ فاح في الناسِ عبيرُها وظهرَ لهم خالصُها.

(١١٤)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. وأنـتَ امـرُؤٌ إمَّـا ائتَمَنْتُكَ خاليًا فخُنـتَ وإمَّـا قُلـتَ قـولًا بِـلا علـمِ

٢. فأنتَ مِن الأمـرِ الـذي كـانَ بَيْنَنا بمنزلـةٍ بيـن الـخِيـانةِ والإثْـمِ

• **الكشف:**

هو عبد الله بن همام القيسي السلولي، وتقدم أن بني سلول هم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، يُنسَبون لأمهم سلول بنت ذهل بن شيبان، وعبد الله شاعر أموي لطيفُ الشعر، وكان هواه مع بني أمية.

وخبرُ هذين البيتين أن رجلاً أتى زيادَ بن أبيه فقال له: إن ابن همام السلولي قد هجاك، فقال زياد: أجمعُ بينكما؟ فقال الرجل: نعم، فبعث زياد إلى ابن همام فلما أتاه قال له: بلغني أنك هجوتَني، فقال: ما كان ذاك، أصلح الله الأمير! فقال زياد: إن هذا الرجل أخبرني بذلك، وأخرج الرجل، فأطرق السلوليُّ إطراقةً ثم التفت إلى الرجل وقال هذين البيتين، فأعجب ذلك زياداً، وأقصى الواشي ولم يسمع منه بعد ذلك.

وهما بيتان فيهما سبر وتقسيم بديع! فهو يقول للرجل: لا يخلو الحال من أن تكون سمعتَ الهجاء مني أو تكون سمعتَه من غيري، فإن كنتَ سمعتَه مني ثم وشيتَ بي فأنت خائن للأمانة، مضيع للسر، وإن كنت سمعتَه من غيري ثم وشيتَ بي فقد قلتَ عليّ بغير علم، ورميتني بغير ثبّت، فأنت مذموم على كل حال!

• **البيان:**

(ائتمنتُك خالياً): بُحتُ إليك بالسرّ حال خلوِّنا من الناس. (فخُنتَ): بوشايتك. (قلت قولاً بلا علم): بأن تكون سمعتَه من غيري ثم ذهبت تتهمني. (فأنتَ): ويُروى

(فأُبتَ) أي فرجعتَ. (الخيانة): أي بإفشاء السرّ. (والإثم): أي بالقول عليّ بغير علم.

- **العرض:**

(١-٢): **يقول**: أنتَ أيها الرجل في وشايتك بي بين أمرين، إما أني وثقتُ بك فأفضيتُ إليك بسرّي، ثم خنتَني بإفشائه، وإما أنك سمعتَ هذا القول من غيري ثم ذهبتَ تتهمني من غير بينة، فأنتَ فيما بيني وبينك واقف في منزلة بين (الخيانة وإفشاء الأسرار)، و(الإثم والتهمة بلا بينة)، فاختر لنفسَك أيَّ المنزلتين شئتَ فإنك مذمومٌ على كل حال!

(١١٥)

وقال سالِمُ بنُ وابِصةَ: [من الطويل]

١. أُحِبُّ الفتىٰ يَنفي الفواحشَ سَمْعُهُ كأنَّ بـه عـن كلِّ فاحشـةٍ وَقْـرَا

٢. سَلِيمُ دَواعِي الصَّدْرِ لا باسطٌ أذًىٰ ولا مانـعٌ خيـرًا ولا قائـلٌ هُجْـرَا

٣. إذا ما أتَتْ مِنْ صاحبٍ لك زَلَّةٌ فكُـنْ أنـتَ محتـالًا لزَلَّتِـه عُـذْرَا

٤. غِنَىٰ النفسِ ما يَكْفِيك مِنْ سَدِّ حاجةٍ فـإنْ زاد شيئًا عـادَ ذاك الغِنـىٰ فَقْـرَا

• **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة السبعين، وهذه القطعة من حِسان قطع الأدب، يذكر فيها ما يُحمَد في الفتى من الخلائق، وما ينبغي أن يكون عليه من الشّيَم.

• **البيان:**

(ينفي الفواحشَ سمعُه): أي أن سمعَه لم يتعود سماع القبائح، فهو لا يبالي بها إذا ذُكِرت. (وقرا): صمَما، قال الحق سبحانه: ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ﴾[فصلت: ٤٤]. (سليم دواعي الصدر): أي صافي القلب رحب الصدر، و(دواعي الصدر) همُّ القلب التي تنبعثُ منه فتدعوه إلى فعل شيءٍ أو تركه، وروي (سليمَ) بالفتح على الحال، وكذلك رويت كل الصفات بعدَه. (هُجرا): الهُجر الإفحاش في القول والتعدي فيه، قال الحق سبحانه ﴿سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾[المؤمنون: ٦٧]. (زلةٌ): خطيئة. (محتالاً لزلّته عُذرا): واجداً لخطئه عّذرا، وحاملاً فعلَه على أحسن المحامل. (غنى النفس ما يكفيك من سدّ حاجةٍ): أي أن تمام غنى النفس في تحصيل ما يكفيها من قوتها، وسيأتي هذا المعنى،

وقد جمعَه أبو الطيب في بعضِ بيت فقال: (وحاجتُه ما قاته)[1]. (عاد ذاك الغنى فقرا): أي أن النفس يمتدُّ طمعُها كلما وجدَت زيادةً من رزقها، (لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التراب)[2]!

- **العرض:**

(١-٢): يقول: أحب مِن أخلاق الفتى أن يكون متكرِّماً عن كل رذيلة، فإذا طرق أذنَه ذكرُ الفواحش أغضى كأن لم يسمع شيئا، حتى كأن به صمماً عن أنواع الفواحش كلها، وأن يكون صافيَ القلب، رحيبَ الصدر، باديَ البشاشة، لا يبسط لغيره أذاه، ولا يمنعُ عن أحد خيرَه، لطيفَ المعاملة، عَذبَ اللسان.

(٣-٤): يقول: إذا ما أتى صديقُك جُرما، ووقف موقفَ التهمة، فحسّن أمرَه، وسكّن روعَه، واحمل فعله على أحسن المحامل، واعدد له شتى الأعذار، فتلك هي المروءة، وخذ من دنياك ما تسدّ به من فقرك، ومن طعامك ما تتبلغ به في قُوتك، فإن غنى النفس في حصول كفايتها، فإن هي أفرطَت في تحصيل الكفاية انقلب حرصُها طمعا، وتحصيلُها جشَعا.

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي (١٩٠٢).

(٢) البخاري (٦٤٣٦) مسلم (١٠٤٨).

(١١٦)

وقال عَقِيلُ بنُ عُلَّفَةَ الـمُرِّيُّ: [من الطويل]

١. وللدَّهْرِ أثـوابٌ فكُنْ في ثيابِهِ كلِبْسـتِهِ يومًـا أجَـدَّ وأخْلَقَـا

٢. وكُنْ أكْيَسَ الكَيْسَىٰ إذا كنتَ فيهِمُ وإنْ كُنتَ في الحَمْقىٰ فكُن أنت أحْمَقَا

• **الكشف:**

هو عقيل بن علَّفة بن الحارث المري، من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، شاعر أموي بدوي فصيح، وكان من أكرم قومه نسَبا وحسَبا، لا يرى لأحد عليه فضلا، وأراده الأقوام على خِطبة بناته فكان يردّ منهم خَلقا كثيرا، ولا يزوِّجُ إلا من يرتضيه، ونكَح بناتِه الخلفاءُ كيزيد بن عبد الملك، وكانت فيه جفوة وغلظة.

وهذان بيتان أراد بهما صاحبُها تبيانَ الحكمةِ في معاملة الناس، وأنه ينبغي للمرء إظهار موافقة العامة، وترك مخالفتهم.

• **البيان:**

(وللدهر أثواب): أراد أن الدهر يتقلب بالناس، ويتصرف بالخلق، فاستعار له الثياب مثلا، كأنما الدهر يلبس ثوباً ويخلع آخر. (فكن في ثيابه كلِبسته): اللِّبسة بكسر اللام اسمُ هيئة للباس، وتقدم بيانه في القطعة الثانية، وأراد هنا كن في ثياب الدهر كيفما كانت. (أجدّ وأخلقا): جديدةً كانت الثيابُ أو قديمة، والخلِقُ القديم البالي. (أكيس الكيسى): أفطن الفطناء وأحزمهم، والكيِّسُ الفطِنُ العاقل، وفي البيت مقابلة ظاهرة.

- **العرض:**

(**١-٢**): **يقول**: الدهر متلون بالناس، ومتقلب بالخلق، فسِر معه كما يسير، وامض إلى حيثُ يمضي بك، ووافقِ الناسَ في دهرهم، وتخلّق بأخلاقهم، فإن كنت في جماعة العقلاء الألبّاء فكن أوفرَهم عقلا وأحمدَهم لبّا، وإن ابتُليتَ بجماعة من الحمقى المغفلين فأظهر لهم حُمقك، واثن لهم ركابَك.

(١١٧)

وقال بعضُ الفَزَاريِّين: [من البسيط]

١. أَكْنِيهِ حينَ أُنادِيهِ لِأُكرِمَهُ ... ولا أُلَقِّبُه والسَّوْءَةَ اللَّقَبَا

٢. كذاكَ أُدِّبْتُ حتىٰ صارَ مِن خُلُقي ... أني وَجَدْتُ مِلاكَ الشِّيمةِ الأَدَبَا

- **الكشف:**

البيتان مشهوران متداولان في كتب الأئمة والعلماء من قديم بلا نسبة، لكنهم مجمعون على الاحتجاج بهما، فهما من عصور الاحتجاج، وهما بيتان يذكر فيهما صاحبُهما أدبَه وحُسن عشرته مع رفاقه، إذ إنه يناديهم بأحب الأسماء إليهم، ويتوددهم ويتلطف إليهم، وتقدم الاحتجاج بهذا البيت صدرَ هذا الباب.

- **البيان:**

(أكنيه): أناديه بكنيته، والكنية أحب ما يُنادى به صاحبُها، و(العربُ تخاطبُ السادة في الأندية، والزعماءَ تحت الألوية، فتقول: أبا فلان! تريد بذلك النصَّ والتنبيهَ والهزَّ والتفخيم)[1]، و(لم تكن الكنى في شيء من الأمم إلا للعرب، وهي من مفاخرها)، (والتكنيةُ إعظام، قل ما كان يؤهَّل له إلا ذو شرف في قومه)[2]. (ولا ألقّبه): أي لا أنبزه بلقبٍ غلب عليه وهو يكرهه. (والسوأة): المذمة القبيحة، ولذلك سُمّيَت العورةُ سوأةً لأن كشفها مستقبَح مذموم، قال الحق سبحانه ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ﴾[الأعراف: ٢٧]، وهي في البيت كلمة اعتراضية، تُعرَب مفعولاً معه منصوبا. (اللقبا): مفعول مطلق، فتقدير الجملة: ولا ألقّبه اللقبَ مع السوءة، وما أكثر ما تنازع الناسُ في إعراب

---

(١) المجموع اللفيف لابن هبة الله (٢٧٧).

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري (٢/ ٤٨١).

هذا البيت! حتى قال صاحبُ الخزانة بعدما عرضَ تخريجاتٍ كثيرة لأحد العلماء في هذا البيت (وهذه الاحتمالات لا فائدة منها سوى تسويد الورق)[1]! (ملاك الشيمة): مِلاكُ الأمرِ زمامُه ونظامُه، و(ملاك الشيمة) يعني زمام الأخلاق والمتصرِّف فيها.

- **العرض:**

(١-٢): **يقول:** إني حسَن العِشرة للصاحب، لطيف المؤانسة للصديق، فإذا ما خاطبتُ صاحبي اخترتُ أحبَّ الأسماء إليه، وناديتُه بكنيته، ولا أذكر له لقبَ سوء، وأُدِّبتُ على هذا وتطبَّعتُ عليه حتى صار ما كنتُ أتخلّقُه خُلقاً وسجية، فإني لم أجد متصرِّفاً في الشيَم والطبائع مثلَ مكارم الأخلاق.

---

(١) خزانة الأدب (٩/ ١٤٢).

(١١٨)

وقال رجلٌ مِن بني قُرَيْع: [من الطويل]

١. متىٰ ما يَرَىٰ الناسُ الغَنِيَّ وجارُهُ فَقيرٌ يَقُولُوا: عاجزٌ وجَلِيدُ

٢. وليس الغِنَىٰ والفقرُ مِن حِيلةِ الفَتَىٰ ولكنْ أحاظٍ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

٣. إذا المرءُ أعْيَتْهُ المُروءةُ ناشِئًا فمَطْلَبُها كَهْلًا عليه شديدُ

٤. وكائِنْ رَأَيْنا مِن غَنيٍّ مُذمَّمٍ وصُعْلُوكِ قومٍ ماتَ وهْو حَمِيدُ

- **الكشف:**

هو المُعلوَط بن بدَل التميمي السعدي القريعي، من بني قُريع بن عوف من سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر إسلامي مطبوع، وله أشعار حسَنة في الحِكمة ومكارم الأخلاق، ونُسِبت الأبياتُ للمخبَّل السعدي، وكلاهما تميمي سعدي قريعي، فما أحذق أبا تمام حين تخلص من تعيينه المختلف فيه إلى إبهامه المتفق عليه بقوله (رجل من بني قريع)!

- **البيان:**

(عاجز): قاعد متخاذل. (وجليدُ): الجليدُ الصلبُ الذي ينهضُ في أموره ويسعى على حوائجه، وفي البيت لفٌّ ونشرٌ مفرّق. (حيلة الفتى): استطاعة الفتى وقدرته. (أحاظ): حظوظ وأنصبة، و(أحاظ) جمعُ أَحْظ، وأصله أحظُظْ فقُلِبت الظاء الثانية ياءً فقيل: أحظٍ، ثمّ جُمعت على أحاظ. (وجدودُ): حظوظ، فيكون عطفُه من باب عطف الشيء على مرادفه، مغايرةً في اللفظ وتأكيداً للمعنى. (ناشئاً): أي صغيرا. (كهلاً): أي كبيرا. (وكائن): اسم مبني معناه (كم). (مذمم): يُقال مذمَّمٌ ومذموم، أي يذمه الناس. (وصعلوك قوم): وفقير قوم. (حميد): يُقال حميدٌ ومحمود، أي يحمده الناس.

- **العرض:**

(١-٢): **يقول**: إن الناس إذا رأوا غنياً وإلى جنبه فقير قضوا على الفقير بالعجز فقالوا: من عجزه أُتي وافتقر! وقضوا على الغني بالجدّ فقالوا: من همتهِ أثرى واغتنى! وليست هذه حقيقة الحال، فإن الغنى والفقر ليسا مما يكسبه الفتى بجهده، ويحصّله بسعيه، بل هما قسمان يقسمهما اللهُ سبحانه لمن يشاء من عباده.

(٣-٤): **يقول**: وينبغي للمرء أن ينهض في طلاب المعالي من نشأته، ويجدّ في تحصيل المكارم من صغره، فإن المرء إذا كبر سنُّه، واشتدّ عودُه؛ لا يكاد يغير أخلاقَه، ولا يستطيع تصريفَ طباعِه، ومن شبَّ على شيءٍ شاب عليه، فإذا هو حصّلَ مكارمَ الأخلاق فلا حرجَ عليه من الفقر بعد ذلك، فكم قد رأينا من غنيٍّ قومٍ هو ذميمٌ عند الناس مقبوح، وكم رأينا من فقيرِ قومٍ هو شريفٌ عند الناس محمود.

(١١٩)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. إيَّـاكَ والأمْـرَ الـذي إنْ تَوسَّعَتْ مَدَاخِلُـهُ ضاقَـتْ عليكَ الـمصـادِرُ

٢. فمـا حَسَنٌ أنْ يَعْذِرَ الـمرءُ نَفْسَهُ وليـس لـه مِـن سـائرِ النـاسِ عـاذِرُ

- **الكشف:**

هو مضرِّسُ بن ربعي بن لقيط الأسدي، شاعر بدوي إسلامي، حسَن التشبيه، حاضر البديهة، سليط اللسان، وكانت له مع الفرزدق مهاجاة مشهورة، ففصل الناسُ بينهما.

وهذان بيتان يحذر فيهما من دخول الأمور على غير بصيرة، وخوض التجارب التي لا تُعرَف عاقبتها.

- **البيان:**

(إيّاك والأمرَ): أسلوب تحذير، أي اجتنب الأمر. (توسَّعت مداخلُه): أي كان الدخول إليه سهلاً يسيرا، ويروى (مواردُه) والمَوردُ الموضعُ الذي يأتيه الناس لاستقائهم، ثم استُعير لكل ما يُقبل عليه الإنسان من أمر. (المصادرُ): المصدرُ الموضع الذي يأتي منه الناس بعد استقائهم، ثم استُعير لكل ما يخرج منه الإنسان من أمر. (سائر الناس): تقدم في القطعة الرابعة والخمسين.

- **العرض:**

(١-٢): **يقول**: احذر أن تأتي الأمر الذي يتزيّن لك ظاهرُه، وترى مدخله سهلاً واسعا، لكنّك لا تعرفُ باطنَه، ويكون مخرجُه وعراً ضيّقا، فمن الحزمِ أن لا تُقبل على

أمرٍ إلا وقد خبرتَه وعلمتَه، إذ إنه يقبح بالمرء أن يكون فيما يقتحمُه عند نفسِه معذورا، وعند الناس ملوما، ولا جدوى من إعذاره لنفسه إذن.

(١٢٠)

وقال العبَّاسُ بنُ مِرْداسٍ: [من الوافر]

١. تَـرَىٰ الـرجُـلَ النَّحِيفَ فتَزْدَرِيه وفي أثوابـه أَسَـدٌ مَزِيـرُ
٢. ويُـعـجِـبُـك الـطَّـرِيـرُ فتَبْتَلِيه فيُخلِـفُ ظَـنَّك الرجـلُ الطريـرُ
٣. فما عِـظَـمُ الـرِّجـالِ لهم بفَخْرٍ ولكـنْ فَخْرُهُـمْ كَـرَمٌ وخِيـرُ
٤. ضِعافُ الطيرِ أطولُها جُسُومًا ولـم تَطُـلِ البُـزاةُ ولا الصُّقـورُ
٥. بُـغـاثُ الـطـيـرِ أكـثـرُهـا فِـراخًـا وأُمُّ الصقـرِ مِقْـلاتٌ نَـزُورُ
٦. لـقـد عـظُـمَ الـبـعـيرُ بـغـيرِ لُـبٍّ فلـم يَسْـتَغْنِ بالعِـظَمِ البعيـرُ
٧. يُـصـرِّفُـه الـصـبـيُّ لـكـلِّ وَجْـهٍ ويَـحْـبِـسُه علىٰ الـخَـسْفِ الـجَـرِيرُ
٨. وتَـضـرِبُـه الـولـيـدةُ بـالـهَـرَاوَىٰ فـلا غِـيَـرٌ لديـه ولا نكيـرُ
٩. فـإنْ أكُ فـي شِـرارِكُـمُ قليلًا فإنـي في خيارِكُـمُ كثيـرُ

- **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة الخمسين، ونُسِبت القطعة لغيره، وهذه قطعة مشهورة سيّارة يذكر فيها صاحبُها أن فضل الرجال ليس بجسومهم وطولها بل بعقولهم ووَفرِها، ويستشهدُ لذلك بمشاهد معلومة بالحس والتجربة، ثم يتخلص من هذا إلى الفخر بنفسه.

- **البيان:**

(فتزدريه): فتستصغره وتحتقره. (مزير): جَلدٌ خفيف، نافذ في الأمور. (الطرير): الشاب السمين الناعم حسَن الخِلقة. (فتبتليه): فتجربه وتمتحنه، والابتلاء الامتحان

كما في قول الحق سبحانه ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ﴾[المائدة: ٤٨]. (وخِيرُ): الخِيرُ الشرفُ وكرَم. (البُزاة): جمعُ البازي، وهو طيرٌ صيّاد كالصقر. (بُغاث الطير): يُقال للطير الضعيفة التي ليست من الجوارح فلا تصيد شيئا (بغاث)، وهي مثلّثةُ الباء. (فراخا): صغارا. (مِقلات): لا يبقى لها ولد. (نَزورُ): قليلةُ الأولاد، ومنه قولهم (هو شيء نَزْر) أي يسير. (بغير لُبٍّ): بلا عَقل، قال الحق سبحانه ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[آل عمران: ٧]. (يُصرِّفه): يُسيّرُه ويمشي به. (الخسْف): الهوان والذلة. (الجريرُ): الحبل. (بالهَراوى): جمع هِراوة، وهي العصا. (غِيَر): تغيير لما هو فيه. (نكير): النكيرُ الإنكار، قال الحق سبحانه ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[الحج: ٤٤]. (فإن أكُ): أي فإن أكن، وتقدم أن حذفَ نون (كان) جائز إن كانت مضارعـاً مجزومـاً بالسكون، وكان الحرفُ بعدها متحرّكـاً، ولم تتصل بضمير نصب.

- **العرض:**

(١ـ٣): يقول: إنك لترى الرجل نحيلَ البدن، ضامرَ الجسم، مهزولَ اللحم؛ فتستحقره لذلك وتزدريه، لكنك إذا فتّشتَ عما وراء ظاهرِه من الشجاعة والندى ألفيتَه أسداً قوياً بصيراً بالأمور ونافذاً فيها، وربما رأيتَ الرجل ناعمَ البدّن، حسَن الخلقة، ممشوقَ القوام، ثم إذا بلوتَه وامتحنتَ أخلاقه أخلفَ ظنّك فيه، ولم تجده كما كنتَ تحسب، فلا تعتبرِ بعد ذلك بجسوم الناس وظواهرهم، فإنما يُحمَد المرء بكرمِ أخلاقه، وطيبِ معدنه.

(٤ـ٩): يقول: وشاهدُ ما تقدّم أنك تُبصِر الطيرَ الضعيفةَ طويلةَ الجسوم، حسنةَ الخِلقة، كالنعام والإوز والكراكيّ، ثم ترى الطيرَ الوحشيّة الصائدةَ صغيرةَ الجِسم، كالصقور والبزاة، فهي تصيد ما يتضاعف على وزنها، ويربو على خِلقتها، بخلاف الأولى التي لا تأكل غير الحبوب والحشرات، وترى هذه الضعيفةَ كذلك كثيرةَ الولد، واسعةَ النسل، بخلافِ أم الصقر فإنها قليلةُ الفراخ، ومن شواهدِ ما تقدَّم أنك تنظرُ

للبعير وهو عظيمُ الهيئة، طويلُ السنام، واسعُ الصبر، ولكنه -إذ لم يكن له عقلٌ وتمييز- أمست قوتُه وعِظَمه لا يغنيان عنه شيئا، بل تراه مسخَّراً يحرّكه الصبي كيفما شاء، ويوجهه حيثُ أراد، ويحبسه بزمامِه على الذلة والهوان، حتى إن الوليدة تضربُه بالعصا وتوجعُه، فلا يملك من أمره تغييرَ ما هو فيه، وإنكارَ ما هو عليه! فإذا علمتم ذلك فاعلموا أني وإن استصغرني شرارُكم، وذمَّني سفهاؤكُم؛ إلا أن خيارَكم يعرفون قدري، وكرامَكم يحفظون منزلتي.

(١٢١)

وقال منظورُ بنُ سُحَيْمٍ: [من الطويل]

١. ولستُ بِهَاجٍ في القِرَىٰ أهْلَ منزلٍ   علىٰ زادِهم أَبكي وأُبكِي البَوَاكِيَا

٢. فإمَّا كِرامٌ مُوسِرُون أتيتُهُمْ   فحَسْبِيَ مِن ذِي عندَهم ما كَفَانِيَا

٣. وإمَّا كِرامٌ مُعسِرُون عَذَرْتُهُمْ   وإما لِئامٌ فادَّكَرْتُ حَيَائِيَا

٤. وعِرْضِيَ أَبقَىٰ ما ادَّخَرْتُ ذخيرةً   وبَطْنِيَ أطْوِيهِ كطَيِّ رِدَائِيَا

- **الكشف:**

هو منظورُ بن سُحيم بن نوفل بن نضلة الأسدي الفقعسيّ، من بني فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين من بني أسد، شاعر فصيح مخضرَم، سكَن الكوفة، ويلتقي مع الشاعرِ الذي تقدَّم في القطعة الثانية والأربعين في نضلة بن الأشتر.

وهذه القطعة يصف بها نفسَه وأنه جُبِل على التعفف عن المطاعم الدنيئة، والمطاعم الذميمة، ويذكر حفظَه لعِرضه وشرفه.

- **البيان:**

(بهاجٍ): الهجاءُ ذكرُ السوء والمسبَّة في الشِّعر، ويأتي في بابٍ مفرد باسمه. (في القِرى): تقدّم أن القِرى طعامُ الضيف، وقوله (في القرى) أي بسببِ القرى، ومجيء (في) للسببية والتعليل معروف، كما في قول الحق سبحانه ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٨]. (كرام موسرون): كرام لهم مالٌ وغِنى، واليسار والمَيسرة الغِنى وكفاية المال، قال الحق سبحانه ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، أي فأخِّروا مطالبته إلى حين تيسّر المال له. (فحسبي): فيكفيني. (من ذي عندهم): قيل إن (ذي) زائدة، والمعنى: من عندهم، وقيل: بل هي (ذو) الطائية الموصولة جاءت معربةً،

وتقدم بيانها في القطعتين: التاسعة والخمسين، والثانية والستين، وليس ببعيدٍ أن تكون كذلك هنا، فإنّ لبني أَسَد عند طيّء حِلفا، وديارهم قريبة، ومنازلهم مختلطة، فلا يمتنع اتفاق لسانهم في بعض الكلام، وقد رُوي البيت (من ذو عندهم). (كرام معسرون): كرام فقراء لا مال لهم، والإعسار والعُسرة الفقر، قال الحق سبحانه: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وتأمل وصفَ الشاعر إياهم بالكرَم على الحالين، فإن هذا من أدبه وشرفه. (فادَّكرتُ): فتذكّرتُ، والادّكار والتذكر واحد، ومنه ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: ٤٥]. (وعِرضي): تقدّم بيانه في القطعة السابعة. (ادّخرتُ ذخيرةً): كنزتُ كنزاً وحفظتُ حفظا، يُقال ذَخرتُ ذخراً وذخيرةً، فإذا أردت أن تجتلبه على وزن (افتعَل) قلتَ ادّخرتُ، ومنه ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾[آل عمران: ٤٩].

- **العرض:**

(١-٤): **يقول**: لستُ ممن يهجو الناسَ ويذمُّ المنازل من أجل أنه لم يجد عندهم القِرى والضيافة، ولستُ أبكي على ما يفوتني من زادهم وطعامهم كمن يبكي على ذلك لشدةِ نَهمِه ويُبكي غيرَه معه، ولكني أعفّ نفسي، وأصون عِرضي، فأنا في ضيافة الناس لي بين أحوال، إما أن أرى قوماً كراماً ذوي يسارٍ وغِنىً فأقصدهم، وأكتفي بالذي لي من حقٍّ عندهم، فلا أطلب منهم زيادةً على ذلك، وإما أن أجد قوماً ضاقَت بهم الحال، وقلّ لديهم المال؛ فأعذرهم في التقصير، وأرضى منهم بالقليل، وإما أن أعرف قوماً لئاما، في أخلاقهم دناءة، وفي طبائعهم خسّة، فأتذكر حيائي ولا آتيهم، وأكرمُ نفسي عن السير إليهم، فإن كرمَ عِرضي خيرُ مدَّخَر، وماءَ وجهي أكرمُ محفوظ، فأطوي بطني عن المآكل الرديئة كما أطوي ردائي عن الأماكن الوبيئة، وأمضي إلى حالي قد حفظتُ نفسي وصُنتُ عِرضي.

(١٢٢)

وقال الـمُقَنَّعُ الكِنْدِيُّ: [من الطويل]

١. يُعاتِبُني في الدَّينِ قَوْمي وإنما دُيُونِـيَ في أشـياءَ تَـكْسِبُهُمْ حَمْـدَا

٢. أَسُـدُّ بـه مـا قـد أخَـلُّـوا وضَيَّعوا ثُغُـورَ حقـوقٍ مـا أطاقُـوا لـها سَدَّا

٣. وفي جَفْنةٍ ما يُغلَقُ البابُ دُونَها مُكلَّلـةٍ لَـحْمًـا مُدفَّقـةٍ ثُـرْدَا

٤. وفـي فَـرَسٍ نَـهْـدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ حِجابًـا لبَيْتـي ثـم أَخْدَمْتُـهُ عَبْـدَا

٥. وإنَّ الـذي بَيْني وبين بَنِي أبي وبيـن بنـي عمِّـي لـمُختـلِفٌ جِـدًّا

٦. فإنْ يأكُلُوا الـحْمي وَفَرْتُ لُـحومَهُمْ وإن هَدَمُوا مـجدي بَنَيْتُ لهم مَـجْدَا

٧. وإنْ ضيَّعوا غَيْبي حفِظْتُ غُيُوبَهم وإنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لهم رُشْدَا

٨. وإن زَجَروا طيرًا بنَحْسٍ تَـمُرُّ بي زجَـرْتُ لهـم طيـرًا تَـمُرُّ بهـم سَعْدَا

٩. ولا أحمِلُ الـحِقدَ القديمَ عليهِمُ وليس رئيسُ القومِ مَنْ يحملُ الحِقْدَا

١٠. لهم جُلُّ مالي إنْ تَتابعَ لي غِنًى وإنْ قـلَّ مالـي لـم أُكَلِّـفْهُمُ رِفْـدَا

١١. وإني لعَبْدُ الضيفِ ما دام نازِلًا ومـا شِيمةٌ لـي غيرُهـا تُشبِهُ العَبْدَا

- **الكشف:**

هو محمد بن ظفر بن عمير الكندي، من بني الحارث بن عمرو بن معاوية بن كندة، شاعر أموي فصيح، كان من أجمل الناس وأحسَنهم وجها، وكان إذا أسفر عن وجهه أصابته العين، ولحِقَه المرَض، فكان لا يمشي إلا متلثما! فلذلك قيل له المقنّع، وقيل بل سُمّي المقنع لكثرة لبسه الحديد والسلاح، وكان المقنعُ سيداً شريفاً جوادا، لا يردّ سائلا، ولا يمنعُ طالبا.

وكان جدُّه عُمير سيدُ كندة ورئيسها، وكان عمُّه أبو شمّر بن عُمير ينازع أباه الرياسة ويغالبه عليها فيقصُر عنها، فجفَا أبناءُ أبي شمّر المقنّعَ وهجروه، ثم إن المقنعَ افتقرَ لكثرة إنفاقه وسعةِ جوده، وجاء يخطِب ابنة عمه أبي شمَّر، فرده إخوتها، وعيّروه بفقره وديونه، فأنشأ يقول هذه القصيدة البديعة التي يفخر فيها بجوده وكرمِه، ويذكر فيها حُسن صلته وخُلقِه.

- **البيان:**

(يُعاتِبني): تقدم أن العِتابَ والتعتّبَ والمعاتبةَ اللومُ على سبيل الحُبّ والإدلال. (تكسِبهم): تُعطيهِم وتمنحَهم، و(كسب) فعل متعد إلى مفعولين بنفسه. (حَمدا): ثناء وذِكرا حسَنا في الناس. (أسُدّ به): أُصلِحُ به. (أخلّوا وضيّعوا): أفسَدوا وفرّطوا. (ثغورَ حقوق): شبّه الحقوقَ بالأرض التي لها ثغرٌ تُحمَى به، فهي استعارة، وانتصب مفعولا لـ(أسُدّ). (وفي جَفنة): الجَفنةُ آنيةُ الطعام الضخمة، أكبر من القَصعة، وهذا عطفٌ على قوله (في أشياء تكسبهم)، أي من الوجوه التي أنفقتُ فيها أموالي، وجلبتُ لهم بذلك المحامد: جَفنةٌ... (مكلَّلةٍ لحماً): مملوءةً لحماً كأنّه الإكليل. (مُدفَّقةٍ ثُردا): فيها اللحم والخبز يكاد يدفق من كثرتِه، والثُّرُد والثُّرْدُ جمعُ ثَريد، وهو الطعامُ من الخبز واللحم والمَرَق. (فرسٍ نهدٍ عتيق): فرس طويل غليظ ضخم، وتقدّم، والقولُ في عَطفِه كالقولِ في عَطف الجَفنة. (جعلتُه حجاباً لبيتي): أي أنه لإكرامه فرسَه وضنِّه به جعلَه عند باب بيته، وفيه إشارةٌ إلى أنّ فرسَه متوفّرٌ على خدمتِه متى أراده، (وإنما يريد أن فرسَه نُصب عينه، وأكبرُ همِّه)[1]. (ثم أخدمتُه عبدا): هذا من إجلال العربِ للفرَس، وإكرامِهم للخيل، (فإن العرب في الجاهليّة لم تكن تصونُ شيئاً من أموالها ولا تُكرِمه صيانتَها للخيل وإكرامَها لها، لما كان لهم فيها من العِزّ والجمالِ والمتعةِ والقوةِ على عدوهم، حتى إن كان الرجلُ مِن العرب ليبيتُ طاوياً ويُشبِعُ فرسَه ويُؤثِره على

---

(١) معاني أبيات الحماسة (١٥٩).

نفسِه وأهله وولده)[1]! (بني عمّي): يعني عمَّه أبا شمّر، وتقدم خبرُ أبنائه في كشف القطعة. (فإن يأكلوا لحَمي): فإن يغتابوني وينالوا من عرضي، وهذا معنى مشهور في شِعر العرَب، وهو تشبيههم المُغتاب بآكلِ اللحم، وبه جاء التنزيل: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]. (وَفرتُ لحومَهم): صُنتُ أعراضَهم عن الحديث فيها. (هدموا مَجدي): حطّوا مِن قدري بالذكر السيء. (بنيتُ لهم مجدا): ذكرتُهم بكريم الفَعال وحسَن المآثر. (ضيّعوا غيبي): لم يرعوا في غيابي إلًّا ولا ذمّة. (حفظتُ غيوبَهم): رعيتُ حقَّهم، وحفظتُ مكانتَهم. (هوَوْا غيّي): تمنّوا ضلالي وغوايتي. (هويتُ لهم رشدا): تمنيتُ هدايتَهم وسدادهم. (زجَروا طيراً بنحسٍ تمرّ بي): أرادوا لي النّحس، وتشاءموا من طلعتي. (زجرتُ لهم طيراً تمرّ بهم سَعدا): أردتُ لهم السعادة، وتفاءلتُ لأحوالِهم. (ولا أحمل الحقد القديم عليهم): ولا أحتمل لهم الضغينة والمحاسدة. (وليس رئيسُ القوم من يحملُ الحقدا): وإنما سيدُ القوم ورئيسُهم من كان حليما عفوّا كثيرَ التغاضي، وما أجودَ تخلّصَه إلى إثباتِ الرئاسةَ لنفسِه في هذا البيت! (لهم جُلُّ مالي إن تتابع لي غنى): لهم مُعظمُ مالي وغالبُه إن استغنيتُ واتسعَ مالي. (وإن قلّ مالي لم أكلفهم رِفدا): وإن افتقرتُ لم أطلب منهم مالا، ولم أُلحِف عليهم سؤالا، والرِّفدُ العطيةُ كما تقدّم في القطعة الثلاثين. (لعبدُ الضيف): أي خادم للضيف، وقائم على حقه، وهذا مما تحمده العرب. (شيمة): صفة وخصلة.

- **العرض:**

(١-٤): يقول: لامَني قومي على ديوني، وعابني أهلي على قروضي، ولم يرضوا منّي السرَفَ في الإنفاق والجودَ في العطاء، ولم يعلموا أني إنما أبذل مالي فيما يعود عليهم بالمَجد والحَمد، فمِن ذلك أني أرقبُ ما ينوبُ من الحقوقِ -فيضيعونها ويفرّطون في حفظها- فأسدُّ ثغرها بنفسي، وأقيمُ عوجَها بمالي، ومن ذلك أني كثيرُ الأضياف،

---

(١) الخيل لأبي عبيدة (٢).

مفتَّحُ الأبواب، لا أحجبُ عن بيتي طارقا، ولا أمنعُ عن قِدري نازلا، فقدُوري مملوءةٌ باللحم وافرةٌ بالثّرُد، قد تعودَت طروقَ الضيفان، ومِن ذلك أن بفنائي فرسَاً مربوطا أعددتُه للمهمات، وادّخرتُه للنائبات، ولِكرمِه عليّ ومكانته عندي فإني قائمٌ عليه بالحفظ والرعاية، باذلٌ في سبيل صونه الغاليَ والنفيس.

(٥ـ٨): **يقول**: أما حالي وأبناءَ عمّي فإني وإياهم على طرَفي نقيض، وليس يصِلُ ما بيننا إلا رثُّ الحبال، فهم مؤتمرون على عداوتي، وأنا حريص على ودادهم، وهم يُكثِرون من غِيبتي، وينالون من عِرضي، وأنا أحفظُ غيوبَهم، وأمسِكُ عن الخوض فيهم، وهم يسعون في نقض مجدي بالذكر السيء، والإشاعات القبيحة، وأنا أجازيهم بالذكر الحسَن، وأكافئهم بالثناء العاطِر، وهم لا يرعون لي حقّا في غيابي، ولا يحفظون لي ودادا من ورائي، وأنا أسبغُ عليهم ثيابَ المحامد في غيابِهم، وأحفظُ لهم حق القرابةَ من ورائهم، وهم يسعون جهدهم يبغون لي الغواية والفساد، وأنا مستنفدٌ جهدي لهم بإرادة الهداية والسداد، وهم لا يتمنون لي إلا النَّحس والخذلان، أما أنا فلستُ أريدُ لهم إلا السَّعد والإحسان.

(٩ـ١١): **يقول**: وعلى هذا كلِّه فإني لا أحتمل عليهم الحقد، ولا أُسرّ دونَهم البغضاء، بل أنتظرُ فيئتَهم الحسَنة، وأرتقبُ عودتهم الحميدة، ولئن استغنيتُ فإن مالي فداء لهم، لا أمنعهم منه شيئا، ولئن افتقرتُ فإني باسطٌ لهم العذر، كافٌّ عنهم السؤال، لا أبتغي منهم مالا، ولا أكلفهم عطاءً، وأنا باقٍ على حالتي هذه لا أغيرها، ولن يردعني شيءٌ من هذا عن سدّ الحقوق، وخدمة الأضياف، فإن حُسن الخُلق مني مبذولٌ للبعيد كما هو مبذولٌ للقريب.

ولَعمري كيف انطوى قلبُ بشَرٍ على كل هذا الحِلم! وأيُّ خُلقٍ أحسنُ وأكملُ وأتمُّ وأقومُ من هذا! ويحاً لمن قرأ هذه القطعة فلم يعجَب لها!

(١٢٣)

وقال رجلٌ من الفَزَارِيِّين: [من الطويل]

١. إلَّا يَكُـنْ عَظْمي طويـلًا فإنَّني ... لـه بالـخِـصالِ الصَّالـحاتِ وَصُولُ

٢. ولا خيرَ في حُسْنِ الجُسُومِ ونُبْلِها ... إذا لـم تَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ

٣. إذا كنتُ في القَوْمِ الطِّوالِ أصَبْتُهُمْ ... بعارِفـةٍ حتـىٰ يُقـالَ طويـلُ

٤. وكَـمْ قد رَأَيْنـا مِـن فُـروعٍ كثيرةٍ ... تمـوتُ إذا لـم تُحْيِـهِنَّ أصُـولُ

٥. ولـم أرَ كالمعروفِ أمَّا مَذَاقُهُ ... فحُلْـوٌ وأمَّـا وَجْهُـهُ فجميـلُ

● **الكشف:**

هو مبشِّرُ بن هذيل الفزاري، وقيل اسمه بِشر، من بني فزارة من ذبيان، شاعرٌ جاهلي أو إسلامي، كان رجلًا قصيرَ القامة، وهو معروفٌ بقصيدته هذه التي انتقى أبو تمام أبياتاً منها، وهذه قصيدته التي فيها الشطر المشهور (كريمٌ على حين الكرامُ قليلُ).

وهذه الأبياتُ قالها بعدما عيّرته امرأته بالقِصَر ونسبَته للبُخل، فأنشأ يقول هذه الأبيات التي يفخر بها ويذكر فيها أن فضلَ الرجلِ بنُبله وعقله لا بجسمه وعظمِه، وأن الطولَ على الحقيقة طولَ الفعال لا طولَ الأبدان.

● **البيان:**

(إلا يكن): إن لم يكن. (وَصُول): كثيرُ الوَصل. (ونُبلها): نُبل الجسوم حُسن قوامها وتمامُ خلقتها. (تزِن): تُزيّن وتُجمّل. (أصبتهم بعارفة): العارفةُ الفَعلةُ مِن المعروف، وإصابتهم بالعارفة إي إسباغ المعروف عليهم. (يُقال طويلُ): عنى طولَ الفعال، وكثرة النوال، وارتفع (طويل) على خبرية الابتداء المحذوف، أي هو طويل.

(فروع كثيرة): الفرعُ ما تولّد عن غيرِه، وعنى به الأشكالَ والظواهر. (أصولُ): الأصل ما تولّد منه غيرُه، وعنى به الجواهر والبواطن.

- **العرض:**

(١-٥): **يقول**: إن لم يكن في جسمي طولٌ وامتداد، ولا في خلقي بسطةٌ وازدياد، فإني لا أزال أصِلُ نقصَ جسمي بالأفعال الكريمة، وأمدُّ قِصَر قامتي بالخصال الحميدة، فإن من أوتي الفضلَ في خُلقه وفعاله خيرٌ ممن أوتي الفضلَ في جسمه وعظامه، وليس يُحمَد الرجل أو يُذم إلا بما يتخلّق به من خصال دون ما يَظهرُ به من عِظام، وكنتُ متى وافقتُ قوماً لهم طولٌ في الجسم، وامتدادٌ في الهيئة؛ أعلوهم بمعروفي، وأفضلُهم بعطائي، حتى أوصف بالطول، فإنما الطول طول المعروف، وكم قد رأينا ممن زان جسمُه، وامتدّت قامتُه، محقوراً عند الناس، مذموماً عند الخلق؛ لِما هو عليه من سوء الأخلاق، وقبيح الخصال، فإن الاعتبار في التفضيل إنما هو بطيب الفعال، وحسَن الشيَم، ولم أر شيئاً يُفضّل المرء مثل إسدائهِ المعروف، وبثِّه العطاء، فإن من ذاقه استحلاه، ومَن رآه استحسنه وارتضاه.

(١٢٤)

وقال مُضَرِّسُ بنُ رِبْعِيٍّ: [من الكامل]

١. إنَّا لنَصْفَحُ عن مَجَاهِلِ قومِنا ونُقِيمُ سالِفَةَ العدوِّ الأصْيَدِ

٢. ومتىٰ نَخَفْ يومًا فَسَادَ عَشِيرةٍ نُصْلِحْ، وإنْ نَرَ صالحًا لا نُفْسِدِ

٣. وإذا نَمَوْا صُعُدًا فليس عليهِمُ منَّا الخَبَالُ ولا نُفُوسُ الحُسَّدِ

٤. ونُعِينُ فاعِلَنا علىٰ ما نابَهُ حتىٰ نُيَسِّرَه لِفِعْلِ السَّيِّدِ

٥. ونُجِيبُ داعِيةَ الصَّباحِ بثائبٍ عَجِلِ الرُّكوبِ لِدَعْوةِ المُسْتَنْجِدِ

٦. فنَفُلُّ شَوْكَتَها ونَفْثَأُ حَمْيَها حتىٰ تَبُوخَ وحَمْيُنا لم يَبْرُدِ

٧. ونُحِلُّ في دار الحِفاظِ بُيوتَنا رَتْعَ الجَمائلِ في الدَّرِينِ الأسْوَدِ

- **الكشف:**

تقدمت ترجمته قريبا في كشف القطعة التاسعة عشرة ومئة، وهذه القطعةُ يفخر فيها بنفسه وقومه، ويذكر ما اتصفوا به من حميدِ الفعال وحسَن المآثر، ويشير إلى شجاعتهم في الحروب، وكرمِهم في المنازل.

- **البيان:**

(لنَصفحُ): تقدم أن الصفح العفو عن الإساءة، قال الحق سبحانه ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ ﴾[الزخرف: ٨٩]. (مجاهل): تقدّم في القِطعة الثانية، وهو هنا ضدّ الحِلم، أي الطيش والسفه والعمل بخلاف الحق. (ونقيم سالفة العدو): السالفةُ صفحةُ العُنق، يُقال: أقام سالفتَه، أي أصلح عِوجَه بالقوة، وهذا كما يُقال: قوَّم قناتَه. (الأصيَد): المتغطرس المتكبِّر، والصَّيَدُ ميلٌ في العُنق من الكِبر، كما أنَّ الصَّعَر ميلٌ في الخدِّ من

الكِبر، وفي البيت مقابلة ظاهرة، وهي نحو قوله تعالى ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وتقدم هذا المعنى غير مرة. (نموا صُعُدا): ارتقوا عالياً، وزادوا ارتفاعا، يريد صعودَهم في درجات العز والشرف. (الخَبال): الفساد والمضرة، ومنه ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[آل عمران: ١١٨]. (الحُسَّد): جمعُ حاسد، وهو الناظرُ إلى نعمةِ غيره متمنياً زوالَها. (فاعلنا): الذي يفعل الخيرات منا. (نابَه): أصابَه ونزل به. (داعيةَ الصباح): أي المستغيث المستنجِد، لأن العادة جرت بندائه: واصباحاه! وتقدم هذا الاستعمال في القطعة السادسة والثمانين. (بثائبٍ): بجيشٍ كثيرِ العدَد سريعِ المسير، وأصل الثائب الريحُ الشديدة السريعة في أول المطر، فاستعاره هنا للجيش. (عجِل الركوب لدعوة المستنجِد): أي أن هذا الجيش تعوَّد نصرة المستضعفين وإغاثة المستغيثين، فهو متعجِّل لإجابة دعوتهم متى دعوه. (فنفلُّ شوكتَها): فنُضعِف قوتَها ونكسِر حِدتَها، فالشوكةُ كنايةٌ عن قوة القوم، قال الحق سبحانه ﴿غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ﴾[الأنفال: ٧]، وفَلُّها إضعافُها وكسرُها. (ونفثأ حميَها): نسكّن غليانَها، تقول: فثأتُ القِدر، إذا سكّنتَ غليانها، وكنى به هنا عن إضعاف قوة أعدائهم. (تبوخَ): تنطفأ. (وحميُنا لم يبرد): أراد وقوتنا لم تضعُف. (دار الحِفاظ): تقدم أن الحِفاظ الحمايةُ والرعاية، ودارُ الحِفاظ أي الدار التي يُحمى فيها القوم، ويُدافَع فيها عن الشّرَف. (رتع الجمائل): أي نستطيبُ المقام بها والأكلَ منها كما ترتعُ الجمال، والرَّتعُ الاتساعُ في المأكل، والجمائل جمعُ جِمالة، وجِمالة جمعُ جمَل. (الدرين الأسودِ): الكلأ اليابس القديم، وخصَّ القديم بالرتع كنايةً عن طول لبثهم في المنزل، وقِدَم حقِّهم فيه.

- **الكشف:**

(١-٣): يقول: إنا لوَدودن إلى قومنا، حريصون عليهم، رفيقون بهم، فإن رأينا منهم ذا جهلٍ وطيش صفَحنا عنه، وأبقينا عليه، وحفظنا الحقَّ بيننا وبينه، فأما الأعداءُ فإنا نكسر عينَهم، ونطأُ كِبَرهم، ونليِّن أعناقَهم، ونحن باذلون خيرَنا لكل الناس، فإن

رأينا عشيرةً مختلفةَ الأهواء مضطربةَ القلوب أصلحنا ذاتَ بينهم، ولم نتركهم على التدابر والتباغض، وإن رأيناهم على حالةٍ من الصلاح حمدنا ذلك لهم، وحملناهم على الازدياد مما هم فيه، وإذا رأينا قوماً ارتقوا في درجات العز، وارتفعوا في مدراج الشرَف، لم نحسدهم ولم نضيق عليهم، بل كنّا لهم عوناً على ما هم فيه من مصالح ومحامد.

(٤ـ٧): **يقول**: وإذا رأينا الساعي منّا نهضَ إلى إقامة الحقوق وأداء الواجبات؛ أعنّاه على بلوغ مراده، وتتميم مسعاه، حتى نبلغ به فعلَ السادة الكِرام، فإن فخرَه فخرٌ لنا، وعزَّه عزٌّ لنا، ونحن إن استغاث بنا مكروب، واستعان بنا ملهوف؛ نصرناه بكل ما نملك، وأجبناه بجيشٍ كثيرِ العدد، سريعِ المسير، لا يدخر جهداً في القعود عن نصرة المظلوم وإجابة المستنجِد، فنكسِر شوكةَ المُغيرين، ونُضعِف قوتَهم، ونوهن عزائمَهم، ونطفئُ نارَ قوتهم فتنطفئ، وتبقى نار قوتِنا على حالها من التوقد والاشتعال، ونصبِر في دار الحفاظ، وننزل أخصبَ الديار، وننعَم فيها كما تَنعم الإبل برعي الكلأ قديمِ العهد، فإن لنا من القوة والعزة والشرف ما يحملنا على فعل ذلك.

(١٢٥)

وقال قيسُ بنُ الخَطِيم: [من الوافر]

١. ومـا بـعـضُ الإقـامـةِ فـي ديـارٍ يُهـانُ بهـا الفتـىٰ إلا بَـلاءُ

٢. وبـعـضُ خـلائـقِ الأقـوامِ داءٌ كـداءِ البطـنِ ليـس لـه دَواءُ

٣. يُـريـدُ الـمـرءُ أنْ يُـعْـطَـىٰ مُـنَـاهُ ويأبَـىٰ اللهُ إلا مـا يَشـاءُ

٤. وكـلُّ شـديـدةٍ نـزَلَـتْ بـحَـيٍّ سـيأتي بعـدَ شِـدَّتِها رَخـاءُ

٥. ولا يُعطَىٰ الحريصُ غِنًى لحِرْصٍ وقـد يَنمِـي إلـىٰ الجُـودِ الثَّـراءُ

٦. غَـنِـيُّ الـنفسِ مـا عَـمِـرَتْ غنِيٌّ وفَقْـرُ النفـس مـا عَمِـرَتْ شَـقَاءُ

٧. ولـيـس بـنـافـعٍ ذا الـبُـخْـلِ مـالٌ ولا مُـزْرٍ بصاحِبِـه السَّخـاءُ

٨. وبـعـضُ الـداءِ مُـلْـتَـمَـسٌ شِـفَـاهُ وداءُ النُّـوكِ ليـس لـه شِـفاءُ

- **الكشف:**

هو قيس بن الخَطيم بن عدي الأوسي، شاعر الأوس وفارسُها الصنديد، وشِعره حسَن بديع، كانت له في الجاهلية وقعات مشهورة، وفي حرب بعاث صولات مذكورة، وأدرك الإسلام فلم يُسلِم، وهو صاحبُ البيت المشهور لمّا انتقم من قاتل جدِّه بذي المجاز[1]:

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةَ ثائرٍ لهـا نفَـذٌ لـولا الشُّعـاعُ أضاءَهـا

ملـكتُ بهـا كفّـي، فأنهـرتُ فتقَهـا يُرىٰ قائمـًا مـن خلفِهـا مـا وراءَها!

---

(١) ديوان الحماسة (١/ ١٠٧)، وانظر: الموشح للمرزباني (٩٩) والمعاني الكبير لابن قتيبة (٢/ ٩٧٨).

وهو بيتٌ مشهور في باب (الإغراق في الوصف)، وروى الأصمعيُّ أنه شهِدَ شُعبةَ بن الحجاج يُنشد هذا البيت ثم يضحك ويقول: والله ما طعَنه ولكنّه نقَب في جنبِه دَربا!

وهذه الأبياتُ من لطائف الحِكمة، وطرائف الآداب، وكلُّ شطرٍ منها قائمٌ بالاستشهاد وحدَه، وهذه القطعةُ والتي تليها ظاهرتا المعنى والنظم، لا تحتاج بياناً وعرضا، غير أنا قد اشترطنا ذلك على أنفسنا في أول الكتاب فلا نُخِلّ به هنا، ثم إن شرحَ القطع في كتابنا ليس مقصوراً على بيان معانيها، بل هو مشتمل على فوائد ومُلَح قد لا تتحصّل في غيرِه.

- **البيان:**

(خلائق): جمعُ خَليقة، وهو ما يتصف به الإنسان من خَصلة خير أو شر. (داء كداء البطن): مرضٌ كمَرض البطن، وإنما خصَّ مرض البطن لأن العرب كانت تستعظمُه، وتضربُ به المثل فتقول (هو كداءِ البَطنِ لا يُدرى أنّى يُؤتى)[1]، وكان استقرّ عندهم أن مِن أدواء البطن ما لا علاج له، وفيه قال النبي ﷺ (والمبطون شهيد)[2]، وليس كل داء بالبطن فلا دواء له، بل مِن فقه البخاري أنه بوَّب في كتاب الطب باباً (دواء المبطون) ثم روى حديثَ الذي استطلق بطنُه فأُمِر بشرب العسَل. (مُناه): مبتغاه وأمنياته. (شديدة): نازلة شديدة، ومصيبة عظيمة، من باب الاستغناء عن الموصوف بصفته. (وقد ينمي إلى الجود الثراءُ): وقد يزيدُ المال مع كثرة الإنفاق، وروى التبريزي والشنتمري وغيرهما (على الجود)، وهو أجود. (عمِرَت): طال عُمرها، وامتدَّ أجلُها،

---

(١) مجمع الأمثال (٤٥٠٢).

(٢) البخاري (٧٢٠)، ومسلم (١٩١٤)، قال ابن القيم معلقا على هذا الحديث في زاد المعاد (٤/ ٢٥٤): (وأنت إذا تأملت الأمراض والآفات التي حكم رسول الله ﷺ لأصحابها بالشهادة وجدتَها من الأمراض التي لا علاج لها).

وهو بكسر الميم. (مُزرٍ): حاطٌّ من قَدرِه، وغاضٌّ من شأنِه. (مُلتمَسٌ شِفاهُ): يُتطلَّب دواؤه فيُستطاع. (النُّوك): الحُمق والخرَق.

- **العرض:**

(١ـ٨): يقول: ما البقاءُ في الدار التي تُهان بها إلا بلاء، وما الجلوسُ في المنزل الذي تُظلَم به إلا هوان، فلا بدّ لك حينئذ من الرحيل والمغادرة، فإن في بعض خلائق الناس من اللؤم والدناءة ما يحملك معه على الرحيل عنه، وسوء خُلقه كداء البطن لا يتغير ولا يُشفى، وكم من إنسانٍ تمنى أمرا فلم يجده، ورجا مَطلباً فلم يحصله، وكلُّ أمر راجعٌ إلى قدر الله يتصرف فيه كيف يشاء، وليست الحياة بدائمة على حالة واحدة، ولا العيش باقٍ على مذهب مستمر، بل الشدة تُعقِب الرخاء، والراحةُ تُعقِب العناء، والأمور ماضيةٌ بتصريفِ الله لها، فلا الحريصُ على المال الجامعُ له يزيد ماله مع الحِرص، ولا الباذلُ للمال المُنفِق له يقلّ ماله مع الإنفاق، والغِنى الحقيقيُّ غِنى النفس وإن طال العمر وامتدّ الأجل، أما فقيرُ النفس فليس يقنع بشيء ولو اتسع ماله ما اتسع وطال عُمره ما طال، فلا ينفعُ البخيل ماله، ولا يضرُّ الكريم إنفاقه، لكن ليت شعري مَن يفقه هذا عني! فإن بعض الأدواء يُستطاع شفاؤها، إلا الحماقة أعيَت من يداويها.

(١٢٦)

● وقال يَزِيدُ بنُ الحَكَم: [من مجزوء الكامل]

١. يـا بَـــدْرُ والأمـــثـــالُ يَضْـ ... ـربُها لـذي اللُّبِّ الحـكيمُ
٢. دُمْ لـلــخـلـيـلِ بــوُدِّهِ ... مـا خيـرُ وُدٍّ لا يـدومُ
٣. واعـــرِفْ لـــجـارِكَ حَقَّـه ... والحـقُّ يعرفُـه الكريـمُ
٤. واعـلَـمْ بـأنَّ الـضيـفَ يَوْ ... مًا سوفَ يَحْـمَدُ أو يلـومُ
٥. والـنـاسُ مُبْـتَـنِيَانِ مَحْـ ... ـمودُ البِنايـةِ أو ذميـمُ
٦. واعـلَـمْ بُـنَـيَّ فـإنَّـه ... بالعِـلمِ يَنتفِعُ العليـمُ
٧. أنَّ الأمــورَ دقيـقُـهـا ... مِمَّـا يَهيجُ لـه العظيـمُ
٨. والـتَّـبْـلُ مِـثلُ الـدَّيْـنِ تُقْـ ... ـضـاهُ، وقـد يُلوَىٰ الغريـمُ
٩. والـبَـغْـيُ يَـصْــرعُ أهـلَـه ... والظُّلْـمُ مَرْتَـعُه وَخِيـمُ
١٠. ولـقـد يـكـونُ لـكَ الـغريـ ... ـبُ أخًا ويَقْطَعُكَ الحميـمُ
١١. والـمـرءُ يُـكـرَمُ للغِنَىٰ ... ويُهـانُ للعَـدَمِ العديـمُ
١٢. قـد يُقـتِـرُ الـحَـوِلُ التَّقِـ ... ـيُّ ويُكثِرُ الحَمِـقُ الأثيـمُ
١٣. يُـمْـلَـىٰ لـذاكَ ويُـبْـتَـلَـىٰ ... هـذا فأيُّهمـا المَضِيـمُ
١٤. والـمـرءُ يَبْخَلُ في الحُقو ... قِ، ولِلْكَـلالةِ ما يُسِيمُ
١٥. مـا بُـخْـلُ مَـنْ هـو لـلمَنُو ... نِ ورَيبِـها غَـرَضٌ رَجِيـمُ
١٦. ويَـــرَىٰ الـقُـرُونَ أمـامَـه ... هَمَـدُوا كمـا هَمَـدَ الهـشيمُ
١٧. وتُــخَــرَّبُ الـدنـيـا فلا ... بُـؤسٌ يـدومُ ولا نعيـمُ

١٨. كـلُّ امـرئٍ ستـئِـيمُ مِنْـ ـهُ العِرْسُ أو مِنها يَئِيمُ

١٩. مـا عِـلمُ ذي ولَـدٍ أيَـثْـ كَـلُهُ أمِ الولدُ اليتيمُ

٢٠. والحـربُ صاحبُها الصَّلِيـ ـبُ علىٰ تَلاتِلِها العَزُومُ

٢١. مَن لا يَـمَـلُّ ضِـرَاسَـهـا ولدىٰ الحقيقةِ لا يَخِيمُ

٢٢. واعـلَـمْ بـأنَّ الـحـربَ لا يَسْطِيعُها المَرِحُ السَّؤُومُ

٢٣. والخَيْلُ أجْـوَدُها المُنا هِبُ عند كَبَّتِها الأَزُومُ

- **الكشف:**

هو يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، وجدُّه وعمُّه عثمان مِن صحابة رسول الله ﷺ، وكان يزيدُ شاعراً أموياً فصيحاً عاليَ الطبقة، وأعجبَ الفرزدقَ شِعرُه.

وهذه القطعةُ يعظُ بها الشاعرُ ابنَه بدرا، ويوصيه فيها بوصايا نافعة، ويذكر له منها حِكما رائقة، ويضرب له بها أمثالاً لطيفة، وقد استحسنها الأدباء والكتاب، وأكثروا من الاستشهاد بأبياتها، وهي أطول قصيدة في هذه الألفيّة.

- **البيان:**

(لذي اللب): لذي العقل، وجملة (والأمثال... الحكيمُ) اعتراضية بقصد التنبيه والتأكيد على الوصايا الآتية. (بودّه): بودك له، من باب إضافة المصدر إلى المفعول، والود مثلّث الواو. (ما خيرُ ودٍّ لا يدومُ): أيُّ خيرٍ في ود لا يدوم؟ (سوف يحمد أو يلوم): أي سوف ينصرف عمن استضافه يوما، فيذكره بما لقي منه: إن خيرا حمِدَه، وإن شرًّا لامَه، وهذا نحو قول عمرو بن الأهتم في وصيته لأبنائه بالضيف: (إن منطقَه يسيرُ)[1]، أي أن كلامَه عنكم سيَسيرُ في الناس، مدحاً كان أو ذمًّا. (مبتنيان): يقصد بالبناء ما يشيدُه الرجل من كريم الفعال وحسَن المآثر، وهذا الأسلوب يسميه أهل البلاغة (توشيعا)،

(١) المفضليات، القصيدة (١٢٣).

وهو ذكرُ مثنى أو جمع مفسر بعد ذلك بمتعاطفين أو متعاطفات، وفيه تشويق للسامع، وحصرٌ للكلام. (بُنيّ): كلمةُ نداءٍ اعتراضيةٌ يُقصَد بها التلطّف والتنبيه على ما يأتي، ونحو ذلك ﴿يَـٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾[هود: ٤٢]، وفيها معنىٰ الحكمة والخبرة، كأنه يقول: إنك صغير، وإني جرَّبتُ الأمور قبلك، وأوردها أبو مالك في الألفية بفتح يائها الأخيرة كما في قراءة حفص، غير أن المرزوقي لم يورد غير روايتين: الضم علىٰ الإفراد، والكسر علىٰ الإضافة، وكلُّ الأوجه صالحة، وقرأها الجمهورُ في القرآن بكسر الياء. (بالعِلم ينتفعُ العليم): أي أن من لم ينتفع بالعِلم فليس بعليمٍ علىٰ الحقيقة، وإنما العِلم ما نفَع. (دقيقُها): صغيرُها، ومرت شواهدُ هذا المعنىٰ في القطعة الحادية عشرة ومئة. (والتَّبْل): الثأرُ وطلبُ الوتر. (تُقضاهُ): تُعطَىٰ حقَّك منه. (يُلوىٰ الغريم): يُماطَل صاحبُ الدَّين، والغريم اسمٌ يُطلَق علىٰ الدائن والمدين، فإن أردتَ به الدائن جعلتَه (يُلوىٰ الغريم)، أي يُماطَل في حقِّه، وإن أردتَ به المدين جعلتَه (يَلوي الغريم)، أي يُماطِل صاحبَ الدين حقَّه، وكلا الروايتين مسموعتان، وهذا مثل ضربه لإدراك الثأر وأنه كالدَّينِ قد يُقضىٰ وقد يُمطَل. (والبغي): البغيُ التجاوز والتعدي، قال سبحانه ﴿أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ﴾[الشورىٰ: ٣٩]. (مرتعه وخيمُ): تقدم استعمالُ ألفاظ هذا البيت وبيانه في القطعة التاسعة والأربعين. (الغريب): أراد الذي لا تصلُك به قُربىٰ. (الحميم): أراد ذا القرابة والصلة، قال الحق سبحانه ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء: ١٠١]، أي خالص المودة. (العديمُ): الفقيرُ الذي لا يجد شيئا. (يُقتِر): يفتقر. (الحَوِل): صاحبُ الحيلة والعقل، صفةٌ مشبّهةٌ كما يُقال (رجلٌ فَرِح)، ويصح أن تكون علىٰ المبالغة. (التقيُّ): أصل التقوىٰ والاتقاء احتجازُك عن الشيء واحتجابُك، والتقيُّ الذي يتجنب المآثم والمحارم ويحتجب عنها. (الحمِقُ): صاحبُ الحُمق، أو هو كثيرُ الحمق. (الأثيم): كثيرُ الإثم، قال سبحانه ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[الجاثية: ٧]، وفي البيت مقابلة ظاهرة. (يُملىٰ لذاك): يؤخَّر عنه ويُمهَل، قال الحق سبحانه ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٣]، وأراد بقوله (ذاك) الحمِقَ

الأثيم، ويسمي البلاغيون هذا الأسلوبَ: (نشراً ولفّاً مفرَّقا)، لأنه عاد بالحكم علىٰ المذكورات من غير مراعاة لترتيبها. (ويُبتلىٰ هذا): ويُصيب الحوِلَ التقيَّ البلاءُ. (فأيُّهما المضيمُ): فأيُّ واحد فيهما المتضرِّر علىٰ الحقيقة؟ أي أن الاعتبار بالعاقبة والمآل لكل من التقيّ والشقيّ. (وللكلالة): الكلالةُ الورثةُ عدا الوالد والولد، قال الحق سبحانه ﴿يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾[النساء: ١٢]. (ما يُسيم): الإسامةُ إخراج المال إلىٰ المرعىٰ، و(ما) موصولة أي الذي يسيمُه، يعني مالَه الذي يبقىٰ لورثتِه بعده. (للمنون): للموت. (غرضٌ رجيمُ): هدفٌ مقذوف، وأصل الرَّجم القذف، قال الحق سبحانه ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾[الكهف: ٢٠]، أي يقذفوكم بالحجارة. (همدوا كما همد الهشيم): يبسوا وتكسّروا كما ييبس ويتكسّر النبات اليابس القديم، قال الحق سبحانه ﴿هَامِدَةً﴾[الحج: ٥]، أي يابسة، وقال ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾[الكهف: ٤٥]، أي نباتـًا متفتتـًا متكسِّرا. (ستئيمُ منه العِرسُ أو منها يئيمُ): العِرس الزوجة، والمعنىٰ: سيموتُ فتُصبح زوجتُه أيِّما، أو تموتُ زوجتُه فيكون بعدَها أيِّما، والأيِّم يُطلق علىٰ الزوج أو الزوجة إذا فقد أحدُهما الآخر. (أيَثكله): أيَفقده، والثُّكل فِقدان الولد، والهمزةُ في الكلمة للاستفهام. (الصَّليبُ علىٰ تلاتلها): الشديدُ علىٰ أهوالها، والصابرُ علىٰ لأوائها. (العَزومُ): كثيرُ العَزم. (ضِراسَها): الضَّرْسُ العضّ، واستُعير للحرب فقيل: ضِراسُ الحرب، أي شدتها ومطاحنتها. (يخيم): يجبُن وينكص. (يسطيعها): يستطيعها، فيجوز حذف التاء فيه فيُقال اسطاع يسطيع، وتقدم في القطعة السادسة ومئة. (المرِح السؤومُ): المرح صاحبُ اللهو واللعب، والسؤومُ كثيرُ السآمةِ والملل. (المُناهِب): المناهَبة المباراةُ في الجري، والمُناهِبُ المُسابِقُ المُنافِس. (كبَّتها): مُعظمها وشدتها. (الأزومُ): تقدم في القطعة السادسة والسبعين أن الأَزمَ العضّ، فالأزومُ العَضوض، وهو كناية عن احتمال الشيء والصبرِ عليه والتمسك به.

- **العرض:**

(١ـ٧): يقول: اسمع مني هذه الوصايا والأمثال يا بدر، وإنما يَضربُ الأمثالَ الحكماءُ، ويتأدب بها العقلاءُ، فأول ما أوصيك به أن تكون خالصَ المودةِ لخليلك، حافظَ الحقِّ لقريبِك، وأيُّ خيرٍ في مودة متقلبةٍ لا تدوم! ثم ارعَ لجارك حقَّه، واعرف لضيفك قدرَه، فالحقوقُ يعرفها الكرام، ولا بدّ أن ضيفَك مرتحل عنك يوماً، فإما أن يذكرك بإحسانك إليه أو بضد ذلك، فلا تجعل لنفسك في أسماع الناس إلا الحُسنىٰ، فإن الخلائق علىٰ ضربين: رجل يبني لنفسه الأمجاد ويشيد لقومه المفاخر، فهذا عند الناس محمودٌ كريم، ورجل يكتسبُ الرذائل ويقترف القبائح، فهذا عند الناس مكروهٌ ذميم، واعلم يا بُنيّ -وليس العِلم إلا ما نفع- أن الشرَّ الصغير يَهيجُ الكبير، والخطَر الحقير يجرُّ العظيم، فإياك وملابسةَ المتشابهات، وليكن شأنك التفكر في عواقب الأمور ومآلاتها.

(٨ـ١٣): يقول: واعلم أن الدمَ حقٌّ في عنقِ صاحبه، يُطلَب الثأر منه كما يُطلَب الدَّينُ من المدين، فإما أن يقضيَه وإما أن يمطله، ولكن مصير الظالم الهلاك، وللباغي يومٌ عابسٌ لا يُخلَف، فإن مرتع الظلم وخيم، ولا تتكل يا بنيّ علىٰ قرابة القريب وصداقة الصديق، فلقد تجدُ من الغرباء من هو أبرُّ بك من قريبك، ولقد تجدُ من الأقارب مَن هو أضرُّ بك من عدوِّك، ولتكن همَّتك مصروفةً إلىٰ الاعتماد علىٰ نفسِك، والسعي إلىٰ رزقِك، فإن الغنيَّ مكرَّمٌ عند الناس معظَّم، والفقيرَ مهانٌ عند الناس مهضَّم، ولكن لتعلمْ أن الأرزاق مقسَّمةٌ من عند الله، فلا يحملنّك اشتدادُ السعي علىٰ ترك التوكل، فإنك ربما رأيت التقيَّ صاحب الحيلة والفطنة فقيرا مُعدَما، والأثيمَ صاحب الحُمقِ والغفلة غنيّا مُكرَما، فإن ابتُلي التقيُّ صبَر فكان خيراً له، وإن أُمهِل الشقيُّ فجَر فكان شرّاً له، فأيُّهما المتضرِّر علىٰ الحقيقة؟ فلا تظنّ في قسمةِ الله إلا خيرا، فإنه أعلم بمصالح عباده، وأخبر بمعيشة خلقِه.

(١٤-١٩): يقول: ومن غرائب الأمور أنك ترىٰ الرجل يعظُم ماله فيبخل في أداء حقوقِه، ويشحّ عن بذل معروفِه، وهو علىٰ ذلك لا ينتفعُ من جمعِ المال شيئا، فإنما يتركه لغيره، ويخلّفه لورثته، فلماذا يبخل المرءُ وهو يعلم أن المنيةَ قد تطرقُه في أي ساعة؟ وكيف يبخل وهو يرىٰ الذاهبين عنه والميتين قبله! فهل انتفع أحدٌ منهم بماله؟ وهل بقي لرجلٍ منهم غناه؟ فإذا علم العاقلُ أن الدنيا بُنيَت للفناء لا للبقاء، وخُلقَت علىٰ التغيّر لا علىٰ الثبات، فلم لا يتعظ بذلك ولا يعتبر؟ وكلُّ زوجٍ لا بد أن يفارق زوجَه وإن طال بهما العُمر، وكلُّ والدٍ لا شكَّ سيترك أولادَه وإن انفسح له الأجل، ولا يعلم امرؤٌ منا ميعاد أجله المحتوم.

(٢٠-٢٣): يقول: واعلم يا بُنيّ أن الحروبَ لها أهلُها، والغزواتِ لها فرسانُها، وليس يصبرُ في هذه المواطن إلا الشديدُ الممارِس صاحبُ العزيمة والبأس، وليس منها الجبناء الفرّارون ولا الكسالىٰ الملولون، فكن الأولَ ولا تكن الثاني، وكلُّ ذلك بالمِراس والتعوُّد، وهل يَسبقُ من الأفراسِ إلا مَن تعوّد الجري والمنافسة؟

(١٢٧)

وقال مُحَمَّدُ بنُ أبي شِحَاذٍ: [من الطويل]

١. إذا أنتَ أُعْطِيتَ الغِنَىٰ ثُمَّ لم تَجُدْ ... بفَضْلِ الغِنَىٰ أُلْفِيتَ ما لَكَ حامِدُ

٢. إذا أنتَ لم تَعْرُكْ بجَنْبِكَ بعضَ ما ... يَرِيبُ مِنَ الأَدْنَىٰ رَمَاكَ الأباعِدُ

٣. إذاالحِلْمُ لم يَغلِبْ لَكَ الجَهْلَ لم تزَلْ ... عليكَ بُرُوقٌ جَمَّةٌ ورَوَاعِدُ

٤. إذ العَزْمُ لم يَفْرِجْ لَكَ الشَّكَّ لم تزَلْ ... جَنِيبًا كما اسْتَتْلَىٰ الجَنِيبةَ قائِدُ

٥. وقَلَّ غَنَاءً عنك مالٌ جَمَعْتَهُ ... إذا كان مِيراثًا وواراكَ لاحِدُ

٦. تَجلَّلْتَ عارًا لا يَزالُ يَشُبُّهُ ... سِبابُ الرِّجالِ نَثْرُهُمْ والقصائِدُ

● **الكشف:**

هو محمَّد بن أبي شِحاذ الضبّي، وقيل اسمه حُميد، من بني ضبَّة بن أد، وهو مشهور بقطعته هذه التي اختارها جمعٌ ممن صنَّف في الأدب وأملىٰ، وهي قطعة حسَنة يذكر فيها ما ينبغي للكريم التخلّقُ به علىٰ اختلاف الأحوال.

● **البيان:**

(لم تجُد بفضلِ الغنىٰ): لم تُكن كريما، ولم تُعطِ من مالِك ما يزيد علىٰ حاجتك. (أُلفيتَ): وُجِدتَ، يُقال ألفاه كذا، أي وجده كذا، قال الحق سبحانه ﴿أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾[الصافات: ٦٩]، وقوله (أُلفيتَ) جوابُ الشرط. (ما لك حامدُ): لا أحدَ يُثني عليك ويمدحك، و(ما) نافية. (تعرُك بجنبِك): تحتمِل وتصبِر، والعربُ تقول (عركتُ ذلك بجنبي)[١]، أي احتملتُه وصبرتُ عليه. (بعض ما يَريبُ من الأدنىٰ):

---

(١) مجمع الأمثال (٢٤٠٣).

بعض ما يوقعك في الشك في قريبك، ويحملك على تهمته، وإنما بعّضه لأن التغاضي ليس محمودا مُطلقا، وعَركُ كلِّ فعل بالجَنبِ يأخذ بصاحبه إلىٰ الهوان، (إنّ من الحِلم ذلًّا أنتَ عارفُه)[1]. (رماك الأباعدُ): عاملك الأبعدون بما هو أشدُّ أذىٰ، وهذا جوابُ الشرط. (الحِلم): تقدَّم بيان الحِلم والجهل في القطعة الثانية، وهو هنا بمعناها. (جمّة): كثيرة. (ورواعد): كنّىٰ بالبروق والرواعد عن أنواع الأذىٰ وأصناف المكاره. (لم يفرجِ لك الشك): لم يُزِل الشكَّ ويطرده. (جنيبًا): مقوداً مُستَتْبعا، وتقدَّم اللفظ بمعناه في القطعة الخامسة، وانظر تبيانه في القطعتين: السابعة والتسعين، والثامنة والتسعين. (استَتلىٰ): استَتْبع، يُقال: تلا الشيءُ الشيءَ إذا تبِعَه، وهو أحد الأقوال في تأويل قول الحق سبحانه ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[هود: ١٧]. (الجنيبةَ): تقدمت في القطعة السابعة والتسعين، وأحلنا عليها قريبا. (وقلَّ غناءً عنك مالٌ جمعتَه): أي لا يُغني عنك مالك الذي جمعتَه شيئا، فالقلةُ هنا بمعنىٰ العدم كما تقدم في القطعة الثامنة، وتأمل استعماله الفصيح (قلَّ غناءً عنك مالٌ جمعتَه)، فإنا لا نسمَع مثل هذا اليوم! (كان ميراثًا): أي إذا كان المالُ الذي جمعتَه ميراثا. (ووراك لاحدُ): وغطاك في قبرك دافنُك. (تجلَّلت عاراً): لبستَ عاراً وخِزياً من ذلك. (لا يزال يَشبُّه): لا يزال يُوقدُه ويؤجِّج نارَه. (سِبابُ الرجال): شتمُهم وهجاؤهم، من باب إضافة المصدر إلىٰ فاعله. (نثرُهم والقصائدُ): هذا تفصيل لما قبله، أي أن سِبابهم قسمان، أحدهما النثر والآخر القصيد، وكلاهما يُسَبُّ به البخيل ويُشتَم، وهذا من شواهد مقابلة النثر بالقصائد عند العرب وأنهما قسيمان.

- **العرض:**

(١-٤): يقول: إذا أغناك الله عز وجلَّ ووسَّع عليك، ثم لم تكن ممن جاد بماله، وتكرَّم بمعروفِه؛ وُجدتَ لا يُثني عليك حامد، ولا يكفُّ عن شتمِك حاقد، واصبِر

---

(١) ديوان الحماسة (١/ ٥٨٥).

علىٰ عشيرتك، واستبق قرابتَك، وإذا لم تكن ممن يُحسِن الصبرَ والاحتمال علىٰ الأقارب؛ وجدتَ ما يسوؤك بعد ذلك من الأباعد، فكن لذوي القرابةِ يكونوا لك، وإذا لم يسبِق حلمُك الجَهل، وأناتُك الغضب، وعفوُكَ المحاسبة؛ تكالبَت عليك صنوفُ الأذىٰ، واجتمعَت عليك أنواع المكاره، ولتكن صاحبَ عزيمةٍ ماضية، وهمةٍ نافذة، وإذا لم يكن لك عزمٌ يدحَر الشكَّ، وقوةٌ تغلبُ الضّعفَ، بقيتَ تابعـًا لغيرِك، مَقوداً في أمرك، كما يستتبع قائدُ الخيل مجنوبـًا له، فاستعمل الحزم والجدّ، وامتثل المضاءَ والنفاذ.

(٥ـ٦): يقول: وليست تُغني عنك أموالٌ تجمَعُها إذا كان مصيرُها إلىٰ غيرِك، ولا كنوزٌ تدّخرُها إذا صارت تركةً لورثتِك، ولن تكسب من البُخل إلا العار والخزي، ولتُوقدنَّ عليك نارٌ من السوءِ والخسةِ يؤجُّجها كلامُ الشعراء والخطباء والبلغاء في ذم البخل، فإن البخيلَ مذمومٌ بكل لسان، ومكروهٌ في كلِّ قوم.

(١٢٨)

وقالت حُرَقةُ ابنةُ النُّعمانِ: [من الطويل]

١. بَيْنَا نَسُوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ منهم سُوقةٌ نَتنصَّفُ

٢. فأُفٍّ لدُنيا لا يَدُومُ نَعِيمُها تَقَلَّبُ تاراتٍ بِنَا وتَصَرَّفُ

- **الكشف:**

هي حُرَقة بنتُ النعمان بن المنذر اللخمية، من بني نمارة بن لخم، وأبوها النعمان ملكُ الحيرة المشهور، وهو آخر ملوكها من قومه، وكانت حُرَقةُ نشأَت في بيتِ سلطانٍ وملك وعزة ورئاسة، ثم تغيّرَت حالها، وكانت ممن أدرك الإسلام، وهي أخت هند، وقيل إنها هي هند بنت النعمان كان لقبها حُرَقة.

وخبرُ هذين البيتين أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما قدم القادسيةَ أميراً وقد انتصَر؛ أقبلَت إليه حُرَقةُ في جوارٍ لها قد لبِسن مثل لباسها، فقال سعد: أيتكن حرقة؟ فأشاروا إليها، فتكلمَت حرقةُ فقالت: إن هذه الدنيا دار زوال، وإنها لا تدوم علىٰ حال، ولقد كنّا ملوكَ هذا المِصر قبلك، يُجبَىٰ إلينا خراجُه، ويُطيعنا أهلُ زمانه، فلما أدبر الزمانُ وانقضىٰ، صاح بنا صائحُ الدهر فصدع عصانا، وفرَّق شملنا، وشتَّت مِلأنا، وكذلك الدهرُ يا سعد، ثم أنشأت تقول هذين البيتين، فأعجب سعداً ما قالت، وأحسن صلتها، وأمر بإكرامها، فانصرَفت وهي تقول: لا جعل الله لك إلىٰ لئيم حاجة.

- **البيان:**

(بينا): أي بينما، وهي ظرف زمان يُستعمَل في المفاجأة. (نسوسُ): نرعىٰ ونحكُم، وأصل السياسة الرعاية والتدبير. (والأمر أمرنا): أي وكان المُلك لنا.

(سوقةٌ): السُّوقةُ عامةُ الناس. (نتنصّفُ): نخدمُ ونعمَل، والناصفُ الخادِم. (فأفٍّ): اسمُ فعلٍ معناه التذمر والاحتقار، والفاء مثلثة، وفي كل حركةٍ يجوز التنوين وعدمُه. (تقلَّبُ): تتقلب، فحُذِفَت إحدىٰ تاءي المضارع جوازاً فيما ابتُدئ بتاء، وتقدّم كثرتُه في التنزيل. (تارات): أوقات ومرات. (وتصرَّفُ): وتتصرَّف.

- **العرض:**

(١ـ٢): تقول: بينما كنا في زمانٍ يُرَدُّ فيه الأمر إلينا، ولم يكن لأحدٍ فيه يدٌ علينا، طاعتُنا واجبة، وأحكامُنا نافذة؛ إذا بالأمر انقلب اليوم، فتبدلت الأحوال، وتغيرت الأمور، وصرنا في عوام الناس نخدم بأيدينا ونبتذل أنفسَنا، فما أحقرَ هذه الدنيا وما أذلَّها، فنعيمُها لا يدوم، وسَعدُها لا يتّصل، بل تتقلَّبُ بأهلها، وتتصرَّفُ بناسِها.

(١٢٩)

وقال الحَكَمُ بنُ عَبْدَلٍ: [من المنسرح]

١. أَطلُبُ ما يَطلُبُ الكريمُ مِنَ الرِّ ... زْقِ بنَفْسي وأُجْمِلُ الطَّلَبا

٢. وأحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّفِيَّ ولا ... أَجْهَدُ أخْلافَ غيرِها حَلَبا

٣. إني رأيتُ الفتىٰ الكريمَ إذا ... رَغَّبْتَهُ في صَنِيعةٍ رَغِبَا

٤. والعَبْدُ لا يَطلُبُ العَلاءَ ولا ... يُعْطِيكَ شيئًا إلا إذا رَهِبَا

٥. مِثْلُ الحِمَارِ المُوَقَّعِ السَّوْءِ لا ... يُحْسِنُ مَشْيًا إلا إذا ضُرِبَا

٦. ولم أجِدْ عُرْوةَ الخَلائقِ إلَّا ... الدِّينَ لَمَّا اعْتَبَرْتُ والحَسَبَا

٧. قد يُرزَقُ الخافِضُ المُقِيمُ وما ... شَدَّ بعَنْسٍ رَحْلًا ولا قَتَبَا

٨. ويُحْرَمُ المالَ ذو المَطيَّةِ والرَّ ... حْلِ ومَنْ لا يَزالُ مُغْتَرِبَا

● **الكشف:**

هو الحكمُ بن عبدل بن جبلة الأسدي، من بني ثعلبة بن دودان بن أسد، شاعرٌ أموي مُجِيد، وكان هجّاءً خبيثَ اللسان، وفضّله الحجاجُ في مجلسه مرةً علىٰ غيره من الشعراء الحاضرين، وأكرمَه ووصلَه، وكان -علىٰ عرج مشيته واحدوداب ظهره- مرهوباً عند الناس، لما كان عليه لسانُه من السوء، ونُسِبت هذه القطعةُ للراعي النّميري.

وهذه الأبياتُ اللطيفة من أجود ما قيل في القناعة والاقتصاد، وقد سأل المأمونُ النضرَ بن شميلٍ عن أقنع بيتٍ قالته العرب، فأنشده صدرَ هذه القطعة[1].

---

(١) حلية المحاضرة لابن المظفر (٦٣)، والجليس الصالح للمعافى (٣٨٣).

- **البيان:**

(وأُجمِل الطلبا): أي وآتي الرزقَ من جميلِ أبوابه ومداخله، باقتصادٍ وبصيرة، فلا أكون جشعًا طماعا، ولا قعوداً مكسالا، وهو نحو قول النبي صلىٰ الله عليه (وأجمِلوا في الطلب)[1]، والألفُ في الآخر البيت للإطلاق، مراعاةً للقافية، وكذلك غالبُ القطعة. (وأحلبُ الثرَّة): وأحلبُ الناقةَ أو الشاةَ غزيرةَ اللبن، والثرّةُ من الأنعام ما غزُر لبنُها، من باب الاستغناء عن الموصوف بصفته. (الصفيَّ): أي الناقةَ كثيرةَ اللبن، ويسمون الناقة إن كانت كذلك (صَفوفا)، لأنّها تصُفُّ يديها عند الحلبِ وتسكُن، ولأنها تصُفُّ بين محلبين إذا حُلِبت، أي تجمَع بين محلبيها لغزارة لبنها، وهذا كلُّه مثلٌ ضربَه لقصدِه الشريفَ من أبوابِ الرزق والخير. (ولا أجهَد أخلاف غيرها حلَبا): ولا أستقصي حلبَ غيرِها وأُتعِبها، والأخلافُ بقية اللبن في الضّرع، وهذا مثلٌ ضربَه لتركِهِ الحقيرَ من أبوابِ الرزق والسعي. (صنيعة): خصلة من خصال الخير، وعملٍ من أعمال المعروف. (العَلاء): الارتفاع والرُّقيّ، أصله العلوّ. (رهِبا): خاف وخشي، وهذا طباقٌ ومقابلة مع البيت السابق، فالترغيب عكس الترهيب، قال الحق سبحانه ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء: ٩٠]، ونحو هذين البيتين قولُ الشعراء: (العبدُ يُقرَع بالعصا)، و(الحرُّ يلحىٰ والعصا للعبدِ)، (والحرُّ تكفيه الإشارة)، (والحرُّ تكفيه الملامة)، و(الحرُّ تكفيه المقالة)، وقد جمع الجاحظُ شواهدَ هذا المعنىٰ[2]. (مثلُ الحمار الموقَّع السَّوء): أي مثل حمارِ السوءِ الذي عليه أثرُ الضربِ والحَمل من كثرةِ ما فُعِل ذلك به، والموقَّعُ الذي عليه أثرُ الجُرح كما سيأتي في باب المُلح إن شاء الله، وإضافةُ الحمار إلىٰ السَّوء من باب التشنيع والتقبيح، قال الحق سبحانه ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾[النحل: ٦٠]، وقال ﴿مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾[الفرقان: ٤٠]، وقال ﴿ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]. (عُروة الخلائق): العُروة ما يُتمسَّك به ويُعتصَم،

---

(١) ابن ماجه (٢١٤٤).

(٢) البيان والتبيين (٣/ ٢٦)، وانظر مجمع الأمثال (٢٤٤٧).

قال الحق سبحانه ﴿ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾[البقرة: ٢٥٦]، والمقصود في البيت ما يُتمسَّك به من الأخلاق الشريفة والخصال الكريمة. (الحسبا): الحسَب ما يُفخَر به من كريم الفعال وحميد المآثر عند الآباء السالفين أو الأبناء اللاحقين. (الخافضُ المُقِيم): المستوطن بأرضه، فهو لا يُحدِّث نفسه بالترحال والتجوال. (بعنسٍ): بناقةٍ صلبةٍ قوية، من باب الاستغناء عن الموصوف بصفته. (رحلا): متاعا. (قتبا): القتَبُ في الإبل مثل السّرجِ في الخيل، وهو ما يوضع علىٰ الناقةِ ليُركَب عليه. (ذو المطيّة): صاحبُ الراحلة الممتطاة التي تعودَت السَّفر.

- **العرض:**

(١ـ٥): يقول: إنما أطلبُ من الدنيا قدرَ ما يطلبه الكريمُ ويسعىٰ إليه، وأقصدُ من أبواب الرزق ما يجمُل بي الوقوفُ عليه، فإني حافظٌ لكرمي، قائمٌ بتعففي، لا أُعلِّقُ طمعي إلا بمن كان غزيرَ الحلب، كثيرَ الدَّرّ، فلا آتي من مداخل الرزقِ إلا أوسعَها، أما مضايق الأمور فلستُ من أهلها، وإني رأيتُ من تكرُم عروقُه وتزكو أصولُه إذا دعوتَه إلىٰ اصطناع صنيعةٍ وابتناء مكرمة؛ أجابك راغبا مُقبِلا، أما الدنيء خسيسُ الهمّة فلا يأتي المحامد ولا يفعل الخيرات إلا راهبا مُكرَها، فمثَلُه مثَل الحمار الذي لا ينجح في طِلبةٍ إلا بالضرب، ولا يُستحثّ إلىٰ غايةٍ إلا بالجَلد!

(٦ـ٨): يقول: وقد نظرتُ في أمور الناس وأحوالَهم نظَر المُعتبِر المُتأمِّل، فلم أجد مما يُتمسَّك به خيراً مِن حُسن الديانة والتقوىٰ، وحميدِ الأخلاق وحسَن المآثِر، وتأملتُ فوجدتُ ذلك من أرزاق الله وتقديره وقسمتِه، لا يقفُ علىٰ سرِّه أحد، وانظر إلىٰ القاعد في بيته التارك لسعيِه، كيف يأتيه رزقُه إلىٰ ما بين يديه دون أن يتكلّف ذلك ويتعنّىٰ له، ثم تنظرُ إلىٰ الساعي المُغترِب المُكثِر من الترحال وطلب الرزق، لا يُحصِّل من مراده شيئا! وما ذاك إلا لحكمةٍ أرادها الله.

وعلىٰ طريقته الأخيرةِ قول عروة بن أذينة[1]:

وقد علمتُ وما الإسرافُ من خُلقي ... أنّ الذي هو رزقي سوفَ يأتيني

أسعىٰ إليه فيُعنيني تطلُّبُه ... ولو قعدتُ أتاني لا يُعنّيني

ومثلها القطعة الحماسية المشهورة لمحمد بن بشير[2]:

ماذا يكلفك الروحاتِ والدلجا؟ ... البرَّ طوراً، وطوراً تركَبُ اللُّجَجا

---

(١) شِعر عروة بن أذينة، بتحقيق الجبوري (١١٦).

(٢) ديوان الحماسة (١/ ٦٠٠).

(١٣٠)

وقال الفَرَزْدَقُ: [من الوافر]

١. إذا ما الدَّهْرُ جَرَّ علىٰ أُناسٍ حوادِثَه أناخَ بآخَرِينا

٢. فقُلْ للشامِتِين بنا: أفِيقُوا سيَلْقىٰ الشامِتُون كما لَقِينا

● **الكشف:**

هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، من بني مجاشع بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم، الشاعر الفحل المعروف، والعلَم الفصيحُ المشهور، كان من شعراء بني أمية المقدمين الذين ذاع صيتُهم، وقيل إنه سُمِّي الفرزدق لاستدارة وجهه وغلاظته، وأصل الفرزدق الخبزُ المدوَّر الغليظ، واشتُهر بمناقضته لجرير، والناسُ مختلفون مذ قرون في تفضيل أحدهما، قال يونس بن حبيب: (ما شهدتُ مشهداً قطُّ ذُكِر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس علىٰ أحدهما)، وكان يقول: (لولا شِعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب)[1].

وهذان بيتان سيَّاران في الناس، مشهوران في الخلق، وتسمع الثاني منهما علىٰ لسان العامة والأطفال، ولو قلتُ إنه أكثرُ بيتٍ سمعتُ الناس يستشهدون به لما أبعدتُ النجعة.

● **البيان:**

(حوادثَه): مصائبه ونوائبه. (أناخ): أنزل راحلتَه، وهي استعارة لنزول المصائب بالقوم. (للشامتين): الشماتةُ إبداءُ المسرّة مما ينال غيرَه من المصيبة

---

(١) الأغاني (٩/ ٢٤٠).

والعقوبة، ومنه قول الحق سبحانه علىٰ لسان هارون ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، أي فلا تعاقبني بعقوبةٍ تسرُّ أعدائي وحُسّادي. (أفيقوا): الإفاقةُ القيامُ من نحو سكرةٍ وغفلةٍ وغَشي، ومنه قول الحق سبحانه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

- **العرض:**

(١-٢): يقول: إن صروفَ الدهر متقلّبة، وحوادثَه متغيّرة، وإن المصائبَ ما تلبثُ أن تصيب قوماً فتزيلَ نعمتهم، وتكدّر عيشَهم، إلا وتنتقلَ إلىٰ قومٍ آخرين، فتفرّق شملَهم، وتسلُبَ فرحتَهم، وإذا كان الحال كذلك؛ فقل لمن يشمتُ بنا مما رأىٰ علينا من آثار الزّمان: انتبه من رقدتِك، وأفِق من غفلتِك، فستلقون كما لقينا، وتُمتحَنون كما امتُحِنّا، والأيام دُوَل.

(١٣١)

وقال الصَّلَـتَانُ العَبْديُّ: [من المتقارب]

١. أشــابَ الصغيرَ وأفنىٰ الكَبِيـ ـرَ كَرُّ الليالي ومَرُّ العَشِي

٢. إذا ليلةٌ هَـــرَّمَـتْ يومَها أتىٰ بعدَ ذلك يومٌ فَتِي

٣. نَــرُوحُ ونَـغْـدُو لِحاجاتِنا وحاجةُ مَن عاشَ لا تَنْقضي

٤. تموتُ معَ المرءِ حاجاتُهُ ويَبْقَىٰ له حاجةٌ ما بَقِي

٥. إذا قلتَ يومًا لِمَنْ قد تَرَىٰ: أرُونِي السَّرِيَّ أرَوْكَ الغَنِي

٦. ألم تَرَ لقمانَ أوْصَىٰ بَنِيهِ وأوصيتُ عَمْرًا فنِعْمَ الوَصِي

٧. بُنَيَّ بَدَا خِبُّ نَجْوىٰ الرِّجالِ فكُن عند سِرِّكَ خَبَّ النَّجِي

٨. وسِــرُّك ما كان عندَ امرئٍ وسِرُّ الثلاثةِ غيرُ الخَفِي

● **الكشف:**

هو قُثَم بن خبيّة بن قُثَم العبديّ، من بني عبد القيس بن أفصىٰ بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، شاعر أموي فصيح، ولُقِّب (الصّلتان) لقوله:

أنا الصَّلتانيُّ الذي قد علمتمُ متىٰ ما يُحكِّمْ فهو بالأمرِ صادعُ

وأصل الصَّلتان الشديدُ الصَّلب من الرجال، وشهِد الصلتانُ صفّين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وله قصته المشهورةُ في التحكيم بين جرير والفرزدق، و(الصلتانُ) لقبُ غيرِه من الشعراء كذلك، مثل (الصلتان الفهمي) و(الصلتان الضبي).

وهذه القطعة قريبةٌ من التي قبلها في معناها، فهو يذكر دوائرَ الأيام، ونوائب الدهر، ويذكر طمع الإنسان وغفلته، ثم يختم ذلك بوصايا نافعة في باب الأدب، وقافيةُ هذه القطعة مختوم بحرف علةٍ مشدَّد، وهذا عزيزٌ في شِعر العرب.

- **البيان:**

(**أشاب الصغير**): أشابَ فعلٌ متعدٍّ من الشَّيب، أي جعلَ الزمانُ الصبيَّ شائباً من أهواله، وهو نحو قول الحق سبحانه ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[المزمل: ١٧]. (**وأفنىٰ الكبيرَ**): فعلٌ متعدٍّ من الفَناء، وفناءُ الشيخ هرمُه وكِبَرُ سنِّه. (**كرُّ الليالي**): تقدّم أن الكرَّ الإقدامُ والخوض، وكَرُّ الليالي سيرُها وسرعةُ مضائها، وروي (كرُّ الغداة)، وهذا عندي أجود، لما اشتُهر في لسان العرب من مقابلة الغداة بالعشي، وورد في الذِّكر مرتين: ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾[الأنعام: ٥٢]، [الكهف: ٢٨]، ولأنه سيذكر الليلة واليوم في البيت بعده، فكما قابل بين اليوم والليلة ينبغي أن يُقابِل بين الغداة والعشي، ولم أر من نبه عليه، غير أن المفاضلة بين الروايات مسلكٌ وعِر إلا لأهله، ولستُ منهم، وهو يُتحَصّلُ بأمرين، خاصٍّ وعام: فالخاصُّ ضبطُ ألفاظ الشاعر ولغتِه وطريقتِه، والعامُ معرفة سنَن العرب في كلامها. (**ومَرُّ العشيّ**): العشيُّ آخر النهار، كما أن الغداةَ أوله، وتأمل الجناس والمقابلة بين (الكرّ) و(المرّ) فحُسن ذلك ظاهر. (**هرَّمَت يومَها**): ضعَّفَتْه وجعلَته هرِما باليا. (**يومٌ فتيْ**): أي يوم جديد، والفتوة الشباب، استعاره لجدَّةِ اليوم ونشاطه، وتشبيهُ الزمان بالشباب والشيب كثير، وأفاض فيه المتأخرون. (**لِمَن قد ترىٰ**): أي لجميعِ من تراهم، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، وجعله بهذا العمومِ تنبيهاً علىٰ كون المسألة مستفيضةً مشهورة. (**السريَّ**): الشريف عالي القدر. (**لقمان**): بن عاد، مضرِبُ المثل في الحكمة والرَّشاد، واختُلف في نبوّتِه، والجمهور علىٰ نفيِ ذلك. (**وأوصيتُ عَمراً**): ابن الشاعر، أي كما ساغ للقمانَ توصيةُ ابنه ساغ لي توصيةُ ولدي كذلك. (**فنِعم الوصيّ**): الوصيُّ

الموصَىٰ إليه، يعني ابنه عمرا، وفي مدحِه له قبل الوصية تحريضٌ منه علىٰ حُسن أخذها والعمَل بها، وهذا مسلك نبويٌّ تربويٌّ مشهور، كما في الحديث (نِعم الرجل عبدالله، لو كان يصلي من الليل)، فقال سالم بن عبدالله بن عمر: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا[1]. (بنيّ): تقدم القول فيها قريبا، في القطعة السادسة وعشرين ومئة. (بدا خِبُّ نجوىٰ الرجال): الخِبُّ المكرُ، والخَبُّ المكار، وتقدم بيان النجوىٰ في أول قطعة من هذا الباب، ومعنىٰ الشطر: ظهرَ مكرُ أسرارِ الرجال، يريد أن السِرّ إذا مُكِر به فأُفشي عاد وبالاً علىٰ صاحبِه. (خبَّ النجيّ): حاذقـًا في إسرارِك، حذراًمع مَن تُناجِيه، والنجيُّ صاحبُ المناجاة والحديثِ الخاص، ويُطلَق علىٰ الجماعة والواحد، وكلاهما جاء به التنزيل: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]، ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾[مريم: ٥٢]. (ما كان عند امرئٍ): الذي يكونُ عند واحد من الناس لا غير. (غيرُ الخفي): ظاهرٌ مُفشىً بين الناس.

- **العرض:**

(**١ـ٥**): **يقول**: إن مضاء الليالي والأوقات، وتصرُّم العشيَّات والغدوات، جعلَت الصغير كبيرا، والطفل شائبا، والشيخَ فانيا، وكلما رأيتَ يومـًا جديداً يُشرِق ثم يَنقضي؛ طلع بعدَه يومٌ آخر مثلُه، ونحن مِن حاجاتنا في دأَب، ومن أرزاقنا في طمَع، فلا نحنُ نتوقف عن السعيِ ونمَلّ، ولا حاجاتُنا تنقضي وتقلّ، وما دام المرءُ حيّـًا فإن شهواتِه واسعة متصلة، ومآربَه قائمة متجددة، ولا تنتهي مطالبُه حتىٰ يستكملَ أجلَه، وما سيرُ الناس وطمعُهم ذلك إلا لأنهم علموا قدرَ الغِنىٰ فسمَت نفسُهم إليه، ولئن قلتَ لكلِّ مَن تراه في طريقِك: أرني شريفَ الناس وسيدَهم؛ لدلَّك علىٰ الأغنياء منهم، فتأمل ذلك.

(**٦ـ٨**): **يقول**: ألم تر أن لقمان أوصىٰ بنيه فانتفعوا واتعظوا؟ وكذلك أنا سأوصيك يا بنيّ لعلك تأخذ بوصيتي فتنتفع وتتعظ: إذا ناجيتَ صاحبًا لك فكن

---

(١) صحيح البخاري (١١٢١)، (٣٧٣٨)، وصحيح مسلم (٢٤٧٩).

أميناً علىٰ سرِّه، حافظاً لعهده، وإذا أسررتَ بحاجتك إلىٰ امرئٍ فكن حريصاً علىٰ جودة مُستودَعك، حاذقاً في اختيار مُستأمَنِك، واعلم أن السرَّ لا يزال سِرًّا إذا بقي عند الواحد من النَّاسِ، لا يعلمه غيرك وغيره، فأما إذا جاوزَ الاثنين؛ (فإنَّه بنشرِ وتضييعِ الحديثِ قمينُ)[1].

هذا -بفضل الله ومنته- تمام شرح باب الأدب من هذه الألفية، وعِدادُه فيها (١٤١) بيتا، وهو أقوَمُ أبوابها بخصال المروءة، وأجمَع أبوابها لمواضع الاستشهاد، ويتلوه باب النسيب.

---

(١) ديوان قيس بن الخَطيم (٥٥).

باب النسيب

النسيبُ في الشِّعرُ ضَربٌ من ضروبِ ذكر النساء وحبِّهن وذكرِ أيام اللهو والصبا وأحوال العاشق والمعشوق، وقد قال جماعةٌ إنه لا فرقَ بين النسيب والتغزل والتشبيب، وهذا الجاري على استعمال الأولين في كتبهم، وتطلّب بعضُهم الفرقَ فقال إن النسيب والتشبيب هو ذكرُ أحوال العاشق وما يعرِضُ له من اللهو تارةً والوَجدِ تارات، أما التغزل فهو ذكرُ أعضاءِ المعشوقِ ومحاسنِه وأوصافه، وفرقٌ بين الغزَل والتغزّل، فإن الغزَلَ هو نفسُ الفِعل والميل والإلف، والتغزّلَ ذكرُ ذلك الفعل في شِعره وكلامِه[1]، ولا حاجةَ لنا بالمماحكةِ في الحدود والتعريفات، فإنّ أبا تمام عقَد هذا الباب لذكر هذه المعاني كلِّها، وإن كان أبو مالك تجنّب الفاحشَ من ذلك في اختياره، ومِن ذكر النسيبِ بهذا المعنى قولُ أبي تمام[2]:

حلُّوا بها عُقدَ النسيبِ ونَمنموا ... من وَشيِها حُلَلاً لها وقصِيدا

فأما قولهم (وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ)، و(كأنّي لعلويِّ الرياحِ نسيبُ)[3]، فهذا من باب النسَب الذي هو القرابة.

وأكثرُ الناسِ يُفضِّل هذا الباب على غيره، وربما افتتحَ القراءة فيه قبل ما يتقدّمُه، (لأنّ التشبيبَ قريبٌ من النفوس، لائطٌ بالقلوب، لما جعَل اللهُ في تركيب العباد من محبةِ الغزَل وإلف النساء، فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب، وضارباً فيه بسهم حلالٍ أو حرام)[4]!

---

(١) انظر الأقوال وبسطها في: نقد الشعر لابن جعفر (٤٢)، العمدة لابن رشيق (٢/ ١١٧).
(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي (١/ ٢١٨).
(٣) الشطر الأول لامرئ القيس في ديوانه (١/ ٨٣)، والثاني في ديوان الحماسة (٢/ ٨٥).
(٤) الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ٧٦).

(١٣٢)

قال الصِّمَّةُ بنُ عبدِ اللهِ القُشَيْرِيُّ: [من الطويل]

١. حَنَنْتَ إلىٰ رَيَّا ونَفْسُكَ باعَدَتْ ... مَـزارَكَ مِـن رَيَّـا وشَعْبَاكُمـا مَعَـا

٢. فما حَسَنٌ أنْ تأتِيَ الأمرَ طائعًا ... وتَـجْـزعَ أنْ داعـي الصَّبابةِ أَسـمَعَا

٣. قِفا وَدِّعَا نَجْدًا ومَنْ حَلَّ بالحِمَىٰ ... وقَـلَّ لنَجْـدٍ عِندَنـا أنْ يُوَدَّعَـا

٤. وليستْ عَشِيَّاتُ الحِمَىٰ برَواجِعٍ ... عليـك ولكـنْ خَـلِّ عينيـك تَدْمَـعَا

٥. ولَـمَّـا رأيتُ البِشْرَ أعرَضَ دُوننا ... وحالـتْ بنـاتُ الشـوقِ يَحنِنَّ نُزَّعَـا

٦. بَكَتْ عينِيَ اليُمنىٰ فلمَّا زَجَرْتُها ... عـنِ الجهـلِ بعـدَ الحِلـمِ أَسْبَلَتا مَعَا

٧. تَلَفَّتُّ نَحْوَ الـحيِّ حتىٰ وجدتُني ... وَجِعْـتُ مِـنَ الإصغـاء لِيتًـا وأخْدَعَـا

٨. وأذكـرُ أيـامَ الـحِمىٰ ثـم أَنْثَني ... علىٰ كَبِدِي مِنْ خشيةٍ أن تَصدَّعَـا

● **الكشف:**

هو الصِّمةُ بن عبدالله بن الطفيل بن قرة العامري القشيري، من بني قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن، شاعر إسلامي بدوي مُجِيد، وجدُّه قرة بن هبيرة صاحبُ رسول الله ﷺ، وكان الصمةُ من عشّاق قومِه المشهورين، وله مع ابنة عمِّه قصص معروفة، وأرادها بشتى السُّبل، لكنه مات ولم يظفر بها، ويا رُبَّ باغٍ حاجةً لا ينالُها!

وخبرُ هذه القصيدة أن الصِّمّة كان تعلّقَ ابنةَ عمِّه وأحبها، فخطبها إلى أبيها، فقال أبوها: لا أزوجكها إلا على كذا وكذا من الإبل، واشتطّ عليه في المهر، فذهب الصمة إلى أبيه فشكا إليه، فساق الإبل عنه إلى أخيه، فلما جاء بها عدَّها عمُّه فوجدها تنقص

بعيرا واحدا، فقال: لا آخذها إلا كاملة! فغضِب أبوه وحلف لا يزيده، فما زالا على خلاف حتى افترقا ولم يرجع أحد منهما بشيء، فلما بلغَ الصمةَ خبرُ أبيه وعمِّه قال: تالله ما رأيتُ ألأم منكما، وإني لألأمُ منكما إن أقمتُ بينكم، ثم ركِب ناقتَه ورحَل إلى ثغر من ثغور المسلمين، فأقام به حتى مات، وكان قال قصيدتَه هذه لما فارقَ الديار راحلا، والقصيدة مشهورةٌ بأطول من هذا، وبعضُ أبياتها سيّار في النّاس، وقال إبراهيم بن محمد الأزدي: (لو حلف حالفٌ على أن هذه الأبياتِ أحسنُ ما قيل في الجاهلية والإسلام في الغزل لما حنث)[1]! وهذا من فِقه أبي تمام في تصدير الباب بها.

- **البيان:**

(حننتَ): الحنينُ ما يقعُ في الصّدر مِن الشوق والإلف. (ريّا): ريا اسمُ امرأة، وليس هذا الاسمُ مقصودا، ولكنه كنى به عن محبوبته، واسمُ بنت عمه: العامرية بنتُ غُطَيف، وهذا شأنُ كثيرٍ من الشعراء في قصائدهم، فإن (للشعراء أسماء تخفُّ على ألسنتهم، وتحلو في أفواههم، فهم كثيراً ما يأتون بها زُورا، نحو: ليلى وهند وسَلمى ودَعد ولُبنى وعَفراء وأروى وريّا وفاطمة... وربما أتى الشعراءُ بالأسماء الكثيرة في القصيدة، إقامةً للوزن، وتحليةً للنسيب)[2]. (مزارك): مكان زيارتك. (ريّا): كرر اسمها زيادةً في التوجع والتشوق. (وشَعباكما): واجتماعكما، والشَّعبُ الاجتماع والالتئام. (فما حسنٌ أن تأتي الأمر طائعا وتجزع): ليس يحسُن بك أن تختار الفراق والرحيل بنفسك ثم تجزع لذلك وتبكي. (داعي الصبابة أسمعا): الصّبابةُ رقةُ الشوق، أي دعاك داعي الشوق وبرّح بك. (قفا ودعا): جرى خطابُه للاثنين على ما تقدم في القطعة الثانية والستين. (وقلَّ لنجدٍ عندنا أن يودعا): أي ليس من عادتنا أن نودع نجدا، وإنا على وداعه لمحزونون، وسيأتي الكلام على نجد في قطعة ابن الدمينة. (عشياتُ الحِمى): العشية المساء، ومنه قول الحق سبحانه ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[غافر:

(١) الأغاني (٦/ ٥).

(٢) العمدة لابن رشيق (٢/ ١٢٢).

٤٦]، والحِمى الموضعُ الذي يُحمَى فيه الكلأ، وأراد بذلك مواطنَ اللهو والصِّبا. (خل عينيك تدمعا): أي ابكِ بكاءَ يائسٍ مما انقضى؛ فإن في الدمع سلوةً وراحة، وهذا المعنى في شِعرهم كثير. (البِشر): جبل في أطراف نجد من جهة الشام. (وحالَت بناتُ الشوق): وتحرَّكَت في نفسي نوازعُ الشوق والحنين، ويُروى (جالَت)، والجوَلان التحرك كذلك. (يحنِنّ نُزَّعا): النُّزَّع جمعُ نازع، والنازعُ المُحِب المَشوق، وكثيراً ما يُستعمَل في الحانّ لوطنِه. (بكت عيني اليُمنى): هذا جوابُ قوله (ولما رأيتُ)، وخصَّ عينه اليُمنى بالبكاء لأنه كان أعورا، والعين العوراء لا تدمع. (زجرتُها عن الجهل بعد الحِلم): نهيتُ عيني عن مظاهر التجاهل والتصابي من البكاء ونحوه وقد صرتُ رجلاً كبيرا. (أسبلتا معا): أفاضتا الدمع كلتاهما، وهذا أمارة على شدة بكائه ووَلعه وتشوقه، فإن العادة انقطاعُ الدمع من العين العوراء، ولكنه نحو قول الآخر[1]:

عذرتكِ يا عيني الصحيحةَ في البكا فما لكِ يا عوراءُ في الهمَلانِ؟

(تلفتُّ نحوَ الحي): أخذتُ ألتفِتُ إلى دارها بنجدٍ وما خلّفتُ ورائي، وكانت العربُ تزعمُ أنّ من خرج ببلدٍ فأكثر التلفّتَ إليه في طريقه قُضِي له بالرجوعِ إلى نفسِ البلد! (وجِعتُ من الإصغاء ليتاً وأخدعا): الإصغاء الإمالة، وإصغاء الرأس إمالته والتفاته، واللِّيتُ صفحةُ العُنق، والأخدع عِرقٌ في العُنق، يريد أنه ظلّ يُكثِر التلفّت حتى توجعَ عُنقه كلُّه لذلك، وانتصب (ليتاً وأخدعا) على التمييز. (أنثني على كبدي): أضع يدي على كبدي فِعلةَ المتوجِّع. (من خشيةٍ أن تصدَّعا): خشيةَ أن تتشقق كبِدُه لفرطِ ما يُكابده! وهذا لا يكون إلا من شدة العشقِ، كما قال المجنون: (فوا كبدا من حُبّ من لا يُحبني)، وقول الحماسي: (فوا كبدا ممن يحبكمُ بعدي)[2]، ونحو هذا كثير، وسيأتي في هذا الباب.

---

(١) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين (١/ ٧٥).

(٢) ديوان مجنون بني عامر برواية الوالبي (٢٦٣)، وانظر: ديوان الحماسة (٢/ ٩،١١٥).

- **العرض:**

(١-٢): يقول: هاجك الحنينُ إلى محبوبتك بعد انصرافِك، واستعرَت فيك نارُ الشوق بعدما أوقدتَها برحيلِك، وأنتَ الذي آثر البُعد واختار النوى، فليس يجمُل بك أن تختار الأمر ثم تنكص عنه، ولا يحسُن بك أن تنصرف عن الشيء ثم تحنَّ إليه، فما بالك جزعتَ لما اشتعلت بك الأشواق؟

(٣-٤): يقول: قفا ودعا معيَ أرضَ نجدٍ قبل أن نرحلَ عنها، وودِّعا كذلك أهلَها الساكنين فيها، وما ظننتُ بيومٍ أن نودِّع نجدا، ولا كنتُ في نجدٍ من الزاهدين، وحقُّه أعظم من ذلك، ولكني عزمتُ الرحيل عنه فما مِن محيص، وليست عشياتُ اللهو والغزل براجعة، ولا أيام الصبا والسرور بعائدة، فاسفحي يا عينيّ الدمعَ وتسلي عن ذلك كلِّه.

(٥-٨): يقول: ولما رحلتُ مولّياً عن نجد متباعداً عنه، وحجزَ بيننا وبينه جبلُ البِشر فقطع أبصارنا عن النظر إليه، وتحرّكَت في نفسي نوازعُ الأشواق، وخفقَت في قلبي دواعي الحنين= بكَت عيني اليُمنى الصحيحة، فنهيتُها عن البكاء، وكيف لرجلٍ كبيرٍ قد خلعَ عنه ثوب الصبا والجهل أن يبكي! فما استجابَت عيني اليُمنى بل استعانَت عليَّ بأختها اليُسرى العوراء، فأقبلت العينان تهملان وتفيضان لا أملك لهما ردًّا! وأخذت أتلفَّتُ وأُكثِر التلفّت، فما أكاد أقطع شبرا إلا أصغيتُ إلى نجدٍ ملهوفا محسورا، عسى أن يُقضى لي بالرجوع إليه، وما زلتُ أتلفّتُ حتى توجَّعتُ وتألمتُ في عُنقي فكففتُ عن ذلك، إلا أن قلبي لم يكفَّ عن تلفُّته وذكراه، وكيف ينسى القلبُ أسبابَ الوصال ودورَ الأحبة ورسائل الأخلاء؟ وكلما هاجَت لي الذكرى لوعةً انثنيتُ على كبدي وقبضتُ عليها خشية أن تتقطّع وتخرجَ من موضِعها!

(١٣٣)

وقال آخَرُ: [من الكامل]

١. إنَّ التي زَعَمَتْ فؤادَكَ مَلَّها ... خُلِقَتْ هواكَ كما خُلِقْتَ هَوًى لها

٢. بيضاءُ باكَرَها النعيمُ فَصَاغَها ... بلَباقةٍ فأدَقَّها وأجَلَّها

٣. حَجَبَتْ تحيَّتَها فقُلتُ لصاحِبي ... ما كان أكثَرَها لنا وأقَلَّها

٤. وإذا وَجَدْتُ لها وساوِسَ سَلْوةٍ ... شَفَعَ الضميرُ لها إليَّ فسَلَّها

• **الكشف:**

هو عُروة بن أذينة، واسمُ أذينة يحيى بن مالك الكناني الليثي، من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وعروةُ من فقهاء أهل المدينة ومحدِّثيهم، وكان شاعرا أمويّاً غزِلا شريفا، وهو ممن روى عنهم الإمام مالك في الموطَّأ، ولا يروي مالكٌ إلا عن ثقة، كان مقدَّماً في شعراء المدينة، واستحسَن بعضُ الخلفاء شعرَه.

وهذه أبيات يذكر فيها ما يحدُث في نفوس الأحبة من سيء الظنون، ويذكر محبوبتَه التي صرمَته لما ظنت ظن السوء، وكيف أنه حافظٌ لودادها، راع لحقِّها.

• **البيان:**

(زعمَت): تقدّم أن الزعمَ الادّعاء، وكثيراً ما يُستعمل فيما هو باطل أو فيه ارتياب، وقد يُستعمل في الحق المعلوم. (ملَّها): سئمَ منها. (خُلِقتْ هواك كما خُلِقتَ هوى لها): أي جُعِلتْ هوىً لك، وقضى الله بذلك، كما جُعِلتَ هوىً لها، وقضى الله بذلك. (بيضاء): يصفُ جمال لونها وبياضَ بشرتها، والذي تستحبُّه العرب من البياض ما كان مشوباً بصُفرة أو سُمرة، كما قال امرؤ القيس: (كبكر المقاناة البياضَ بصفرةٍ)،

وكما قال عمرو بن كلثوم: (ذراعي عيطلٍ أدماء بكر)[1]. (باكرها النعيمُ): سبَق إليها النعيمُ في صِغَرها، والمباكرة إتيان الشيء في أول وقته، يريدُ أنها نشأت في رغَدٍ من العيش، وهذا مما يُحمَد في النساء. (فصاغها بلباقةٍ): فأضفى على جِسمها جمالاً بحِذق وحُسن صنعة، واللَّباقة الحِذق. (فأدقَّها وأجلَّها): أدقَّه أي صغَّره ونحَّلَه، من الدِّقة وهي الصِغَر والنحول، وأجلَّه أي كبَّرَه وعظَّمه، من الجَلالة وهي الكِبَر والعظمة، يريد أن هذا النعيمَ لما تعرَّض لجسمِها أدقَّ منها ما تُستحَب فيه الدقة كالأنف والخَصر، وأجلّ منها ما تُستحَب فيه الجلالة كالساق والصدر، وفي إجمال الشاعر وتركِ تعرّضه لأعضائها أمارةٌ على عفّتِه وحِذقه، وهو نحو قول الشَّنفرى: (فدقَّت وجلَّت واسبكرَّت وأُكمِلَت)[2]. (حجبَت تحيّتَها): منعَت تحيتها عنا، والحجب المنع، يريد أنها لما ظنَّت ملالتنا منها حملها ذلك على الامتناع والتأبي. (ما كان أكثرَها لنا وأقلَّها): أي وأقلها لها، يريد ما كان أكثرَ مقدار هذه التحية عندنا، وأقلَّ كلفة هذه التحية عليها، فليتها لم تضِنّ بها! ويحتمل أن يرجع الضمير إلى المرأة، فيكون مرادُه ما كان أعظم هذه المرأة في نفوسنا لما كانت مُحِبّةً رضيّة، وما كان أقلّ هذه المرأة في نفوسنا لما صارت ممتنعةً متأبّية، والمعنى الأول أليق، وهو الغالب على سَنن العرب. (وجدتُ لها): أي أحسستُ في قلبي تجاهها. (وساوس سلوةٍ): الوساوس خطراتُ النفس، والسلوة النسيانُ وانقطاع الأمل. (شفع الضميرُ لها): الشفاعةُ الوَساطةُ والإدلاءُ بالرأي في حقٍّ خارج، يريد أن ضميرَه ودواعيَ الحُب في قلبه تتخذ منزلةَ محبوبته شفاعةً تتوصل بها إلى حفظِ حقها، ورعاية مودتها، فليس إلى صُرمها من سبيل! (فسلَّها): السَّلُّ النزعُ بخفيةٍ ولطف.

- **العرض:**

(٤-١): يقول: إن محبوبتك التي ادَّعت سآمةَ قلبِك منها، وإعراضَك عنها؛ لم

(١) انظر: شرح القصائد العشر (١/ ٣٤،٢٢١)، ولسان العرب (١٢/ ١١).

(٢) المفضليات، القصيدة (٢٠).

تصدُق في دعواها، ولا أصابت في مقالها، فلقد جعلها الله هوىً لك كما جعلك هوىً لها، فالهوى بينكما متبادل، والحب منكما متصل، وكيف يملّ قلبك تلك الفتاة الجميلة البيضاء، التي نشأت في نعمةٍ من العيش ورغَد، فاستقامَت حسنةَ الخلقة، بديعةَ الصَّنعة، متزنةَ الأعضاء، لا يقع عينك منها إلا على ما يسرّ، ثم إنها لما ظنت سآمتي منها صرمَتني وأظهرَت هجري، وما عادت تُرسِل لنا من التحايا ما كانت تُرسِل، فقلتُ إثر ذلك لصاحبي: ويح هذه المرأة! أيَّ شيءٍ كانت تُكلِّفُها التحيةُ لو أشارَت بها إلينا؟ وتحيتُها وإن كانت قليلةً عندها إلا أنها عظيمةٌ عندنا، وكلما أبدَت إعراضاً وهجراً راودتُ نفسي بتركِها والسلوِّ عنها، فما أكاد أتفكر في ذلك إلا شفع لها عندي محاسنُها الفاتنة، وصفاتُها الجميلة، فنزعَ من قلبي همومَ السوء، وأحكمَ تثبيت هواها في الفؤاد.

(١٣٤)

وقال الصِّمَّةُ القُشَيريُّ: [من الوافر]

١. أقـولُ لصاحِبِي والعِيسُ تَهوِي ... بِنَـا بيـن الـمُنِيـفةِ فالضِّمـارِ

٢. تَـمَتَّـعْ مِـنْ شَمِيمِ عَـرَارِ نَجْدٍ ... فمـا بعـدَ العَشِـيَّةِ مِـن عَـرَارِ

٣. ألا يـا حَـبَّـذا نَـفَـحَـاتُ نَـجْـدٍ ... ورَيَّـا رَوْضِـهِ غِـبَّ القِطَـارِ

٤. وأهلُكَ إذ يَـحُلُّ الـحيُّ نَجْدًا ... وأنـتَ علـىٰ زمانِـكَ غيـرُ زارِ

٥. شُـهـورٌ يَنقـضِـيـنَ ومـا شَعَرْنـا ... بأنصـافٍ لهـن ولا سَـرَارِ

● **الكشف:**

تقدمت ترجمتُه صدر الباب عند القطعة الثانية والثلاثين ومئة، وهذه القطعةُ جاريةٌ مجرى تلك في توديعه نجدا، وتذكره مرابع الصبا وأيام الشباب، وألمه على فراقه أرض نجد بعد طول مكثه فيها، وامتداد عيشِه بها، وتُنسَب القطعة لغيرِه.

● **البيان:**

(أقولُ لصاحبي): سيأتي مقوله في البيت الثاني. (والعِيسُ تهوي): العيسُ الإبل البيض العِراب، وهويُّها سيرُها بسرعة. (المنيفةِ فالضِّمارِ): المنيفة ماءٌ لتميم بين نجدٍ واليمامة، وبعده الضمار وهو موضعٌ بين نجد واليمامة كذلك. (شميم): الشميم مصدرُ شمَّ، يُقال: شمّ يشَمُّ شمّاً وشميما. (عرار نجدٍ): العرار نباتٌ أصفرٌ ناعم، وله رائحة طيبة. (العشية): تقدمت قبل قطعتين. (يا حبَّذا نفحاتُ نجدٍ): النفحة الريحُ اليسيرة طيبةً كانت أو خبيثة، وأراد به هنا نسيمَ نجدٍ العذب، وقوله (يا حبَّذا) أسلوبُ مدح مشهور، والمنادى فيه محذوف تقديره: يا رجل؛ لأنه يكلم صاحبه، و(حبَّ) فعل

ماض، و(ذا) اسمُ إشارة، والمعنى: ما أحبَّ نفحاتِ نجدٍ إليّ! (وريّا روضه): الريّا الرائحة الطيبة، والروض الأرض المخضرّة، وهو معطوف على النفحات. (غِبَّ القطار): بعد المطر. (وأهلُك إذ يحل الحي نجدا): معطوف على النفحات والريّا، أي: وحبذا أزمانُ أهلك حين كانوا نازلين بنجد، وفي تكرار اسم نجدٍ في الأبيات تعلقٌ بها وتشوقٌ إليها، وسيأتي الكلام على نجد في قطعة ابن الدمينة. (غيرُ زارٍ): لست بعائب، يُقال زريتَ عليه أي عِبتَه وذممتَه. (بأنصافٍ لهنّ ولا سرارٍ): أي مضت الشهور سريعا، فما شعَرنا بأنصافها ولا أواخرها، وسِرارُ الشهر آخرُه.

- **العرض:**

(**١-٥**): **يقول**: قلتُ لصاحبي أبثُّه همي -ونحن خارجين من نجد، ومطايانا تخبُّ بنا، وقد كدنا نجاوز أرض اليمامة-: تمتع يا صاحبي مما تشتمُّ رائحته في هذه الأرضِ الطيبة أرضِ نجد، وطيِّب أنفَك برائحة عرارها، فإننا إذا أمسينا خرَجنا من هذه الأرض، وانقطع عنا شميمُ عرارها، وما أحبَّ نفحات نجدٍ إلي! وما أعذبَ نسيمَها عندي! وما أحلى رائحة رياضِها الغناء إذا هطل عليها المطرُ فكساها من الحُسن رداءً سابغا! وما ألطفَ أيامنا التي كنا فيها بنجدٍ نازلين! إذ كنا في حالةٍ من الهناء متصلة، وعلى وجهٍ من الرضا دائم، لا نعيبُ عيشا، ولا نذمُّ منزلا، ثم انقضَت عنا هذه الأيام كلها، ومضَت عنا تلك الشهور جميعها، وها نحن خارجون منها، راحلون عنها، كأننا لم نهنأ فيها عيشا، ولم ننعَم بها بالا!

(١٣٥)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. قد كنتُ أعلُو الـحُـبَّ حِينًا فلم يَزَلْ بـيَ النَّـقْضُ والإبـرامُ حتىٰ عَلَانِيَا

٢. ولـم أرَ مِثْلَيْنا خليلَيْ جَنابةٍ أشـدَّ علـىٰ رَغْـمِ العـدوِّ تَصَافِيَـا

٣. خليلَينِ لا نرجُو لِقاءً ولا تَرَىٰ خليلَيـنِ إلا يرجُـوانِ التَّلاقِيَـا

• **الكشف:**

الأبيات منسوبة لمجنون ليلى في مؤنسته، ومجنونُ ليلى هو قيسُ بن الملوّح بن مزاحم العامري، من بني عامر بن صعصعة من هوازن، شاعر إسلامي غزِل مُحسِن، ولم يكُ مسلوبَ العقل، وإنما قيل له المجنون لشدة عشقِه وتعلقه بابنة عمه ليلى، كما قيل لقيس بن ذريح مجنون لُبنى، وأشعارُه في عشقِ ليلى والتعلق بها كثيرة جدا، والمنحولُ عليه أكثر! فإنه قد صار مضربَ مثل العشَّاق، ولم يقدِّر له الله الاجتماعَ بابنة عمه، بل تزوجَها غيرُه، فما زال هائما على وجهه حتى وجدوه ملقىً بين الحجارة ميتا!

وقيس بن الملوَّح من شعراء الغزَل العُذري، وكذا قيس بن ذَريح، وجميل بثينة، وكثير عزة، وغيرهم من الشعراء الذين سلكوا في الغزَل مسلك العفّة واقتصر شعرُهم على ذكر لواعج الأشواق وتباريح الوجد ونحو ذلك، وليس في هؤلاء مَن نسبُه من بني عذرة إلا جميل بثينة، وإنما نُسِب شعرهم لبني عذرة بن سعد بن هذيم القضاعيين لاشتهارهم بذلك، (وقال سفيان بن زياد: قلتُ لامرأةٍ من عذرة -ورأيتُ بها هوىً غالبا، خفتُ عليها الموتَ منه-: ما بالُ العشق يقتلكم معاشر عذرةَ من بين أحياء العرَب؟ فقالت: إن فينا جمالاً وتعففا، والجمالُ يحملنا على العفاف، والعفافُ يورثنا

رقةَ القلوب، والعشقُ يفني آجالَنا، وإنّا نرى محاجرَ لا ترونها)[1]، فلذلك صار يُنسَب إليهم هذا النوع من العشق، (ومن أراد النسيبَ والغزَل من شعر العرب الصّلب فعليه بأشعار عذرةَ والأنصار)[2]، وقيل إنه اشتُهر بعد عروةَ بن حزامٍ العُذريّ، وهو أول من أكثرَ منه، فنُسبوا إليه.

- **البيان:**

(أعلو الحُبَّ): أتغلَّبُ عليه، والحُبُّ معروف، ولا يزيدُه ابتغاءُ تعريفِه إلا إغماضا، فإن (الحب اسمٌ واقعٌ على المعنى الذي رُسِم به)[3]، ومن أراد حدَّه فهو مقصِّرٌ لا محالةَ وإن سطَّر في ذلك الصفحات الطوال! (فلم يزل بي النقضُ والإبرام): فما زلتُ أجاهد الحُبَّ في قلبي وأجاذبه، والنقضُ فكُّ الشيء وإفسادُه، والإبرامُ ربطُه وإحكامُه، وهذا تلويحٌ منه بكتمان الحب في أوله وإعلانه في آخره، وهو بديع عجيب[4]. (حتى علانيا): حتى غلبني وقهرني، وكيف لا يغلبُه الحُبّ (ومثلُ الذي لاقيتُ يُغلَب صاحبُه)[5]! لذلك قيل إن الحكمة دفعُ الحب في أوله وتركُ التفكر في محاسنه، فإن الفكر إذا استجرَّك إلى التأمل في أحوال الحُبِّ ومخايله انقدحَ في القلب قوادحُ له لا تزول إلا بعد لأيٍ وشدة. (مثلينا): يعني نفسَه ومحبوبتَه. (خليلي جنابةٍ): الجنابة والتجنّب البُعد. (أشد على رغم العدو تصافيا): يريد أنه لم ير مثلهما في مجانبة اللقاء وأخذ الحذر على زيادة في الحُب وصفاء في المودة، فإن العادةَ جاريةٌ بنُقصان المودة عند انقطاع اللقاء، وأراد بالعدو هنا قرابتَها من أبيها وإخوتها ونحوهم، إذ هم أمنعُ الناس لها منه، وهذا الاستعمال في سَنن العرب كثير مشهور، وقوله (على رَغم) من الرَّغام الذي

(١) ذم الهوى لابن الجوزي (٢٢٨).
(٢) المصون في الأدب للعسكري (١٧٣).
(٣) رسائل الجاحظ (٢/ ١٦٧).
(٤) العمدة لابن رشيق (١/ ٣٠٤).
(٥) ديوان الحماسة (٢/ ٨٧).

هو التراب. (**لا نرجو لقاء**): يريد استحكام اليأسِ في قلبيهما فما عادا يرجوان اللقاء، وصار حظُّ الواحد من محبوبه الفكرَ والسهَر.

- **العرض:**

(**١**): **يقول**: وقد لبثتُ زمناً أُجاذِبُ الحُبَّ وأزاوله، فأغلبه تارةً ويغلبني تارات، وأدافعه عن نفسي، وأباعده من فؤادي، فما زلتُ على تلك الحال حتى غلبني وقهرني، فاستعلن بعد إسرار، وارتفع بعد خمول، ولم أستطع له ردًّا، ولم أجد له دفعا، واستحكم الهوى في فؤادي.

(**٢ـ٣**): **يقول**: ولم أر مثلينا في حفظ الحُبِّ وثبات الهوى، فإننا على مجانبتنا للقاء، وخوفنا من الرقباء، واستعمالنا الحذَر، وخشيتنا من الوِرد والصَّدَر؛ لم ينقُص الوداد في قلوبنا، ولم تقلَّ المحبَّةُ في نفوسِنا، وبقينا على رغم أعدائنا وحُسَّادنا بخيرِ حالٍ من صفاء القلوب، وإخلاص الغرام، ونحن على هذا قد استقرَّ اليأسُ في قلوبنا فلسنا نطمَع في اللقاء، وأسلمنا أنفسنا إلى ما نحن فيه من البلاء، ولا ترى غيرنا من الأخلاء إلا طامعين في اللقيا، وراجين للوصال، ونحن على ضدِّ ذلك، فالله المستعان!

(١٣٦)

وقال عبدُ اللهِ بنُ عَجْلانَ النَّهْديُّ: [من الطويل]

١. وحُقَّةِ مِسْكٍ مِنْ نِساءٍ لَبِسْتُها ... شَبَابي وكأسٍ باكَرَتْني شَمُولُها

٢. جديدةُ سِرْبالِ الشبابِ كأنَّها ... سَقِيَّةُ بَرْدِيٍّ نَمَتْها غُيُولُها

٣. ومُخْمَلةٍ باللحمِ مِن دُونِ ثَوْبِها ... تَطُولُ القِصَارَ والطِّوالُ تَطُولُها

٤. كأن دِمَقْسًا أو فُرُوعَ غَمامةٍ ... على مَتْنِها حيثُ استَقَرَّ جَديلُها

• **الكشف:**

هو عبدالله بن عجلان بن عبد الأحب النهدي، من بني نهد بن زيد من قضاعة، شاعر جاهلي، وسيد مطاع، وعاشق متيَّم، وكانت له زوجة اسمها هند أحبها حُبا شديدا، وكانت عقيمةً لا تلد، فما زال به أبوه وقومه يحثونه على تطليقها حتى فعل ذلك وهو سكران، فلما طلقها أسِف عليها، وتزوجَتْ غيرَه، فسقِم وما زال يقول فيها الأشعار حتى مات كمدا.

وهذه الأبياتُ يصف فيها امرأةً أحبها وتمتَّع بها في شبابه، ويذكر محاسنَها وصفاتِها.

• **البيان:**

(وحُقَّةِ مسك): حُقّة المِسك وعاؤه وظرفُه الذي يُوضَع فيه، وهذا كنايةٌ عن طيب ريح المرأة هذه، فكأنما هي وعاءُ مِسك، وهو مجرور بإضمار رُبّ. (لبستُها شبابي): أي تمتعتُ بها في زمن شبابي، نحو قال المرّار (قد لبستُ الدهرَ من أفنانه)[1]، وربما كان كنايةً عن النكاح وما يجري مجراه، فيكون من باب قول الحق سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ

(١) المفضليات، القصيدة (١٦).

لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧]. (باكرَتني شَمولُها): باكرَتني أي جاءتني وقتَ البكور وهو أول الصباح، والشمول الخمر، سُمّيَت بذلك لأنها تشتمِل على العقل فتملكه وتذهب به. (جديدةُ سربال الشباب): تقدم في القطعة الثانية عشر أن السربال القميصُ أو الدرع، فإضافته للشباب مجاز، والمعنى أنها في عنفوان شبابها وحداثة سِنها، ويجوز في (جديدة) الجر تبَعاً للحُقّة، والرفع على القطع، وإنما حسُن الرفع لأنه فصل بينهما بفاصل طويل ذكر فيه الكأسَ ولذته. (كأنها سقيَّةُ بردي): البَرديُّ نبتٌ يُشبِه القصَب، و(سقيَّة البردي) ما سُقي من هذا النبات، والعربُ تشبِّه به وتقصِد النضارة والطراوة كما قال المخبل: (بَرديَّةٌ سبَق النعيمُ بها)[1]، والمعنى قريبٌ من قطعة عروة بن أذينة الماضية قريبا، فتأمل ذلك. (نمَتها غُيولها): نمَتها أي نمَا نبتُها، والغُيول جمعُ غَيل وهو الماء الذي يجري بين الأشجار. (ومخمَلةٍ باللحمِ): ومليئةٍ باللحم، والخَمل كساءٌ نحو القطيفة، فكأنما صار اللحمُ لها كساءً، والعربُ تستحِبُّ سِمَن المرأة في مواضع دون أخرى، كما تقدم في القطعة الثالثة والثلاثين ومئة. (تطولُ القِصار والطوالُ تطولُها): أي أنها رَبعةُ الخِلقة، حسنةُ القد، ليست بالطويلة ولا بالقصيرة. (دِمقساً): حريراً أبيض. (فُروع غمامة): أطراف سحابة. (على متنها): على جسمِها وبدنِها. (جديلُها): الجديلُ الوشاح، وما تشدُّه المرأة على وسطها.

- **العرض:**

(١-٤): **يقول:** ورُبّ امرأةٍ ريّاها كالمسك الخالص، تمتّعتُ بها في شبابي المنصرِم، ولهوتُ معها في أيامي الخالية، حين كانت تغدو الكأسُ علينا من باكرِ الصباح فنُسقى بها، ونثمل منها، والمرأةُ في عنفوان شبابِها، ونضارة نشأتها، وحداثة سنِّها، كأنما هي لغضُوضتها وطراوتها نباتُ البرديّ المسقي بالماء! وإذا رأيتَها قنِعَت عينُك بها، فهي سمينةُ اللحم، كزَّةُ الشحم، لا هي بالطويلة البائنة، ولا بالقصيرة المستهجَنة، وهي

---

(١) المفضليات، القصيدة (٢١).

كذلك برَّاقةُ اللون كأنّ الحريرَ الأبيض على جسدها، وليّنةُ الملمس كأنّ أطرافَ السحاب تحت وشاحِها، فما أهنأ تلك الأيام معها!

(١٣٧)

وقال أبو الطَّمَحَانِ القَيْنِيُّ: [من الطويل]

١. ألا عَلِّلاني قبلَ صَدْحِ النَّوائحِ وقبلَ ارتقاءِ النفسِ فوقَ الجوانحِ

٢. وقبل غدٍ يا لَهْفَ نفسي علىٰ غدٍ إذا راحَ أصحابي ولستُ برائحِ

● **الكشف:**

هو حنظلةُ بن الشرقي -وقيل ربيعة بن عوف- ابنُ غنم بن كنانة بن القين بن جسر مِن قضاعة، شاعر مخضرم معمِّر، وكان فاسقاً خبيثَ الديانة، وشِعره حسَنٌ مستجَاد سيَّار، وكان أكثر عُمره في الجاهلية، وفيها أكثر شِعره، لذلك نسبَه أكثرهم إليها.

وهذان البيتان يتعجَّل فيهما الشراب واللهو، ويأمر صاحباه أن يستعجلا بذلك قبل أن يحين أجله وينقضي عُمره، (وإنما جاز أن يودع هذين البيتين بابَ النسيب لرقتهما، ولأن المتعلَّل به كان لذةً من اللذات، وهذا عادته في أبواب اختياره)[١].

● **البيان:**

(علِّلاني): التعليلُ السقي بعد السقي، وأرادَ به الشراب والمنادمة واللهو، وجرى خطابُه للاثنين على ما تقدم في القطعة الثانية والستين. (صدح النوائح): الصدح رفعُ الصوت، والنوائح جمع نائحة، وتقدَّم أن النوح والنياحة رفع الصوت بالبكاء. (ارتقاء النفس): يريد صعود الروح وخروجها. (فوق الجوانح): الجوانحُ عظام الصدر، وصعود الروح فوقها يعني بلوغَها التراقي الذي هي عظامُ ثغرة النحر، كما قال سبحانه ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] سلمنا الله. (يا لهفَ نفسي على غدٍ): ما

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٣/ ١٢٦٧).

أشدَّ تلهّفي وتحسّري على غد! وهي جملة اعتراضية. (إذا راح أصحابي ولستُ برائحِ): إذا تخلّف أصحابي ورحلوا عني، ولم أستطع الذهاب معهم لنزول قضاء الله بي.

- **العرض:**

(**١-٢**): **يقول**: ألا أسرعا لي بالشراب واللهو، واجتمعا إليّ للمنادمة واللعب، وتعجّلا بذلك قبل أن يحين أجلي وينقضي عُمري، فتصعد روحي وتفارق جسدي، وبادرا إلى اغتنام أيام الصبا قبل أن نُحجَب عنها، وقبل أن يأتيني الغد -وما أشد تلهفي على الغد!- فيخلفني أصحابي، ويرحل عني أحبابي، ويقتنصني الموتُ من بينهم وحدي.

وهذان البيتان وإن استحسنًّا نظمَها وصَنعتَها إلا أننا نسأل الله السلامة من حالها، ونسأله أن لا يطبع على قلوبنا فتنسى ذكرَه، فإن في الموت موعظةً لمن يتذكر، وفي الآخرة عبرةً لمن يتبصّر، (وليس في الدُّنيا أبلَهُ ممن يطلب النهايةَ في لذات الدنيا، وليس في الدنيا على الحقيقة لذة، إنما هي راحةٌ من مؤلم)[١]!

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي (١/ ١٩١).

(١٣٨)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. هَلِ الـوَجْـدُ إلا أنَّ قلبيَ لو دَنَا مِنَ الجَـمْرِ قِيدَ الرُّمْحِ لاحترقَ الجَمرُ

٢. أفي الـحَقِّ أني مُغْرَمٌ بكِ هائمٌ وأنـكِ لا خَـلٌّ هَـواكِ ولا خمـرُ

٣. فإنْ كنتُ مَطْبوبًا فلَا زلتُ هكذا وإنْ كنتُ مسحورًا فلا بَرَأَ السِّحْـرُ

- **الكشف:**

اختُلف في نسبة هذه الأبيات، وتنازع الناسُ فيها لحُسنها وجودتِها، وهي مشهورةُ النسبةِ لمجنون ليلى الذي تقدمت ترجمته قبل ثلاث قطع، وتُنسَب لابن عجلان النهدي الذي تقدمت ترجمتُه قبل قطعتين، وهي أبيات يصِف فيها الشاعرُ لوعةَ وَجدِه ونار حُبِّه، ويذكر شدة غرامه وهيامه.

- **البيان:**

(الوجد): الوَجدُ ما يعتمِل في النفس ويجده صاحبُه من الشوق والمعاناة. (قِيد الرمح): قدر الرمح. (لاحترق الجمرُ): أي من شدة نار قلبه، وهذه مبالغة شديدة حسَنة. (أفي الحقِّ): تقدم في القطعة السادسة والتسعين. (مُغرَم): المُغرم الذي قد لزمَه الحُب لزاما، مثل ملازمةَ الغريم غريمَه، ومن ذلك سُمّيَ غراما، قال الحق سبحانه ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، أي لازما لأهلها، نجانا الله. (هائم): الهُيام الجنونُ من العِشق، وأصلُه داءٌ يصيب الإبل فتعطَشُ له وتهيمُ على وجهها. (لا خلٌّ هواكِ ولا خَمرُ): أي ليس هواكِ بشيءٍ يخلُص ويتبيَّن، ولا ندري ما الذي انطوى عليه صدرُكِ من الخير أو الشر لنا، والعربُ تكني عن الخَلِّ بالشرّ؛ لحموضته، وتكني

عن الحَمر بالخير؛ لحلاوته، فتقول: (ما أنت بخل ولا خَمر)[1] تريد ذلك. (مطبوباً): المطبوبُ المسحورُ الذي قد عُلِمت علتُه وسحرُه. (مسحورا): أراد مسحورا بداءٍ لا تُعرَف علتُه ولا سحرُه.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: أتدرين ما الوَجدُ؟ ليس الوَجدُ إلا هذا الذي هو بي، وهو أنّ قلبي لو قرُب من الجَمرِ حتى لا يكون بينهما إلا قدرَ رمحٍ لغلبَت نارُ قلبي نارَ الجَمر! ولاحترق الجمرُ من تأجج نارِ الوَجد في صدري! ولا أدري كيف يكون حُبِّي لكِ بهذا المقدار، ويشتدُّ بكِ غرامي، ويتعلّق بكِ هُيامي، وأنتِ على هذا ليس هواكِ ببيّن، ولا حُبكِ بظاهر، وأنا على ضد ذلك، فإني على حالةٍ من اشتداد الحُب مستمرةٍ لا تنقطع، فإن كان هذا الذي بي وأقاسيه داءً معلوماً فلا فارقَني؛ فإني ألتذُّ به، وإن كان هذا الذي بي وأعانيه سحراً لا يُعرَف فلا زال عني؛ فإني أسعَد به!

---

(١) مجمع الأمثال (٣٨٧٠).

(١٣٩)

وقال شُبْرُمةُ بنُ الطُّفَيْلِ: [من الطويل]

١. ويومٍ شديدِ الحَرِّ قَصَّرَ طُولَهُ دَمُ الزِّقِّ عَنَّا واصطِكاكُ المَزَاهِرِ
٢. لَدُنْ غُدْوةً حتىٰ أرُوحَ، وصُحْبَتي عُصاةٌ علىٰ الناهِينَ شُمُّ المَنَاخِرِ
٣. كأنَّ أبارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً إوَزٌّ بأعلىٰ الطَّفِّ عُوجُ الحَنَاجِرِ

• **الكشف:**

شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبّي، من بني سعد بن ضبّة بن أد، أحد التابعين، لا يذكرون شيئاً في ترجمته، وابنه الإمام عبدالله بن شبرمة قاضي الكوفة وفقيهها في زمانه، وعبدُالله شاعر مثل أبيه، ونُسِبت هذه الأبيات لابن الطثرية.

وهذه القطعةُ يذكر فيها اللهوَ والشرب، وأنهما مما كانت تدفَعُ به العرب همَّها، (وأدخل هذه القطعة في باب النسيب لرقَّتِها ودلالتها على اللهو والخسارة)[1].

• **البيان:**

(ويوم): مجرور بإضمار رُب. (قصَّر طولَه): أي لم نشعر بطولِه لِما لهونا فيه وشربنا، وهذا المعنى مشهور جدا في شِعرهم، والعادة جارية عندهم بوصف أيام الهموم والحوادث بالطول، ووصف أيام اللهو واللذاذة بالقِصَر. (دم الزق): يعني الخَمر، وتقدم في القطعة الثانية أن الزق الوعاءُ الذي يُحفَظ فيه الشراب، ووصفه بالدم لحُمرتِه. (اصطكاك المزاهر): ضربُ المزاهر بعضَها ببعض، والمزاهر جمعُ مِزهَر، وهو آلة اللهو التي يُعزَف بها. (لدُن غدوةً): من وقت الغدو وهو أول النهار، وكان القياسُ

(١) شرح الحماسة للمرزوقي (٣/ ١٢٧٠).

جر (غدوة)، لكنها انتصبَت بعد لدن على التمييز، (ولا يُنصَب بعد لدن من الأسماء إلا غدوة)[1]. (حتى أروح): تقدم بيان الرواح غير مرة، ومقابلتهم بين الغدو والرواح كثيرة. (عُصاة على الناهين): لا يستجيبون لناهٍ، ولا يسمعون لناصِح. (شم المناخرِ): المناخِر جمعُ مِنخَر وهو الأنف، وقوله (شم المناخر) كناية عن أنفَتِهم وكِبرهم. (أباريق الشمول): الأباريق جمع إبريق، وهو الإناء، وتقدم أن الشمول الخمر، وتأمل كيف خالف في لفظِه في القطعة بين قوله (دم الزق) و(أباريق الشمول) مع أنهما راجعان إلى معنى واحد، وهذا لطيف. (إوزٌّ): الإوزّ طائر أبيض يشبه البط، يُكثِر أن يكون في الماء. (بأعلى الطفّ): تقدم أن أصل الطف ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، ويعني به هنا ساحلَ الفرات، يقولون: طَفُّ الفرات، أي شاطئه. (عُوج الحناجر): ملوية الأعناق إلى الأمام، وهذه صورةُ الإوز، وتشبيهُ أباريق الخمر بها بديع جدا، وكثيرا ما تشبهها العربُ بالظباء وأعناقها، وهو كثير عند المتأخرين.

- **العرض:**

(١-٣): **يقول**: ورُبَّ يومٍ شديدِ الحرّ، قويِّ الشمس، دفعتُ طولَه عني باللهو، وأبعدتُ أذاه عني بالشرب، فقصَّر طولَ ذلك اليوم ما اشتغلنا به من شرب الخمور وضرب المعازف، وباكرنا ذلك الشرب أول يومنا، فما رحنا إلا وقد سكِر أصحابي وثمِلوا، فأكسبَهم ذلك كِبراً وغطرسةً يعصون بها الآمر، ويزجرون بها الناصح، وكانت أباريق الخَمر بين أيدينا قد فرغَت ومالَت، حتى كأنها إوزٌّ قد اجتمع عشيةً في ساحل الفرات، وكأن رؤوسَ هذه الأباريق أعناقُ تلك الطّيور.

---

(١) كتاب سيبويه (١/ ١٥٩).

(١٤٠)

وقال إِيَاسُ بنُ الأَرَتِّ: [من الطويل]

١. هَلُمَّ خَلِيلِي والغَوَايةُ قد تُصْبِي هلُمَّ نُحَيِّ المُنْتَشِينَ مِنَ الشَّرْبِ

٢. نُسَلِّ مَلامـاتِ الرِّجـالِ بِرَيَّةٍ ونَفْرِ شُرورَ اليوم باللَّهْـوِ واللِّعْبِ

٣. إذا ما تَرَاخَتْ ساعةٌ فاجْعَلَنَّها لخيرٍ فإنَّ الدَّهْـرَ أَعْصَلُ ذو شَغْبِ

٤. فإن يكُ خيرٌ أو يكُنْ بعضُ راحةٍ فإنَّك لاقٍ مِن غُموم ومِن كَرْبِ

- **الكشف:**

هو إياس بن الأرتّ -واسمه خالد- الطائي الجَرمي، من بني شمجى بن جرم بن عمرو بن الغوث بن طيئ، وإياس شاعرٌ إسلاميٌّ كريم، ليس له كبيرُ ذكر.

وهذه القطعة كالتي قبلها أسلوباً ومعنى، ويحض فيها على اغتنام أيام الشباب والصبا، والاستمتاع بأوقات اللهو واللعب.

- **البيان:**

(هلمَّ): اسمُ فعل بمعنى أقبل، ومن جعله اسمَ فعلٍ فإنه لا يتصرف فيه بتثنيةٍ ولا جمع، وهذه اللغة الفصيحة المقيسة، وهي لغة الحجازيين، وبها جاء التنزيل ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾[الأنعام: ١٥٠]، ومن العرب من يجعل الهاء للتنبيه، وما بعدها فعلا، فيثنيه ويجمعه، وهي لغة بني تميم. (خليلي): الخليل القريبُ الحميم. (والغواية): الغيُّ والغَواية الضلالُ واللجاجُ ومجانبة الحق، قال الحق سبحانه: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[البقرة: ٢٥٦]. (تُصبي): تحمِل على الصّبا واللهو والفساد. (المنتشين): الذين بلغ بهم الشراب حد النشوة، والنشوة لذةُ السُّكْر. (الشَّرب): الشَّرب بالفتح

جماعةُ الشاربين، وبضم الشين مصدرُ الفعل، وبكسرها الحظُّ والنصيب من الشراب، والأخيران وردا في الذكر، قال الحق سبحانه ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾[الواقعة: ٥٥]، وقال ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾[القمر: ٢٨]. (نُسلِّ): نُذهِب عنا الهمّ والغم، وجُزِم جواباً للأمر. (ملامات الرجال): لوم الرجال الناصحين. (بريةً): الريَّةُ الشَّربةُ التي تروي صاحبَها. (ونفرِ): ونقطع، يُقال فرى الشيء فرياً أي قطعه وأزاله، وهو معطوف على (نُسلِّ). (واللِّعْبِ): يُقال لعِبَ يلعب لَعِباً ولِعْباً. (تراخَت ساعة): استطالَت وامتدتْ. (فاجعلنها لخيرٍ): فاغتنمها بما يسليك. (أعصلُ): العصَلُ اعوجاجُ الأنياب وصلابتها، وهو استعارة لشدة حوادث الدهر وعضِّها على صاحبها. (ذو شَغبٍ): تقدم في القطعة الثالثة عشرة ومئة أن الشّغبَ الخصامُ والملاجة، يريد أن حوادث الدهر لها شرٌّ وهيجان. (من غموم): من زائدة، يريد لاقٍ غموما. (كَربِ): الكَربُ ما يعرض للإنسان من المصيبة فيشغله عن غيره.

- **العرض:**

(١-٤): أقبِل معي يا خليلي إلى اللهو والاستمتاع، فإن الغواية تدعونا إلى الصبا والتصابي، فأقبل إليّ ودعنا نحيي رفاقَنا الجالسين للشُّرب والغناء، لعلنا ندفعُ عنا ملاماتِ الناصحين ومواعظ المُرشدين بشربةٍ تسلب عقولَنا، وتُسعِد نفوسَنا، ودعنا نقطع حوادثَ اليوم وهمومَه بهذا اللهو واللعب، فإنه لا بد لنا منه، وإذا ما بدا لك يومٌ مثل هذا فوجدتَ فيه ما ترتاح إليه نفسُك من اللذة والاستمتاع فأقبِل إليه واغتنمه، فإنك لا تدري ما يُحدِث لك الدهر، ولطالما كانت حوادثُه الطوارقُ مهولةً مفجعة، وهذا الدهر لا يصفو لك من الكدر، ولا يسلم لك من الأذى، ولا بد لك من الهم والغم يوما، فلا تُعِن الدهرَ على نفسِك بإفساد أوقاتك، بل اجتهد في إصلاح ما تقدر عليه، وادفع عنك الهم والأذى ما استطعتَ إلى ذلك سبيلا.

(١٤١)

وقال كُثَيِّر: [من الطويل]

١. وَدِدْتُ وما تُغني الـوَدادةُ أنني ... بمـا في فُـؤادِ الـحاجِبِـيَّةِ عالِـمُ

٢. فـإنْ كـانَ خيرًا سَـرَّني وعَلِمْتُهُ ... وإنْ كانَ شَـرًّا لـم تلُمْنـي اللوائـمُ

٣. وما ذَكَرَتْكِ النفسُ إلا تفرَّقَتْ ... فريقَيـنِ منهـا عـاذرٌ لـي ولائـمُ

• **الكشف:**

كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي، الشاعر الأموي الفحل، وكان غزِلاً مُكثِرا، واشتُهِرت أخباره مع صاحبته عزَّة حتى نُسِب إليها فقيل (كُثيّر عَزّة)، وكان دميماً قصيرا، وهو على ذلك عظيمُ الكِبْر والتيه، وشِعرُه بديعٌ مُطرب، وجعله بعضُهم أشعرَ أهل الإسلام، وهو عندي أغزل شعراء بني أمية.

وهذه القطعةُ يذكر فيها ما يعرض للمُحِبّ من الشك في مشاعر محبوبه، ويذكر صدقَ مودته لها وحبه إياها.

• **البيان:**

(وما تغني الودادة): وما ينفع التمني، والودادة بكسر الواو وفتحها مثل الودّ، وتقدم في القطعة الحادية والستين، (ويُقال في المحبة: الود، وفي التمني: الودادة)[1]، والجملة في البيتِ اعتراضية. (ضمير الحاجبية): ضمير المرء ما انطوى عليه صدرُه من أمر، ويعني بالحاجبية محبوبتَه عزّة بنت جميل، من بني حاجب بن غفار من كنانة، وكثيراً ما ينسبها في شِعره إلى جدها الأعلى حاجب، فيقول (الحاجبية). (خيراً): يعني الحب والمودة، وهذا المعنى مرَّ في القطعة الثامنة والثلاثين ومئة. (وعلمتُه): وعرفتُه،

(١) مقاييس اللغة (٦/ ٧٥).

وهو بهذا المعنى يكتفي بمفعول واحد. (شراً): يعني الجفاء والقطيعة. (لم تلمني اللوائمُ): يريد أنه سيقطعُ ما بينه وبينها، فترتفع عنه الملامةَ فيها، وهذا من بديعِ كناية المُحبِّين، فإنه عدَل عن ذكر القطيعة إلى ذكر ثمرتِها لَمَّا كانت القطيعةُ مُرَّةً على القلبِ ثقيلةً على الفؤاد، فتأمله فإن الشراح لا ينبهون إلى مثل هذا عادةً، وإن كان هو من أعظم مقاصد الشعر! (ذكرتكِ النفس): خطرت ببالي. (تفرقت فريقين): يريد أن نوازع نفسِه في هذا المقام تتدافع. (عاذر لي): يعني تعرض له بعضُ الخواطر فتبسط له العذر فيما هو فيه، وهذا الفريق هو الذي أشار إليه في عجز البيت التالي بقوله (وآخرُ منها قابل الضيم راغمُ)، ولكن المرزوقي لم يروِه. (ولائم): يعني أن بعض الخواطر تعرض له بلومه وصرفِه عما هو فيه، وهذا الفريق هو الذي أشار إليه في صدر البيت التالي بقوله (فريقٌ أبى أن يقبل الضيمَ عنوةً)[1].

- **العرض:**

(١-٣): **يقول:** تمنيتُ أنني عالمٌ بما ينطوي عليه قلبُ هذه المرأة لي، وما ينفَع التمني إذا لم يُسعِف القدَر، ووددتُ لو أني أطّلع على ما يكنّه صدرُها، فإن كان ما تُضمِره لي وداً صافياً وحُباً خالصا؛ سرّني ذلك وسكنتُ إليه، ولم أستخسِر ما أبذله من الهوى في سبيلها، وإن كان ما تُضمِره لي جفاءً مُرّاً وبُغضاً ثقيلا؛ قطعتُ ما بيني وبينها، ودفعتُ عني لومَ اللائمات وعذل العاذلين، واللهُ يعلم أنكِ ما خطرتِ ببالي ولا وقعتِ في نفسي إلا تضاربَت مشاعري فيكِ، وتفرقت نفسي فريقين: فريقٌ يقول: (إن مثل عزة الحاجبية في جمالِها ونسبِها وشرفِها لا تُفوَّت، ويُصبَر في سبيلها على كل أذى)، وفريقٌ يقول: (إنك جاهلٌ بأمورك، مبتذلٌ نفسَك في مسالك الهوى، ترمي حُبَّك إلى من لا يُشفق عليك ولا يحفِل بك، فاصرمها وامضِ إلى حال سبيلك)، فأنا بين نارين!

فلا تُذكِراه الحاجبيةَ، إنه ... متى تُذكِراه الحاجبيةَ يحزَنِ[2]!

---

(١) انظر رواية القطعة كاملةً في: ديوان الحماسة (٢/ ٤٤)، ديوان كثير عزة (٢٤٥).

(٢) ديوان كثير عزة (٢٤٩).

(١٤٢)

وقال نُصَيْبٌ: [من الطويل]

١. لقد هَتَفَتْ في جِنْحِ ليلٍ حمامةٌ ... علـىٰ فَنَـنٍ وَهْنًـا وإني لنائـمُ

٢. كَذَبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقًا ... لـمَـا سـبَقَتْني بالبـكاءِ الـحمـائمُ

● **الكشف:**

نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر أموي فحل، وكان عبداً أسودا ثم اشتراه عبد العزيز بن مروان وأعتقه لما سمِع شعرَه واستجاده، وشِعره في النسيب والمديح حسَن، وله مع خلفاء بني أمية ومع الفرزدق قصص مشهورة.

وهذان البيتان من قطعةٍ يذكر فيها هتاف حمامة وسط الليل هيّجَ له الأشواق، وبعث فيه المشاعر، فألمّ به الهوى ليلتَه تلك.

● **البيان:**

(هتفَت): أي صاحَت ونادَت، فإن قيل إن المشهور في صوت الحمام الهديلُ والهدير؛ قلنا إن للعرب إطلاقاتٍ على وجه العموم تصدُق على كل ذي صوت، وذلك كالنداء والصياح والهتاف والضجيج، ثم إن لهم إطلاقاتٍ خاصة تختص ببعضها دون بعض، كالهديل للحمام والزئير للأسد ونحو ذلك، ولم أر من نبه عليه، وسيأتي تكرار استعمال الهتاف للحمام. (جنح ليل): ما مالَ من الليل، وهو قريبٌ من نصف الليل. (حمامة): الحَمام كلُّ طائرٍ ذي طوقٍ يعبُّ ويهدر، ويُقال للذكر والأنثى: حمامة. (فننٍ): تقدم في القطعة السادسة والثمانين. (وهناً): الوَهْنُ ساعةٌ من الليل في أوله بعد الغسَقْ. (كذبتُ وبيتِ الله): كذَّب نفسَه لَمَا رأى النومَ غلب عليه في ليله، بخلاف الحمام الذي

قام يهتف، ولو كان عاشقاً لكان أحقَّ بالسهَر والهتاف والبكاء، كما قال بشر بن أبي خازم[1]:

ألـم يأتِهـا أن الدمـوعَ نطافـةٌ لعيـنٍ يـوافي في المنـام حبيبُهـا؟

(لما سبقَتْني): تقدم في القطعة السادسة والثمانين أنهم يعتقدون شجوَ الحمام وبكاءه، ويجعلون ذلك مهيجاً لأحزانهم. (الحمائمُ): جمعُ حمامة.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: لقد نادَت حمامةٌ في وسط الليل نداءً حزينا، وغرّدَت تغريدَ شوقٍ وصبابة، وكانت على غصنها في تلك الساعة من الليل، وكنت أنا على فراشي نائما، فعرَفتُ أني قد ادعيتُ في العشقِ ما ليس لي، ولبستُ من الحُب ما غيري أحقُّ به، ولو كنتُ عاشقاً على الحقيقةِ لما قارب النومُ جفني، ولا لاصَقَ الفراشُ جنبي، ولما بكَت الحمامةُ قبلي، ولكني مقصِّرٌ في باب الهوى، متزيّدٌ في جانب الحُبّ.

---

(١) المفضليات، القصيدة (٩٦).

(١٤٣)

وقال الشَّماطِيطُ الغَطَفانيُّ: [من الوافر]

١. أرارَ اللهُ مُخَّكِ في السُّلَامَىٰ إلىٰ مَنْ بالحَنِينِ تُشَوِّقِينَا
٢. فإني مِثْلُ ما تَجِدِين وَجْدي ولكِنِّي أُسِرُّ وتُعْلِنِينَا
٣. وبي مِثْلُ الذي بِكِ غيرَ أني أُجَلُّ عَنِ العِقَالِ وتُعْقَلِينَا

- **الكشف:**

الشماطيط الغطفاني، لم يذكروه في تراجمهم، غير أنه شاعر إسلامي معاصر لابن ميادة، وهذه القطعةُ يخاطب فيها ناقتَه التي حنّت إلى بلادها، واستاقَت إلى أهلها، فحملَته على الشوق والحنين، فضجِر منها، وتمثل هذه الأبيات، وأراد بها التخلص إلى قدرته في ضبطِ مشاعره ومراعاة أشواقِه.

- **البيان:**

(أرار اللهُ مخّك): أي جعل الله مخَّ عظمِك رارا، والرارُ الخفيفُ الرقيقُ من الهزال، والمُخُّ نِقيُ العظم، وهو معروف، ولذلك جاء في الرواية الأخرى (أرار الله نِقيك). (في السُّلامى): السُّلامى كلُّ عظمٍ من عظام الأصابع، وسُلامى البعير أطراف عظامِ خُفّه، وخصَّ السُّلامى بالذكر لأنها آخر ما يهزل فيه المخ، فإن هُزِل مخُّ السُّلامى كانت علامةً على شدة هزل الناقة، وهذا دعاءٌ على ناقتِه بالهزال لضجِره منها لمّا حملتْه على الشوق والتذكار. (إلى من بالحنين تشوقينا): استفهام إنكار، كأنّ ما هو فيه من السفَر والتعَب ليس وقتاً للشوق والذكرى. (وجدي): تقدم أن الوَجدَ ما يعتمِل في النفس ويجده صاحبُه من الشوق والمعاناة. (ولكني أُسِرُّ): أي أكتمُ ما أجده من الهوى والشوق، والعربُ تذكُر هذا كثيرا وتفخر به، كأنهم يرونه من الصبر والعزة للمُحِب،

ومن الإكرام والصيانةِ للمحبوب، ومن ألطف ما قيل في ذلك بيتا المتنبي الذي أولها (كتمتُ حبكِ حتى منكِ تكرمةً)[1]، وفيهما معنى لطيف. (وبي مثل الذي بكِ): يعني الحنين ومغالبة الهوى. (العِقال): ما تُربَط به الإبل من الحِبال وهي باركة.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: أي ناقتي مالكِ تُصوِّتين وتُظهرين الحنين؟ رماكِ الله بالهزال، وأصابك الله بالضعف، جزاءً على ما هيَّجتِ في قلبي من الأشواق، وما أشعلتِ في فؤادي من الحنين، فليس المقامُ هذا مقام اشتياق وهوى، وقد كان بي مثلُ ما بك من الصبابة أو أشد، ولكني أُسرِّه وأخفيه، وأكتمه ولا أبديه، أما أنتِ فما إن أصابكِ الشوقُ إلا ناديتِ وصحتِ، وإني أجد من الحب أضعاف ما تجدين، ولكني أضبِطُ ذلك وأُحكِمُه بما عندي من الصبر والحياء، فلا يُخشى مني أن أهيمَ على وجهي، وأما أنتِ أيتها الناقةُ فلستِ كذلك، ولهذا ترينهم يعقلونكِ مخافةَ أن تندّي على وجهكِ، فلا صبرَ يمنعكِ، ولا حياء يردعكِ.

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي (٣١٣)، وانظر تعليق المحقق هناك.

(١٤٤)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. أحُبًّا علىٰ حُبٍّ وأنتِ بخيلةٌ وقد زَعَموا ألَّا يُحَبَّ بَخِيلُ

٢. بلىٰ والذي حَجَّ المُلَبُّونَ بَيْتَه ويَشفِي الهوىٰ بالنَّيْلِ وَهْوَ قليلُ

٣. وإنَّ بِنَا لو تعلمين لَغُلَّةً إليكِ كما بالحائماتِ غَلِيلُ

• **الكشف:**

هو مجنون ليلى، وتقدمت ترجمته عند القطعة الخامسة والثلاثين ومئة، وهذه القطعة جاريةٌ مجرى صاحباتِها في ذكر تمنّع المحبوب وبخله بالوصال، وذكر ما يجده المُحِب العاشق من الهُيام والهوى.

• **البيان:**

(أحُباً على حُب): انتصب بفعل مضمَر، كأنه أراد أتزيدينني حُباً على حُب؟ (وأنتِ بخيلةٌ): يعني البخلَ بالوصال واللقاء والتحية والمراسلة، والعربُ كثيرا ما تصف المحبوب بهذا النوع من البخل، وهو محمود في الجُملة، لأن فيه إشارةً إلى تمنّع المرأة وعفتها ودلالها. (وقد زعموا ألا يُحَب بخيلُ): يريد أن العادةَ جرَت بكراهية البخلاء وبُغضِهم، فكيف أحببتكِ إذن؟ وهذا معنى طريف، فإن بُخلَها في الوصال ليس هو البخلَ بالمال، والأول محمودٌ في النساء والثاني مذمومٌ عند العقلاء، ولكنه طمِع منها بالوصال والبذل، فبغّض إليها مطلقَ التمنّعِ والبُخل، وأجمَل الأمر في ذلك لينال منها ما يريد، ولذلك حسُن به أن يرجع على نفسِه في البيت الثاني فينقض ما بناه، ويزعمَ أن البخيل قد يُحَب، وليس هذا البخلُ من ذاك، ولكنه سحرُ البيان، ولو وقفنا

عند كل بيتٍ مثل هذا الوقوف لانتفعنا، ولكنه يخل بمقصود الكتاب، والله المستعان. (بلى والذي حجَّ الملبون بيتَه): رجع فأقسم على خلاف ما زعمه الناس، فكأنه سُئل أيُحَبُّ البخيلُ الممسِك؟ فقال: بلى وأُقسِم على ذلك، والملبُّون جمعُ مُلِبٍّ، مِن التلبية المعروفة بالحج. (ويشفي الهوى بالنَّيل وهو قليلُ): هذا عطفٌ على جواب القسم، فهو يقول: بلى إنَّه ليُحَبُّ، وإنَّه ليُداوي من داء الهوى بالوصال اليسير، وأصلُ النَّيل التحصيلُ والملاقاة. (لغُلَّةٍ): الغُلَّةُ حرارةُ العطش، يريد أنه ظمآنٌ إليها، قد أثَّرَ فيه حرُّ الهوى. (بالحائمات): الحائماتُ الطيور التي تحوم حول الماء تبتغي النزول فيه والشرب منه.

- **العرض:**

(١-٣): **يقول:** أتجمعين عليَّ حُبّاً على حُب؟ وتزيدينني هوىً على هوى؟ ثم أنتِ بعد ذلك تؤثرين البخل عليَّ والزهد فيَّ! وقد استقرَّ عند الناس أن البخيل عليهم لا يكون محبوبا، والزاهد فيهم لا يكون مقصودا، ولا يُحَبُّ إلا الباذل المحسِن، فنحنُ وإيّاكِ من الهوى على طرَفي نقيض، ولكن بلى والله! إني لأُقسِمُ بالذي حج الملبون بيتَه إنَّ البخيلَ ليُحَبُّ، وإنَّه ليشفي من داء الهوى بالوصال اليسير، وهذا أنا بين يديكِ لا يتقدمني في حُبّكِ أحد، وأنتِ مع هذا ضنينة علينا، زاهدة فينا، وليتكِ تعلمين أن أكبادَنا تكاد تتقطعُ من عطشِ الهوى، وأفئدتنا ظمآنةٌ إليكِ كظمأِ الطيور الحائمات على الماء في اليوم الحار المتوقِّد!

(١٤٥)

وقال عبدُ اللهِ بنُ الدُّمَيْنةِ: [من الطويل]

١. ألا يا صَبَا نَجْدٍ متىٰ هِجْتِ مِن نَجْدِ لقد زادني مَسْـراكِ وَجْدًا علىٰ وَجْدِ
٢. أأنْ هَتَفَتْ وَرْقاءُ في رَوْنَقِ الضُّحَىٰ علىٰ فَنَنٍ غَـضِّ النبـاتِ مِـنَ الرَّنْـدِ
٣. بكيتَ كما يَبكي الوليدُ ولم تزَلْ جليدًا وأبدَيْـتَ الـذي لم تكُـنْ تُبدِي
٤. وقد زَعَمُوا أن الـمُحِبَّ إذا دَنَا يَمَـلُّ وأنَّ النـأيَ يَشـفِي مِـنَ الوَجْـدِ
٥. بكُلٍّ تَـداوَيْـنـا فلم يَشْـفِ ما بنا علىٰ ذاكَ قُـرْبُ الـدارِ خيرٌ مِنَ البُعْدِ
٦. علىٰ أنَّ قُـرْبَ الـدارِ ليس بنافعٍ إذا كان مَـنْ تَهْـواه ليـس بـذي وُدِّ

- **الكشف:**

هو عبدالله بن عبيد الله بن أحمد، الخثعمي حِلفا، الأكلبي نسَبا، والدمينة أمه نُسِب إليها، وهو من بني أكلب بن ربيعة بن نزار، وبنو أكلب دخلوا في خثعم فصاروا إليهم يُنسَبون، فخثعمُ هم أبناء أنمار بن إراش بن عمرو، وتقدم ذكرهم في مقدمة النسب، وقد قيل إن أنماراً هذا ولدُ نزار بن معد بن عدنان، والمشهور الأول، وكان الشاعرُ عبدالله بن الدمينة بدوياً أموياً رقيقاً فصيحَ اللسان، وأكثر شِعره في ذكر نجدٍ وهيامه بها وبأهلها والتغزل بنسائها، ومن ذلك هذه القطعة الرائقة.

- **البيان:**

(صَبا نجد): تقدم في القطعة الثامنة والثمانين أن الصَّبا ريحٌ طيّبة باردة تهبّ من المشرق، فهي تأتي أهلَ تهامة والحجاز من جهة نجد، فيضيفون الصَّبا إليها، فيقولون (صبا نجد)، وأصل النَّجد في اللغة ما ارتفع من الأرض، ثم غلَب استعمالُه

على البلاد الواقعة بين الحجاز والعراق، وقد تقدمت غيرُ قطعةٍ فيها التغني بأرضِ نجدٍ والتشوق إليها، ولا غروَ فإنها من أطيب بلاد الله في أرضه، (وأعدلها مزاجا، وأرقها هواءً، وأعذبها ماءً، وأخصبها أرضا، وأنبتها زهرا، أوديته كالرياض، وأغواره كالحياض، ولم يزل الشعراء قديماً وحديثاً يترنمون بذكره، ويلهجون بوصف بلاده وقطرِه، ويعطرون الأندية بنشر خزاماه وعطره)[1]. (هِجت): الهِياجُ والهيَجان الثورةُ والتحرك. (مسراكِ): سيركِ إلينا، يعني صَبا نجد، وجرت عادةُ العرب بمخاطبة الريح والبرق ونحوها مما يأتي مِن أرض المحبوب. (وجدا على وجد): تقدم أن الوَجدَ ما يعتمِل في النفس ويجده صاحبُه من الشوق والمعاناة. (هتفت ورقاء): نادت حمامة ورقاء، والورقاء ما يضرِب لونها إلى الخضرة والسواد، وهو أقرب ما يكون إلى اللون الرمادي، وقد تقدم هتاف الحمام قبل ثلاث قطع. (رونق الضحى): أول ساعة الضحى. (على فننٍ غضِّ النبات من الرند): على غصنٍ من شجر الرند، نباتُه غضٌّ طريّ. (بكيتَ): هذا جواب السؤال في البيت قبله. (جليداً): شديد الصبر والقوة، وتقدم في باب الحماسة. (وأبديتَ الذي لم تكن تبدي): يعني وأبديت من الجزع والضعف ما لم يبدُ منك قبل ذلك، وفي إبهامه الذي أبداه إشارةٌ بديعة، فإنه لم يسمِّه، ولكن أبهمه أنفةً من ذكره، وكأنَّ العادةَ منه خلافُ ذلك، (وينبغي أن يكون التشبيبُ دالاً على شدَّةِ الصبابة، وإفراط الوَجد، والتهالك في الصَّبوة، ويكون بريئاً من دلائل الخشونة والجلادة، وأمارات الإباء والعزَّة)[2]. (المحب إذا دنا يملّ): الملَلُ السآمةُ والضجر، وسيأتي هذا المعنى مفصلاً في القطعة التي تليها. (النأي يشفي من الوَجد): النأيُ البعد، وكونه شفاءً من الوجد لأنه يبعث اليأس في قلب صاحبِه، كما قال العجاج: (والشحطُ قطَّاعٌ رجاءَ مَن رجا)[3]، وسيأتي تفصيل هذا المعنى في القطعة التالية. (بكلٍّ تداوينا): أي تداويتُ بالقرب والبعد، فلم ينفعا.

---

(١) تاريخ نجد للألوسي (٤٥).

(٢) الصناعتين للعسكري (١٢٩).

(٣) ديوان العجاج بشرح الأصمعي (٣٢٧).

- **العرض:**

(١-٣): يقول: ألا يا ريحَ نجدٍ الطيبة، متى ثُرتِ وتحركتِ من أرضِ نجد؟ فقد زادني سيرُكِ وَجداً على وجد، وجدَّدَ لي هبوبُك شوقاً على شوق، أمِن أجل أن صاحت حمامةٌ على غصنٍ طريٍّ من شجر الرَّند هاج ذلك مشاعري! فأقبلتُ أبكي كما يبكي الوليد الصغير، وأظهرتُ الجزَع والضعف، وقد كان عهدُ الناس بي فيما مضى ثابتَ القلب، دائمَ الصبر، رابطَ الجأش!

(٤-٦): يقول: وقد زعم الناسُ أن دواء الحُب بأحد أمرين: الأول: الإكثار من الزيارة، والزيادة في الدنوّ والقرب؛ فإن ذلك يورث ملالاً وسآمةً يزول معها الحُب، والثاني: الاستقلال من الزيارة، والبُعد عن المحبوب؛ فإن ذلك يورث يأساً ونسياناً يزول معه الحُب، فجرَّبتُ زعمَ الناس، وتداويتُ بكلا الأمرين، فلم ينفعني الأول بل زادني لها حُبا، ولم يشفني الثاني بل زادني إليها شوقا، إلا أنني على الأحوال كلها وجدتُ الدنو خيراً من النأي، والمقاربة خيراً من المباعدة، ولكن ماذا عسى أن ينفع تقارب الديار إن لم يكن للمحبوب ود ولا مَيل!

(١٤٦)

وقال آخَرُ: [من الوافر]

١. إذا ما شِئتَ أن تَسلَىٰ خليلًا فأكثِرْ دُونَه عَدَدَ الليالي

٢. فما سَلَّىٰ خليلَك مثلُ نأيٍ ولا بَلَّىٰ جديدَك كابتذالِ

• **الكشف:**

هو زهير بن جَناب بن هبل القضاعي الكلبي، من بني كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان، شاعر جاهلي معمِّر، وفارس شجاع مشهور، وكان ميموناً منصوراً في غزواته، لا يرهب أحدا، وغزا بني وائل مرةً فقتَّل منهم خلقاً وشرَّد آخرين، وأَسَر مهلهلاً وكليباً ابني ربيعة، ولما كبر به السنُّ ملَّ الحياة، فأقبل يشربُ الخمرَ صِرفاً حتى قتلَتْه!

وهذان البيتان المشهوران يذكر فيهما سبيلَ التخلص من ثِقَل الهوى، وأن البعدَ يورثُ السلوَّ، والقربَ يورثُ الملالة، وهما سيَّاران عند الناس، يكثر الاستشهاد بهما في التصانيف والأمالي، ومعناهما ظاهر.

• **البيان:**

(تسلى): السلوُّ والسلوَةُ والسلوانُ النسيانُ وانقطاعُ الأمَل. (خليلاً): محبوباً حميما. (نأيٍ): بُعدٍ، وهذا المعنى نحو قول العرب (طول التنائي مسلاةٌ للتصافي)[1]. (بلَّى): أي أبلاه وجعله قديماً مطَّرحا. (كابتذالٍ): الابتذالُ كثرةُ الاستعمال، وهو هنا كناية عن كثرةِ الزيارة وما تُحدثه من الملالة، ويروى بعدَه:

وزُر غِبّاً إذا أحببتَ خِلًّا لتحظىٰ بالودادِ مع اتّصالِ

---

(١) مجمع الأمثال (٢٣٠٣).

- **العرض:**

(١-٢): إذا ضِقتَ بالهوى ذرعاً وأردتَ نسيانَ محبوبك، فاقطع عنه الزيارة، وامنع عنه الوصال؛ فإن البعد أنفعُ طاردٍ للحُب، ولا يُنسيك محبوبَك مثلُ تركِ زيارته، وبعدكِ منه، وإن أنتَ أردتَ التعلقَ من محبوبِك بسبب، ورغبتَ في قربه ومودته، فإيَّاك وكثرةَ الزيارة، فإنها موجبةٌ للملالة، كالثوب الجديدِ لا يخلقه إلا كثرةُ اللبس.

وهذا المعنى على شهرته حسَنٌ لطيف، وغالبُ الناس وإن استقرَّ هذا المعنى في أذهانهم إلا أنهم لا يصبِرون على امتثاله في أفعالهم، ولو أن العاشقَ المتعلِّقَ أراد أن يخمد نار الشوق في قلبه فلا أنفع من تناسي محبوبه وقطعِ السبل عنه، فيمنع عنه الزيارةَ والكلامَ والسلام، فما يلبث أن يسلو عنه، وضدُّ ذلك المُحِبُّ المتولِّه الذي يريد التكثُّرَ من محبوبه، فلا أنفع لزيادةِ حُبِّه من تقليل الزيارة، وتخفيف الوصال، فإن ذلك يؤجج لهيبَ الشوق في قلبه، ويُذكِي نارَ العِشق في فؤاده، وهذا أصلٌ في المعاملة والوصال ينجرُّ في كل موضع، والعاقلُ من اعتبر به وكان أمرُه بين ذلك وسَطا، (فإن الإلحاح في الزيارة يذهب بالبهاء، وربما أورثَ الملالة، وطولُ الهِجران يُعقِب الجفوة، ويحلُّ عقدةَ الإخاء، ويجعل صاحبَه مدرجةً للقطيعة)[1].

غيرَ أن الحُبَّ إذا تمكَّن في القلب، والهوى إذا استحكَم في الفؤاد؛ خرج عن هذا الأصل ولم ينفع معه شيء من هذا، لا البعدُ يورثه السلوَّ، ولا القربُ يورثه الملالة، لا هو الذي تُصلِحه نصيحةُ الناصح، ولا هو الذي يَثنيه عذلُ العاذل، ومن هذا الباب قطعة ابن الدمينة السابقة، ومثله كذلك قول جميل بثينة[2]:

ومـا أحـدثَ النـأيُ المفـرِّقُ بيننـا	سـلوًّا، ولا طـولَ اجتمـاعٍ تقاليـا
ولا زادني الواشـون إلا صبابـةً	ولا كثـرةُ الواشـين إلا تماديـا

(١) رسائل الجاحظ (١/ ١٢٨).

(٢) ديوان الحماسة (٢/ ٩٩).

فهذا داء دويٌّ لا انصرافَ للقلبِ عنه إلا برحمةِ الله، ولا تخلصَ للفؤاد منه إلا بلطف الله، وما أصدق قول الحماسي[1]:

إذا كنتَ لا يُسليك عمَّن تودُّهُ ... تناءٍ، ولا يشفيكَ طولُ تلاقِ

فهل أنتَ إلا مستعيرٌ حشاشةً ... لمهجةِ نفسٍ آذنَتْ بفراقِ!

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٥٣).

(١٤٧)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. أَلَا طَرَقَتْنا آخِرَ الليلِ زينبُ عليكِ سلامٌ هل لِمَا فاتَ مطلبُ

٢. وقالت: تَجَنَّبْنا ولا تَقْرِبَنَّنا فكيفَ وأنتم حاجتي أتجنَّبُ

٣. يقولون: هل بعدَ الثلاثِينَ مَلعَبٌ فقلتُ: وهل قبلَ الثلاثِينَ مَلعَبُ

٤. لقد جَلَّ خَطْبُ الشَّيْبِ إن كنتُ كُلَّما بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَىٰ مِنَ اللَّهْوِ مَرْكَبُ

● **الكشف:**

هو يزيدُ بن زياد بن ربيعة (مفرِّغ) الحميري اليحصبي، من بني يحصب بن مالك مِن زيد الجمهور بن سهل مِن حمير، ويُنسَب الشاعر لجدِّه مفرغ لشهرتِه، وقيل إن جدَّه لُقِّب مفرغاً لأنه راهن على سقاءٍ من لبن يشربه كله، فشربه حتى فرغه، فسُمِّي مفرِّغا، وكان يزيدُ شاعراً إسلامياً غزِلاً، وأكثرَ من هجاء عبيد الله بن زياد بن أبيه والطعنِ في نسبه، فكان يُخشى هجاؤه.

● **البيان:**

(طرقتنا): أتتنا وألَمَّت بنا من غير سابق ميعاد. (آخر الليل): فسَّره بعضُهم بظاهره فقال إن المرأةَ أتته آخر الليل، وفيه بُعد، وقيل إنه كنى بالليل عن الشباب، فأراد أنها أتته بعد انصراف أيام الشباب والصبا، ويحتمل أن يريد طروقَ خيالِها ليلًا، والأخيرُ أقربُ المعاني إلى سَنن العرب. (عليكِ سلامٌ): تقدم في صدر باب المراثي أن تقديم (عليك) في السلام من شأن تحية الموتى، ووجهه هنا أنه شبهَّها بالموتى لتولي أيام شبابه ولهوه وانقضائها، فكأنَّ هواه مات وتولَّى! (هل لما فات مطلبُ): يريد ما فات من

سنين لهوه وصباه، وإبهامُه ذلك بقوله (لما فات) حسنٌ لطيف، كأنَّ المقام يضيق عن الاستفاضة في ذكر اللذات والملاهي السابقة. (فكيف وأنتم حاجتي أتجنب): جملة (وأنتم حاجتي) اعتراضية، ومعناها: وأنتم مرادي ومناي وبغيتي، فكيف تأمرونني بتجنبكم؟ (يقولون): أي المرأةُ التي طرقَ خيالُها، ومن وافقها في رأيها وتعصَّب لها. (هل بعد الثلاثين ملعب): هل يحسُن بك اللعب واللهو وقد جاوزتَ الثلاثين من عُمرك؟ (وهل قبل الثلاثين ملعب): يريد أن اللعبَ واللهوَ إنما يلَذُّ لصاحبه مع الشَّيب والكِبَر، لا مع الصبا والصِّغَر، وهذا الجوابُ هزءٌ منه وتهكُّمٌ برأيهم، وقال بعضُهم (هذا لعمري من حسَن الكلام وفصيحِه)[1]، وسيأتي الكلام عليه بعد عرض القطعة. (جلَّ خطبُ الشيبِ): عظُم أمر الشَّيب وشأنه، وهو موضع جواب الشرط الذي يليه. (بدت شيبةٌ): ظهرت شعرةُ شيب. (يعرى من اللهو مركبُ): أترك سبباً من أسباب اللهو والبطالة، وأراد بهذا الكلام تخفيفَ وقع الشيب، والاستهانة بالكِبَر في العُمر، كما سيأتي بسطُ هذا البيت في العَرض.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: أتاني خيالُ زينب سحَرا، وألمَّ بي طيفُها من آخر الليل، فقلتُ مسلِّماً عليها: عليكِ سلام الله يا امرأة، هل لما فات من أيام الوصال واللهو والغزَل مطلبٌ لي فأسألكِ إياه؟ فقالت تجيبني: جانبنا! ولا تدنوَنَّ منا! فقلتُ: وأنى يكون لي أن أجانبَكم وأنتم مرادي في الحياة وبغيتي؟ وكيف أصرِمكم وأنتم حاجتي في الدنيا ومنيتي؟

(٣-٤): يقول: وقد عيَّروني بتعاطي اللهو واللعب على كِبَر سنِّي، فقالوا لي مستنكرين: هل لرجلٍ جاوز الثلاثين من عمره اللعبُ والتصابي؟ فقلتُ هازئاً بهم: بل هل لغِرٍّ لم يبلغ الثلاثين من عمره أن يعرف حقيقة اللذات ويجرب أنواع الملاهي؟ وإنما يحسُن اللعب والصبا على الكِبَر، ولئن كنتُ كلما بدت شعرةُ شيبٍ في رأسي أترك

---

(١) لابن داود الظاهري في: الزهرة (٤٤٨).

سبباً من أسباب البطالة واللهو فإن الشيبَ عظيمُ الشأن عندي، وهذا لا يكون، فما الشيب إلا بياضٌ في سواد، وما أهونَه عليّ! ولا ينبغي أن يُترَك لأجل الشيبِ لهوٌ ولا لعِب.

واعلم أن للعربِ في تفضيل الشيب مذهبين: هذا أولهما: وهو تحسين الشيب مطلقاً حتى في اللهو والملذات، والاستهانةُ بالكِبَر في السنِّ واطراحُه، وهذه حيلة العاجز الذي طغى عليه الشيبُ فأراد أن يتشبَّع بما ليس له بأهل، وما أقبح الشيخَ المتصابي! والمذهب الثاني: الإقرار بحُسن اللهو في الصبا، وحلاوة العيشِ في الشباب، ثم ترجيحُ كفة الشيب لما فيه من حكمةٍ وتجرِبةٍ وطول مراس، والمذهب الثاني هو الغالب عندهم، وهو الأجود رأيا ومنطقا، (وكيفَ تصابي المرءِ والشيبُ شاملُ)[1]!

وعلى المذهب الأول مِن التصابي في المشيب واستدعاء الملذات على كِبَرٍ قولُ أبي نواس[2]:

يقولـون: في الشـيب الوقـارُ بأهلـه ... وشـيبي بحمـدِ الله غيـرُ وقـارِ!

وعلى مذهبه كذلك قول ديك الجنّ:

وقالـوا قـد توشَّـح عارضـاهُ ... فقلـتُ الآن أُوضِـعُ في الأثـامِ!

وضدُّ هذا المعنى قول سلامة بن جندل[3]:

أودىٰ الشـبابُ الـذي مجدٌ عواقبُه ... فيـه نلَـذُّ ولا لـذّاتِ للشـيبِ

وللشـبابِ إذا دامـت بشاشـتُه ... ودُّ القلـوبِ مـن البيـض الرعابيـبِ

---

(١) الأشعار الستة الجاهلية (٢٨٧).

(٢) انظر هذا البيت والذي يليه وشواهدَ لهذا المعنى في: محاضرات الأدباء للأصفهاني (٢/ ٣٥٠)، الزهرة لابن داود (٤٤٤).

(٣) المفضليات، القصيدة (٢٢).

ومِن أشهر شواهد هذا المعنى قول البحتري[1]:

ولقد علمتُ -وللشباب جهالةٌ- أن الصِّبا بعدَ المشيبِ تصابي

---

(١) الصناعتين لأبي هلال العسكري (٣٩٤).

(١٤٨)

وقال كُثَيِّرٌ: [من الطويل]

١. وأَدْنَيْتِني حتىٰ إذا ما فَتَنْتِني — بقَولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ

٢. تَنَاهَيتِ عني حِينَ لا ليَ حِيلةٌ — وغادَرتِ ما غادَرتِ بين الجوانحِ

- **الكشف:**

تقدمت ترجمته في كشف القطعة الحادية والأربعين ومئة، وتُنسَب القطعة لغيره، وهذان البيتان البديعان يذكر فيهما صاحبُهما أن محبوبتَه تلطَّفَت له وصانعته بالبشاشة والود، حتى إذا وقع في شركها تخلَّتْ عنه وتركتْه هائما مغرَما.

وقد روي أن جريراً كان سائراً يريد الشام، وكان معه راويةُ كثيِّر، فأنشدَه هذين البيتين، فطرِب لهما جريرٌ طرباً شديدا، وقال: لولا أنه لا يحسُن بشيخٍ مثليَ النخيرُ لنخرتُ حتى يسمعَ هشامٌ على سريره!

هذا طربُ الدراية، وفي خبر هذين البيتين طربُ الرواية كذلك، فإن أبا عليٍّ القالي يروي هذه القصة في أماليه عن أبي بكرٍ بن الأنباري عن أبي حاتمٍ عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن راوية كُثيِّر[1]، فأيُّ طربٍ فوق هذا!

- **البيان:**

(وأدنيتني): وقربتِني. (فتنتني): غررتِني بقولِك وفعلِك ولطفِك. (يُحِلُّ العُصمَ سهل الأباطحِ): العُصم وعولُ الجبَل، ويضربون بها المثَلَ في التمنّع، يريد أن قولَ محبوبته وفتنتها يُنزِلان العُصمَ من وعور الجبال إلى سهل الوديان! (تناهيتِ عني):

(١) أمالي القالي (٢/ ٢٢٨)، والنخيرُ: مد صوت الأنف بالنفَس، ويفعله من اشتدَّت به شهوةٌ أو استخفَّه طرَب.

تخليتِ عني وابتعدتِ. (وغادرتِ ما غادرتِ): الكلامُ في حُسن هذا الإبهام كالكلام في القطعتين الماضيتين، أعني قطعةَ ابن الدمينة وقطعة ابن مفرِّغ، وأراد هنا: غادرتِ ما غادرتِ من حُبٍّ مشتعل، ووجدٍ متصل، وفِكرٍ معتمِل، ... إلى غير ذلك مما يكون الإبهام فيه خيراً من التبيان عنه. (الجوانح): تقدَّم أن الجوانح عظامُ الصدر.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: تقربتِ لي بأنواع الإحسان، وتلطَّفتِ لي بضروب الدلال، وأبديتِ ليَ من وجهكِ الطلاقة والبشاشة، ومن لسانِك المحبة والودادة، وخبَّبتِ قلبي بكلامٍ يسهِّل العسير، ويُؤنِس النافر، ويُطمِع اليائس، ويُنزِل الوعولَ من ذرى الجبال إلى أسافل السهول، حتى وقعتُ في حبالكِ، وانتظمتُ في شرَكِكِ، فلما صار حالي كذلك، واستكملتِ مني مرادك، تخليتِ عني، وبعُدتِ مني، وضممتِ أطرافكِ، وقبضتِ أناملكِ، ولم أجد من ذلك مناصا، ولا استطعتُ مما لقيتُ خلاصا، وتركتِ قلبي في نارٍ من الحب مشتعلة، ولهيبٍ من الوجدِ مضطرِم!

(١٤٩)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. سَلِي البانةَ الغَنَّاءَ بالأجْرَعِ الذي ... بـه البـانُ هـل حَيَّـيْتُ أطـلالَ دارِكِ

٢. وهل قُمتُ في أظلالِهنَّ عَشِيَّةً ... مَقـامَ أخـي البأسـاءِ واخـترتُ ذلِـكِ

٣. وهل همَلَتْ عيناي في الدارِ غُدوةً ... بدمـعٍ كنظـمِ اللؤلـؤِ المُتهالِـكِ

٤. أرىٰ الناسَ يرجون الرَّبيعَ وإنما ... ربيعِـي -الـذي أرجـو- نـوالُ وصالِـكِ

٥. أرىٰ الناسَ يخشَون السنينَ وإنما ... سنيَّ -التي أخشىٰ- صروفُ احتمالكِ

٦. لَئنْ ساءني أن نِلتِني بمَساءةٍ ... لقـد سـرَّني أني خطـرتُ ببالِـكِ

٧. لِيَهْنِكِ إمساكي بكفِّي علىٰ الحَشَا ... ورَقْـراقُ دَمْعـي رَهْبـةً مِـن زِيَالِـكِ

• **الكشف:**

هذه القطعةُ لابن الدمينة، وتقدمت ترجمته في القطعة الخامسة والأربعين ومئة، واعلَم أن المرزوقي إنما روى في الحماسة البيتَ الأول والثاني والسابع، فالقطعةُ عنده ثلاثة أبيات، وكذلك هي في اختيار أبي مالك العوضي، ولكني أستحسن هذه القطعةَ جدا، وأقدِّمُها على غالب باب النسيب، فلذلك عدلتُ إلى رواية التبريزي للحماسة فأوردتُ القطعة كما هي عنده كاملةً، لأنها في روايته أطول وألذ، وهي عند القالي في أماليه أطول من هذا.

ولم أصنع هذا الصنيعَ في قطعةٍ غير هذه خشيةَ أن يخرج الكتاب عن مقصوده، ووددتُ لو أصنع ذلك في قصيدة العوام بن عقبة التاليةِ في آخِر باب النسيب، فهي المقدَّمة المفضَّلة، غير أنه لم يروِها أحدٌ في ديوان الحماسة بطولها، ثم إنها طويلة تصرفنا عن المراد.

وهذه القطعة لابن الدمينة بديعة لذيذة رائقة يخاطبُ فيها الشاعرُ محبوبَته ويخبرها بشواهد حبه إياها، ثم يصف ما اعتلج في صدرِه من الهوى والحنين، ويذكر ما خالطَ فؤادَه من الأسى والوجد.

- **البيان:**

(البانة الغناء): شجرةُ البان التي اخضرَّ ورقُها والتفَّ، سُمّيَت بذلك لأن الريحَ إذا ضربتْها غنَّت أوراقُها، ويروى (الغيناء) أي العظيمة التي غطَّاها ورقُها، من قولهم (غان عليه) إذا ستَره. (بالأجرع): كلُّ سهلٍ اختلط برملٍ فهو أجرع، ومؤنثه جرعاء. (به البان): البانُ شجرةٌ معروفةٌ فيها حسنٌ واتّساقٌ وطول، والعربُ تُشبِّه بها المرأةَ والغلامَ وكلَّ ما أرادت وصفه بالغضوضة واللين. (أطلال داركِ): آثار دارك بعد رحيلكِ عنها، وتأمل همسَ الكاف في القافية فإنه لذيذ. (أظلالهنّ): ظلال تلك الشجر. (عشية): تقدم أن العشيةَ وقتُ المساء. (مقامَ أخي البأساء): مقام الفقير السائل المحتاج، وإنما شبَّه نفسَه بالسائل الفقير لتعطفَ عليه. (واخترتُ ذلكِ): يريد أنه أتى مقامَ الفقر والسؤال طوعا، وقام على الأطلال مختارا، لِما كان في ذلك من شفاء غليله، والمُحِبُّ حقّا مَن تعمّد زيار ديار محبوبته قصدا، لا عرَضا كيفما اتفق، وقوله (كذلكِ) بكسر الكاف خطاباً للمؤنث، وهي لغة مشهورة. (همَلتْ): أسالَتْ وذرفَتْ. (غدوةً): وقت الصباح، وقد تقدّم أنه قام بالأطلال وقتَ المساء، فهذا أمارةٌ على تكراره القيام بالغداة والعشي، وهو فعلُ المحِبِّ الكلِف. (اللؤلؤ المتهالك): اللؤلؤ المتساقط، وكثيراً ما تُشبِّهُ العربُ الدموعَ به، وقد أحسن المخبَّل تشبيهَه باللؤلؤ المسجور[1]. (الناس يرجون الربيع): لما فيه من الغيث والكلأ والحياة واعتدال الجو. (الذي أرجو): جملة اعتراضية، وحُذِف عائد الموصول المنصوب بفعل، ويكثُر هذا عندهم. (نوالُ وصالِك): النوال والتنويل العطاء، يعني أن ربيعَه الذي يرجوه هو وصالُها لا غير.

---

(١) المفضليات، القصيدة (٢١).

(يخشون السنين): يعني يخشون الجدب والقحط وانقطاع المطر، والعربُ قد تُطلِق السنين وتريد بها العجافَ كما هو هنا، وكما جاء في القرآن: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾[يوسف: ٤٧]، فلما أراد المُربِعةَ عبَّر عنها سبحانه بالعام لا بالسنة فقال: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[يوسف: ٤٩]، وهذا لا يطَّرد، فقد يرد خلافه كما في قول الحق سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾[الشعراء: ٢٠٥]. (سنيَّ التي أخشى): كلمة (سنين) إذا أضيفت حُذِفَت نونها، كما في الحديث (سنِيْ يوسف)[1]، وإنما شدَّد الياءَ في البيت لأنهّا أُضِيفَت إلى ياء المتكلم، فصارت ياءين، ولا تُشدَّد في غيرِ هذا، وقوله (التي أخشى) جملة اعتراضية، وحُذِف عائدها الموصول المنصوب كأختِها التي سبقَتْ. (صروفُ احتمالِك): حوادثُ الدهر التي تأخذكِ عنا فترحلين. (نِلتِني بمساءةٍ): أصبتِني بأذىً من قولٍ أو فعل. (خطرتُ ببالكِ): مررتُ بفكركِ، وهذا البيتُ مشهورٌ عند الناس، وإنّ المحبةَ لتبلغ بالمرء التشوُّفَ إلى ورودِ اسمِه على لسان محبوبه وإن كان بسوء، (فإذا علم المُحِبُّ -الذي أحطُّ الأشياءِ إليه أن يجريَ ذكرُه على بال محبوبِه- أن محبوبَه ذكرَه، فرِح بذكرِه له، وإن ساءَه ما ذكرَه به)[2]. (ليهنِك): ليكن هنيئاً لكِ، والهناء الراحة والسَّعد. (إمساكي بكفي على الحشا): هذا نحوُ قول الصمة القشيري صدرَ هذا الباب (أنثني على كبدي)، فإمساكُه على الحشا نحو وضع اليد على الكبِد، وتقدَّم هنالك. (ورقراق عيني): وترقرقُ الدمع في عيني، يريد البكاء، وهو معطوف على الإمساك، والمعنى: وليهنك كذلك بكائي. (رهبةً من زيالكِ): خوفاً من فراقِك، والزِّيال والمزايلة كالفِراق والمفارقة وزناً ومعنى.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: اسألي عني شجرةَ البان العظيمة الملتفّةِ الأوراق القائمةِ بجوار

---

(١) رواه البخاري (٢٩٣٢)، ومسلم (٦٧٥).

(٢) لابن القيم في طريق الهجرتين (٢/ ٥٨٤) بتصرف يسير، واستشهدَ بهذا البيت بعده، واستشهد به ابن تيمية وابن القيم غير مرة.

دياركِ القديمة، واسألي كلَّ شجرةٍ هنالك عن تحيتي لأطلالِ داركِ، وتسليمي على بقايا أثركِ، واسألي الشجرَ كذلك عن مقامي الذي قمتُه في ظلالِها مساءً، أسلِّي نفسي بالأطلال الدارسة، وأصبّر قلبي بالمعالم الباقية، وأنظر إليها نظرَ الفقيرِ المستعطِف، ثم اسأليهنّ عن الدمع الذي نزفتُه وأرقتُه لما رأيتُ الديار صبيحةَ اليوم الذي يليه حتى كأنّ الدرَّ من عينيّ ينتثر ويتساقط، ولم أطق على فراقكِ صبرا.

(٤ـ٥): **يقول**: أرى الناس يرجون وقتَ الربيع وغيثه الذي يروي العباد والبلاد، أما أنا فلستُ أرجو إلا ربيعَ وصالِك الذي يُغيث قلبي ويَروي فؤادي، ثم أرى الناس يخشون سنين القحط والجدب التي تهلك الماشية والزرع، أما أنا فلستُ أخشى إلا صروفَ الدهر التي تأذن بارتحالكِ فينقطع أملي وتفوت بغيتي.

(٦ـ٧): **يقول**: وقد بلغني أنكِ كنتِ ذكرتِني بحديث سوء، وقلتِ فيَّ من الكلام هُجرا، فوالله ما زادني ذلك لكِ إلا حُبًّا، ولا أحدث فيَّ إليكِ إلا شوقا، فإني وإن انقبضتُ من ذكركِ لي بالسوء إلا أني سُرِرتُ بمروري على بالكِ، وسعدتُ بوقوعي في خواطركِ، فهنيئاً لكِ ما برَّحَ بي من الشوق حتى خشيتُ على كبدي الانصداع، وهنيئاً لكِ أني لا أُرى بين الناس إلا باكياً وجِلاً من رحيلكِ وفراقكِ!

(١٥٠)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. تـمتَّـعْ بها ما ساعَفَتْكَ ولا تكُنْ	عليكَ شَجًا في الصَّـدْرِ حيـن تَبِيـنُ
٢. وإنْ هِـيَ أعطَتْكَ اللَّيَانَ فإنها	لغيـرِك مِـن خُلَّانِهـا سَـتَلِينُ
٣. وإنْ حَلَفتْ لا يَنقُضُ النأيُ عهدَها	فليـس لـمَخْضُـوبِ البَنَـانِ يَمِيـنُ

• **الكشف:**

هو مجنونُ لبنى، قيس بن ذريح بن سنة الكناني الليثي، من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ولم يكُ مسلوبَ العقل، وإنما قيل له المجنون لشدة عشقِه وتعلقه بابنة عمه لبنى، كما قيل لقيس بن الملوح مجنون ليلى، وكان شاعِراً إسلامياً غزِلاً مُجِيدا، وشِعرُه سيّار مستجاد، وهو من شعراء الغزل العذري الذين تقدم ذكرهم في القطعة الخامسة والثلاثين ومئة، غير أن قصتَه تفترق عن قصة صاحبه ابن الملوح، فإن قيس بن ذريح توصّل إلى لُبنى وتزوجَها، وعاش معها دهرا، ثم رأى أبواه أنه جفاهما وأقبل على امرأته، فما زالا به حتى طلقها، فلما رحلَت عنه أسِف أسفاً شديدا، وجزع لذلك، حتى هلك مما هو فيه!

وهذه القطعة اللطيفة يسلي بها نفسَه ويُصبِّرُها، ويضرب مثلاً لكل عاشقٍ بعدَه، ويذكر فيها أن عهدَ النساء التقلبُ وشيمتَهن الغدر، فلا ينبغي الأمنُ لجانبهنّ، ولا يحسُن الجزعُ لفراقهنّ، وهذه القاعدةُ نافعةٌ لو تستقيمُ في ذهنِ العشّاق، ولكن هيهات!

• **البيان:**

(ساعفتْك): كانت لك مواتيةً منقادة، والمساعفة المواتاة والموافقة. (شجاً في الصدر): الشجا ما يعرِضُ من عظمٍ ونحوِه، ورواية التبريزي (في الحلق) وهي أبلغ.

(حين تبِينُ): حين تفارقك. (اللَّيان): الليان والليونة في التعامل: الانقياد والسهولة. (خلّانها): أحبابها من دونك. (لا ينقضُ النأي عهدَها): لا يُفسِد البعدُ ودَّها. (فليس لمخضوبِ البنانِ يمينُ): يريد أن النساء لا اعتبارَ بحلفهنّ، ولا يستوثَق لهنّ، وكنى عن المرأة بقوله (مخضوب البنان) باعتبار الغالب، فإنهنَّ يخضبن أطرافهنَّ في العادة، وكلُّ شيءٍ غُيِّر لونُه بحمرةٍ فهو مخضوب، وهذا الشطرُ الأخيرُ مشهورٌ جدًّا.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: تسلَّ بها ما كانت لك موافقة، والهُ معها ما دامت إليك منقادة، فإذا فارقتْك فلا تتقطَّعْ نفسُك عليها، ولا تخرجْ روحُك معها، وهوِّنْ على نفسك الأمر، واعلم أنها لم تمِل إليك لمحبةٍ خالصة، ولا أنِست إليك لهوىً صادق، ولكنها تحِبُّ اللهوَ كما يُحِبُّه غيرُها من النساء، وما أبدتْه لكَ من اللين ستُبديه لغيرك من أحبابها، وما باحَت لكَ به من الأسرار ستبسطه لغيرك من أصحابها، وهذه عادة النساء في التقلب والتلون والضعف والميل مع الهوى، فلا يغرنك كثرةُ حلفها، ولا يخدعنّك غلظ يمينِها، فليس لمخضوب البنان يمينُ!

(١٥١)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. ولو أنَّ ليلىٰ الأخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عليَّ ودُونِي تُربةٌ وصفائِحُ

٢. لسلَّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زَقَا إليها صَدًىٰ مِن داخلِ القبرِ صائحُ

٣. وأُغبَطُ مِن ليلىٰ بما لا أنالُهُ ألا كُلُّ ما قَرَّتْ به العينُ صالحُ

• **الكشف:**

هو توبة بن الحُميِّر بن حزم العامري العقيلي، من بني عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر إسلامي غزِل شجاع، وشِعره مع صاحبته ليلى الأخيلية مشهور، وهو من شعراء الغزل العذري الذين تقدم ذكرهم في القطعة الخامسة والثلاثين ومئة، وقُتل في غزاةٍ غزاها على بعض أحياء العرب زمن مروان بن الحكم.

وهذه الأبيات يذكر فيها توبةُ أنه بلغ من حبه لليلى أنه إذا مات فمرَّت به وسلَّمَت عليه؛ أجاب سلامها على الفور، فإن لم يستطع أجابَها صداهُ من قبره، ولا بدَّ مِن أن تُجاب تحيتُها.

وقد روي أن ليلى مرَّتْ بقبره بعد موته فقالت: يا توبة! يا توبة! وسلَّمتْ عليه، ثم التفتتْ إلى الركب فقالتْ (والله ما كذبني قبلها قطّ)! تريد أنه لم يكذب عليها في حياته غير ما قاله في هذه الأبيات، إذ لم ير الركبُ صدقَ ما قال من ردِّه السلام، (وهذا الكلام منها في غاية المدح، لا لأنها جهلتْ حال الموتى، ولكنَّها دلتْ على أنه لم تُعرَف منه كذبةٌ قطُّ يُعتَدُّ عليه بها ميتا)[1]، ثم يُقال إن بومةً كانتْ كامنةً عند قبره فنفرَتْ لما

(١) التعازي للمبرد (١٠٨).

رأت هودجَ ليلى واضطرابَه، فطارَتْ في وجه الجمل فألقى بليلى على رأسِها فماتت[1]!
فكان ذلك صدقَ ما ذكر توبةُ من الصَّدى الذي يزقو إليها من جانب القبر، ثم دُفِنت
ليلى بجواره.

● **البيان:**

(ليلى الأخيلية): هي ليلى بنت عبدالله بن الرحالة العامرية العقيلية الأخيلية، من بنات الأخيل، وهو كعب بن معاوية بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكانت شاعرةً متقدِّمة، وكانت تهوى توبةَ بن الحُميِّر غير أنها تزوجَتْ غيرَه، ولم تقع بينهما ريبة. (ودوني تربةٌ وصفائح): أي وأنا في قبري قد حال بيني وبينها التراب وصفائح القبر، والصفائح جمعُ صحيفة، وهو ما يوضَع على القبر من حجارةٍ ولبِن. (لسلمتُ تسليمَ البشاشة): لرددتُ سلامَها من قبري ببشاشةٍ وطلاقةِ وجه! (زقا إليها صدىً من داخل القبر): تقدَّم الصدى في القطعة الثالثة والثمانين، وزقا يزقو: صاح يصيح، ويريد الشاعر أنه إن لم يجبِ سلامَ ليلى أجاب صداه من قبره عنه. (وأُغبَطُ): وأُحسَدُ، والغبطة تجري في أشعار العرب بمعنى الحسَد غالبا. (بما لا أناله): يريد أنه يُحسَد لمكانه منها، ويظن الناس أنه حصَّل منها مراده، وليس ذلك بصحيح. (كلُّ ما قرَّت به العين): قرَّتْ أي سكَنت، وقرار العين كنايةٌ عن راحة النفس واستقرارها. (صالحُ): نافع، يريد أنه وإن كانت تُصاغ حولهما الأخبار الكاذبة إلا أنه مسرورٌ بأن يُذكَر بحبِّها، وتُعرَف به، فهذا شافعٌ في طرد أذى الوشاة.

● **العرض:**

(١-٣): **يقول:** ولو أن محبوبتي ليلى مرَّتْ بي بعد موتي، وعطفَتْ على قبري ركابَها فسلَّمَتْ عليَّ؛ لبادرتُ إلى ردِّ السلام مسرورا، وأسرعتُ إلى جواب التحية فرِحا، وإن مُنِعتُ من ذلك أجابَها صدايَ عنِّي، فإن تحيتَها عندنا غاليةٌ لا تُرَدّ، ومقامَها علينا

(١) انظر: سمط اللآلي (١/ ٢٨٣)، وشرح حماسة أبي تمام للفارسي (٣/ ١٠٩).

عالٍ لا يُحَطّ، وإني مرموقٌ بها في حياتي، ومحسودٌ عليها في عيشتي، ويروون عني من الأخبار في التوصُّل إليها والتقرُّبِ لها ما ليس صحيحا، ولكن يكفيني أنهم يذكرونني بحبِّها، فإن هذا القدرَ وحدَه نافعٌ لي عمَّا سواه، وصالحٌ لي عمَّا عداه.

(١٥٢)

وقال نُصَيْبٌ: [من الوافر]

١. كـأنَّ الـقَـلْـبَ ليلةَ قِـيـلَ يُـغْـدَىٰ بِلَيلـىٰ العامريَّـةِ أو يُـراحُ

٢. قَـطَـاةٌ عَـزَّهـا شَـرَكٌ فـبـاتَـتْ تُـجاذِبُـهُ وقـد عَلِـقَ الـجَـنَاحُ

• **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة الثانية والأربعين ومئة، ونُسِبت الأبيات لمجنون ليلى الذي تقدت ترجمته في القطعة الخامسة والثلاين ومئة، وهذا الأقرب، وهذان البيتان من قطعةٍ حسنةٍ له يصفُ فيها قلبَه يوم الوداع، وفؤادَه ليلة الفراق، ويشبه خفقانَه بخفقانِ القطاةِ التي علِقت في حبالة صائد فظلت ترفرف، ومن دونها صغارُها ينتظرون رجوعَها إلى وكرها، فلا هي التي أطعمتهم ليلاً، ولا هي التي نجَتْ صباحاً، غير أن المرزوقي روى أول بيتين من القطعة وحسب.

• **البيان:**

(**يُغدى**): يُذهَب بها في الغدوِّ وهو أول الصباح. (**بليلى العامرية**): قد يكون هذا مرجِّحاً لنسبةِ العشر إلى المجنون، وليس بلازم، فقد مرَّ صدر الباب أن الشعراء يتغنون بأسماءِ نساءٍ لا يقصدوهنَّ. (**يُراحُ**): يُذهَب بها في الرواح، وهو وقتٌ قريب العصر آخر النهار. (**قطاة**): ضربٌ من الحمام يكثر في الفيافي، ويطير في جماعات، والعربُ تشبِّه به كثيرا. (**عزَّها**): غلبَها، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[ص: ٢٣]. (**شرَكٌ**): حبالة الصائد. (**تجاذبه**): تنازعه، يعني الشرَكَ الذي التفَّ عليها.

- **العرض:**

(١-٢): **يقول**: لما وفد على سمعي نبأُ ارتحال أهل ليلى، وأنهم آخذوها عني في صباحٍ أو مساء؛ جزعتُ لذلك جزعاً شديدا، وصار قلبي في الخفَقان والاضطراب مثل حمامةٍ وقعَت في فخٍّ يحبسُها، فأخذت تُعالِجُه وتُنازِعُه وتضرِبُ بجناحها كلَّ مضرب، ولا يزداد الشرَكُ إلا تأبياً وامتناعا، فلا خلاصَ منه، ولا مناصَ عنه، فذلك مثل قلبي لما أُبلِغتُ برحيل ليلى!

(١٥٣)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. رَعــاكِ ضَمـانُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ ولَلـهُ أنْ يَشْـفِيكِ أغنَـىٰ وأوسَـعُ

٢. يُذكِّرُنِيكِ الـخيرُ والشرُّ والذي أخـافُ وأرجـو والـذي أتوقَّـعُ

- **الكشف:**

البيتان لمجنون ليلى، قيس بن الملوح، وتقدمت ترجمته في كشف القطعة الخامسة والثلاثين ومئة، ونُسِبا لأعرابي من هذيل، وهذان البيتان مشهوران يذكر فيهما صاحبُهما مرضَ أمِّ مالك، ويدعو لها بالشفاء، ويحسن الظن بالله، ثم يزعم أنها لا تغيب عن خاطره أبدا، ولا تنصرف عن ذكراه مطلقا.

- **البيان:**

(رعاكِ ضمانُ الله): هذا دعاء معناه: حمَتْكِ ذمةُ الله، وقيل إنه أراد بالضمان قولَ الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٦٠]، فيكون المعنى: حفظكِ الله بضمانه استجابةَ دعاءِ الداعي، فإني أدعو لكِ كلَّ حين. (ولله أن يشفيكِ): اللام للابتداء، وحُذِف حرفُ الباء قبل (أن)، وهو كثير، أراد (ولَـلَّـه بأن يشفيكِ). (أغنى وأوسعُ): أي أن في أمر الله من شفائك غناءً وسعة، ومعنى ذلك: أنه محسنٌ الظنَّ بالله في شفائها، واثقٌ من سعة كرمه سبحانه. (يذكرنيك): هذه الكلمة اتصلت بها ياءُ الخطاب بعد نون الوقاية، ثم خُتمت بضمير المخاطَبة، والمعنى: يذكرني إياكِ. (الخيرُ والشرُّ): فالخيرُ يذكره بحُسن عهدها وطيبِ أيامها، والشرُّ يُذكرهُ بما أصابها من سوء، وما لحقها من مكروه. (والذي أخاف وأرجو والذي أتوقعُ): فالخوف يذكره بما قد يقع لها من ضرر بمرضِها، والرجاء يذكره بما قد يمن الله عليها بشفائها، والذي

يتوقعه يشمل ذلك كله، ففكرُه معلَّقٌ بها كلَّ حين، وهذه الثلاثة حُذِفت منها صلة الموصول المنصوبة، وقد أحاط في بيته الأخير بصروف الدهر وحوادثه، فإن نوازل الدهر إما أن تكون محبوبةً أو مكروهة، أو مخوفةً أو مرجوَّة، أو متوقَّعةً أو منتظَرة، وهذا بديع!

- **العرض:**

(١-٢): يقول: حماكِ الله يا أمَّ مالكٍ بحفظِه، وحرسكِ اللهُ بحمايتِه، وإني على يقينٍ من شفاء الله إياكِ، وعلى ثقةٍ من إحسانه إليكِ، هو نِعم المعتمَد والمتَّكل، وعلِم الله أني أذكركِ كلَّ ساعة، وأدعو لكِ كلَّ حين، وما تقلبتُ في خيرٍ وشرٍّ إلا مررتِ بخاطري، ولا لاقيتُ من محبوبٍ ومكروهٍ إلا وقعتِ في فؤادي.

(١٥٤)

وقال أبو دَهْبَلِ الـجُمَحيُّ: [من الطويل]

١. أَأَتْــرُكُ ليلىٰ ليسَ بيني وبينَها ... سـوىٰ ليلـةٍ إني إذَنْ لصَبُـورُ

٢. هَبُوني امْـرأً منكم أضَـلَّ بعيرَه ... لـه ذِمَّـةٌ إنَّ الذِّمـامَ كبيـرُ

٣. ولَلصَّاحِبُ الـمتروكُ أعظمُ حُرمةً ... علـىٰ صاحـبٍ مِـنْ أنْ يَضِـلَّ بعيـرُ

٤. عفا اللهُ عن ليلىٰ الـغَـداةَ فإنَّها ... إذا وَلِيَـتْ حُكمًـا علـيَّ تَجُـورُ

● **الكشف:**

هو أبو دهبل، وهبُ بن زمعة بن أسيد القرشي الجُمَحي، من بني جُمَح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، كان شاعراً إسلامياً جميلاً عفيفا، وله سيادةٌ في قومه وديانةٌ، وشِعره في النسيبِ رقيقٌ حسَن، وكان يهوى امرأةً يُقال لها عَمرة، يصرِّح باسمِها تارةً ويكني عنه تارات.

وهذه القطعةُ يذكر فيها تشوَّقَه لمحبوبته وقد اقترب من ديارها، ويصف انقطاعَ صبرِه عنها وهو مع رفاقه، وأنه ليس بين الحبيبين إلا مسافة ليلة، فلمَ لا ينتظره رفاقُه ويعينوه على نيل بغيتِه من زيارتها؟ ثم يضربُ لهم مثلاً ما لو ندَّ عليهم بعيرٌ فذهب صاحبُه يتطلَّبُه، أليسوا منتظريه؟ فلمَ لا ينتظرون أبا دهبلٍ؟ وحاجتُه أعظمُ من حاجة صاحب البعير!

● **البيان:**

(ليلى): على ما تقدَّم في صدرِ الباب من الكناية عن اسم محبوبته بليلى ونحوها من الأسماء. (لصبورُ): صيغة مبالغة للصابر، يريد أن الصبرَ عنها له مشقة شديدة، وما

يظنّ نفسَه تطيقُ ذلك. (هبوني): يُقال: هبْ كذا، أي تخيَّل لو كان كذا، ولا يُصاغ منه إلا فعل الأمر. (له ذمةٌ): له حقُّ صحبةٍ عليكم ترعونه له، ووصف الله المشركين فقال: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾[التوبة: ١٠]. (إن الذمامَ كبيرُ): وما أعظم ذمام الصُّحبة! (وللصاحبُ المتروك): يريد نفسَه، إن تركوه ليتصل من ليلى بسبب. (عفا الله عن ليلى): هكذا المُحِبُّ يأبى لحوقَ الضرر بمحبوبه فلا يدعو عليه وإن ظلمه! (إذا وليَت حُكماً عليَّ تجورُ): إذا مكَّنها الله من قضاءٍ بشأني سلكَتْ معي طريقَ الظلم فيه، ويريد أن تمنُّعها ودلالها هو من عندها ظلماً وجَوراً لا من غيرها، والجَور الميل عن الحق، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩]، وهذا البيت الأخير رُويَ أول القطعة.

- **العرض:**

(١-٣): **يقول:** أأتركُ ليلى وأمتنعُ عن زيارتها وليس بيني وبينها إلا مسيرة ليلة!؟ لئن فعلتُ ذلك فإني واسعُ الصبر، ولا أظنني أطيقُ هذا، فما لكم لا تخلون بيني وبينها؟ وما لكم تمنعون عني زيارتها؟ وقولوا لي بربِّكم: لو أن رجلاً من أصحابكم أضلَّ بعيراً في طريق فخرج يلتمسُه، أما كنتم تنتظرونه؟ أم أنكم لا ترعون حقَّ صحبته وعهدَ رفقته؟ فإن أجبتم فإني والله أحقُّ بانتظاركم! وأجدرُ باصطباركم! ولي عندكم حقٌّ وذمام وصحبة، فارعَوا ذلك لي، ودعوني أقضي من حقِّ ليلى واجبي، ولا تتعجَّلوني في تحصيل مرادي وبغيتي.

(٤): **يقول:** عفا الله عن ليلى في معاملتها لي، فإنها تظلم ولا تعدل، وتجورُ ولا تنصف، إن أتيتُ من السوء صغيراً استعظمَتْه، وإن فعلتُ من الخير كثيراً استقلَّتْه، ولا أراها إلا تعتمِد على مكانتِها في قلبي فتتأبى وتتمنع، فعفا اللهُ عنها!

(١٥٥)

وقال وَرْدٌ الجَعْديُّ: [من الطويل]

١. خليليَّ عُوجَا باركَ اللهُ فيكما — وإنْ لم تكُنْ هندٌ لأرضِكما قَصْدَا

٢. وقُولا لها ليس الضلالُ أجارَنَا — ولكِنَّنا جُـزْنا لنَلْقاكُمُ عَمْدَا

• **الكشف:**

هو وَردُ بن عمرو بن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فهو عامريٌّ جَعديّ، شاعر جاهلي مغمور، وكانت له في قومه سيادة.

وهذان بيتان يخاطب بهما رفيقيه، ويطلب منهما التعريجَ على ديار هند، وتكلُّفَ الشُقَّة لأجلها.

• **البيان:**

(خليليَّ): تقدم في القطعة الثانية والستين غلبةُ جريَان خطاب الاثنين عند العرب وعلةُ ذلك. (عوجا): ميلا وانحرفا في طريقكما. (ليس الضلال أجارنا): تقدّمَ في القطعة السابقة أن الجَور الميل، يريد ليس الذي أمالنا فانحرفنا عن وجهتنا أننا ضللنا الطريق. (جُرنا): مِلنا وانحرفنا عن طريقنا.

• **العرض:**

(١-٢): **يقول**: يا صاحبيَّ عرِّجا على هندٍ في رحلتِكما، بارك الله فيكما، وانحرفا إلى ديارها في سيركما، وإن لم تكن على طريقكما، وبلِّغاها إذا التقيتما بها التحية، وقولا لها: إننا زرناكِ أداءً للواجب، وحفظاً للذمام، ورعايةً للحقِّ، وتكلَّفنا السيرَ إليك لهذا، ولم تكن زيارتُكِ عرضاً كيفما اتفقَ على طريقِنا، بل تعمدنا ذلك، وأنت بهذا جديرة.

(١٥٦)

وقال آخَرُ: [من الوافر]

١. وما في الـخـلـقِ أشقَىٰ مِن مُـحِـبٍّ ... وإنْ وَجَـدَ الـهـوىٰ حُـلْـوَ الـمَـذاقِ

٢. تَــــرَاهُ بـاكـيًـا فـي كُـلِّ حِـيـنٍ ... مـخـافـةَ فُـرقـةٍ أو لِاشـتـياقِ

٣. فيَبكي إنْ نـأَوْا شَـوقًـا إليهم ... ويَبكـي إنْ دَنَـوْا خَـوْفَ الفِـراقِ

٤. فـتَـسْـخَـنُ عـيـنُـه عـنـد التـنـائي ... وتَسـخَنُ عينُـه عنـد التلاقـي

● الكشف:

نُسِبتْ إلى نصيب بن رباح، وتقدمت ترجمته في كشف القطعة الثانية والأربعين ومئة، وقيل إنها مولَّدة، وهذه الأبياتُ واسعةُ الشهرة، ذائعةُ الاستشهاد، تكاد تسمعُها عل كل لسان، ويذكر فيها صاحبُها شقاءَ العشاق والمحبِّين، وبعض ما يتفق لهم من أحوال الحزن وأعراض الأسى، وهي واضحة لا تتوقف على بيان، غير أنا لا نترك الشرح فنُخِلَّ بشرطِ الكتاب.

● البيان:

(مُحِبٌّ): أراد كلَّ مُحِبٍّ لا مُحِبًّا بعينه، وهذا الأصلُ فيما كان نكرةً من الأسماء فورد في سياق النفي. (مخافةَ فرقةٍ أو لاشتياقِ): أراد أنه إما أن يكون مجتمعاً مع محبوبه فيخاف الافتراق، أو يكون بعيداً منه فيشتدَّ به الاشتياق، وسيفصِّل ما أجمَل من القِسمة في البيت الذي يليه. (نأوا): بعُدوا منه. (فتسخن عينه): هذا التعبير ضدُّ ما تقدَّم يسيراً في قطعة توبة حين قال (قرَّت به العين)، والمقصود بسخن العين: بكاؤها، وهو أمارة على أسى النفس ولوعة الفؤاد، وفي هذه القطعة أكثر من مثال على المقابلة عند أهل البلاغة.

• **العرض:**

(١-٤): يقول: ليس فيمن خلقه الله من بني آدم أكثر شقاءً ولا أعظم بلاءً من المُحِبِّ العاشق، وإن استحلى مذاقَ الحُبِّ وقتا! فأنت تراه في كلِّ وقتٍ باكيَ العين، محزونَ الفؤاد، مروَّعَ القلب؛ وذلك أنه لا يخلو من أن يكون مجتمعاً مع محبوبه فهو متوجِّسٌ من فراقه، خائفٌ من رحيلِه، أو يكون بعيداً من محبوبه فهو متألِّمٌ لبعده، متضجِّرٌ في عيشِه، وعينُه ساخنةٌ في كلا الحالين، لا يترك البكاء، ولا يفارقُ الألَمَ، فيا لله ما أشقى المُحبِّين!

(١٥٧)

وقال يَزِيدُ بنُ الطَّثْرِيَّةِ: [من الطويل]

١. عُقَيْلِيَّةٌ أمَّا مَلَاثُ إزارِها ... فدِعْصٌ وأمَّا خَصْرُها فبَتِيلُ

٢. تَقَيَّظُ أكنافَ الحِمَىٰ ويُظِلُّها ... بنَعْمانَ مِن وادي الأراكِ مَقِيلُ

٣. أليسَ قليلًا نَظْرةٌ إنْ نَظَرْتُها ... إليكِ وكَلَّا ليس منكِ قليلُ

٤. فيا خُلَّةَ النفسِ التي ليس دُونَها ... لنا مِن أخِلَّاءِ الصَّفاءِ خليلُ

٥. ويا مَن كَتَمْنا حُبَّه لم يُطَعْ به ... عدوٌّ ولم يُؤمَنْ عليه دَخِيلُ

٦. أما مِن مكانٍ أَشتكي غَرْبةَ النَّوَىٰ ... وخَوفَ العِدَا فيه إليكِ سبيلُ

٧. فَدَيْتُكِ، أعدائي كثيرٌ، وشُقَّتي ... بعيدٌ، وأشياعي لديكِ قليلُ

٨. وكنتُ إذا ما جِئتُ جِئتُ بعِلَّةٍ ... فأفنَيْتُ عِلَّاتي فكيف أقولُ

٩. فما كلَّ يومٍ لي بأرضِكِ حاجةٌ ... ولا كلَّ يومٍ لي إليكِ رسولُ

- **الكشف:**

تقدَّم نسَبُه في الكلام على مرثيَّة أخته له عند القطعة الثانية ومئة، وتقدَّم هناك شيءٌ من أوصافه، وكان شاعراً أموياً فصيحاً مطبوعاً وافرَ الأدبِ والمروءة، وكان جميلَ الوجه تتزلَّفُ إليه النساء، على أنه كان يكثِر مجالستهنَّ والحديث إليهنَّ، ولما مات رثته أخته بما تقدَّم في باب المراثي.

ونُسِبت هذه القطعة البديعة للعباس بن قطَن الهلالي، وهو شاعر مغمور، وقال أبو عبيد البكريُّ: (وما أخلقَ هذا القولَ بالصواب، لأنَّ هذا الشِّعر لم يقع في ديوان شِعر ابن الطثرية، وقد جمعتُ منه كلَّ رواية، روايةَ أبي حاتم عن الأصمعي، وروايةَ

الطوسي عن ابن الأعرابي وعن أبي عمرو الشيباني، فلم أجده فيه)[1].

وقد سألتُ شيخي فيصل المنصور عن هذه القطعة مرةً فأجابني بكلام نافع، رجَّح فيه كلامَ البكريِّ، ثم قال: (واعلم أن الناس إذا اختلفوا في نسبةِ الشِّعر بين شاعرٍ مشهورٍ وآخرَ مغمور، فإن لم تجد مرجِّحاً لذلك مِن كلام العلماء أو من شِعر أحدهما وطريقته، فنسبتُه إلى المغمور أولى، وذلك أنَّ عادةَ الناس جرت بنسبةِ الشِّعر الذي لا يستوثقون من قائلِه إلى المشهور من الشعراء، وقد ألمح إلى هذا الجاحظُ وغيرُه، وليس هذا بمطَّرِد)، هذا معنى كلامِه، وأظنه يريد قولَ الجاحظ: (ما ترك الناسُ شِعراً مجهولَ القائل قيل في ليلى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شِعراً هذه سبيلُه قيل في لبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح)[2]، وهذا مسلكٌ نافعٌ في الترجيح، وسلكه البغداديُّ في خزانة الأدب وغيرُه.

وقد غلَّظ ابنُ المعتزِّ على مَن يُلزِق الشعرَ المستجاد بالمشهور من الشعراء فقال: (لأنَّ العامة الحمقى قد لهجت بأن تنسب كلَّ شعرٍ في المجون إلى أبي نواس، وكذلك تصنع في أمر مجنون بني عامر، كلُّ شعرٍ ذُكِر فيه ليلى تنسبه إلى المجنون)[3]!

- **البيان:**

(عُقيليةٌ): من بناتِ عُقَيل بن كعب بن عامر بن صعصعة، والشاعر عامريٌّ كذلك، سواء كان ابن الطثرية أو ابن قطَن، وقد يُستدلُّ به علىٰ جواز الابتداء بالنكرة في هذه الحال، والخبر محذوف تقديره جملة (أحببتها) أو نحوها. (ملاثُ إزارها): الملاث الموضع الذي يُدار حوله الشيء ويُقال لاث عمامتَه إذا أدراها على رأسِه، وملاث الإزار الموضعُ الذي يُشدُّ عليه الأزار، وأراد به هنا العجُز، وهي كنايةٌ حسَنة. (فدِعصٌ): الدِّعصُ الرَّمل المجتمع، ولعل العامة أخذوا منه قولهم (طعس)، وشبه

---

(١) سمط اللآلي (١/ ٤٧١).

(٢) نقله صاحب الأغاني (٢/ ٩).

(٣) طبقات الشعراء (٨٨).

عجُزَها بالرمل المجتمع لكثرة لحمِه ووفرةِ شحمِه، وكذا تستحِبُّه العرَب. (خصرها فبتيل): الخصُر أسفل البطن، وقوله (بتيل) أي أن خصرها دقيقٌ مهضوم، وكذا تستحِبُّه العرَب. (تَقيَّظُ): القَيظ شدة الحرِّ، ويُقال: تقيَّظَ فلانٌ موضعَ كذا، إذا أقام به وقتَ الحرِّ، وهو هنا للمؤنث فأصله (تتقيَّظ)، فحذَف تاء المضارع جوازاً فيما ابتدي بتاء، وقد تقدم كثيرا. (أكنافَ الحِمى): أكنافُ الشيء جوانبُه ونواحيه، والحِمى ما يُحمَى من الأرض ويُمنَع، وتقدَّمت الكلمتان في القطعة الثالثة. (بنَعمان): نَعمان وادٍ بين مكةَ والطائف، وفيه مسَح اللهُ ظهرَ آدم فاستخرَج منه ذريَّتَه، وهو حسَن المناخ، كثيراً ما يتغنى به الشعراء. (وادي الأراك): الأراك شجرٌ معروفٌ تستطيبُه الماشية، وبه كان النبيُّ ﷺ يستاك، ويكثر في نَعمان حتى سمَّاه بعضُهم (نعمان الأراك). (مقيلُ): مكانٌ يُرتاح فيه ويُستظَلُّ، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾[الفرقان: ٢٤]، والعربُ تمدَح المرأة بطيبِ العيش، وأنها مخدومة مكفيَّة منعَّمة، وتقدَّم. (خُلَّةَ النفس): صديقةَ النفس، وحبيبةَ الفؤاد. (أخلاء الصفاء): أحباب الصفاء وأهل المودة. (خليل): صديق حبيب قريب، وهذا البيتُ جمع المصدر والمفرد والجمع من الخُلَّة، فما أحقَّه بالاستشهاد! (كتمنا حبَّه): تقدم في القطعة الثالثة والأربعين ومئة أن العربَ تذكر كتمَ الحُبِّ وتفخَر به. (لم يُطَع به عدوٌّ): يعني لم أطع واشياً يُفسد ما بيني وبينكِ. (ولم يؤمَن عليه دخيل): ولا نأمَن على حُبِّنا أن يدخل في قلبكِ أحدٌ فيشاركَنا فيه. (غَربة النوى): شدة البُعد. (أعدائي كثير): يريد مَن يحول بينه وبينها من واشٍ أو قريب. (وشُقَّتي بعيد): الشُقَّة المسافة الطويلة، ووصفُها بالبُعد زيادةٌ في بيانِ ذلك، وهو نحو قول الحق سبحانه: ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾[التوبة: ٤٢]. (وأشياعي لديك قليلُ): الأشياع الأنصار، ومنه قول الحق سبحانه ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ ﴾[القمر: ٥١]، ولعله أراد بأنصاره هنا ما يسكن فؤادها من حبهِ والشوق إليه، أو يريد بالقلةِ العدَم كما تقدم في القطعة الثامنة، ومعناه: لا أنصار لي عندكِ. (بعلةٍ): بسبب أخترعُه.

- **العرض:**

(١-٣): **يقول**: وقع قلبي في حُبِّ فتاةٍ عامريةٍ من بناتِ عقيل بن كعب، وهي محمودةُ الأوصاف، حسَنةُ الخصال، أما عجُزها فمكتظٌّ باللَّحمِ كأنما هو الرمل مجتمعا على بعضِه، وأما خصرها فمهضومٌ دقيقٌ لم أر أحسنَ مِن خَلْقِه، وهي مِن عيشِها في نعيمٍ وراحة، تستظلُّ في أطيب الوديان، وتنزل معَ أهلها وادي نَعمان، لا تُكابِد ضيقا، ولا تُعاني جهدا، فهل تمتِّعُني بعد ذلك بنظرةٍ منها؟ وما تُغني النظرة! أليست النظرةُ قليلةٌ إن حصلَتْ لي؟ [**ثم عاد فقال**:] وكلا والله! إن نظرةً منكِ ليست بقليل.

(٤-٧): **يقول**: فيا صديقةَ النفس التي لا أجد أحبَّ إليَّ من الناسِ سواها، ويا حبيبةَ الفؤاد التي لا أعرف أقربَ منِّي في الخَلقِ إليها، ويا من كتمتُ حبَّها صيانةً لها، وأخفيتُ هواها حفظاً لحقِّها، ولم أطِع فيها واشياً مُفسِدا، ولا أمِنتُ على حبِّنا دخيلاً مُزاحِما: أما عندكِ مقامٌ لي أشكو فيه لكِ، وأبثُّ أحزاني عندكِ، وأقصُّ عليكِ فيه ما ألقى من ألم البُعد وخوف العُداة؟

(٨-٩): **يقول**: جُعلِتْ نفسي فداكِ، إن جمع الوشاة بيننا غفير، وعدادُ المتربصين بنا كثير، والطريقُ طويلة، والمسافة بعيدة، ولا أجد أنصاراً يعينونني على بغيتي، ولا أصحاباً يقرِّبونني إلى مرادي، وكان الحال قبلُ أهونَ من ذلك، فكنتُ أتوصَّل إليكِ بسبب، وأتخلَّص إليك بعلة، وألفِّق الأعذار من أجل ذلك، فالآن قد فنيَت أعذاري، وانقطعت أسبابي، فلست أدري ماذا أقول! وكيف أمضي! ومن أيِّ شيءٍ أتبلَّغ! وعلى ماذا أعوِّل! وعلى ذلك فالحاجات بأرضِك لا تعرِض، والرُّسُل إليك لا تتوصَّل، فأنا حبيسٌ على المكارِه، أسيرٌ بيد النوائب.

(١٥٨)

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحيُّ: [من البسيط]

١. أقولُ والرَّكْبُ قد مالَتْ عمائِمُهُمْ وقد سَقَىٰ القومَ كأسَ النَّعْسةِ السَّهَرُ

٢. يا ليتَ أني بأثوابي وراحِلَتي عبدٌ لأهلِكِ هذا الشهرَ مُؤْتجَرُ

٣. إنْ كان ذا قَدَرًا يُعطيكِ نافِلةً مِنَّا ويَحرِمُنا، ما أنصَفَ القَدَرُ

٤. جِنِّيَّةٌ أو لها جِنٌّ تُعلِّمُها رَمْيَ القلوبِ بسَهْمٍ ما لَهُ وَتَرُ

● **الكشف:**

تقدت ترجمته قبل أربع قطع، وهذه الأبيات يصف فيها خواطرَ الهوى التي اضطربَتْ في فؤاده وهو سائرٌ بالليلِ مع رفاقه، فأخذ يخاطِب محبوبته ويستعطفُها، وقبلها أبيات لم يروها أبو تمام، زعم الغندجانيُّ أن فهمَ القطعةِ متوقفٌ على روايتِها كاملةً[1]، ولا أرى ذلك، على أن النظرَ فيها يعينُ على فهم القطعة، كما هو شأنُ كلِّ قطعةٍ استُلَّت من قصيدتها.

● **البيان:**

(أقول): سيأتي قوله في البيت الثاني. (والرَّكبُ قد مالت عمائمهم): الواو للحال، والمعنى أن الرَّكب قد طغى عليهم النعاس حتى مالت رؤوسُهم. (سقى القومَ كأسَ النعسة السهَرُ): أي أن السهرَ سقاهم كأسَ النعاس فسكروا، فجعل السهَرَ -الذي هو السببُ- ساقياً، والنعاسَ -الذي هو المسبَّبُ- مشروباً، وهي استعارة لطيفة، وإنما أراد أنه ذكرها على شدة هذه الأحوال ومعاناته فيها. (أني بأثوابي وراحلتي): يعني بكسوتي وطعامي وناقتي. (عبدٌ لأهلكِ): تمنَّى العبوديةِ عند أهلها لأن ذلك يقرِّبُه

(١) إصلاح ما غلط فيه النمري (١٣٣).

منها، فآثر رِقَّ العبودية مع قربها على حرِّ الهوى مع بعدها، ولا ضير، فهو على كلِّ حال أسيرٌ لها مسترَقّ، ولئن سلِم بدنُه من الرقِّ فإن قلبه أسير لديها، (فالرجل إذا تعلَّق قلبُه بامرأةٍ وإن كانت مباحةً له يبقى قلبُه أسيراً لها تحكُم فيه وتتصرَّف بما تريد... وإذا كان القلبُ الذي هو الملِكُ رقيقاً مستعبَداً لغير الله فهذا هو الذلُّ والأسر المحضُ والعبوديةُ لما استعبَد القلب)[1]. (مؤتَجرُ): مستأجَر. (إن كان ذا): يشير إلى ما بينه وبين محبوبته من بخلها بالوصال، وضنِّها بالكلام، ولعلَّ هذا المبهمَ هو الذي قصد الغندجانيُّ أنه لا يُفهَم إلا بالأبيات السابقة، وهو وجيه. (يعطيك نافلةً منا ويمنعُنا): يعطيكِ منَّا ما تريدين، ويمنع منَّا ما نريد. (ما أنصفَ القدَر): لم يعدل القدَر معنا، ومثل هذا من سبِّ القدَر والدَّهر لا يجوز شرعا، فالله المقدِّرُ المصرِّفُ سبحانه، وهو كثيرٌ عند الشعراء يسلكون فيه المسالك. (جنيةٌ): العربُ تشبِّه الرجل أو المرأة بالجنِّ، وتريد ندرةَ صفاتِه في غيرِه، وأن فعلَه مباينٌ لفعلِ الإنس، ومعنى الجنيةِ في البيت أنها بحُسنها وجَمالها مباينةٌ للإنس، ساحرةٌ للعقول. (بسهمٍ ما له وتَرُ): يريد سِهام العيون النواظِر، والكلام المعسول.

- **العرض:**

(٤ـ١): **يقول**: أقول -وأنا أعاني النعاسَ الذي ألمَّ بالرَّكب من سهَرِهم، وأكابدُ السير مع الرَّكبِ في طريقِهم-: بودِّي لو كنتُ مستعبَداً عند أهلكِ طول هذا الشهر الذي نحن فيه، وأني مستأجَرٌ بكسوتي وطعامي وراحلتي، لا أكلِّفهم مؤونةً، ولا أحمِّلهم ثقلا، كلُّ ذلك لأقتربَ منكِ، وأتحبَّبَ إليكِ، ولئن كان ما يُرى بيننا ويُشاهَد قدراً قدَّرَه الله -مِن أخذكِ منا ما تحبِّين، ومنعِك عنا ما نحبُّ، وبخلك بالوصال، وضنِّكِ بالكلام- فإن القدر لم يعدِل في القضيَّة، ولم يُنصِف في الحكومة، ومحبوبتي والله جنيَّةٌ في حُسنها لا يُشبِهها أحد، أو أنها تعلَّمت مِن الجنِّ افتتانَ العقول بمُقَلِ العيون، واقتناصَ الأفئدة بلينِ الحديث.

---

(١) لابن تيمية، في مجموع الفتاوى (١٠/ ١٨٦).

(١٥٩)

وقال عُبَيْدُ اللهِ بنُ عبدِ الله بنِ عُتْبة: [من الوافر]

١. شَقَقْتِ القَلْبَ ثم ذَرَرْتِ فِيهِ ... هَـوَاكِ فلِيـمَ فالتـأمَ الفُطُـورُ

٢. تَغَلْغَلَ حَيْثُ لم يَبْلُغْ شَرَابٌ ... ولا حُـزنٌ ولـم يَبْلُـغْ سُـرُورُ

● **الكشف:**

هو عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، من بني هذَيل بن مدركة، الإمام الفقيه العالم العامل، كان من فقهاء المدينةِ السبعة ومِن كبار محدِّثيها، وهو من سادات التابعين، وجدُّه عتبةُ أخو عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، وكان عبيد الله حافظاً بحراً في العِلم، والزهريُّ يروي عنه أصحَّ أسانيد ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن عبدالبر: (وكان عالماً فاضلاً مقدَّماً في الفقه تقياً شاعِراً مُحسِنا، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا -فيما علمتُ- فقيهٌ أشعرَ منه، ولا شاعرٌ أفقهَ منه)[1].

وكانت له زوجةٌ اسمُها عَثمةُ فطلقَها لبعضِ أمره، ثم رقَّ لذلك، ونظَم فيها أشعاراً من جيِّدِ الشِّعر وحسَنه، وهذان البيتان اللطيفان الرقيقان منها.

● **البيان:**

(ذررتِ): الذَّرور ما يُفَتُّ ويُنثَر، ويُقال لمن فتَّ شيئاً ونثَره: قد ذرَّه. (فليمَ): أي التأم واجتمع، وأصلها (لُئِمَ) فلما خُفِّفَت الهمزة ياءً انتقلَت حركتُها إلى ما قبلها. (الفُطور): الشقُّ والصَّدع، قال الحق سبحانه: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣] (تغلغل): تقدَّم أن التغلغل دخولُ الشيءِ وتعمُّقُه، والمقصود تعمَّقَ حُبُّ عَثمة في قلبي، وقد روي قبل هذا البيت:

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ٢٤).

تغلغـل حُـبُّ عثمـةَ في فـؤادي فباديـه مـع الخـافي يسـيرُ

وبسياقِ هذا البيتِ يتبيَّن المقصود. (حيثُ لم يبلغ شرابٌ ولا حزنٌ ولم يبلغ سرورُ): أراد أن حبَّها وصل مكاناً عميقاً في قلبِه لم يصله شيءٌ قطُّ قبل ذلك! وهو معنىً لطيف.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: لقد شققتِ قلبي ثم أخذتِ هواكِ ففتَتِّه في قلبي فتا، ونثرتِه في فؤادي نثرا، فاجتمعَ على ذلك، والتأمت شقوقه بعد هذا، فبلغَ حُبُّكِ في فؤادي مبلغاً عاليا، ونزَل من صدري منزلاً حسَنا، ووقَع مني موقعاً لم يقعه قبله شيءٌ قطُّ!

(١٦٠)

وقال سَوَّارُ بنُ الـمُضرَّبِ: [من البسيط]

١. يا أيُّها القلبُ هل تَنهاكَ موعِظةٌ ... أو يُحْـدِثَنْ لك طُولُ الدَّهرِ نِسْيانَا
٢. إني سأسْتُرُ ما ذو العقلِ ساتِرُهُ ... مِـن حاجـةٍ وأُميـتُ السِّـرَّ كِتمـانَا
٣. وحاجةٍ دُون أخرىٰ قد سَنَحْتُ لها ... جَعَلتُهـا للتـي أخفَيْـتُ عُنْـوانَا
٤. إنـي كأني أرىٰ مَـن لا حَـياءَ له ... ولا أمانـةَ بيـنَ النـاسِ عُـرْيَانَا

● الكشف:

هو سوار بن المضرَّب السَّعدي، من سَعد تميم على المشهور، وهُم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، وقيل إن أباه سُمِّيَ المضرَّب لأنه شبَّب بامرأةٍ فحلف أخوها ليضربنَّه بالسيف، فضربه مئة ضربةٍ بصفحة السيف حتى غشيَ عليه، فسُمِّيَ المضرَّب، وسوارٌ شاعر إسلامي غزِل مُحسِن، وله في الأصمعيَّات نونيةٌ بديعة غيرُ هذه، اختار بعضَها أبو تمام في ديوان الحماسة.

وهذه القطعة يخاطب فيها الشاعرُ قلبَه الذي ألحَّ عليه الهوى، ثم يذكر أنه سيظلُّ كاتماً حبَّه، حافظاً سرَّه، وأن ذلك من الحياء والأمانة الذي لا قوام للمروءة بغيرهما.

● البيان:

(هل تنهاك موعظة): هل تحملك موعظةٌ على تركِ ما أنتَ فيه من الهوى؟ والموعظة مفعِلة من الوَعظ، وهو النصح والتخويف والتذكير بالعاقبة. (ذو العقل): جعل كتمان السرِّ من العقل، وإفشاءه من الحمق. (من حاجةٍ): يعني بالحاجة العشقَ الذي انطوى عليه قلبُه، وأبهمه إمعاناً في حفظِ السرِّ، وهذا بديع. (وأميتُ السرَّ

كتمانا): استعارة للمبالغة في كتمان الأسرار وحفظها، حتى كأنها تموت فلا تُذكَر ولا تُعرَف. (وحاجةٍ دون أخرى قد سنحتُ لها): يريد أنه ربما أظهر إرادةَ حاجةٍ وأبطنَ غيرها؛ من أجل حفظِ السرِّ وكتمانه، وقوله (سنحتُ لها) أي عرَضتُ لها وأظهرتُ قصدَها، والرواية المشهورة (سنحتُ بها) يعني لحَنتُ وعرَّضتُ بها تعريضاً لئلا يُفهَم مرادي، وجُرَّ قوله (وحاجةٍ) بإضمار رُبَّ على التكثير. (عنوانا): علامةً وأثرا وشِعارا، ومنه قيل (عنوان الكتاب) لاسمه الذي يظهر علامةً عليه. (عريانا): أراد أن حكمَه حكمُ من أظهر عورتَه للناس، والعربُ تجعل العِرضَ الذي يُشتَم فتزول عنه مروءتُه كالبدَن الذي يُجرَّد فتزول عنه ثيابُه، والمروءة للعرضِ كالثياب للبدن، ومن ذلك قول الأخطل لجرير: (وأريتَ عورةَ أمِّكَ الجُهَّالا)[1]، أراد: كشفتَ من المعايب ما يقتنصُك منه الشاتم والهاجي.

- **العرض:**

(٤ـ١): **يقول:** يا أيُّها القلب الذي برَّح به الحُبُّ، ألا تنهاك المواعظ وتزجرك النصائح فترتدع عن هذا؟ ولا يؤثر فيك طولُ الدَّهر سلوَّاً فتنتهي عن ذلك؟ وإني كاتمٌ ما بي من الوَجد، وحافظٌ الذي عندي من السِّر، لا أبوحُ لأحدٍ بعشقي، ولا أُطلِع امرءاً على هواي، فأنا أبدي حاجةً للناس وأكتم من دونهم أخرى، وأُظهِر قصداً للخلقِ وأُسِرُّ في نفسي غيرَه، كلُّ هذا صيانةً للعهدِ والأمانة، وحفظاً للدينِ والحياء، فإن مَن لا أمانةَ له ولا حياء كالعاري وسط الناس، يرمونه بالمعايب، ويصفونه بالمثالب، وليس له من المروءة ثوبٌ يستره.

(١) شعر الأخطل، صنعة السكري (١/ ٩٠).

(١٦١)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. أهابُكِ إجلالًا وما بِكِ قُدرةٌ ... عليَّ ولكِنْ مِلْءُ عينٍ حبيبُها

٢. وما هَجَرَتْكِ النفسُ أنَّكِ عِندَها ... قليلٌ ولكِنْ قَلَّ منكِ نصيبُها

- **الكشف:**

هو نُصيب بن رباح، وتقدَّمتْ ترجمتُه في القطعة الثانية والأربعين ومئة، وهذان بيتان مشهوران في كتب الأدب والنحو والبلاغة وغيرها، وهما لطيفان، ومعناهما ظاهر، وتقدَّم الاستشهاد بالأول منهما في بيان القطعة السابعة.

- **البيان:**

(أهابكِ إجلالاً): الهَيبةُ الرهبة والتعظيم، وتكون من الخوف والذعر كما تقدَّم، أو من الإجلال كما صرَّح به هنا، وانتصب (إجلالاً) لأنه مفعول له. (ملءُ عينٍ حبيبُها): يُقال فلانٌ يملأ العين إذا كان حسَن الفعال تقرُّ العين بالنظر إليه وتُكبِرُه. (هجرتكِ النفس): نسَب الهِجران للنفس ولم يقل (هجرتُكِ) تأدَّباً مع مقام المحبوب، وهذا لطيف. (قلَّ منكِ نصيبُها): منعتِ الوصال، وحجبتِ الزيارة، فلم يبقَ لنفسي منكِ نصيب.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: أحفظ مقامكِ بظهر الغيب، وأذكر قدركِ في خلوة النفس، فلا أجد في نفسي لكِ إلا الإجلال والتعظيم، وما ذلك لقدرةٍ لكِ عليَّ، ولكنْ إكباراً لمنزلتكِ، ورعايةً لحقكِ، وعلِم اللهُ أني ما أخللتُ في الزيارة لعيبٍ فيكِ، ولا تركتُ

الوصالَ زرايةً بحقكِ، ولكن قلَّ حظي منكِ، وطال إعراضكِ عنِّي، فرأيتُ البعدَ أنفع، والتركَ أسلم.

(١٦٢)

وقال أبو القَمْقام الأسَدِيُّ: [من الكامل]

١. اقْرَأ علىٰ الوَشَلِ السلامَ وقُلْ له: كلُّ المَشارِبِ مُذْ هُجِرْتَ ذَمِيمُ

٢. سَقْيًا لظِلِّك بالعَشِيِّ وبالضُّحَىٰ ولبَرْدِ مائِكَ والمِياهُ حَمِيمُ

٣. لو كنتُ أَملِكُ منعَ مائِكَ لم يَذُقْ ما في قِلاتِكَ ما حيِيتُ لَئِيمُ

• **الكشف:**

أبو القمقام الأسدي الفقعسي، من بني فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين من بني أسد، لا يكاد يُذكَر إلا بكنيته وبعضِ شِعره، وقد استنشده الفرَّاءُ واحتجَّ بشعرِه، وروىٰ عنه الكسائيُّ كذلك، واستشهد بشِعره ابن جرير في تفسيره.

وهذه القطعة يذكرُ فيها ماءً شمالَ نجد، كان موضعاً لهواه وإلفه، ومنزلاً لأحبته وصحبه، ويخاطب ذلك الماء برقَّةٍ وحنين.

• **البيان:**

(اقرأ على): أبلغه سلامي، هذا الاستعمال الفصيح فيُقال: اقرأ عليه السلام، أي أبلغه إياه، ولا يتعدى رباعياً فيُقال: أقرئه السلام، إلا لما كان مكتوباً أي: اجعله يقرأه، وأما (أقرئه) بمعنى أبلغه فلغةٌ ضعيفة. (الوشَل): ماء شمال نجد، شرق سميراء، يمرُّ به الراكب من نجد إلى العراق، ولعله كان محل إلف الشاعر، فهو قريب من ديار بني أسد، وهو هنا يخاطب الموضع لا نفسَ الماء. (المشارب): جمع مشرَب، وهو موضع الشُّرب، قال الحق سبحانه: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ﴾[يس: ٧٣]. (ذميمُ): مذموم، فعيل بمعنى مفعول، والمذموم المَعيب المُستكرَه. (سقياً): يعني سقاكَ الله سقيا،

والعربُ تقول (سقياً ورعياً) أي سقاك الله ورعاك، تخرجه مخرج الدعاء بالرحمة، وتقول (تباً وسحقاً)، أي تبَبْتَ وسُحِقتَ، تخرجه مخرج الدعاء بالهلاك، (وإنما ينتصبُ هذا وما أشبهه إذا ذُكِر مذكورٌ فدعوتَ له أو عليه، على إضمار الفعل، كأنك قلت: سقاك الله سقياً، ورعاك الله رعياً)[1]. (لظلِّكَ بالعشيِّ وبالضحى): أي سقى الله ظلَّك الوارفَ عشيةً وضحى، والعشيُّ آخر المساء، والضُّحى أول النهار، أراد كلَّ حين، وما زال هذا اللفظ بمعناه دارجاً على لسان العامة اليوم، فيقولون: سقى اللهُ زمانَ كذا، يريدون الحنين إليه، ومعناه: رحمَ الله ذلك الزمانَ وأهله، والمشهور أن (الظل) بالغداة، و(الفيء) بالعشي، فقد يُستشهَد بهذا البيت على إطلاق الظل عليهما جميعا، وقد يُقال إنه أجرى اللفظ الصالحَ لواحدٍ منهما، ثم عطَف عليه ما يشابهه، فأدخله في نفس اللفظ وإن كان لا يصلح له وحدَه، كما قال الآخر: (فعلفتُها تبناً وماءً باردا) والماءُ لا يُعلَف، لكنَّ مذهب العرب في المعطوفات واسع[2]. (ولبردِ مائك والمياهُ حميمُ): جملة (والمياه حميمُ) حاليَّة، أي وسقى الله ماءك البارد حالَ حرارة باقي المياه، والحميمُ شديد الحراراة، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾[الواقعة: ٩٣] نجَّانا الله، وكأن الشاعرَ لما قدَّم ذِكرَ أول النهار وآخره أتى هنا بوقت الظهر الذي تشتدُّ فيه حرارة المياه؛ ليكون شمِل أجزاء اليوم، وهذا لطيف. (قِلاتك): القِلات جمعُ قِلت، وهي الحفرة في الجبل التي يجتمع فيها الماء بعد المطر، وهي نحو الثماد في الأرض. (لئيمُ): اللئيمُ خبيثُ الخُلق، ولعله يريد به هنا أربابَ الماء، حسداً لهم على ما هم فيه.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: أبلِغ الوشَل إذا مررتَ به سلامي، واحمِل إلى ذلك الموضع تحيتي، وقل له: إني لم أستسغ الشرابَ من بعدك، ولم أستطعم الماء من غيرِك، فسقاك الله

---

(١) الكتاب لسيبويه (١/ ٣١٢).

(٢) انظر البيت والكلام عليه في: الشعر لأبي علي الفارسي (٥٣٣)، والخصائص لابن جني (٢/ ٤٣١).

وسقى أيامك الجميلة، وسقى ظلَّك الوارفَ الممتدَّ أولَ النهار وآخره، وسقى الله ماءك العذبَ البارد في الظهيرةِ إذ كلُّ المياه شديدةُ الحرارة! ولو كان بيدي حمايةُ موضعك ومنعُ مائك لبادرتُ إلى ذلك، ولما ذاقَ لئيمٌ قطرةً منه!

(١٦٣) - (١٦٤)

وقال ابنُ الدُّمَيْنةِ: [من الطويل]

١. وأنتِ التي كلَّفْتِني دَلَجَ السُّرَىٰ وجُونُ القَطَا بالجَلْهَتَينِ جُثُومُ

٢. وأنتِ التي قطَّعْتِ قلبي حَزازةً وقَرَّفْتِ قَرْحَ القلبِ وهْو كَلِيمُ

٣. وأنتِ التي أحفَظْتِ قومي فكُلُّهمْ بعيدُ الرضا داني الصُّدُودِ كظيمُ

فأجابَتْه أُمامةُ: [من الطويل]

١. وأنتَ الذي أخلَفْتَني ما وعَدْتَني وأشْمَتَّ بي مَن كان فيكَ يَلُومُ

٢. وأبرَزْتَني للناسِ ثم تركْتَني لهم غَرَضًا أُرْمَىٰ وأنتَ سَلِيمُ

٣. فلو أنَّ قولًا يَكلِمُ الجِسْمَ قد بَدَا بجسمِيَ مِن قولِ الوُشاةِ كُلومُ

● **الكشف:**

تقدمت ترجمة ابن الدمينة في القطعة الخامسة والأربعين ومئة، وأميمة -أو أمامة- الأكلبيةُ محبوبته، وأكثرَ من ذكرِها في شِعره والتغزُّلِ بها.

وهاتان القطعتان تحكي عتاباً صار بين الحبيبين، فرمى كلُّ واحدٍ على الآخر سوأته، وأخذ يبيِّن ذنبَه، ويكشفُ عيبَه، وكأنَّما جاءا يحتكمان إلى سامعِهما، ويترافعان إلى القاضي بينهما، وعندي أن جوابَ أميمة أصدقُ وأرقّ، وهو بالميل إليه أدعى وأحقّ!

● **البيان:**

(كلَّفتِني): ألزمتِني وحمَّلتِني، والتكليفُ الإلزام والتحميل بما فيه مشقَّة، قال الحق سبحانه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. (دلج السرى):

أراد سير الليل، وأصل السُّرى سير الليل، والدلج سيرُ بعضِ الليل، فهذا من إضافة بعض الشيء إليه كلِّه. (وجُونُ القطا): القطا السُّود، وتقدَّم أن القطا ضربٌ من الحمام يكثر في الفيافي. (بالجلهتين): الجَلهةُ ما استقبلتَ من الوادي، وجلهتا الوادي طرفاه المعترضان. (جثوم): جمعُ جاثِم، والجاثم الرَّابِضُ بمكانه الملازم له، قال الحق سبحانه: ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾[الأعراف: ٧٨]، أراد الشاعرُ أنه نزل هذا الوادي الذي ليس فيه أحد إلا الطيور آمنة في أعشاشها، وذلك كناية عن وَحشة الوادي وقلة النازلين به، وعادةُ العرَب العشَّاق أنهم يصفون الرحلةَ إلى المحبوب وما يحفُّها من المخاطر والصِّعاب. (حزازةً): تقدَّم بيانه في القطعة الثانية والثلاثين. (وقرَّفتِ): قشَّرتِ. (قرح): جرح، وتقدَّم في القطعة الثامنة والسبعين. (كليم): مكلوم، فعيل بمعنى مفعول، والمكلوم المجروح المُصاب. (أحفظتِ): أغضبتِ، وتقدَّم في أول قطعةٍ من قطعِ الحماسةِ أنَّ الحفيظةَ الغضب للحُرمة. (بعيدُ الرِّضا داني الصُّدود): بين الوصفين مقابلة ظاهرة. (كظيم): الكظيمُ الذي امتلأ حزناً وهمَّاً وغيظا فهو يكتمه، قال الحق سبحانه ﴿ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾[النحل: ٥٨]. (وأشمتَّ بي من كان فيك يلوم): جعلتَ الناصحَ -الذي كان يلومني على حبِّي إياك- يشمتُ بي الآن. (وأبرزتَني): وأظهرتَني، مأخوذ من البَراز وهو المكان الواسع الظاهر الذي لا يستره شيء، قال الحق سبحانه ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾[إبراهيم: ٢١]. (غرضاً): تقدَّم في صدر باب المراثي أن الغرضَ الهدفُ والمُقتنَص. (أُرمى): لم تعنِ حقيقةَ الرميِ بالنِّصال، وإنما أرادت الرميَ بالكلام الجارح من أقوال الوشاة وشماتة الهازئين. (يكلم الجسم): يجرحُ الجسم، وتقدَّم مراراً في هذه القطعة وغيرِها.

- **العرض:**

(١-٣): يقول ابن الدمينة: تحمَّلتُ فيكِ كلَّ بليَّةٍ ومشقَّة، وتقحَّمتُ لأجلكِ الأهوال والمصاعب، فأنتِ التي جشَّمتِني ركوبَ الخطر في الليل، إذ الطيورُ ساكنةٌ

في أعشاشِها لا تبرح، وأنتِ التي ألهبتِ صدري بتمنُّعكِ، وقطَّعتِ فؤادي بتأبِّيكِ، وصدَّعتِ كبدي بجفائكِ، ونكأتِ جراحَ قلبي فهي دامية، وأضرمتِ نارَ فكري فهي مشتعلة، وأنتِ التي أغضبتِ عليَّ معشري، وأفسدتِ عليَّ رهطي، فكلُّ واحدٍ منهم بعيدُ الرِّضا عنِّي، قريبُ الهِجران لي، ممتلئ الصدرِ من بُغضي، كاظمُ الغيظِ من أجلي!

(١ـ٣): **فأجابَتْه أميمة**: إنَّ ما ارتكبتْه فيَّ أشنع، وما فعلتَه لي أفظع، فلقد نكثتَ عهودي، ونقضتَ مواعيدي، وأشمتَّ بي كلَّ ناصحٍ فيك، وصدَّقتَ مقالَ كلِّ لائمٍ بسببك، ثم جعلتني مُضغةً في أفواه الناس، وأكلةً في ألسن الخلق، فهم يتعلَّلون بحديثي في مجالسِهم، ويبسطون قصصي في ديارِهم، وصرتُ كالهدفِ المنصوبِ لا تخطئه الرميَّة، وأنتَ سليمٌ من المكارِه، بعيدٌ عن المتاعب، لا تكترث من هذا بشيء، ولا يضرُّك مما سمعتَ خبر، فلو أنَّ مِن الكلام كلاماً تظهَرُ جروحُه في جسدِ صاحبِه لما رأيتَ جسدي إلا جريحا، ولما أبصرتَ بدني إلا داميا.

(١٦٥)

وقال عمرُو بنُ ضُبَيْعةَ الرَّقَاشِيُّ: [من الطويل]

١. تَضِيقُ جُفُونُ العَينِ عن عَبَرَاتِها فتَسْفَحُها بعدَ التجلُّدِ والصبرِ

٢. وغُصةِ صدرٍ أظهَرَتْها فرَفَّهَتْ حَزازةَ حَرٍّ في الجوانحِ والصَّدْرِ

٣. ألَا لِيَقُلْ مَن شاءَ ما شاءَ إنما يُلامُ الفتىٰ فيما استطاعَ مِنَ الأمرِ

٤. قَضَىٰ اللهُ حُبَّ المالكيَّةِ فاصطَبِرْ لذاك فقد تجري الأمورُ علىٰ قَدْرِ

- **الكشف:**

عمرو بن ضبيعة البكريُّ الرِّقاشي، من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل، ويُنسَبون إلى أمِّهم رقاش بنت ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وهي زوج ذهل بن شيبان، وكان عمرو شاعراً إسلامياً شجاعا، وسيداً معروفاً مطاعا، وخرجَ مع ابن الأشعثِ بالعراق على الحجَّاج وعبد الملك بن مروان، وقاتلهم في ديرِ الجماجم، ثم في يوم مَسكن، وقُتِل فيه.

وهذه القطعةُ يذكر فيها الحزنَ الذي ضاق به قلبه، والدمع الذي اضطربت له عيناه، وما لحق ذلك من البكاء الذي وجد فيه الراحلةَ والسلوَّ، ثم ينفي عن نفسِه الملامةَ والعيب في البكاء، فإن هذا الأمر ليس بمقدوره، وإنما الحُبُّ قضاءٌ من الله.

- **البيان:**

(عبَراتِها): دموعها. (فتسفحُها): فتذرِفُها وتُسيلها. (وغصة صدرٍ): يريد وغمٍّ أحدثَ لي بالصَّدر غُصَّة، والغُصَّة الاحتباس والاختناق. (أظهرَتْها): أي أن الدموعَ أظهرَت الغُصَّة التي كانت في صدره، فضميرُ الفاعل راجعٌ إلى العبرات. (فرفَّهَت):

أزاحَتْ وسكَّنَتْ، وهذا كقول ذي الرمَّة (لعلَّ انحدار الدمع يعقب راحةً)، وقول أبي الطيب (والدمعُ أشفاه ساجمُه)[1]. (حزازةَ حرٍّ): الحزازةُ وجعُ القلب من الغيظ، وتقدم في القطعة الثانية والثلاثين. (الجوانح والصدر): تقدَّم أن الجوانح عظامُ الصَّدر، وعطفُ الصَّدر عليها من باب عطفِ كلِّ الشيءِ على بعضِه. (إنما يُلام الفتى فيما استطاع من الأمر): أرسله مثلا، ومعناه ظاهر. (قضى الله حُبَّ المالكية): أي أن حبَّها قضاءٌ محتَّمٌ من الله ليس لي فيه اختيار، وهذا من مذاهب العشَّاق في تقرير حقيقة العشق، وسأذكر القول فيه بعد عرضِ هذه الأبيات، و(المالكيَّة) نسبةً إلى مالك بن ضبيعة، وهو حيٌّ من بني بكر بن وائل، والشاعرُ من بني بكرِ بن وائل. (فاصطبر لذاك): كذا ذكره أبو مالك، ورواية الحماسة (فاصطبر عليه) كما هي عند المرزوقي والتبريزي والأعلم، أي اصبر على حبِّها، يُقال صبر واصطبر، كما يُقال كسب واكتسب، وقيل إن الاصطبار أبلغ من الصبر، فالزيادة في المبنى زيادةٌ في المعنى، ومنه قول الحق سبحانه ﴿وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾[طه: ١٣٢]. (فقد تجري الأمور على قدْرِ): أي فقد يُجري الله الأمورَ بتقديرٍ منه على أمرٍ لازمٍ لا انفكاكَ عنه.

- **العرض:**

(١-٤): **يقول:** تمتلئ العين دمعاً حتى تتضايق جفونُها عن احتباسِه، وتتجلَّدُ في إخفاءِ ذلك وتتصبَّر فما يُغني عنها ذلك ، ثم تصبُّ ماءها وهي تدافِعُ البكاء، ويفيضُ دمعُها بعد طول خفاء، وتُظهِر الدموعُ ما اعتلج في الصَّدر من الغُصص، وما برَّح بالقلبِ من الهوى، فتسكُن نفسي، ويخفُّ وَجدي، ويرتاح فؤادي، وقد صار هذا دأبي وديدني، أدفع الوَجد بالبكاء، وأغلب الشوقَ بالدموع، ولا اعتبار عندي بكلامِ الناس فيَّ وذمِّهم لي، وليقولوا ما شاؤوا، فأنا إلى الاضطرار أقرب مني إلى الاختيار، وإنما يُلام الفتى في الأمر الذي يستطيع، ولا استطاعةَ لي بما قضاه اللهُ عليَّ وقدَّره من حُبِّ تلك

---

(١) انظر: ديوان ذي الرمَّة بشرح التبريزي (٤٦٠)، وديوان المتنبي بشرح الواحدي (١٠٦١).

الفتاة المالكية، ولا حيلةَ لي في الفرار من حُبِّها الذي سكَن قلبي، والمدافعة لهواها الذي اجتاح فؤادي.

فهذا مسلكٌ من مسالك العشَّاق في تقريرِ حقيقةِ ما هم عليه من العشق، فيزعمون أن العشق اضطرار لا اختيار، وأنه قضاء محتَّم لا فكاك عنه ولا مناص منه، وعلى هذا جمهورهم، ومنهم من زعمَ أن العشقَ اختيارٌ محض، لا يتعلَّق بالقلب شيءٌ منه على وجه الضرورة، وقد ذكر أبو عبد الله ابن القيم أقوال الطرفين وبيَّنها، ثم قال: (وفَصلُ النزاع بين الفريقين أنَّ مبادئَ العشقِ وأسبابَه اختياريَّة داخلة تحت التكليف، فإنَّ النظر والتفكُّر والتعرَّض للمحبة أمرٌ أختياري، فإذا أتى بهذه الأسبابِ كان ترتُّبُ المسبَّبِ عليها بغير اختياره... وهذا بمنزلةِ السُّكر مِن شرب الخمر، فإنَّ تناول المسكِر اختياري، وما يتولَّد عنه مِن السُّكر اضطراريّ، ومتى كان السببُ واقعاً باختيارِه لم يكن معذوراً فيما تولَّد عنه بغير اختيارِه)[1]، وهذا حسنٌ بديع، ومن أئمة هذا المذهب العباس بن الأحنف في قوله[2]:

الحبُّ أولُ ما يكون لجاجةً ... تأتي به وتسوقُه الأقدارُ
حتىٰ إذا اقتحم الفتىٰ لججَ الهوىٰ ... جاءت أمورٌ لا تُطاقُ كِبارُ

(١) روضة المحبين (١/ ١٤٧).
(٢) ديوان العباس بن الأحنف (٧٦).

(١٦٦)

وقال رجُلٌ مِن بني الحارِثِ: [من الطويل]

١. مُنًى إن تكُنْ حَقًّا تكُنْ أحسَنَ المُنَىٰ وإلَّا فقد عِشْنا بها زَمَنًا رَغْدَا

٢. أمانيَّ مِن سُعْدَىٰ حِسَانًا كأنَّما سَقَتْكَ بها سُعْدَىٰ علىٰ ظمأٍ بَرْدَا

● **الكشف:**

تُنسَب البيتان لرجل أعرابي من بني الحارث، وهما مشهوران، يذكر فيهما صاحبهما ما هو فيه من لذَّةِ الهوى وأمانيه، وأنه غانمٌ بالأماني السعيدة على كلِّ حال، فإن تحقَّقَتْ فتلك البغية والمطلب، وإن لم يكن ذلك فقد تسلَّى وسعِد بها دهرا!

● **البيان:**

(إن تكن حقًّا): إن تتحقَّق وتصدُق في الواقع. (وإلَّا): أي وإن لم يكن ذلك. (زمنا رغدا): زمناً طيباً هانئا، قال الحق سبحانه ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ [النحل: ١١٢]. (أمانيَّ من سُعدى): أضاف الأماني إلى ياء المتكلِّم، يعني أمانيه من محبوبته سُعدى، والأماني المطالب البعيدة المرجوَّة، قال الحق سبحانه ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾[الحديد: ١٤]. (حساناً): أي أنها أمانٍ حسنةٌ سعيدة، ويُروى (رواءً) أي تروي قلوبَنا، وهو أليق بمعنى البيت، وكلاهما صالح. (سقتك بها سُعدى): قال المرزوقي (وكرَّر لفظَ سُعدى تلذُّذاً لاسمِها)، وتقدَّم نحو هذا صدرَ الباب. (برْدا): ماء باردا، ويُطلق البَردُ على الماء البارد، وهو قولٌ في تأويل قول الحق سبحانه: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾[النبأ: ٢٤]، أجارنا الله.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: نُمنِّي أنفسَنا من هذه المحبوبةِ بأجمل الأماني، ونرجِّي حصولَ آمالنا على أطيب وجه، ولا تخلو أمانينا من أن تكون صادقةً أو كاذبة: فإن وقعت صادقةً محقَّقة فهي أحسنُ الأماني وأوفقُها لنا، وإن كانت كاذبةً فإنا عِشنا في سعادة التفكير بها زمناً هانئا، وإني لأذكرُ أمانيَّ من هذه المرأة فأقضي بها وقتي، وأسلي بها همِّي، وتقع من قلبي موقع الماءَ من ذي الغُلَّة الصادي.

(١٦٧)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. وخُبِّرْتُ سَوْداءَ القلوبِ مريضةً	فأقبَلْتُ مِن أهلي بمِصْـرَ أعُـودُها
٢. فوالـلهِ ما أدري إذا أنا جِئتُها	أأُبْرِئُهـا مِـن دائِهـا أم أَزيدُهـا

• الكشف:

هو العوَّام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى، سليل الشعراء الأفذاذ، والشاعر المُحسِن المجيد، فهو مُعرِقٌ مُفلِق، (ولم يزل في ولدِ زهيرٍ شِعر، ولم يتَّصِل في ولد أحدٍ من فحول الجاهلية ما اتَّصل في ولد زهير)(١)، وكان العوَّامُ قد أحبَّ امرأةً غطفانيةً من قومه اسمها ليلى ولقبها (السوداء)، وكانت تنزل الغميمَ من بلاد غطفان فنُسِبت إليها فقيل (سوداء الغميم)، وكان العوَّام يتغزَّلُ بها في شِعره، فخرج مرةً إلى مصر ليمتار لأهله، فبلغه أنَّ محبوبَته مرضَت، فترك ما هو فيه من طلب الميرةِ ورجع إلى الحجاز وهو يقول الأبيات التي اختار منها أبو تمَّام هذين البيتين.

ثمَّ إنها لما رأتْه قدمَ إليها قالت: ما الذي جاء بك؟ فقال: جئتُ لأراكِ! فأشارتْ إليه أن ارجع فإني في عافية، فرجع إلى مصر، واشتدَّ بليلى المرضُ حتى ماتت، فأنشأ فيها قصيدةً رائيةً يرثيها بها.

وهذه الدالية تختلط مع دالية الحسين بن مطير الأسدي التي في الحماسة، وداليَّة كثيِّر عزَّة، وكلها على بحر ورويٍّ واحد، وكلُّها حسَنٌ بديع، وداليَّةُ العوَّام رائقة مُطرِبة (وقد تناحَر الشعراء فيها)! وهي (مِن جيِّد غزَل الأعراب ونادرِه)(٢)! وقال النشَّابي

---

(١) طبقات فحول الشعراء (١/ ١١٠).

(٢) حماسة الخالديين (٥٣).

الإربليُّ: (وقد أطربتني، حفظتُها فلم أسمع ألطَف منها ومِن ألفاظها الرقيقة ومعانيها الجَزلة)[1]!

- **البيان:**

(وخُبِّرتُ): وأُبلِغتُ، و(خُبِّرَ) من الأفعال التي تتعدَّى إلى ثلاثة مفاعيل، والتاء مفعوله الأول. (سوداء القلوب): تقدَّم أن لقبها (السوداء)، وأضافها للقلوب لأنَّها محلُّها، كما قال ابن الدمينة (قفي يا أميمَ القلب)[2]، والرواية المشهورة (سوداء الغميم) نسبةً إلى موضع نزولها، كما يقال (مالكُ المدينةِ)، وهو في البيت مفعول ثان. (مريضةً): مفعول ثالث. (فأقبلتُ من أهلي بمصر): تقدَّم في كشف القطعة أنه سافر من الحجاز إلى مصر، فتكون هذه الرواية خطأً محضا، والصواب الرواية المشهورة: (فأقبلتُ من مصرٍ إليها أعودُها)[3]. (أعودُها): أزورها حالَ مرضها، وتقدَّم في باب الحماسة أنَّ زيارةَ المريض تُسمَّى عيادة، وكلُّ من زارك مرةً بعد أخرى فهو عائد. (فوالله ما أدري): هذا اللفظُ يكثُر دورانه في ألسنة شعراء النسيب، يقولون (فوالله ما أدري)، وشواهده كثيرة، وقيل في حِكمة ذلك: (ينبغي أن يكون في النَّسيب دليلُ التدلُّهِ والتحيُّر)[4]. (أأُبرِئُها من دائها): أأشفيها من مرضِها؟ والهمزة للاستفهام، يريد هل تُشفى إذا رأتْني؟ (أم أزيدُها): أم أني أزيدُها مرضاً واعتلالا؟

- **الكشف:**

(١-٢): **يقول:** وأُبلِغتُ أنَّ محبوبتي سوداءَ الغميم ألمَّ بها المرض، وأرهقها التعب، فرجعتُ من رحلتي التي خرجتُ فيها، وعدتُ من مصر التي ذهبتُ إليها، لا أريد إلا زيارتَها، ولا أبتغي إلا رؤيتَها، ولا أدري والله أهي باقيةٌ على العهد لم تتغيَّر فتفرح

(١) المذاكرة في ألقاب الشعراء (١٠).
(٢) أمالي القالي (٢/ ٣٣).
(٣) إصلاح ما غلط فيه النمري (١٣٥).
(٤) الصناعتين للعسكري (١٣١).

وتُشفى برؤيتي؟ أم أنَّها قد حالت بعدنا وانصرفَت إلى غيرِنا فستهتمُّ ويزيدُ مرضُها إذا هي رأتْني؟

(١٦٨)

وقال آخَرُ: [من البسيط]

١. ماذا عليكِ إذا خُبِّرْتِني دَنِفًا ... رَهْنَ المنيةِ يَوْمًا أن تَعُودِينا

٢. أو تَجْعَلي نُطفةً في القَعْبِ باردةً ... وتَغْمِسي فاكِ فيها ثم تَسْقِينا

- **الكشف:**

نُسِبت البيتان لأعرابيٍّ من بني كلاب، وهما بيتان يستعطِفُ بهما صاحبهما محبوبتَه وقد اشتدَّ به المرض، ويسألها أن تزورَه، أو تغمس فاها في ماءٍ فتسقيه، فإنَّ شفاءه -بإذن الله- في هذا!

- **البيان:**

(دنِفاً): مريضاً متعَبا، ويجوز فتح النون على أنه مصدرٌ وُصِف به. (رهنَ المنيَّة): تقدَّم مثله في القطعة السابعة والستين، والمعنى أنَّه مشرفٌ على الموت. (تعودينا): تزورينا حال مرضنا، ويروى (تعوديني) وكذلك روي البيت الذي يليه والذي بعده، وهي أوجه. (نطفةً): النطفة الماءُ قلَّ أو كثر. (القَعب): القدح الضَّخم. (تسقينا): جعلها هي الزائرة، وهي الآخذة بالقدح، وهي الساقية، لما في ذلك كلِّه من حصول اللذة له، ولم يقل (فأشربها) ونحو ذلك مما يباشره بنفسِه، وهذا لطيف، ورويَ بعده في غير الحماسة:

وتجعلي يدَكِ اليُمنىٰ علىٰ كبِدي ... فإنَّ ذاك -بإذن الله- يشفيني!

- **العرض:**

(١-٢): يقول: أيُّ شيءٍ عليكِ أن تزوريني في مرضي؟ وقد علمتِ أني طريح

الفراش، مشرفٌ على الهلاك، وماذا يضرُّكِ لو جئتِني بماءٍ في قدحٍ ضخمٍ فغمستِ فاكِ فيه ثم سقيتِني منه، فإني لا أظنُّ شفائي إلا في هذا!

هذا -بفضل الله ومنته- تمام شرح باب النسيب من هذه الألفية، وعِدادُه فيها (١٢٤) بيتا، وهو أرقُّ أبوابها وألذُّها، ويتلوه باب الهجاء.

باب الهجاء

الهجاءُ ذِكرُ المعايب والمثالب والنقائص، والغالبُ استعماله في الشِّعر، يقال: هجاه يهجوه هَجْواً وهِجاءً، إذا ذمَّه وعابَه، ومِنه قول نابغةِ بني شَيبان[1]:

وكلُّ جراحـةٍ تُوسَـىٰ فتَـبرا ... ولا يَبْـرا -إذا جـرح- الهجـاءُ

ولمَّا فضَّل اللهُ العربَ بالأخلاقِ واللسانِ كانت أشدَّ الأممِ في صيانتهما ورعايتهما مما يدنِّسُهما، ولمَّا كان الهجاءُ يتِّصل بهاتين الجهتين -فهو يطعَن في الأخلاق من جهة، ويسير على الألسن من جهةٍ أخرى- قويَ أثرُه في نفوسهم، (ولأمرٍ ما بكَت العربُ بالدموعِ الغزارِ من وَقع الهجاء، وهذا من أوَّل كرمِها)[2]، وكان الرجلُ إذا أراد الانتصارَ مِن قومٍ والتشنيعَ عليهم هجاهم، وتلك مرتبةٌ فوق قتالهم، (والهجاءُ من جِنس الحَربِ وأغلظُ منه)[3].

ولذلك كان قليلُ الهجاءِ كافياً في الرَّدع، وبالغاً في الدَّفع والمَنع، واصطفَت العربُ التعريضَ فيه على التصريح، (وجميعُ الشعراء يرون قصرَ الهجاء أجود، وتركَ الفاحش فيه أصوب... وأنا أرى أنَّ التعريض أهجى من التَّصريح؛ لاتِّساع الظنِّ في التعريض، وشدَّة تعلُّق النفس به، والبحث عن معرفته، وتطلُّبِ حقيقتِه، فإذا كان الهجاءُ تصريحاً أحاطت النفسُ به عِلما، وقبلته يقيناً في أول وهلة، فكان كل يوم في نقصٍ لنسيانٍ أو مللٍ يعرض، هذا هو المذهب الصحيح، على أن يكون المهجوُّ ذا قَدرٍ في نفسِه وحسَبِه، فأمَّا إن كان لا يوقظه التلويح، ولا يؤلمه إلا التَّصريح؛ فذلك)[4].

وقد قدَّم أبو تمام في (ديوان الحماسة) بابَ الهجاء على بابِ المَدح، على خِلاف ما يذهب إليه جمهورُ المصنِّفين المتقدِّمين من تقديمِ باب المدح على الهجاء، كابن قتيبة

---

(١) ديوان نابغة بني شيبان (٤٢).

(٢) الحيوان للجاحظ (١/ ٣٦٤).

(٣) الصارم المسلول لابن تيمية (١٠٩).

(٤) العمدة لابن رشيق (١/ ١٧٢).

في (المعاني الكبير)، وقدامة بن جعفر في (نقد الشِّعر)، وأبي هلال في (الصناعتين)، وابن رشيق في (العمدة)، وصدر الدين البصريِّ في (الحماسة البصرية)، وقدَّمه الأعلم الشنتمري في (شرح الحماسات)، وغيرهم، وما ذهب إليه جمهورُهم أحبُّ إليَّ وأولى بالعمَل، وليس المقصودُ التدقيقَ في تراتيب التصانيف بقدرِ ما يُقصَد به التنبيهُ على الاعتناء بتراث الأئمة المتقدمين، والتأمُّلُ في مسالك نظرِهم ولطفِ صَنعتهم.

(١٦٩)

وقال أبو مُنازِلٍ في ابنه: [من الطويل]

١. جَـزَتْ رَحِـمٌ بيني وبين مُـنـازِلٍ جَـزاءً كمـا يَسـتنزِلُ الدَّيْـنَ طالِبُـهْ

٢. تَربَّيْتُه حتىٰ إذا آضَ شَيْظَمًا يـكادُ يُسـاوي غـاربَ الفَحْلِ غارِبُـهْ

٣. تَغَمَّد حَقِّي ظالِمًا ولَوَىٰ يَدِي لَـوَىٰ يـدَهُ اللهُ الـذي هـو غالِبُـهْ

● **الكشف:**

هو فُرعان بن الأعرف التميميُّ السعدي، من بني مرَّة بن عبيد، من سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر مخضرَم، ولصٌّ جَلد، وكان له ابنٌ عاقٌّ اسمُه منازل، وذمَّه بقصيدةٍ منها هذه الأبيات التي اختارها أبو تمَّام، وهي عند التبريزي بأطول من هذا.

وقد روي في أثرٍ ضعيف أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى مُنازلاً، وكان ملويَّ اليد، فقال عمر: (ما بال يدِكَ ملويَّة)؟ فقال منازل: إني كان لي أبٌ في الجاهليَّة كثيرُ المال، فسألتُه شيئاً من ماله فأبى، فلما كبر لويتُ يدَه وانتزعتُ مالَه! فدعا عليَّ بهذا الدعاء -ثم روى الشِّعر- فأصابني ما ترى، فقال عمر: (الله أكبر! هذا دعاء آبائكم في الجاهلية، فكيف في الإسلام)!

هذا، وقد ذكروا أن منازلاً لما كبر عقَّه ابنُه خليج، ورووا في ذلك الشِّعر، وما علمتُ دَيناً من الخُلق أسرعَ في القضاءِ من دَين العقوق! على فشوِّه اليوم، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

● **البيان:**

(جزَتْ): أسدَتْ وأعطَت، مِن المجازاة. (رحِمٌ): قرابة، قال الحقُّ سبحانه ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال: ٧٥]، وهذا من الشاعر تجوُّزٌ

بالسبَب عن المسبِّب، والجازي الله سبحانه. (يستنزلُ الدَّين): يتطلَّبُه ويستوفيه. (تربَّيتُه): ربَّيتُه، وكلاهما بمعنى واحد، من التربية وهي الرعاية والتنشئة، ويروى (لربَّيتُه) على أنَّه جوابُ قسَمٍ انطوى عليه الكلام. (آض): صار، ومرَّ هذا الاستعمال بنحوِه في قطعة الخامسة والسبعين. (شيظماً): طويلاً غليظا. (غارب الفحل): أعلى سنامِه، وغاربُ كلِّ شيءٍ أعلاه. (تغمَّد): ستَر وأخفى. (ولوى يدي): أزالها عن حالتها في الاستقامة، وغيَّر مِن هيئتها في الثبات. (لوى يدَه اللهُ): دعى على ابنِه أن يلويَ اللهُ يدَه.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: جزى اللهُ مُنازلاً -على الرَّحِم التي بيني وبينه إذ قطعها- شرًّا، وأذاقه من العقوبة والمساوئ شَطرا، جزاءً على ما بذله لي من صنوف الأذى، كما يستوفي طالبُ الدَّينِ ممَّن عليه الدينُ حقَّه، وكنتُ ربَّيتُه طفلا ناشئا، حتى إذا كبر واشتدَّ عودُه وطالت قامتُه حتى كادت تساوي قامةَ الفَحل؛ ستَر حقِّي ولم يفِ به، وأنكر فضلي ولم يحفظه، فلمَّا قرَّعتُه بلساني مدَّ يدَه فلوى يدي وكسَرها، ألا فأشلَّ يدَه اللهُ القادر عليه!

(١٧٠)

وقال آخَرُ: [من البسيط]

١. إنْ يَسْمَعوا رِيبةً طارُوا بها فَرَحًا ... منِّي وما سَمِعُوا مِن صالحٍ دَفَنُوا

٢. صُمٌّ إذا سَمِعوا خيرًا ذُكِرْتُ به ... وإنْ ذُكِرتُ بشَرٍّ عِندَهم أذِنُوا

٣. جهلًا عليَّ وجُبْنًا عن عدُوِّهِمُ ... لَبِئْستِ الخَلَّتانِ الجَهْلُ والجُبُنُ

- **الكشف:**

هو قَعنبُ بنُ ضَمرة الغطَفاني الفزاري، وأمُّه (أمُّ صاحب) يُنسَب إليها، وهو شاعر أموي مُجِيد مُقِلّ، وله هجاء في الوليد بن عبد الملك مشهور.

وهذه القطعة يصف فيها قوماً يبغضونه، ويسعون في بذل أسباب العداوة له، ونشر سيئاته، وطيِّ حسناته، ويذكر أنَّهم صمٌّ في الخير، سمَّاعون في الشرِّ.

- **البيان:**

(ريبةً): شرًّا وتُهمة، والريبةُ الشكُّ والفساد كما في قوله سبحانه: ﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١١٠]. (طاروا بها فرحاً): ساروا بها مسرعين فرحين، وتقدَّم في القطعة الأولى أنَّ الطيران كنايةٌ عن الإسراع. (منِّي): متعلق بالريبة، أي ريبةً وشرًّا منِّي. (دفنوا): كتموا وستروا، والدَّفنُ هنا كنايةٌ عن الكتمان والإخفاء. (صمٌّ): سمَّاهم صُمًّا لإعراضِهم عن الكلام، والعربُ تقول هو أصمُّ عن كذا، أي مُعرِض عنه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾[الأنبياء: ٤٥]، فسمَّاهم صُمًّا لإعراضِهم عن الحق وتغافلهم عنه. (أذِنوا): استمعوا وعلِموا، قال الحق سبحانه: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الإنشقاق: ٢]. (جهلاً عليَّ): انتصب لكونه مفعولاً لأجله،

والجهلُ هنا السفَهُ والطيشُ والعملُ بخلاف الحق، وتقدَّم بيانه في القطعة الثانية، وهذا الشطرُ جُعِل مثلاً لمن يستعمل القوة والحسَد مع الأقارب، ثم هو يجبن ويخاف من الأباعد. (لبئست الخلَّتان الجهلُ والجبنُ): الخَلَّتان كالخَصلتان، وزناً ومعنى، وقد أرسل هذا الشطرَ مثلا.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: هم قوم لئام، إن سمعوا عنِّي سيئةً فرِحوا بها، وبثُّوها في النَّاس، وأشاعوها في الأقطار، وإن سمعوا عنِّي صالحةً كتموها في أنفسِهم، وطووا خبرَها عن الخلائق، فيتصاممون عما يُنسَب إليَّ من الصالحات ويتغافلون، ويتداعون إلى ما يُنشَر عنِّي من المساوئ ويجتمعون، وما ذاك إلا للحسَد الذي ملأَ قلوبَهم، والجهل الذي طمَر أحلامَهم، ولا يحسنون إلا هذا، فهم جبناء عن الأعداء، لا نرجو خيرَهم، ولا نُكفى شرَّهم، وبئس الأخلاق: الجهل على الأقارب والجُبن عن الأعادي.

(١٧١)

• وقال مُحْرِزُ بنُ المُكَعْبِرِ: [من الطويل]

١. أَبلِغْ عَدِيًّا حيثُ صارَ بها النَّوَىٰ ... وليس لدَهْرِ الطالِبين فَنَاءُ

٢. كُسَالَىٰ إذا لاقَيْتَهم غيرَ منطِقٍ ... يُلَهَّىٰ به المَتْبُولُ وهْو عَنَاءُ

٣. أُخَبِّرُ مَن لاقَيْتُ أنْ قَدْ وَفَيْتُمُ ... ولو شِئتُ قال المُنبَؤون أساؤُوا

٤. لهم رَثْيةٌ تعلُو صَرِيمةَ أمرِهم ... ولِلأمرِ يومًا راحةٌ فقضاءُ

٥. وإنِّي لَراجِيكُم علىٰ بُطءِ سَعْيِكم ... كما في بطونِ الحاملاتِ رجاءُ

٦. فهَلَّا سَعَيْتُم سَعْيَ عُصْبةِ مازنٍ ... وهل كُفَلائي في الوفاءِ سَواءُ

٧. لهم أذرُعٌ بادٍ نَواشِرُ لَحْمِها ... وبعضُ الرجالِ في الحروبِ غُثاءُ

٨. كأنَّ دنانيرًا علىٰ قَسِمَاتِهم ... وإنْ كان قد شَفَّ الوُجوهَ لِقاءُ

• الكشف:

هو مُحرِز بن المُكعبِر الضبِّي، من بني ربيعة بن كَعب من ضبَّة، شاعر جاهلي، وقيل سُمِّي أبوه المُكعبِرَ لأنَّه ضربَ قوماً بالسَّيفِ فكَعبرَهم، والكَعبرةُ القطع والتقطيع، أو هو المكعبَر على المفعوليَّة.

وكان مُحرِز جاراً لعديٍّ بن جُندب التميميين العنبريين، فأغار قومٌ من بني يربوع التميميين -وقيل من بكر بن وائل- على إبله وذهبوا بها، فطلب إلى بني العنبر أن يسعَو له فيها، لِقرابتهم من بني يربوع، فوعدوه أن يفعلوا، فلما طال عليه ذلك ورآهم لا يصنعون شيئاً أتى المخارقَ والمساحقَ ابني شهابٍ التميميين المازنيين، فسعيا له حتى ردَّا عليه إبلَه، فقال قصائد يهجو بها بني عديٍّ، ويمدح فيها ابني شهاب، منها هذه القطعة.

وقد تقدَّم أن خبرَ القطعة قريبٌ مِن أول قطعةٍ في الحماسة، ولكنَّ الشاعر هناك -لما كان الكلام في قومه- أراد به الحماسة، والشاعر هنا -لما كان الكلام في غير قومه- أراد به الهجاء، ولَعمري لئن أخطأ بلعنبرَ هجاءُ قريطٍ فلقد أصابَهم هجاءُ ابنِ المكَعبِر!

- **البيان:**

(عدياً): أي بني عديٍّ بن جندب التميمين العنبريين. (حيثُ صار بها النوى): النَّوى البُعد، يريد حيثُ بعدت في أقطار الأرض، والرواية المشهورة (حين شطَّت بها النَّوى). (وليس لدهرِ الطالبين فناءُ): يعني أن من طلبَ ثأراً لا تفنى طلبته ما دام طالباً إلى أن يدرك حاجته، وأرسلها مثلا، وهو كقول عمر رضي الله عنه: (فإنَّ الحقَّ قديمٌ لا يبطله شيء)[1]، وإنَّما أراد أن يذم بلعنبر لَّما استأخروا في حاجته، كأنَّه يقول: ما زلتُ أطلب حاجتي وإن طال الزمان، فما بالكم؟ (كسالى): بضم الكاف وفتحها، جمعُ كَسِل وكسلان، كما يُقال جَذِلٌ وجَذلان، وسَكِرٌ وسكران، والكسل التباطؤ والتثاقل، قال الحق سبحانه ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[النساء: ١٤٢]. (غيرَ منطقٍ يُلَهَّى به): هذا استثناء منقطع، يريد أنه لا نفعَ فيهم لسائلهم إلا كلامُهم الذي يُلَهُّونه به ويُسَلُّونه. (المتبول): المصاب بتَبلٍ، والتَّبلُ الثأر، وتقدَّم في القطعة السادسة والعشرين ومئة. (وهو عناء): أي هو في حقيقته تعَبٌ وباطل. (أخبِّر مَن لاقيتُ أن قد وفيتمُ): يعني أنه ظلَّ يحسِّن أمرَهم عند الناس، ويقول لمن يسأله عن أخبار طِلبته: الحمد لله، بنو عديٍّ ساعون فيها، ووافون بعهدهم. (ولو شئتُ قال المنبَؤون أساؤوا): يريد أنه لو شاء لذكر مماطلةَ بني عدي وتأخُّرَهم، ولصدَق الناس فيهم، فقال له الناس: أساؤوا والله. (رَثيةٌ): ضعف، ويروى (ريثة) أي بطء. (صريمة أمرهم): الصريمةُ ما يُقطَع من العزيمة ويُمضى من الأمر، فشأنُهم من أمورِهم ضدُّ ما أوصى

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبير (١٠/ ١٥٠)، والدارقطني في السنن (٤٤٧٢)، وشرحه كاملًا ابن القيم في: إعلام الموقعين (١/ ١٨٦).

به لبيدٌ بقوله: (ونُجحُ صريمةٍ إبرامُها)[1]. (وللأمرِ يوماً راحةٌ فقضاءُ): أخرج هذه الكلمة مخرجَ التهكم والاستهزاء، يقول: وعندهم أنه لا بدَّ للمرءِ أن يقضي حاجته وقتا ثم يرتاح وقتا آخر، فالتعبُ كثير، والراحة واجبة، لذلك هم يتأخرون! (وإني لراجيكُم على بطء سعيِكم): هذا كلامُ المضطرِّ الذي أحوجَه الأمرُ إلى مَن لا مروءةَ فيه، وسنسوق بعد شرح القطعة شِعراً في ذمِّ المماطلة. (فهلَّا سعيتُم): هذا الكلام تحضيض وضربُ مثلٍ لمَن هو خير منهم، ومن هنا ابتدأ بمدح بني مازن. (كفلائي): ضمنائي، والكفيلُ الضامن، يريد أن بني عديٍّ ليسوا كبني مازن. (أذرعٌ بادٍ نواشرُ لحمِها): النَّواشرُ عروقُ ظاهرِ الذِّراع، وظهورُها أمارةٌ على هزال صاحبِها، والعربُ تتمدَّح بالهزال إذا صحِب القوَّة، وتقدَّم في القطعة الثامنة والثمانين شاهدٌ له. (غثاء): لا نفعَ لهم، ولا فائدة منهم، وأصلُ الغثاء النبت اليابس المتهشِّم الذي لا يُرجَى نفعُه، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾[الأعلىٰ: ٥]. (دنانيراً): شبَّه وجوههم بدنانير الذَّهب كنايةً عن صفائها وإضاءتها. (قسماتهم): وجوههم الحسَنة. (وإن كان قد شفَّ الوجوه لقاءُ): يريد أن بني مازنٍ قومٌ تُشرِق وجوهُهم وتضيء على أنَّهم يخوضون الحروبُ ويحضرون اللقاء، بخلاف غيرِهم، ويحتمل أنَّه أراد التعريض ببني عديٍّ وأنَّ وجوههم ليست كذلك.

- **العرض:**

(١ـ٢): **يقول**: أبلغ بني عديٍّ بكلامي هذا حيثُ رحلوا وحلُّوا، وقل لهم: إن زمن طلَّاب الحاجة ممتدّ، ووقتَ إدراك الثأر متَّصل، وإنِّي لا ينقطع طلبي ما زالت حاجتي باقية، وهُم كسالى عن السعيِ في الحاجات، بطاءٌ في الوفاء بالمواعيد، لا ينتفع سائلُهم بشيءٍ إلا كلاماً منهم يعلِّلونه ويسلُّونه به، لا يُؤخَذ فيه بطائل، ولا يُرجَع منه بعائد وليس هذا من تحقيقِ حاجتِه في شيء.

---

(١) شرح القصائد العشر (٣٢١).

(٣-٥): **يقول**: وأنا أحسِّن أمركم عندَ الناس، وأنشر جميلَكم بين الخَلق، فإذا سُئلتُ عن حاجتي التي بين أيديكم، قلتُ: القوم بها وافون، وفيها ساعون، ولو شئتُ لقلتُ: ما وفَوا بعهدهم، ولا برُّوا في أمرِهم، فلصَدَقتُ وصُدِّقت، فهم قومٌ متى همُّوا بإنفاذ عزائمِهم، وطمحوا إلى تحقيق أمورِهم؛ علا همَّهم الفشلُ، وغلبَ رأيَهم الوهنُ، ولا شكَّ أنَّ المرء يجِدُّ يوماً ويرتاح يوما، فلعلَّ هذا وقت راحتهم! واعلموا -يا بني عدي- أن حاجتي عندكم لم تقضَ بعد، وما زلتُ أرجوها منكم كما يُرجى الوليد من المرأة الحامل! كلاهما طويلُ الانتظار.

(٦-٨): **يقول**: فهلَّا كنتم كأبطال بني مازن، وقمتم مثل مقامِهم، وسعيتم نحوَ سعيِهم، وهيهات أن يكون ضمنائي سواءً، وأين بنو عديٍّ من بني مازن! فإنَّ بني مازن فرسان شجعان، ورجال أشدَّاء، استوى خَلقُهم، وتمَّ خُلقُهم، فعروقُهم باديةٌ في أجسامِهم من الهزال، وقوَّتُهم ظاهرةٌ في أعدائهم وقتَ الحرب، ووجوهُهم مشرقةٌ يوم اللقاء، كأنَّ عليها الدنانير!

وما جرَّ بني عديٍّ إلى هذا إلا مطالُهم، ولذلك كانت المماطلةُ مفسدةً للمعروف، قاطعةً للصَّنيعة، وكتب الجاحظُ مرةً لرجلٍ وعدَه: (أمَّا بعدُ فإنَّ شجرةَ وعدِك قد أورقَتْ، فليكن ثمرها سالماً من جوائح المَطل، والسَّلام)[١]، وقال أبو العتاهية[٢]:

أكلَّ طولِ الزمان أنتَ إذا ... جئتُكَ في حاجةٍ تقولُ غدا!

لا جعل اللهُ لي إليك ولا ... عندك -ما عشتُ- حاجةً أبدا!

ومن لطيفِ الوصايا في هذا الباب وصيةُ ابن الروميِّ إذ قال:

إذا أنتَ أزمعتَ الصنيعةَ مرَّةً ... فلا تعتَصِرْ ماءَ الصنيعةِ بالمَطلِ

ولا تخلِط الحُسنىٰ بسوءٍ، فإنَّه ... يُجشِّمُنا أن نخلِط الشكرَ بالعَذلِ

---

(١) العقد الفريد (١/ ٢١٠).

(٢) انظر هذا المعنى وبعض شواهده في: التذكرة الحمدونية (٨/ ١٦٤).

(١٧٢)

وقال جوَّاسٌ الكَلْبِيُّ: [من الكامل]

١. صَبَغَتْ أميَّةُ بالدِّماءِ رِمَاحَنَا وطَوَتْ أميَّةُ دُونَنَا دُنْيَاهَا

٢. أَأُمَيَّ رُبَّ كَتِيبةٍ مجهولةٍ صِيدِ الكُماةِ عليكُمُ دَعْوَاهَا

٣. كُنَّا وُلاةَ طِعَانِها وضِرَابِها حتىٰ تَجَلَّتْ عنكُمُ غُمَّاهَا

٤. واللهُ يَجزي لا أميَّةُ سَعْيَنَا وعُلًا شَدَدْنَا بالرِّمَاحِ عُرَاهَا

٥. جِئتُم مِنَ الحَجَرِ البعيدِ نِيَاطُهُ والشَّأمُ تُنكِرُ كَهْلَها وفَتَاهَا

٦. إذْ أقبَلَتْ قَيْسٌ كأنَّ عُيُونَها حَدَقُ الكِلَابِ وأظهَرَتْ سِيمَاهَا

- **الكشف:**

هو جوَّاس بن القعطل، واسمُ القعطل ثابت بن سويد الكَلبي الحارثي، من بني الحارث بن حصن بن ضمضم بن عديٍّ بن جناب من كَلب، شاعر أموي مُحسِن، كان من سادات كَلبٍ في زمانه، وكان يدعو إلى بني أميَّة، وقاتل في مرج راهط، وله مع زفر بن الحارث وغيره مهاجاة مشهورة، وقصائد مذكورة، واختار منها أبو تمَّام غيرَ واحدةٍ في الحماسة، فزفرُ يدعو القيسية إلى الزبير، وجوَّاسُ يدعو اليمنيَّة إلى بني أمية، وتقدَّم خبرُ ذلك عند القطعة السادسة عشرة.

ثمَّ إنَّه بعدما استقرَّ الأمر لعبد الملك بن مروان، وقُتل ابن الزبير رضي الله عنهما، أقبل عبدُ الملك يتألَّف القيسيةَ -وقد كانوا أعداءَه-، ويُوحِش اليمنيةَ -وقد كانوا أنصارَه-! وعزَل مَن كان استعملهم مِن كلبٍ فولَّى مكانهم القيسيَّة، فأنشأ جوَّاسٌ قصائدَ في هذا، وأخذ يعاتب بني أميَّة، ثم هجاهم وتوعَّدَهم، وهذه القطعةُ من قصائده تلك في بني أميَّة.

• **البيان:**

(كتيبةٍ مجهولةٍ): لا نعرفُ أهلها، ولا ندري كيف نصرِفُ شرَّها، ويروى (كريهةٍ مدفوعةٍ)، يريد أنَّه قاتل مع بني أمية كتائب لا يعرفها، وفيه إشارة إلى مطلق الولاء والتسليم لهم، وتمام الدفاع والقتال عنهم. (صِيد الكماة): تقدَّم الكلامُ على الصَّيَد في القطعة الرابعة والعشرين ومئة، وأنَّه ميلُ العنقِ مِن الكِبر، والكماة الفرسان الشجعان كما تقدَّم في القطعة التاسعة، ووصفُ الفرسان بالكِبْر أراد به عزَّة نفوسِهم، وهو عينُ ما تقدَّم في القطعة الثالثة عشرة، وتأمَّل كيف حملنا النظائر على بعضِها، فإنَّ هذا سبيل تحصيل فهم كلام العرب. (وُلاة طعانِها): أهلُ طِعانها، والوالي صاحبُ الشيء المتولِّي أمرَه والمُباشِر له. (غُمَّاها): تقدَّم أن أصل الغمِّ التغطية والإطباق، ويُقال هو في غُمَّة من أمره، إذا كان في كربة وعماء وحيرة واضطراب. (لا أمية): جملة اعتراضية. (وعُلاً): أراد والعُلا التي بنيناها تجزي سعيَنا كذلك، يعني الذكرَ الحسَن في الناس. (عراها): العُروَة ما يُتمسَّك به ويُعتصَم. (جئتم من الحجَر): يقصد أنَّ بني أميَّة جاؤوا من مكانٍ كلُّه حجَر، يعني الحجاز، فحلُّوا أرض نعمة، هي الشام. (البعيد نياطُه): أصلُ النِّياط عُروق القلب، فصيَّرها للحجاز، يعني أنَّه بعيدُ الشقَّة عن أرضِ الشام، وهو نحو قول ذي الرُّمَّة يصف بعيرَه (خَرُوجٌ من الخَرقِ البعيدِ نياطُهُ)[1]. (والشأم): البلاد المعروفة شمال الجزيرة، وهي بالهمز وبغيره، وتُذكَّر وتُؤنَّث، واختُلف في سبب تسميتِها فقيل نسبةً إلى (سام بن نوح)، وقيل لأنَّ شميمَها طيِّب، والشَّميمُ الرائحة كما تقدَّم، وقيل غير ذلك. (تُنكِر كهلها وفتاها): يعرِّض ببني أميَّة أنهم ليسوا من أهل تلك البلاد. (إذ أقبلت قيس): هذا ظرفٌ لقولِه (جئتم من الحجر)، والمعنى جئتُم وقتَ إقبال قيس عيلان، وقد تقدَّم ذكر الخلاف بين القيسيَّة واليمنيَّة في تلك الأحداث. (حدق الكلاب): عيون الكلاب. (وأظهَرت سيماها): السيما ما يظهرُ على

---

(١) ديوان ذي الرمة (٤٣٤).

الوجه من أثرٍ وعلامة، ويأتي في باب الأضياف، يريد أن قيساً أظهرت سيما الكلاب في إقبالِهم، ولعلَّ وجهَ تشبيههم بالكلب الهلعُ والطَّمعُ، وأنَّهم إنما قاتلوا لأجل المال والولاية، أو أنَّه أراد شتمَهم فشبَّه وجوههم بوجوه الكلاب كما هو ظاهر البيت.

- **العرض:**

(١-٤): يقول: استنصرَنا بنو أميَّة، وفزعوا إلينا، ودافعوا بنا، وعرَّضونا للقتل والقتال، وقرَّبونا للضَّربِ والطِّعان، فلمَّا حصَّلوا بغيتَهم، وأدركوا حاجتَهم؛ طوَوا عنَّا دنياهم، ومنعوا منَّا مناصبَهم! فيا بني أميَّة ما لكم كيف تحكمون؟ وكم من جيشٍ شديدٍ رددناه، وغازٍ مُغِيرٍ صددناه، وشجاعٍ مُتغطرِسٍ دفعناه، وقد كانوا لا يريدون غيرَكم، ولا يقصدون سواكم، ولكنَّا قاتلنا معكم، ووقفنا دونكم، حتى وضعت الحربُ أوزارَها، ونفَت البلادُ أشرارَها، ثم أنتم تفعلون ذلك! فالله يجزي سعيَنا -الذي شيَّدْنا بناءه- لا خلفاؤكم، والمعالي تنشر ذكرَنا -الذي أحكمنا عُراه- لا خطباؤكم.

(٥-٦): يقول: وما أنتم بهذه الأرض إلا حادثون غرَّتهم النعمة، وزائرون طمعوا في العيش، وإلَّا فأرضُ الشام تُنكِركم، وهي تعرف صغيرَها من كبيرِها، ولستم منهم، ولكنَّكم أتيتم إذ أتت قيس عيلان وسيماها سيما الكلاب، تطلبون الولاية، وتقصدون الدنيا، وتكفرون النعمة، وتنكرون المعروف.

(١٧٣)

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ الحَكَم: [من الطويل]

١. لَحَا اللهُ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلانَ إنها ... أضاعَتْ ثُغُورَ المسلمين ووَلَّتِ

٢. فشَاوِلْ بقَيْسٍ في الرخاءِ ولا تكُنْ ... أخاها إذا ما المَشْرَفِيَّةُ سُلَّتِ

• **الكشف:**

هو عبدُ الرحمن بن الحكَم بن أبي العاص بن أميَّة، شاعر إسلامي من بني أميَّة، وهو أخو مروان بن الحكم، وهو الذي أوصاه معاوية رضي الله عنه بالوصية المشهورة إذ قال له: (أراك تعجَب بالشعر، فإن فعلتَ فإيَّاك والتشبيبَ بالنِّساء، فإنَّه تُعرَّى به الشريفة، وتُرمى به العفيفة، وتقر به على نفسِك بالفضيحة، وإيَّاك والهجاء، فإنَّك تحنق به كريما، وتستثير به لئيما، وإيَّاك والمدح، فإنَّه كسب الوقاح، وطعمه السَّواد، ولكن افخر بمفاخِر قومك، وقل من الأمثال ما تزينُ به نفسَك وشعرَك، وتتودَّدُ به إلى غيرِك)، ورضي الله عنه فما أجمَع كلامَه وأفصَحه!

وهذه القطعةُ متصلةٌ بالتي قبلها من حيثُ الخبر، فإنَّ القيسية كانوا أعداءَ بني أميَّة، وهو يجيب بهذين البيتين زفرَ بن الحارث في قطعته التي تقدَّمت برقم (٦٣) في باب الحماسة، وقالها ابنُ الحكم بعد هزيمة الضحَّاك ومَن معه.

• **البيان:**

(لحى الله قيساً): أي قبَّحها الله وأزالَها، خرج مخرج الدعاء. (أضاعتْ ثغورَ المسلمين): يعني هزيمتَهم مع الضَّحاك وانسحابهم. (فشاول بقيسٍ في الرخاء): أي فدافِع بها وخُض معها إذا كان وقت الرخاء. (المشرفيَّة سُلَّت): السيوف أُصلِتَت ورُفِعتْ، منسوبةً إلى المشارف وهي قُرىً باليمن كانت تُجلب منها السُّيوف.

• **العرض:**

(١-٢): يقول: قبَّح اللهُ قيسَ عيلان وخذلها، فإنَّها جمعَت الجموع، وحشَدت الحشود، ودعت للقتال، ثم لما جدَّ الجِدُّ انهزمَت وأدبرَتْ، فإذا كنتَ مصاحِباً قيساً لا محالةَ فصاحبهم وقتَ الرخاء، وجالسهم وقتَ السَّعة، وإيَّاك والاعتمادَ عليهم حالَ الحرب، واحذر من الاستنجاد بهم إذا سُلَّت السيوف، فإنَّهم يُسلِمونك وينهزمون، ويخذلونك ولا ينتصرون.

وعندي أنَّ البيتَ الأخير هنا أبلغُ في الهجاء من بيت جوَّاسٍ الأخير، فإنَّه هناك أجرى الشتيمةَ على خَلقهم، وهنا سلَّطَ الهجاءَ على خُلقهم، ووصفَهم بالجُبن والنكوص والخذلان، وهذا أوقعُ في النفسِ من تقبيح وجوهِهم وذمِّ جسومهم، (وأبلغُ الهجاء ما يكون بسَلب الصفات المستحسنة التي تخصُّ النفسَ من الحِلم والعِلم والعَقل وما يجري مجرى ذلك، وليس الهجاءُ بقبحِ الوجه وضؤولةِ الجسم وقِصَر القامة وما في معنى ذلك بليغاً مرضيًّا)[١]، (وجماعُ القولِ فيه: أنَّه متى سلب المهجوَّ أموراً لا تجُانِس الفضائلَ النَّفسيَّة كان ذلك عيباً في الهجاء)[٢].

---

(١) ديوان المعاني (١/ ٢٠٢).

(٢) نقد الشعر لابن جعفر (٧٣).

(١٧٤)

وقال رجلٌ من بني أَسَدٍ: [من البسيط]

١. دَبَبْتَ للمَجْدِ والسَّاعُون قد بَلَغُوا ... جَهْدَ النفوسِ وألقَوْا دُونَهُ الأُزُرَا

٢. فكابَرُوا المَجْدَ حتىٰ مَلَّ أكثرُهُمْ ... وعانَقَ المَجْدَ مَنْ أَوفَىٰ ومَنْ صَبَرَا

٣. لا تَحسَبِ المَجْدَ تمرًا أنتَ آكِلُهُ ... لن تَبْلُغَ المَجْدَ حتىٰ تَلْعَقَ الصَّبِرَا

- **الكشف:**

هو حوط بن رئاب الأسديُّ، شاعر مخضرم، مشهور بقطعته هذه، وقد سار البيتُ الأخيرُ في النَّاس سيرَ النُّجوم، وجرَت الأشطر الثلاثة الأخيرة مجرى الأمثال، على أنَّ الناس لا يستشهدون بها في موطن الذمِّ والهجاء، وإنَّما في مقام حثِّ الهمم وتقوية العزائم، وهي لهذا صالحة.

وهو يخاطب في أبياته هذه رجلاً أقعدَه الكسَل، وخذَّله الوهَن، فصار يزحف إلى مساعيه ببطء، ويسير إليها بتوانٍ، ويخبره أن الناس من دونه قد جدُّوا، والركب عنه قد رحلوا، فلذلك كانت بالهجاء ألصق منها بالحماسة.

- **البيان:**

(دبيت): سِرت ببطء، والدبيب السيرُ بثِقَل وبطء. (جهدَ النفوس): تعَبُ النفوس ومشقَّتُها. (الأزرا): جمعُ إزار، وهو ما يلبس في أسفل البدن، والعربُ تقول للرجل: (ألقى إزاره) كناية عن اشتداد سعيِه؛ لأنَّه يتخفَّف من أثقاله، ويُري الناس اجتهادَه، ولعلَّه من هذا البابِ ما جاء مِن خبر قريشٍ لما بنوا الكعبةَ أنَّهم حلُّو أُزرَهم وهم ينقلون الحجارة. (فكابروا المجد): أي حاولوه قهرا، ونازعوه قَسرا، ويُروَى (فكابدوا). (الصَّبِرا): الصَّبِرُ عصارةُ شجرٍ شديدةُ المرارة لا تُستساغ، والوالداتُ

عندنا يخوِّفن صغارَهنَّ به، ويعاقبنهم بفركِه في اللِّسان، وقد فُرِكَ في لساني صغيراً غيرَ مرَّة، فما أعلم أني ذقتُ أمرَّ منه، وإنِّي لأجدُ طعمَه بعد فركه يوماً أو بعضَ يوم!

- **العرض:**

(١-٣): يقول: زحفتَ إلى المجد ببطء، والنَّاسُ من دونك إليه مسرعون، قد اشتدَّ بهم التَّعب، وأضناهم السَّهَر، وألقوا أُزرَهم تخفيفاً عن أنفسِهم، وأخذوا يحاولون المجدَ قهرا، ويطلبون المعالي قَسرا، فمَن صبَرَ منهم وأوفى نال وظفِر، ومن ملَّ وقصَّر خابَ وخسِر، فلا تظنَّن المجدَ سهلَ البلوغ، قريبَ المنال، فإنَّه لا ينال إلا بتجرُّع المرارات، ولا يتحصَّل إلا بتحمُّل الصعوبات، ولابدَّ من توطين النَّفس على الكدّ، وبلوغ الغاية في الجَهدْ.

(١٧٥)

وقال مالِكُ بنُ أسماءٍ: [من البسيط]

١. لو كنتُ أحمِلُ خمرًا حين زرتُكُمُ ... لـم يُنكِرِ الكلبُ أني صاحِبُ الدارِ

٢. لكن أتيتُ ورِيحُ المِسْكِ تَفْغَمُني ... وعَنْبَرُ الهندِ مَشْبُوبًا على النار

٣. فأنكرَ الكلبُ رِيحي حين أبصَرَني ... وكان يَعرِفُ رِيحَ الزِّقِّ والقارِ

- **الكشف:**

هو مالك بن أسماء بن خارجة حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، من بيت سيادةٍ في غطفان، وآباؤه أشراف قومهم، عدَّه أبو عبيدة مِن أجواد العرَب في الإسلام، وعدَّ أباه من حلمائهم[1]، وقد تقدَّم في باب الحماسة خبرُ حذيفة بن بدر وأنَّه هو الذي هيَّج حربَ داحس والغبراء، ولمالكٍ مع الحجَّاج أخبار مذكورة، وكان الحجاجُ قد تزوَّج أختَه هندَ بنت أسماء، وكان مالكُ شاعِراً إسلامياً مُحسِنا، وأعجبَ عمرَ بن أبي ربيعة شِعرُه، ونُسِبت هذه الأبيات لأخيه عيينة بن أسماء.

وخبرُ هذه الأبياتِ الطريفةِ أنَّ مالكاً أقبل يزور صاحباً له، فلما دخل فناء بيتِه عضَّه كلبُه، فغضِب مالك لهذا الاستقبال القبيح، وأنشد هذه الأبيات التي يقول فيها إنَّ الكلب أنكرني لما دخلتُ متطيِّباً متعطِّراً فعضَّني، ولو أني دخلتُ كما يدخل أهلُ البيت خبيثي الرائحة لما أنكرني، ولكنَّه لم يتعوَّد الطيب، ولو لحقت هذه القطعةُ بابَ المُلَح لكان حسَنا.

والشِّعرُ وإن خرج مخرج المزاح إلا أنَّه ربما أصاب محلا فخرَّبه، ووقع على جرحٍ فأعطبَه، (ولسيرِ الشعرِ على الأفواه هذا المسيرِ تجنَّبَ الأشرافُ ممازحةَ الشَّاعر خوفَ

(١) الديباج (٣٠)، (١١٦).

لفظةٍ تُسمَع منه مزحاً فتعود جِدًّا)[1]، على أنَّ هذا من أرفعِ مراتب البلاغة، وأعلى منازل الفصاحة، وقد نقل أبو حيَّان في (أخلاق الوزيرين) أنَّ أبا الفتح ابن العميد سأل حاضريه يوماً -وكان منهم شيخُه ابن فارس- عن سرِّ قول الجاحظ: (فإنَّ الكلام قد يكون في لفظِ الجدِّ ومعناه الهزل، كما يكون في لفظِ الهزل ومعناه الجِدُّ)، فلم يُجِر أحدهم جوابا، فقال أبو الفتح جواباً بديعاً كان منه: (إنَّ إفراز الجدِّ من الهزل، وتمييز الهزل من الجدِّ، حتى لا يؤتى بهذا في هذا، ولا بهذا في هذا؛ لَنوعٌ من الخطَر على المتكلِّم البليغ والقائل البيِّن... ولَمَّا كان البيانُ لا يكون بيانا، والبلاغةُ لا تصير بلاغةً إلَّا بأن يكون المتكلِّمُ آخِذاً في كلِّ واد، قادحاً بكلِّ زناد، مستظهِراً بكلِّ عتاد، وجبَ أن يدخِلَ الهزل في الجدِّ إمتاعاً واستمتاعا، ويُدخِل الجدَّ في الهزل اقتداراً واتِّساعا)[2].

- **البيان:**

(تفغمني): تملأ خياشيمي وتسدُّها. (عنبرُ الهند): العَنبرُ من أجود أنواع الطِّيب، ويكثر في الهند وما حولها، ولا يكون إلا في البلد الذي له ساحل، إذ أصلُه من نبات البحرِ وحيوانه. (مشبوباً): شبَّةُ النار اشتعالُها، وإنَّما ذكر شبَّ العنبرِ بالنار لأنَّه إذا تعرَّض للنار ازداد طيبا. (فأنكر الكلبُ): هذا من مسالك العرب في الهجاء، أنَّهم يصفون إنكار الكلبِ للغرباء، إذ إنَّه لم يتعوَّد زيارةَ الإخوان ولا مجيءَ الضيفان، وهي أمارةُ بخل أهله، على ضدِّ ما يأتي في باب الأضياف. (الزقِّ والقارِ): تقدَّما، فالزِّقُّ الوعاء، يعني به وعاء الخمر، والقارُ ما يُطلى به الوعاء، وأراد أنَّ أهل البيت خمَّارون، قد امتهنوا صناعةَ الخَمر، حتى غلبت عليهم ريحُه وحُمِلت معهم أدواتُه.

- **العرض:**

(١-٣): **يقول**: جئتُ قاصداً لزيارتِكم، وطامعاً في وصالِكم، فاستقبَلني كلبُكم

---

(١) العمدة لابن رشيق (١/ ٧٧).

(٢) أخلاق الوزيرين (٢٢٣).

أسوءَ استقبال، واعترضني شرَّ اعتراض، وأنكر قدومي، ونبح لمجيئي، ولو أنَّني جئتُ على صفةِ مجيء أهل الدار حاملاً أوعية الخَمر خبيثَ الرائحة لما أنكرني، ولكني أتيتُ على حالٍ لم يعرفها، وريحٍ لم يخبرها، وذلك أنَّني أتيتُ ورائحةُ المسك تسدُّ خياشيمي، والطِّيبُ يملأ الطرقات بعد مروري، وعنبرُ الهندِ المحروق يفوحُ من ثيابي، وكلُّ هذا على الكلبِ جديدٌ حادث، فكان منه ما كان، إذ إنَّه لا يعرف سوى أوعية الخَمر وخبيث الرَّوائح!

(١٧٦)

وقال زيادٌ الأعْجَمُ: [من الطويل]

١. ومَـنْ أنـتُـمُ إنـا نَسِينا مَـنَ انتُـمُ   ورِيحُـكُمُ مِـن أيِّ رِيحِ الأعاصِرِ

٢. وأنتُمْ أُلَىٰ جِئتُم مَعَ البَقْلِ والدَّبَا   فطارَ وهـذا شَـخْصُكم غيـرُ طائـرِ

٣. فلم تَسْمَعُوا إلا بِمَنْ كان قبلَكم   ولـم تُدرِكُـوا إلا مَـدَقَّ الحَـوَافِرِ

- **الكشف:**

هو زياد بن سليمان الأعجم، مولى عبد القيس، من بني مالك بن عامر الخارجية، من ربيعة بن نزار، وسُمِّيَ الأعجم لأنَّه نزل إصطخر فغلبَت لكنةُ العجَم على لسانه، وكان لا يُحسِن أن يُخرِج العين والصاد وغيرهما مما يشق على لسان العجم، وكان على هذا شاعراً أموياً مُحسِناً، جزلَ الألفاظ والمعاني، وكان كثيرَ الهجاء، واستحسَن شِعرَه النقَّاد، وله مع الفرزدق قصةٌ مذكورة.

وهذه الأبيات من قصيدةٍ يهجو بها قوماً ويذكر أنَّهم منكرَون لا يُعرفون، وخاملون لا يُذكَرون، وأنَّ الناس حازوا من دونهم المجد، وبلغوا من ورائهم الغاية، فهم متأخِّرون في الشرَف، وقد رويَ أنَّه هجا بهذه الأبيات أبا قلابةِ الجرميَّ، فإن كان كذلك فقبَّحه الله! وهل مثلُ الإمام أبي قلابة يُهجى؟ وهو الشيخُ المحدِّث العالم العامل! قال سفيان الثوري: (كان أبو قلابة -والله- من الفقهاء ذوي الألباب)[1].

- **البيان:**

(إنَّا نسينا): جملة اعتراضية، فلا تعمَل فيما بعدها. (مَن انتمُ): وصَل الهمزة

(١) انظر ترجمة أبي قلابة الجرمي في: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٨).

-وكان حقُّها القطع- للضرورة، وفي تكرار السؤال زيادةُ تنكير. (وريحُكم): دَولتُكم وقوَّتُكم، والعَربُ تكني بالرِّيح عن القوة والدَّولة، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال: ٤٦]. (الأعاصِر): جمعُ إعصار، وهو الغبار المشتدّ المستدير، قال الحق سبحانه ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾[البقرة: ٢٦٦]. (أُلى): اسم موصول بمعنى الذين، ويُكتَب كذلك (أولى). (البَقل والدَّبا): البقلُ النباتُ العشبيُّ المعروف، والدَّبا صِغارُ الجراد، يريد أنَّكم حادثون في هذه الأرض، لم تأتوا إلا وقت مجيء الجراد قريباً لَّما أخصَبت الأرض، ويروى (النَّمل والدَّبا). (فطار): الجراد. (وهذا شخصُكم غيرُ طائر): يعني رحل الجرادُ وأنتم لم ترحلوا، وهذا الكلام تضجُّرٌ ببقائهم، وطمَعٌ في رحيلهم. (لم تَسمعوا إلا بمَن كان قبلكم): أي ما مِن حديثٍ تسمعونه في هذا البلاد عن رجلٍ من أهلها إلَّا وهذا الرجل قبلكم في هذه الأرض. (مدقّ الحوافر): موضع الأقدام، وموطئ الحوافر، يريد أنَّ الناس سبقوهم إلى المجد والعلا.

- **العرض:**

(٣-١): **يقول**: هل أنتم في النَّاس إلا خاملون لا تُذكَرون؟ ومُنكرون لا تُعرَفون؟ وسُقَّاطٌ لا ترتفعون؟ ولسنا نعلم لكم أصلاً ترجعون إليه، ولا فصلاً تتحاكمون إليه، ولستم في هذه البلاد إلا حادثين، جئتُم قريباً مع الخَصب، وفررتُم من القحط والجَدب، فحللتم أرضَنا، وأكلتم زَرعنا، وخالطتُم قومنا، فما مِن أحدٍ يُذكَر في هذه البلاد إلَّا وقد نزلَها قبلكم، وما مِن مرتبةٍ يُشار إليها من مراتب المَجد إلا وقد أُغلِقت دونكم، فليس لأقدامكم موضعٌ إلا الذل، ولا لإبلكم موطئٌ إلا الحضيض.

(١٧٧)

وقالت كَنْزَةُ في مَيَّةَ: [من الطويل]

١. ألا حَبَّذا أهـلُ الـمَلَا غيرَ أنَّه إذا ذُكِـرَتْ مَـيٌّ فَـلَا حَبَّـذَا هِيَـا

٢. علىٰ وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِن مَلَاحةٍ وتـحـتَ الثِّيابِ الـخِـزْيُ لـو كان بادِيَا

٣. ألم تَرَ أنَّ الـماءَ يُـخلِفُ طَعْمُهُ وإنْ كانَ لـونُ الـمـاءِ في العينِ صافِيَا

٤. إذا مـا أتـاه واردٌ مِـن ضَـــرُورةٍ تَوَلَّـىٰ بأضْعـافِ الـذي جاءَ ظامِيَـا

٥. كذلك مَـيٌّ في الثيابِ إذا بَدَتْ وأثوابُهـا يُـخـفِينَ منهـا الـمَخـازِيَا

٦. فلو أنَّ غَـيْلانَ الشَّقِيَّ بَـدَتْ له مـجـرَّدةً يومًـا لَـمَـا قـالَ ذا لِيَـا

٧. كـقَـولٍ مَضَـىٰ منه ولكـنْ لَـرَدَّهُ إلـىٰ غيـرِ مَـيٍّ أو لأصْبَـحَ سالِـيَا

● **الكشف:**

هي كنزةُ أمُّ شَملة بن برد بن قيس بن عاصم المِنقريِّ، وكانت أمةً اشتراها بردُ بن قيس، فقيل أعتقها وتزوَّجها، وقيل بل ولدت شملةَ وهي أمَة، وقد اختُلِف في اسم كنزةَ واسمِ ولدها وخبرهما بما جعل محمود شاكر يقول: (هذا موضعٌ لم أستطِع تحقيقَه كما أُحِبُّ)[1]، فماذا عساي أن أقول؟ وقد ذكرتُ ما رجَّحه من أنَّ اسمها كنزة، واسم ولدها شملة.

وكان غيلانُ ذو الرُّمة يشبِّب بصاحبتِه مَيّ بنت طلبة بن قيس بن عاصم المنقريَّة، فقالت كنزةُ هذه القطعةَ لَمَّا أرادت أن تفسِد ما بينهما، ثمَّ نحلَتْها ذا الرُّمَّة، فغضِبت ميةُ حتى كادت تتقطع، وعَلِم ذو الرمَّة فامتعض لذلك، وحلف بالله جَهد أيمانِه ما قال

---

(١) طبقات فحول الشعراء (٥٥٩).

من ذلك شيئا، وقال: كيف بالله أقوله وأنا الذي قطَّعتُ دَهري وأفنيتُ شبابي أشبِّبُ بها وأمدحُها! ثمَّ علِما بمكر كنزة.

وجمهورُ مَن يذكر هذه القصَّة إنَّما يذكر من أبياتها بيتين أو ثلاثة، أمَّا أبو تمَّام فأطال، ولم أجد لبعضِ الأبيات ذكراً قبل أبي تمام.

- **البيان:**

(حبَّذا): كلمةُ مدحٍ تُستَعمل بمعنى (أحِبُّ كذا)، وأصلها من (حبَّ) فعل ماض، و(ذا) اسم إشارة. (أهل الملا): أهل الصحراء، والبدو المنتجعين، وأرادت أهلَ ميَّة. (ميٌّ): بنت طلبة بن قيس التميمية المنقرية، صاحبة ذي الرمَّة، وكانت من أجمل الناس وجها، وألطفهم خُلقا، ويُقال لها (ميٌّ) و(ميَّة). (مسحةٌ من ملاحةٍ): المَسحةُ ظاهرُ الحُسن، ومثلها الطلاوة، كأنَّ الوجهَ مُسِح بالحُسن وطُلِيَ به، والمَلاحة اللطف والجمال. (وتحت الثياب الخزي): يعني أنَّ ظاهرها الباديَ للناس حسَن، وداخلَها المستورَ عنهم قبيح، وهذا نحو قول العامة اليوم: (الخارج الله الله، والداخل يعلم الله)! (يُخلِفُ طَعمُه): يتغيَّر ويفسد، ومنه (خَلوف فم الصائم)، وروي (يخبُثُ طعمُه). (واردٌ): تقدَّم أنَّ الوِرد الذهابُ للاستسقاء، وضدُّه الصَّدَر. (ضرورةٍ): شدة حاجة. (بأضعاف الذي جاء): تريد بأضعاف الذي جاء به، فحذفَت الجارَّ ثم وصَلت الضَّمير، ثم جاز لها أن تحذفه لأنَّه صلةُ الموصول، أو يكون (الذي) مع فعله مؤوَّلاً بمصدر، نحو ما تؤوَّل به (ما)، والمعنى: بأضعاف مجيئه، وقد قيل هذا التوجيه في قول الحق سبحانه ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورى: ٢٣]. (ظاميا): شديدَ العطَش، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور: ٣٩]. (غيلان الشقيّ): غيلان بن عقبة التميمي، ذو الرمَّة، وقد يقال: إنَّ فيه تصريحاً بالحكاية عن ذي الرمَّة، فلا يستقيم أن تنحَله كنزةُ هذه الأبيات، فنقول: قد استفاض في شِعر العربِ تجريدُهم أنفسَهم وخطابهم لها، وربَّما صرَّح بعضُهم بالحكاية عن نفسِه على سبيل التجريد،

ومنه قول امرئ القيس يمدح بني تيم بن ثعلبة الطائيين[1]:

أقرَّ حشا امرِئ القيسِ بن حجرٍ   بنو تيمٍ مصابيحُ الظَّلامِ

(مجرَّدة): عارية عن ملابسها. (لما قال ذا ليا): لأنكرها، ولم يقل: هذه لي، ولَمَضى كأنَّه لا يعرفُها. (كقولٍ مضى منه): كأشعارِه التي مضَت منه وكان ينسِبُ فيها بميّ. (ساليا): تقدَّم أنَّ السلوَّ والسلوةَ النسيانُ وانقطاعُ الأمل.

- **العرض:**

(١ـ٥): **تقول -على لسان ذي الرمَّة-:** ألا إنِّي أحبُّ أهلَ الَملا وأودُّهم، غير ميٍّ منهم فإنِّي لا أحبُّها، ولا تستحقُّ مني مدحاً ولا اختصاصا، ولا ثناءً ولا إطراءً، ومَن هي مثلُ ميٍّ فلا ينبغي أن تُحَبَّ، فإنَّ وجهَها جميلُ المَظهَر، لطيفُ المنظر، أمَّا ما تواريه مِن بدنِها فقبيحُ المخبَر، بشِعُ المنظر، ولو ظهَر للنَّاسِ ما تُخفِيه عنهم لتحمَّلت عارا وخِزيا، فما هي إلا كالماء تراه صافيَ اللون، طيِّبَ المحلّ، حتى إذا أتاه الواردُ العطِشُ، ونزَل به الراكبُ الظامئُ؛ وجدَه مِلحا أجاجا، وذاقه مرًّا خبيثا، فانصرَف عنه والذي به من الظمأ أشدُّ من الذي جاءَ به! فذلك مثَلُ ميٍّ في ثيابِها، تُظهِر للنَّاس الحسَن، وتواري عنهم القبيح.

(٦ـ٧): **تقول -على لسان ذي الرمَّة-:** ولو أنَّها بدَتْ لذي الرُّمَّة يوما، وتجرَّدت أمامه عرَضا؛ لَتبرَّأَ في الحال منها، وندِمَ على شِعره فيها، ولَأنكرَها فكأنَّه لا يعرفُها، ولَتفكَّرَ في قصائده التي كان ينظمها لها، ونسيبِه الذي كان يختصُّها به؛ فصرفَه إلى غيرِها، ونفض يديه من ذكرِها، أو كان لَّما رآها تركَ النساء رأسا، وأزمع عنهنَّ سلوًّا!

هذا -بفضل الله ومنته- تمام شرح باب الهجاء من هذه الألفية، وعِدادُه فيها (٣٨) بيتا، وهو أوقع الأبواب في نفوس الناس، وأشدُّها في أسماع الخلق، ويتلوه باب الأضياف.

---

(١) الأشعار الستة الجاهلية (١٧٤).

باب الأضياف

الأضيافُ جمع ضيف، يُقال أضياف وضيفان وضيوف، ويُراد به هنا ما كان مِن شِعرهم متَّصلاً بالجود والسَّخاء وإكرام الضَّيف وحُسن تعاهده، فهو بابٌ ينتظمُ تحت باب الأدَب؛ لأنَّ الكرمَ مِن محاسن الأخلاق، ولكنَّه أُفرِد لكثرةِ ذكر العرب له، وفخرهم به، ورجوعهم إليه، كما أُفرِد باب الحماسة قبل ذلك، والشجاعة راجعة إلى مكارم الأخلاق، وبهذا تعلم فضل الكرم والشجاعة وأنَّهما أصل الأخلاق الكريمة، وتقدَّم في باب المراثي أنَّهم يفخرون بإكرامهم (الأضياف)، و(الأضياف) جمعُ قلَّة، وذلك لأنَّ من نحر الجزور للقليلِ من أضيافه كان أجدرَ به أن يفعل ذلك مع الكثير، فهو إمعانٌ في الوصفِ بالكرم.

وتقدَّم في باب المراثي أنَّ العربَ تقرن بينهما في المدح والفخر لِما ترى لهما من الرِّفعة والفضل، ومن ذلك قول مُعيَّة بن حمام المرِّي يرثي أخاه حصينا[1]:

نعيتُ حيا الأضيافِ في كلِّ شتوةٍ ... ومِدرَه حربٍ إذ تُخافُ الزلازلُ

ولا يشكُّ العالمُ بالأخبار والتاريخ والسِّيَر أنَّ للعرب قَدراً مِن الاختصاص بالكرم فاقَت به الأمم، (وأمَّا كون العربِ أقدرَ على السخاء من غيرِهم فذلك الذي لا يحتاجُ إلى بيان، ولا يُعوِز إلى إقامة دليل ولا برهان، قد شهد لهم به الأوداء والأعداء، واعترف لهم الأقربون والبعداء، وإذا ألمَّ بهم ضيفٌ حكَّموه على أنفسِهم، واستهانوا له ما وجدوه من نفيسِهم، وهذا شِعرهم ينطِقُ بما جُبِلوا عليه، ويُعرِب عمَّا ألفوه وجنحوا إليه)[2].

(١) أمالي القالي (١/ ٦٢).
(٢) بلوغ الأرب للألوسي (١/ ٤٦).

(١٧٨)

وقال مُرَّةُ بنُ مَحْكانَ: [من البسيط]

١. يا رَبَّةَ البيتِ قُومي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمِّي إليكِ رِحالَ القومِ والقُرُبَا

٢. في ليلةٍ مِن جُمادَىٰ ذاتِ أنديَةٍ ... لا يُبْصِرُ الكلبُ مِن ظَلْمائها الطُّنُبَا

٣. لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... حتىٰ يَلُفَّ علىٰ خُرطُومِه الذَّنَبَا

٤. ماذا تَرَيْنَ أَنُدْنِيهِمْ لأرحُلِنا ... في جانِبِ البيتِ أم نَبْنِي لهم قُبَبَا

٥. لِمُرمِلِ الزَّادِ مَعْنِيٍّ بحاجَتِهِ ... مَن كان يَكرَهُ ذَمًّا أو يَقِي حَسَبَا

٦. وقُمْتُ مُستَبْطِنًا سَيْفي وأَعْرَضَ لي ... مِثْلُ المَجادلِ كُومٌ بَرَّكَتْ عُصَبَا

٧. فصَادَفَ السيفُ منها ساقَ مُتْلِيَةٍ ... جَلْسٍ فصادفَ منه ساقُها عَطَبَا

٨. زيَّافةٍ بنتِ زيَّافٍ مُذكَّرةٍ ... لَمَّا نَعَوْها لِرَاعي سَرْحِنا انتَحَبَا

٩. أَمْطَيْتُ جازِرَنا أَعْلَىٰ سَنَاسِنِها ... فصارَ جازِرُنا مِن فوقِها قَتَبَا

١٠. يُنَشنِشُ اللَّحْمَ عنها وهْي بارِكةٌ ... كما تُنَشْنِشُ كفَّا قاتِلٍ سَلَبَا

١١. وقلتُ لَمَّا غدَوْا أُوصِي قَعِيدتَنا: ... غَدِّي بَنِيكِ فلَنْ تَلقَيْهِمُ حِقَبَا

١٢. أُدْعَىٰ أباهُمْ ولم أُقرَفْ بأُمِّهِمُ ... وقد عَمِرْتُ ولم أعرِفْ لهم نَسَبَا

١٣. أنا ابنُ مَحْكانَ أخوالي بَنُو مَطَرٍ ... أَنمِي إليهم وكانوا مَعْشَرًا نُجُبَا

- **الكشف:**

هو مُرَّةُ بن مَحكان التميميُّ السعديُّ، من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر إسلامي مُقِلٌّ مُجِيد، وكان سيداً شريفاً جوادا، غير أنَّه كان في عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكرَه، وكان مرَّةُ يُسمَّى (أبا الضِّيفان) لكرمه وسخائه، ويأتي ذلك في هذه القطعة.

وهذه القطعة اللطيفة يحكي فيها مُرَّةُ حالَه مع الضِّيفان، وكيف أنه يستنهض أهله في أنصاف الليالي، ويرحِّب بضيوفِه في وقت الجدب، فينحر الجزور، ويطبخ اللحم، ثم يفخر بنسَبِه وحسَبِه، والقصيدةُ أطوَل من هذا، وهي مضطربة الرواية، وفيها تقديم وتأخير كثير.

- **البيان:**

(ربَّة البيت): صاحبةَ البيت، يعني زوجتَه، والربُّ في أصل اللغة يُطلَق ويُراد به الصاحب أو المالك أو القائم بالأمر. (غير صاغرةٍ): غير مهانة ولا ذليلة، وهذا كما تقول العامة اليوم: (قم، ما عليك أمر)، فهي كلمة تخرج مخرج الإجلال والإكرام، ولا تقال إلا في حق الممدوح المكرَم، كما قال زياد الأعجم (وإنَّما يُقال لشيخ الصِّدق: قم غيرَ صاغرِ)[1]. (ضُمِّي إليك رحالَ القومِ والقُرُبا): رحالُ القوم متاعُهم، والقُرُب جمعُ قِراب وهو ما يحفظون فيه سلاحَهم، يعني: خذي أمتعةَ القومِ وأسلحتِهم، وإنَّما قال ذلك لأنَّ الضيف كان إذا نزل بالعرب في الجاهلية ضمُّوا إليهم رحله، وتركوا سلاحَه معه خوفاً من أن يبيِّتَهم أحدٌ ويغير عليهم فلا يجدُ ضيفُهم سلاحا، فقال الشاعر: ضمي إليك أمتعة الضيوف وأسلحتهم، فإنَّهم عندي في عز وحماية وأمنٍ من الغارة والبَيات، ولن يحتاجوا سلاحَهم ما داموا عندي. (ليلة من جمادى): يعني ليلةً باردة، وكانت العربُ تجعَلُ شهرَ البرد جمادى، وإن لم يكن جمادى في الحقيقة، فيقسِّمون الأسماء على عوارض الزمان ثم يغلِّبون استعمالها فيها، وقد وافق بردُ الشتاء شهر جمادى في عامنا هذا، وأنا أكتب هذه الكلمات نهايةَ جمادى الآخِرة من عام ثلاثة وأربعين وأربعمئة وألف. (ذات أنديةٍ): ذات أنداءٍ وأمطار، وقيل بل الأندية جمع نديٍّ، يعني نديَّ المجلس، لأنَّ أماثل الناس وأغنياءهم كانوا يجتمعون فيه إذا اشتدَّ البردُ وعمَّ القحطُ فيدبِّرون أمر الضعفاء، ويفرِّقون المال للفقراء. (لا يُبصِر الكلبُ

---

(١) الوحشيات (٢٢٤).

من ظلمائها الطُّنُبا): الطُّنُب حبال البيت والخيمة، وهذه مبالغةٌ لبيان شدة ظلمةِ تلك الليلة، والكلبُ قويُّ البصَر، فإن لم يبصر حبالَ البيت كان ذلك أمارةً على اشتداد الظلام. (خرطومه): الخرطوم الأنف، كما قال الحق سبحانه: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم: ١٦]، والرواية المشهورة (خيشومه). (الذَّنبا): الذَّنبُ الذَّيل، وهذا كلُّه وصفٌ لبردِ تلك الليلة وظلمتِها، إشارةً إلى توفُّر كرمِه على الضيفان حين شدةِ حاجتِهم إليه، وتقدَّم أنَّ الإطعام في البردِ أمارةٌ على الجود، لذلك يخصُّون الإطعام في المدح بالشتاء، وفيه يجتمع جوعُ العباد وجَدبُ البلاد. (ماذا ترين): هذا خطاب لامرأته، يستشيرها في أمر الضيوف. (أندنيهم لأرحلنا في جانب البيت): أنقرِّبُهم منَّا في البيت؟ ونخلطهم بأنفسنا في المسكن؟ وذلك أكرمُ للضيوف إذا قصدوا تخفيف اللبث. (أم نبني لهم قببا): أم نبني لهم بجوارنا قباباً يتفرَّدون فيها ويأوون إليها؟ وذلك آنسُ للضيوف إذا قصدوا إطالة اللبث. (لمُرمِل الزاد): المُرمِل الذي انقطع زاده، والجار والمجرور متعلق بسؤاله (ماذا ترين). (معنيٍّ بحاجتِه): مهتمٍّ لشأنه، وقائمٍ بأمره. (من كان يكره ذمًّا أو يقي حسَبا): يقصد نفسَه، ويشير إلى علةِ إكرامَه للضيفان، وتقدَّم في القطعة السادسة وعشرين ومئة هذا المعنى، وهو كما قيل (وكلُّ كريمٍ يتَّقي الذمَّ بالقِرى)[1]، والحسَبُ كريمُ الفَعال، ويُنسَب للنَّفس وللآباء، وسيأتي في باب المدح. (وقُمتُ مستبطناً سيفي): وقمتُ حاملاً سيفي متقلِّداً له، وأنا أستره عن الإبل حتى لا تنفِر. (وأعرض لي): تبدَّى لي معترضا. (مثلُ المَجادل): أي نوقٌ مثلُ القصور، والمِجدَل القَصر. (كومٌ): عظامُ الأسنِمة، جمعُ كوماء. (برَّكَتْ عُصَبا): جلست جماعات، وقوله (برَّكَت) مضعَّفُ برَكَت، وأراد بذلك تكثيرَ إبله المعترضة. (فصادف السيفُ): فأصابت ضربةُ السيف. (ساقَ مُتلِيةٍ): المُتلية الناقة التي لها ولد يتلوها، أي يتبعها، فهي كبيرة سمينة. (جَلسٍ): صلبة ضخمة. (فصادف منه ساقها عطبا): العطَبُ التَّلَفُ والهلاك، يريد أنَّ السيف والساقَ تصادما، فأبان السيفُ ساقَها،

---

(١) المفضليات، القصيدة (٢٣).

والعربُ إذا أرادت وصفَ نحرِ الناقة بدأَت بذكر ضربِ الساق، لأنَّهم يعرقبونها قبل ذلك فيسهل نحرها عليهم. (زيَّافةٍ بنتِ زيَّافٍ): الزيَّافةُ التي تخطِرُ في مشيتِها وتتبختَر، وجعلها بنتَ زيَّافٍ مبالغةً في وصفِها بالكرَم. (مذكَّرةٍ): تُشبِه الذُّكور في خلقتِها، فهي مباينة للنساء، كما قال كعب (في خلقِها عن بناتِ الفحلِ تفضيلُ)[1]، وهذا الوصفُ للناقة بالعظم والجودة والقوة والجمال يشير إلى كرمِ ناحرها، لأنه بذلها لأضيافه ولم يضنَّ بها عليهم. (لَّما نعوها): لما ذكروا خبر نحرِها. (لراعي سرحِنا): لراعي إبلنا وشائنا. (انتحبا): بكى حزناً على تلك الناقة. (أمطيتُ جازرَنا أعلى سناسنِها): الجازرُ الذَّابحُ المختَصُّ بتقطيعِ اللَّحم، والسناسنُ العظامُ أعلى السَّنام، يريد أن الناقةَ لِعظَمِها لَّما نُحرِت لم تصل يدُه إلى أعلاها، فأمر الجازر أن يصعد فيقطع من فوقها، ويظلُّ هو يقطع من تحتها. (قتَبا): تقدَّم أن القتَب في الإبل كالسَّرجِ في الخيل، يشبِّه الجازرَ هنا بالقتَب لأنَّه علا الناقة. (ينشنش اللحم): نشنشةُ اللحمِ تقطيعُه بحذقٍ وانتزاعُه بسرعة. (كما تُنشنشُ كفَّا قاتلٍ سلَبا): هذا تشبيه بديع، لأنَّ القاتل حريصٌ على استيفاء السلَب كلِّه في سرعةٍ وخفَّة، فكذلك الجازرُ، وروي (كفَّا فاتلٍ) أي فاتل الحبال، والأُولى أجوَد. (لَّما غدوا): لما همُّوا بالارتحال غداةً، والغداة أول النَّهار. (قعيدتَنا): القَعيدةُ الزوجة. (غدِّي بنيك): أكرميهم وبالغي في تفقُّدِهم، وجعل الضيوفَ بنيها لأنَّها متوفرةٌ عليهم توفُّرَ الأم الرؤوم على أبنائها. (حِقَبا): سنين طوال، والحِقَبُ جمعُ الحِقبة، وجمعُ الحِقب أحقاب، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا﴾[النبأ: ٢٣]، وأراد الشاعرُ أنها لعلها لا تلقاهم أبدا، فجعل الأحقاب وطولَ المدة إشارةً إلى الأبديَّة والسرمديَّة، وهو كذلك في الآية الماضية على الصحيح. (أُدعى أباهم ولم أُقرَف بأمِّهم): أُسمَّى (أبا الضِّيفان) على أنِّي لا أُتَّهمُ بأمِّهم، والقِرفةُ التُّهمة، ويريد أنه لا أواصرَ تجمعهم، ولا قرابة بينهم، وهو مع ذلك يكرمهم حتى كأنَّه أبوهم، وتقدَّم في القطعة الثامنة والثمانين بيانُ هذا المعنى، وأن أحقَّ من سُمِّي (أبا الضيفان) إبراهيم

(١) شرح قصيدة (بانت سعاد) لابن حجة الحموي (٤٠).

عليه السلام. (عمِرتُ): كبرتُ في العُمر. (ولم أعرف لهم نسبا): يقصد ما تقدَّم من أنه أحسن إليهم تكرُّماً واصطناعا، لا لنسبٍ وقرابة. (أنا ابنُ محكان): هذا الأسلوب من أنفع ما يُعرَف به قائل القصيدة، وهو التصريح باسمه، وقد تقدَّم هذا المعنى في القطعة الخامسة والأربعين، ونسَب نفسه إلى أبيه الأدنى ولم يرتفع بالنسَب إشارةً إلى شهرةِ نسَبه وخلوصه. (أخوالي بنو مطَرٍ): بنو مطر بن شريك، من بني ذهل بن شيبان، يريد أنَّه كريمُ الخال والعم، وتقدَّم هذا المعنى آخر القطعة السادسة والخمسين. (أنمي إليهم): أنتسِبُ إليهم في الخؤولة.

- **العرض:**

(١ـ٥): يقول: يا صاحبةَ البيت، قومي غيرَ ممتهنةٍ ولا مستخدَمة، وأقبلي على الضيوف النازلين، فاجمعي عندكِ متاعَهم، وضمِّي إليك سلاحَهم، وأحسني وِفادتَهم، وأكرمي منزلَهم، فإنَّهم عندنا آمنون مكفيُّون، وقد نزلوا بنا في ليلةٍ قارسةِ البرد، كثيرةِ المطَر، شديدةِ الظَّلام، لا يقدر الكلبُ -وهو حادُّ البصَر- أن يرى حبال الخيمة من إظلامها، ولا يستطيعُ -وهو الصَّبورُ على البَرد- أن ينبح فيها نبحةً واحدة إلا ويلفُّ ذيلَه على أنفِه مستدفئا، وقلتُ لامرأتي: ماذا ترين في أمرِهم؟ وأيَّ شيءٍ تتعرَّفين من حالِهم؟ هل يطيلون اللُّبث أم يخفِّفونه؟ ونحن لكلٍّ ذلك متهيئون، فإن قصدوا إطالةَ اللبثِ بنينا لهم القباب بقربِنا، فهي آنسُ لهم، وأبقى لحشمتِهم، وإن قصدوا تخفيفَ اللبث خلطناهم بنفوسِنا، وأنزلناهم في بيوتنا، ولا نريد من ذلك إلا إكرامَهم بما يحبُّون، والإحسانَ إليهم بما يرتضون، فإنَّا نقومُ على حاجة الضيف، ونهتمُّ لشأنه، نتوقَّى بهذا المذمَّة، ونصونُ بذلك الأحساب.

(٦ـ١٠): يقول: ولَمَّا نزل بِي الأضيافُ تقلَّدتُ سيفي، وقصدتُ إبلي، فاعترضتني النوقُ الكرام كالقصور العظيمةِ، باركةً جماعات جماعات، فعمدتُ إلى أحسنهنَّ منظرا، وأطولهنَّ سناما، فضربتُها بالسيفِ في ساقِها فعرقبتُها، ثم نحرتُها، وهي من

أفضل نوقي، وأكرم إبلي، ولما ذُكِر خبرُ نحرِها للراعي بكى بكاءً له نحيبٌ وعويل، وعلى هذا فلستُ أضِنُّ بها على أضيافي، ثم أمرتُ الجازرَ فاعتلى سنامَها حتى صار كأنَّه قَتَبٌ من فوقِها، وأخذ يقطع اللحمَ برِفق، ويفصل العظمَ بحِذق، ويخرج الشَّحم منها ويستوفيه كما يستوفي القاتلُ سلَبَ مقتولِه!

(١١-١٣): يقول: ثمَّ لما شممتُ منهم رائحةَ الرَّحيل أقبلتُ على امرأتي وقلتُ لها: انتهزي الفرصة بالإحسان إليهم، واغتنمي الوقتَ بالتوفُّرِ عليهِم، وأفيضي عليهم ضروبَ الجود، وامنحيهم أنواعَ الإكرام، فلعلَّك لا تلقينهم بعد يومك هذا، ولهذا كلِّه فقد سُمِّيتُ (أبا الضِّيفان)، وذلك أنِّي أُكرِمهم من غير معرفة سابقة، ولا قرابةٍ متصلة، ولا مصلحةٍ حاضرة، إنَّما هو محض الإحسان واصطناع المعروف، ولا عجبَ أن أكون كذلك فإنِّي ابنُ محكانٍ التميمي، أعمامي بالكرم والإفضال معروفون، وأخوالي -من بني مطرٍ- أجوادٌ مُنجِبون، فقد اكتنفني المجد من طرفيَّ كليهما.

(١٧٩)

وقال عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ: [من الطويل]

١. سَلِي الطارِقَ الـمُعْتَرَّ يا أمَّ مالِكٍ إذا ما اعْتَرَاني بين قِدْري ومَجْـزري

٢. أَيُسْفِرُ وَجْهي أَنَّه أَوَّلُ القِرَىٰ وأبْـذُلُ معـروفي لـه دُونَ مُنْكَـرِي

• الكشف:

تقدَّمت ترجمته في القطعة الثامنة والأربعين، وتقدَّم هنالك قول بعضِهم: (من زعمَ أن حاتماً أسمحَ الناسِ فقد ظلمَ عروة)! وهذان البيتان يخاطب فيهما امرأتَه، ويذكر فيهما بشاشتَه للضيف، وفرحَه بالقادم.

• البيان:

(الطارق): الزائر فجأةً من غير ميعاد. (المعترّ): الفقيرُ الذي يتعرَّضُ للسؤال ولا يُصرِّحُ به، ومنه قول الحق سبحانه ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾[الحج: ٣٦]. (اعتراني): جاءني ونزل بي، يُقال عراه واعتراه، وتقدَّم في القطعة الخامسة، وفيه إشارة إلى توفُّره في مقام ضيافته كل وقت. (ومجزِري): تقدَّم أن المجزِر مكان الجزر والذبح، وهو المذبَح، والقياس مفعَل، لكنه هنا سُمع مكسورَ العين خلاف القياس. (أيُسفِر وجهي): يُنِير ويُشرِق وتظهَر فيه البشاشة، وتقدَّم نحوه، ومنه قول الحق سبحانه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾[عبس: ٣٨]. (أنَّه أولُ القِرى): أي: لأنَّه أولُ القِرى، القِرى طعام الضَّيف كما تقدَّم، يريد أن البشاشةَ والطلاقةَ والتَّرحيب أول واجبات الضَّيف على النازل به، وروي (إنَّه أول القِرى) فتكون جملةً ابتدائيةً مؤكِّدةً للمعنى المذكور. (وأبذل معروفي): أراد بالمعروف واجبات الضيافة مِن التَّرحيب وحُسن الاستقبال وتهيئة المكان والإطعام والمحادثة والمفاكهة. (منكري): المنكَر في حقِّ الضَّيف سؤالُه

عن أصلِه ونسَبه وقصدِه، فإنَّ هذا يُخِلُّ بحقِّ الكرَم من الضيافة مطلقا، (ويرون أنَّه من التَّقصير بالضَّيف، حتى إنَّ الرجل لينزل به ثأره وهو لا يَدريه، فيُكرِمه ويَقريه، ثم يذهب عنه ولم يَعرفه)[1]!

● **العرض:**

(١-٢): يقول: سلي عنِّي -يا أمَّ مالكٍ- الفقراء السائلين، واستخبري عنِّي الضيوفَ النازلين، واستنبئيهم عن حالي إذا ما أتوني وأنا على عادتي قائمٌ بين محلِّ ذبح الجزور وموضع غَلي القدور، واسأليهم عن أخلاقي معهم، وإكرامي لهم، وبشاشتي إليهم، وفرَحي بهم، وكيف أتدرَّجُ لهم بأنواع الخِدمة، وأتوصَّلُ إليهم بأسباب المودَّة، وأكفُّ عن سؤالهم عن حالِهم، وأترك الوقوفَ على أخبارِهم، فقد يجلب سؤالي الحياءَ لهم، و شأن الكرام الإحسانُ على كلِّ حال.

---

(١) شرح الحماسة للأعلم (٩٧٧).

(١٨٠)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. ومُسْتَنْبِحٍ يَسْتكشِطُ الرِّيحُ ثوبَه ... ليَسْقُطَ عنه وهْو بالثَّوْبِ مُعْصِمُ

٢. عَوَىٰ في سَوَادِ الليلِ بعدَ اعْتِسافِهِ ... ليَنْبَحَ كلبٌ أو ليَفْزَعَ نُوَّمُ

٣. فجاوَبَه مُسْتَسْمِعُ الصَّوتِ لِلْقِرَىٰ ... لـهُ عنـدَ إتيانِ المُهِبِّينَ مَطْعَمُ

٤. يكادُ إذا ما أبصَرَ الضَّيْفَ مُقبِلًا ... يُكلِّمُهُ مِن حُبِّه وهْو أعْجَمُ

• **الكشف:**

هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرْمة القرشيُّ الكناني، مشهور بإبراهيم بن هرمة، شاعرٌ فصيحٌ غزِلٌ مُفلِق، مخضرم الدولتين الأمويَّة والعبَّاسية، وكان يُستجَاد شِعرُه وتُستَحسن أخبارُه، وجعله الأصمعيُّ وغيرُه آخرَ مَن يُحتَجُّ بشِعرِه.

وهذه قطعة لطيفة جميلة يصف فيها رجلاً أظلم عليه اللَّيل، واشتدَّ به السَّير، فأقبل يبحث عن خباءٍ يؤويه، ومحلٍّ ينزل فيه، وأخذ يصرخ لعلَّ كلباً يُصغي إليه فينبح، أو رجلاً يسمعه فيستيقظ، ثم يصفُ قدومَ الضيفِ عليه، وفرَح كلبه به.

• **البيان:**

(ومُستنبِح): مجرور بإضمار (رُبَّ)، وأصلُ النَّبْح التَّصويتُ والعواء، وهو صَوت الكلب، والمُستنبِح من النَّاس مَن يرفعُ صَوته ويَعوي لأجل أن يُجيبَه الكلب فينبح، فِعلَ مَن يضِلُّ طريقَه فيتطلَّبُ خباءً يُؤويه ليلا. (يستكشطُ الرِّيحُ ثوبَه): تكشفُ الرِّيحُ ثوبَه وترفعَه عنه، والكَشطُ التجريد، وهو نحوُ الكَشف إلَّا أنَّه يختصُّ بكشفِ ما كان ملتصقاً كالجلدِ ونحوِه، واستعمله هنا للثَّوب إشارةً إلى التصاق الثوبِ بجسده من

شدةِ الرِّيح، وأنَّها تكاد تكشفُ ثوبَه عنه. (وهو بالثَّوبِ مُعصِم): وهو مستمسك بثوبِه قابضٌ عليه بشدَّة، والمُعصِم والمُستعصِم واحد، والاعتصام والاستعصام شدةُ التمسُّك، ومنه قول الحق سبحانه ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[آل عمران: ١٠٣]. (عوى في سواد الليل): صاح الرجلُ السائرُ ليلاً. (اعتسافِه): ضلالِه الطريقَ، والاعتسافُ الأخذ في الطَّريق على غير هداية (لينبح كلبٌ): لأجل أن يسمعَه الكلبُ فيجيبَه بنباحه. (ليفزَع نوَّمُ): ليستيقظ النائمون من الرجال في هذه الليلة لسماعِ صوته، فيستضيفونه ويؤوونه. (مستسمع الصوتُ): الاستسماع مثل السَّماع وأبلغ، وعنى به الكلب، وفيه إشارةٌ إلى تعوُّدِ الكلب سماعَ المستنبحين. (له عند إتيان المُهبِّين مطعَمُ): المُهبُّون الأضياف، لأنَّهم يُهبُّون سامعَهم، أي يوقظونه، ورواية المرزوقي (لهُ معَ إتيان المهبِّين)، وكذا رواها الجاحظ وغيرُه، ومعنى الشَّطر أنَّ هذا الكلب يطعَمُ ويسعَد إذا قدِم الأضياف، لِما يُنحَر لهم، فيصيبُه من طعامهم قدرٌ صالح. (يكلِّمُه من حبِّه وهو أعجَمُ): أي أنَّ هذا الكلب لفرحِه وسرورِه بقدومِ الضَّيف يكاد ينطق له بالكلام نطقا، على عُجمة الكلب المعروفة! وهذا من عادة العربِ في وصفِ نفسِها بالكرَم، تصفُ فرَح الكلب وسرورَه بقدومِ الأضياف، وأنَّ كلابَهم تعوَّدت ذلك فلا تزجر النازلين بها ولا تمنَعُهم.

- **العرض:**

(٤ـ١): **يقول:** ورُبَّ رجلٍ سائرٍ في ليلةٍ مظلمِة، ليلها داجٍ، وريحُها عاتٍ، ونجمُها غائر، قد اشتدَّت به الرِّيحُ فأخذت تصفَع وجهَه، وتكشِف ثوبَه، غيرَ أنَّه مستمسكٌ بثيابِه، معتصِمٌ بمتاعِه، حتى ضَلَّ في طريقِه، وتحيَّر في مسيرِه، وأقبل يصيح ويعوي؛ لعلَّ كلباً يصغي إليه فينبح، أو رجلاً يسمعه فيستيقظ، فما هي إلا هنيهةٌ حتى جاوبُه نباحُ كلبنا، وكان كلبُنا قد تعوَّد سماعَ المستنبحين، ودعاءَ الحائرين، فهو يسعَد بقدوم الأَضياف لما يتهيَّأ له من الطعام، ويأنس بنزول المسافرين فأهله قد تعوَّدوا الإكرام،

فإذا نظرتَ إلى الكلب وقتَ قدوم الأضياف وجدته يهتزُّ فرحا، ورأيته يرقص طربا، ويكاد -على عُجمته- أن ينطق بالكلام للضَّيفِ حُبًّا وسَعدا!

وهذا الوصف حاضِر عند إبراهيم بن هرمة في شِعره، يردده ويستحسنه، ومن ذلك قوله[1]:

ويدلُّ ضيفي في الظلامِ على القِرى	إشــــراقُ نـاري أو نبـــاحُ كلابـي
حـــتىٰ إذا واجـــهنه وعرفـــنه	فدَّيـــنه ببصابـــص الأذنـابِ
وتكـــاد مِن عرفان ما قد عُـوِّدَت	مـن ذاك أن يفحَصـن بالترحـــابِ

(١) انظر: شعر إبراهيم بن هرمة (٧٠)، (٧٣)، والحماسة البصرية (١٣١٠).

(١٨١)

وقال آخَرُ: [من البسيط]

١. أَلَا تَـرَيْـنَ وقـد قَطَّعتِنِي عَـذَلًا ماذا مِنَ البُعدِ بين البُخلِ والـجُـودِ

٢. إِلَّا يكُنْ وَرَقي غَضًّا أَراحُ به لِلْمُعْتَفِيـنَ فـإني لَيِّـنُ العُـودِ

● **الكشف:**

هو بشامة بن الغَدير الذبياني، وتقدمت ترجمته في كشف القطعة الخامسة والأربعين، وهذان بيتان يخاطب فيهما امرأتَه بعدما عذلَته على كثرة إنفاقه، ويقرِّرُ فيها البون الشاسعَ بين البخل والجود، وأنَّ الشحيح الباخل لا يكون كالكريم الباذل، ثم يصف نفسَه بكرم النفس، وسماحة الخُلق، وأنَّ هذه حقيقة الجود، وأنَّ قلةَ مالِه لا تعكِّر عليه.

● **البيان:**

(قطَّعتِني عذَلا): العذلُ اللومُ والمعاتبة، والتقطيعُ هنا مجاز، أي أنَّها أكثرت اللومَ حتى كأنَّها تُقطِّع لحمَه بذلك، وهذا المعنى عند العرب كثير جدا، وهو وصفُهم لومَ المرأة بعلَها على إنفاقه وسخائه، ويتوصَّلون بذلك إلى الفخرِ بالكرَم والجود. (والجود): جرَت العادةُ بالتجوُّز في إطلاق السخاء والجود والكرم على وجه الترادف، وفرَّق بعضُهم فقال إن السخاء لا يختصُّ بالمال بل هو البذل مطلقا، وضدُّه الشحُّ، وأمَّا الجود فمختصٌّ ببذل المقتنى، وضدُّه البخل، وفيه نظَر. (ورَقي غضًّا): الورَق كنايةٌ عن المال، وأصلُه العشبُ الأخضَر الحسَن، فاستُعِير للمال، والورَقُ الغَضُّ كنايةٌ

عن المال الكثير، ومن أمثال العرَب (لا يَعدم خابطٌ ورَقا)[1]، أي أنَّ مَن انتجَع فلن يعدم العشب، ويجعلونه في المال ومعناه: من سأل وطلَب فلن يعدم أن يحصِّل مالا، وهو مذكور في شِعر زهير. (أَراح به للمعتفين): أجودُ به للسائلين، وتقدَّم في القطعة السابعة والستِّين أنَّ العافي هو السائلُ وطالبُ الرِّزق، ومثله المعتفي، فكلاهما اسمُ فاعل. (ليِّن العود): كناية عن سَماحة خُلقِه، وطيبِ نفسِه، ولينِ جانبِه، وتقدَّم نحوه في القطعة الثانية والثلاثين.

- **العرض:**

(**١-٢**): **يقول**: ويحكِ يا امرأة! قد أكثرتِ عليَّ باللوم، وأثقلتِ راحلتي بالعَذل، ولو أنَّك راجعتِ نفسكِ، وحكَّمتِ عقلكِ، ووزنتِ أمركِ؛ لعَرفتِ التفاوتَ بين الإمساك والبَذل، والافتراقَ بين السَّخاء والبخل، وعلمتِ أنِّي اخترتُ خير الأمرين، وأخذتُ بأصوب الرأيين، ولا يضيرني أن يقلَّ مالي بعد هذا، فلئن قصر مالي عن المراد، ونقص عن الحاجة؛ فإنَّ نفسي سمحةٌ مجِيبة، وخُلقي سهلٌ ليِّن، واعلمي أنَّ المال رائح وغاد، وإذا عاد مالي فإنِّي راجعٌ إلى سيرتي الأولى، وماضٍ على معروفي القديم.

---

(١) مجمع الأمثال (٣٦١٦)، وانظر: الأشعار الستة الجاهليَّة (٣٩٤).

(١٨٢)

وقال قيسُ بنُ عاصمٍ: [من الكامل]

١. إنـي امــرُؤٌ لا يَعْتــري خُلُقي دَنَـسٌ يُفَنِّـدُه ولا أَفْـنُ

٢. مِــن مِـنـقَـرٍ فـي بـيـتِ مَـكـرُمـةٍ والفَـرْعُ يَنبُـتُ حولَـه الغُصْـنُ

٣. خُـطَـبـاءُ حيـن يـقـومُ قـائـلُـهُـمْ بيـضُ الوُجـوهِ مَصَاقِـعٌ لُسْـنُ

٤. لا يَـفـطُـنُـون لِـعَـيـبِ جـارِهِـمُ وهُـمُ لـحِـفظِ جِـوارِه فُطْـنُ

• **الكشف:**

هو قيس بن عاصم بن سنان التميميُّ المِنقَري، من بني مِنقَر بن عبيد، مِن سعد بن زيد مناة بن تميم، الصحابيُّ الجليل، والسيِّد الجَواد، والفارسُ الشُّجاع، وتقدَّمت قطعةُ رثائه صدرَ باب المراثي، ونقلنا هناك أنَّه سيد أهل الوبَر، وأنَّه من حلماء العرب وأشرافِهم، رضي الله عنه.

وكانت له مع الحِلم أخبار مذكورة، منها هذه القطعة، فإنَّ الأحنفَ بن قيسٍ لمَّا سُئل: ممَّن تعلمتَ الحِلم؟ قال: من قيس بن عاصِم، ثم روى خبرَ هذه القِطعة، وأنَّه شهِد قيسَ بن عاصمٍ يوماً وكان قاعداً بفناءِ دارِه، محتبياً بحمائلِ سيفِه، يحدِّث قومَه ويفاكههم، فأُتِيَ برجلٍ مكتوف، وآخر مقتول، وقيل له: هذا ابنُ أخيك قد قتل ابنَك!

قال الأحنف: فلا والله ما نقضَ حبوتَه، ولا قطعَ حديثَه، فلمَّا أتمَّه التفت إلى ابن أخيه وقال: يا ابن أخي، بئس ما فعلت! أغضبتَ ربَّك، وقطعتَ رحمَك، وقتلتَ ابن عمِّك. ثم قال لابنٍ له آخر: قم فادفن أخاك، وحُلَّ وثاق ابن عمِّك، وسُق إلى أمِّك مئةَ ناقةٍ ديةً فإنَّها غريبة لعلَّها تسلو عنه! ثم اتَّكأ على شقِّه الأيسر، وأنشأ يقول هذه القِطعة!

وهذا والله حِلمٌ عجيب، وتجلُّدٌ غريب، ولا يكون هذا إلا لمن حباه الله سعةَ الصَّدر، وفضَّلَه بقوةِ التوكُّل، وخصَّه بحذقِ الرأي، وامتنَّ عليه بحسنِ الخُلق، فرضي الله عنه وأرضاه.

- **البيان:**

(لا يعتري خُلقي): لا يُصِيب خُلقي ولا يعرِضُ لمروءتي. (دنَسٌ يفنِّدُه): خبثٌ يشينه، والدنَس الخبَث، والفَنَد السفَه والجَهل، ومنه قول الحق سبحانه على لسان يعقوب: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[يوسف: ٩٤]، أي لو لا أن تنسبوني إلى الجَهل والسفَه والخرَف. (أَفَنُ): حُمق وخرَق، وأصلُ الأَفن استخراجُ اللبن من الضَّرع حتى يخلوَ منه، ثم سمِّي الأحمق مأفونا، لأنَّه يخلو من عقلٍ يحكمُه. (من مِنقَرٍ): من بني مِنقر بن عبيد التميميين. (والفرعُ ينبت حوله الغصنُ): يريد أنَّ من كان أصله طيِّبا فإنَّه يكون طيِّبا، ومن احتفَّت به المكارم فسيكون كريما، وذلك إشارةٌ إلى كرمِ نسَبه وحسَبِه. (بيضُ الوجوه): كنايةٌ عن طيب فعالهم، وحسن أخلاقهم، وتقدَّم غيرَ مرَّة. (مصاقعٌ): جَمعُ مِصقَع، والخطيبُ المِصقعُ: الفصيحُ الذي يضرِبُ بالكلام ويوقعه موقعه. (لُسنُ): جمعُ لسِن، مثل خُشْن وخشِن، واللَّسِنُ المتناهي في الفصاحة والبلاغة. (لا يفطنون لعيبِ جارِهمُ): أي أنَّهم لحسن خُلقِهم وكرمِ نفوسِهم لا يتَّبعون معايبَ جارِهم، ولا يتطلَّبون مشاين صحابِهم، وقوله (لا يفطنون) لطيف حسَن، وهو أبلغ من وصفِهم بتركِ التجسُّسِ والتتبُّع، ومنه قول لقيط بن زرارة (وأنِّي بالفواحشِ أخرَقُ)[1]. (فُطْن): جمعُ فطِن، كما مرَّ قريباً في (لُسن)، والفطِن الحاذقُ النَّبيه.

- **العرض:**

(٤-١): **يقول:** إني رجلٌ لا يصيب أخلاقي ما يدنِّسُها من المعايب، ولا يتسلَّطُ على خصالي ما يَشينُها من المثالب، منزَّهٌ عن الفُحش، بعيدٌ من الخسَّة، مجارٌ من الحُمق،

---

(١) ديوان المعاني (١/ ٨١).

وأنا على حالةٍ واحدةٍ محمودةٍ من حُسن الخُلق، وطيب السريرة، وكرَم النَّفس، ثم إنني مِن بني مِنقَرٍ في بيتٍ من الكرَم معروف، ودارٍ من الخيرِ مشهور، كرُمَ آباؤنا فكرُمنا، وسما جدودنا فسمونا، وكذلك الفرعُ الطيِّبُ لا ينبت من الأغصان إلا طيِّبا، وإنَّ بني مِنقَرٍ خطباء المنابر، وسادات المجالس، وأشراف القبائل، لا يجرُّون على أنفسِهم عارا، ولا يسوقون إلى قومهم خزيا، يحفظون حقَّ الجوار، ويلصقون الدَّار بالدَّار، فما أحقَّهم بما وصفوا به من الكرَم، وما أجدرَهم بما نُسِبوا إليه من الجود.

(١٨٣)

وقال ابْنُ عَنْقاءَ الفَزَارِيُّ: [من الطويل]

١. رآني علىٰ ما بي عُمَيْلةُ فاشتكَىٰ ... إلىٰ مالِه حالي أَسَرَّ كما جَهَرْ

٢. دَعَاني فآساني ولو ضَنَّ لم أَلُمْ ... علىٰ حِينَ لا بَادٍ يُرَجَّىٰ ولا حَضَرْ

٣. فقلتُ له خيرًا وأثنيتُ فِعلَهُ ... وأوْفاكَ ما أَسْدَيْتَ مَن ذَمَّ أو شَكَرْ

٤. غلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالخيرِ مُقْبِلًا ... لـه سِيمِيَاءُ لا تَشُقُّ علىٰ البَصَرْ

٥. كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فوقَ نَحْرِه ... وفي أنفِه الشِّعْرىٰ وفي جيدِه القَمَرْ

٦. إذا قِيلَتِ العَوْراءُ أَغْضَىٰ كأنه ... ذليلٌ بلا ذُلٍّ ولو شاءَ لانتصَرْ

● **الكشف:**

هو أسيد أو قيس بن بجرة الفزاري، من بني لأي بن شمخ بن فزارة بن ذبيان، وعنقاءُ أمُّه نُسِب إليها، كان سيداً شريفا، وشاعراً فصيحا، وكان مخضرماً عاش في الجاهلية دهرا، ثم أدرك الإسلام فأسلم، وهو من المعمِّرين.

وخبرُ هذه القطعة أن ابن عنقاء لما طال به زمانُه، وكبر سنُّه؛ نكبَه الدهر، وضاق به العيش، فخرج عشيةً يتبقَّل لأهله، فمرَّ عليه عُمَيلةُ بن كِلْدة الفَزاري، وكان شابًّا جميلًا قويًّا غنيًّا، فسلَّم عليه وقال: يا عم، ما أصارك إلى ما أرى؟ فقال ابن عنقاء: بخلُ مثلِك بماله، وصونُ وجهي عن مسألة النَّاس، فقال عميلة: أما والله لو بقيت إلى غدٍ لأغيرنَّ من حالك ما أرى.

فرجع ابن عنقاء إلى أهله، فأخبرهم بحديث عميلة، فقالوا له: غرَّك كلامُ غلامٍ جنح ظلام! فكأنَّما ألقموا فاه حجرا، فبات متململاً بين الرَّجاء واليأس، فلمَّا كان السَّحَرُ سَمِع رغاءَ الإبل، وثغاءَ الشاء، وصهيلَ الخيل، ولجَبَ الأموال، فقال: ما

هذا؟ فقيل له: هذا عميلة قد ساق إليك ماله، فخرج له ابن عنقاء، فاستقبله عميلةُ وقاسمَه شطرَ مالِه!

فأنشأ ابن عنقاء يقول هذه الأبيات التي يمتدح فيها عميلةَ، ويذكر جودَه وأخلاقَه وجمالَه ومروءَته، وسارَت هذه الأبيات في النَّاس، وحفظها القاصي والدَّاني، واستشهد العلماء بها في دواوينهم، وذكروا خبرَها في مجاميعهم، فهنيئاً لعميلة سخاءه بالمال الراحل وفوزَه بالذِّكر الخالد!

- **البيان:**

(على ما بي): يعني على ما نزل بي من فاقةٍ وحاجة، وفي إبهامه بقوله (ما بي) حسنٌ ظاهر، وكأنَّ الكلمة تحمل وراءها تباريح من الحُزن والأسى. (عميلة): بن كلدة الفزاري. (فاشتكى إلى ماله حالي): أي أصلح حالي بمالِه، فكأنَّه شكا إلى ماله فأجابه، وهو تعبير بديع. (أسرَّ كما جهَر): أي كان صادقاً فأظهَر التهمُّمَ بحالي، وأسرَّ مثل الذي أظهره، فحمَل همِّي، وأجاب طِلبتي، وهذا فيه ردٌّ على مَن أساء الظنَّ بعميلة من أهل ابن عنقاء، وقولهم: غرك كلام الغلام. (فآساني): جعلني أسوةً له في ماله، وقاسمني، وعطف عليَّ. (ولو ضنَّ لم ألم): ولو بخل بماله لما كنتُ ألومه؛ لكثرة المسكين، وقلة الباذلين. (على حين): يجوز في (حين) الإعراب والبناء، فيُبنَى آخرها على الفتح، أو يُعرَب فيُكسَر بحرفِ الجرّ، والمشهور من الرواية الفتح. (لا بادٍ يُرجَّى ولا حضَر): لا يُرجى بدوي ولا حضري، يريد أنه انقطع طمعُه عن القريب والبعيد، وتقدَّم في القطعة التاسعة والثلاثين سبب التسمية بالبادية والحاضرة، وكان الوجه أن يقول (حاضر) مراعاة لقوله (باد)، ولكنَّه فعل ذلك مراعاةً للوزن. (وأثنيتُ فعلَه): يعني ومدحتُ فعلَه، و(أثنى) يتعدَّى بنفسِه وبالحرف (على). (وأوفاك ما أسديتَ): وجزاك على ما قدَّمت، والإسداء العملُ بالخير خاصةً. (مَن ذمَّ أو شكَر): يريد أنَّ مَن مدحك فقد وفَّى حمدَك على إحسانك، ومن ذمَّك فقد وفَّى مجازاتك على إساءتك.

(غلامٌ): فيه إشارة إلى صِغَر سنِّه، وإن كان كبير الفعال عظيمَ الإحسان. (رماه الله بالخَير مُقبِلاً): أي وضع الله فيه الخير وخصَّه به من صِغَره في إقبال شبابِه، ويروى (يافعاً) أي شاباً غضًّا، وقوله (رماه الله بالخَير) من أساليب العرَب في التَّعبير عن وضع الشيء في النَّفس، فيقولون (رمى) و(ألقى) و(قذف) ونحو ذلك، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[طه: ٣٩]، وقوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب: ٢٦]. (سيمياء): علامةٌ مميِّزة، ووزنه (فِعلياء) فالياء الثانية مَزيدة، والياء الأولى أصلية منقلبة عن واو، مِن السَّوم وهو العلامة، فيُقال (سيما) ويُمَد (سيماء) وتُزاد ياء (سيمياء)، وكلُّها مسموعة، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾[الفتح: ٢٩]، وقوله سبحانه: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣] ، وقوله: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾[آل عمران: ١٤]. (لا تشقُّ على البصَر): لا تُتعِب البصَر بالنظَر إليها وتمييزها، يُريد أنَّها ظاهرة بارزة، وأنَّ العين تلتذ بالنظر إليها. (الثريَّا): النَّجمُ المشهور الذي يُضرَب به المثل في الارتفاع والضياء، وإذا أطلقت العربُ (النجم) فإنَّما تريد الثريَّا. (الشِّعرى): الشِّعرى اليمانية، نجمٌ مضيء علَمٌ بقرب الجوزاء، وكانت بعضُ العرَب تعبده، وهو النَّجم الوحيد الذي ذُكِر اسمه في القرآن صريحا، خلا الشمس والقمر. (العوراء): الكلمة القبيحة. (أغضى): طأطأ رأسَه وتصامَم مترفِّعا؛ وهذا من كرَم خُلقه، كما مرَّ في باب الأدب: (أحبُّ الفتى يَنفي الفواحشَ سمعُه)، وتقدَّم في القطعة السادسة والثمانين أنَّ من غضِّ البصَر ما يكون ممدحةً ومكرمة.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: رآني عميلةُ قد طال فقري، وكبر سنِّي، ووهن عظمي؛ فاهتمَّ لحالي ظاهرا وباطنا، وأخذ يواسيني سرًّا وعلنا، فعطف عليَّ شطرَ ماله، وأراح لي جُلَّ نعَمِه، ولم يشُب فعلَه نفاق، ولم يتخلل عملَه مخاتلة، فأزال فقري، وجبَر كَسري، ولو أنَّه

سعى سعي غيرِه من البخلاء ما كان ليلحقَه منِّي عيب؛ فقد ذهب الكرام، وضُيِّعَت الحقوق، واستوى البادي والحاضر في ترك الوفاء، ومنع المحتاج، فلمَّا رأيتُ كرمَه الفائض، وإحسانَه الزائد؛ شكرتُه على اصطناعِه، وأثنيتُ على فعلِه، ومدحتُه على عمَلِه، وأرجو أنِّي بهذا وفيته حقَّه، فقد وفَّى حمدَك على إحسانك مَن مدحك ، وقد وفَّى مجازاتك على إساءتك مَن ذمَّك.

(٤ـ٦): **يقول**: وعميلةُ غلامٌ واسع المعروف، باذل العطاء، ناشر الخير، كساه الله وجهاً جميلاً وضَّاء، وحباه خُلقاً حسَناً كريما، وزرع في القلوب حبَّه، ووضع في النفوس قبولَه، وحفَّه بالنُّور من كلِّ جانب، فكأنَّ نجم الثريَّا معلَّقٌ بنحرِه، ونجم الشعرى الشِّعرى موضوعٌ على أنفِه، والقمر متلألئٌ في خدِّه، فهو نور على نور، وترى فيه مجانبةً لمسالك الشرَّ والخُبث، ومباعدةً لأسباب الخنا والفُحش، فمتى ذُكِرت عنده فحشاء أطرَق مغضيا، فكأنَّه ذليلٌ لتغابيه، وليس كذلك، إنَّما هو الترفُّع والتكرُّم، ولو يشاء لانتقم لنفسِه، ولكن له من سعةِ الخُلق ما يحول بينه وبين ذلك.

(١٨٤)

وقال العَرَنْدَسُ: [من البسيط]

١. هَيْنُون لَيْنُون أيْسارٌ ذوُو كَرَمٍ سُوَّاسُ مَكْرُمةٍ أبناءُ أيسارِ

٢. إنْ يُسْألوا الخيرَ يُعْطُوه وإنْ خُبِروا في الجَهْد أُدرِكَ منهم طِيبُ أخبارِ

٣. وإنْ تَودَّدْتَهم لانُوا وإنْ شُهِمُوا كَشَّفتَ أذمارَ شَرٍّ غيرَ أشرارِ

٤. فيهم ومنهم يُعَدُّ الخيرُ متَّلِدًا ولا يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ ولا عارِ

٥. لا يَنطقون علىٰ الفحشاءِ إنْ نَطَقوا ولا يُمارُون إنْ مارَوْا بإكثارِ

٦. مَن تَلْقَ منهم تقُلْ لاقَيْتُ سيِّدَهم مثلُ النُّجومِ التي يَسْري بها الساري

● **الكشف:**

الشِّعر لابنِه عبيد بن العرندس العامريِّ الكلابي، من بني أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي، معروفٌ بقصيدتِه هذه، وتُنسَب لأبيه العرندس.

وهذه القطعةُ البديعةُ يمدح فيها بني عمرو الغنويين، نسبةً إلى غَنِيٍّ وهو عمرو بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وكان قد نزل بهم فأكرموه، وأحسنوا ضيافتَه وقِراه، وكان الأصمعيُّ يعجَب لهذه القطعة ويقول: (هذا المحال، كلابيٌّ يمدح غَنويًّا)[1]!

وذلك أنَّ فزارةَ أوقعت مرَّةً ببني أبي بكر بن كلاب، فأدركتْهم غنيٌّ فاستنقذَتهم، ودفعَت عنهم فزارة، ثم لما جاءت الحربُ المشهورة التي تكالبت فيها بنو طيئٍ وبنو عبسٍ على بني غنيٍّ؛ استغاث بنو غنيٍّ بأبي بكر بن كلاب، فلم يُغيثوهم، وقعدوا عنهم ولم يجيبوهم، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين متنافرين.

---

(١) أمالي القالي (١/ ٢٣٩).

ولا يمتنع عندي أن تكون قصيدةُ ابن العرندس هذه قبل فساد الأحوال بين الحيين، ولكنِّي لم أقف على تاريخٍ أرجِّح به ذلك، ولا أظنُّ مثل هذا يخفى على الإمام الأصمعي.

- **البيان:**

(هَيْنون لَيْنون): يصِفُهم بالسهولة والسماحة واللين وكرمِ النَّفس، وكنَّا قد أحلنا في باب الحماسة عند قوله (ولا يجزون من حسنٍ بسيْءٍ) على هذا الموضع، وبيانه: أنه يُقال هيِّن وهَيْن، وليِّن ولَيْن، وسيِّء وسَيْء، وأصلُ هذا كلِّه أنَّه من باب أفعال السَّجايا والجبلَّة، مثل حسُنَ وظرُفَ، لكنَّه لما جاء يائيَّ العينِ استثقلَته العرب، فلم تجعله على (فَعُل) وإنما على (فَعَل)، فيقولون: هان ولان وساء، ثمَّ أبقَوا فيه أمارةً من أمارات باب (حسُن) وهي بناؤه على وزن (فَيعَل)، فقالوا: هيِّن وليِّن وسيِّء، فيكون (فَيعَل) لأفعال السجايا يائيةِ العين مثلَ (فَعِيل) لغيرِها من أفعال السجايا أمثال ظرُف وشرُف، ثم أجازوا تخفيفَ الياء فقالوا: هَيْن ولَيْن ونحو ذلك، فهذا بيانه، وقال أبو عبدالله البخاريُّ في صحيحِه: (هيِّن وهَيْن، مثل: ليِّن ولَيْن، وميِّت ومَيْت، وضيِّق وضَيْق)[1]، وقيل إنَّ العرب تمدح بالمخفَّفة وتذمُّ بالمثقَّلة. (أيسارٌ): جمعُ يسَر، وهم الذين يجتمعون فيُجِيلون القداحَ على الميسِر أيامَ الجدب والقحط، والميسِرُ الجزور، ثم يفرِّقون ذلك في الفقراء والمساكين، واليسَر جمعُ ياسِر. (سُوَّاسُ مكرمةٍ): السوَّاسُ جمعُ سائس، يعني أنَّهم يروِّضُون المكارمَ ويَلوون عنانها عليهم. (أبناءُ أيسار): يصفُهم بكرامة النسَب والحسَب كذلك، وتقدَّم اليسَر قريبا، وكانت العربُ تفخر بذلك وتمدح به؛ لما فيه من الكرَم، وتذمُّ تركَ ذلك وتهجو به؛ لما فيه من البخل، وتسمِّي الرجل الذي لا يدخل معهم في الميسِر (بَرَما). (في الجَهد): في أوقات الشدائد والبلاء، وأصل الجَهد التَّعب والمشقَّة. (تودَّدتهم): أتيتهم بلطف تقصِد ودَّهم. (شُهِموا): طُلِبت شهامتهم، وذلك بتهييجهم وإغضابهم وإيذائهم. (أذمار شرٍّ): شجعان حَرب، والأذمار جمعُ ذِمر وهو

---

(١) رواه البخاري معلَّقا قبل حديث (٣١٩٠).

الشُّجاع الشَّديد، وتأمَّل القرن في المدح بين الشجاعة والكرم، فقد تقدَّم كثيرا. (غير أشرار): أي أنَّهم ليسوا بأشرارٍ في أنفسِهم، ولكنَّهم إن جُذِبوا إلى الشرِّ قاموا بحقِّه، والأشرار جمعُ شرِّير على غير قياس. (متَّلدا): قديما موروثا، وتقدَّم في القطعة السابعة أنَّ التلاد والتليد والتالد المالُ القديم. (نثا خزيٍ): خبرُ قبحٍ ومسبَّة، وتقدَّم آخر باب المراثي أن النثا الكلامُ الظاهر المُعلَن خيراً أو شرًّا. (يُمارون): يُجادِلون ويلاجون، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ﴾[القمر: ٣٦].

- **العرض:**

(١-٣): يقول: إنَّهم قومٌ معروفون بسجاحة الخُلق، وسهولة الطَّبع، وسماحة النَّفس، موقَّرون في مجالسِهم، متكرِّمون في عاداتهم، يعطفون على الفقراء زمنَ الجدب، ويسدُّون خَلة المحتاج وقتَ الفاقة، ويجيلون القداحَ بينهم للإطعام، لا يتقاعدون عن حقوق البذل، ولا يتصاممون عن واجب الإحسان، إن سئلوا كانوا إلى العطاء سبَّاقين، وإن جُرِّبوا كانوا على الجَهدِ صابرين، يحملون التكاليف، ويقضون الحوائج، ويفيضون المعروف، وإذا تقربتَ إليهم بلطفٍ ومودَّةٍ استقبلوك برحبِ الصُّدور، وطيب الخلائق، وإن أوذوا وأُغضِبوا قاموا بحقوقِهم، وكشروا عن أنيابِهم، وكسروا عين عدوِّهم، وليس ذلك من خبثِ نفوسِهم، فإنَّها كريمة طيبة، ولكنهم أريدوا على الضَّيم فما قبلوا، ودُعُوا إلى ساحةِ الحرب فلبَّوا.

(٤-٦): يقول: والخيرُ يصدر عنهم، ويؤخَذ منهم، وهو معدودٌ في خصالهم من قديم، ومذكورٌ في أخبارهم منذ زمن، ولا يُعَدُّ في أفعالهم ما يشين، ولا يُعرَف عنهم ما يقبُح، متجنِّبون للفحشاء، متنزِّهون عن الرِّيَب، بعيدون من الخصومة، مُعرِضون عن الجدَل، قولهم فَصْل، وكلامهم عدْل، والشرفُ عامٌّ فيهم، والسيادة تُنمى إليهم، فإذا رأيتَ رجلاً منهم قلتَ: لقيتُ سيدَ القوم، لما هم عليه من سيما الرِّياسة، وأمارة العزِّ، وهم في النَّاس كالنجومِ النيِّرة في السَّماء، يهتدي بها السابلةُ والمارَّة، وينظر إليها الرائح والغادي.

(١٨٥)

وقال أبو الطَّمَحَانِ: [من الطويل]

١. إذا قِيلَ أيُّ الناس خيرٌ قبيلةً ... وأصبَرُ يومًا لا تَوَارَىٰ كواكِبُهْ

٢. فإنَّ بني لَأْمِ بنِ عَمْرٍو أَرُومةٌ ... سَمَتْ فوقَ صَعْبٍ لا تُرامُ مَرَاقِبُهْ

٣. أضاءَتْ لهم أحسابُهم ووُجوهُهُمْ ... دُجَىٰ الليلِ حتىٰ نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ

• **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة السابعة والثلاثين ومئة، وهذه الأبياتُ يمدَح فيها بني لأمِ بن عمرو بن طريفٍ الطائيين، وهم من بني جدعاء الذين نزَل فيهم امرؤ القيس بن حجر في رحلتِه فمدحَهم، فهم مشهورون بالكرَم، والبيتُ الثالث من هذه القطعة مشهور سيَّار، يستشهد به الأئمة في أبوابٍ كثيرة، وكان دعبل الخزاعي يقول: (إنه أمدحُ بيتٍ قالته العرب)[1]!

• **البيان:**

(وأصبَرُ يوما): يريد ساعةَ الحربِ واللقاء. (لا توارى كواكبُه): يصِف طولَ يوم الحرب، وأنَّ كواكبَه ترى في نهارِه لطولِه وإظلامِه، وهذه زيادةٌ في مدحِ الصابرين بذلك اليوم، وأصل هذا المثل من يوم حليمة، نسبةً إلى حليمة بنت الحارث بن جبلة الغسانية، وهو يومٌ مشهور جدا بين المناذرة والغساسنة، بل هو أشهر أيام العرب الذي تُضرَب به الأمثال، وقيل إنَّ عين الشمسِ سُدَّت في ذلك اليوم بغبار المعركة، فرئيت الكواكب ظهرا، فمِن هنا صاروا يقولون في الوعيد: (لأرينَّك الكواكب ظهرا)! وقال

(١) انظر: ديوان المعاني (١/ ٢٢)، والعمدة لابن رشيق (٢/ ١٣٩).

طرفة: (وتُريه النجمَ يجري بالظُّهُر)، ومن أمثال العرب (ما يوم حليمة بسر)[1]. (بني لأم بن عمرو): بن طريف الطائيين. (أرومةٌ): أصلٌ ثابت. (سمَت فوق صعبٍ): صعِدَت فوق مركبٍ صعب الركوب أو جبلٍ صعب الطلوع، يريد أنَّها بلغَت من العزِّ مبلغاً عاليا. (لا تُرام مراقبُه): كذا ذكره أبو مالك، وهو عند المرزوقي والتبريزي والأعلم (لا تُنال مراقبُه)، والمعنى واحد، والمَراقب جمعُ مَرقب، وهو الموضعُ المُشرِف الذي يُحرَس منه المكان ويُنظَر فيه إلى العدو، ويريد أنَّهم بلغوا ما لا يُستطاع من مراتب الشرَف. (أضاءَت لهم أحسابُهم ووجوهُهم دجى الليل): الحسَب الفعال الكريمة، ويأتي في باب المدح، وبياض الوجوه كنايةٌ عن شرفِ النفوس وطيب الفعال، يريد أنَّهم كذلك، وأنَّهم بلغوا من إشراق الوجه ما يضيء حالكَ الليل! (حتى نظَّم الجزعَ ثاقبُه): الجَزع الخرَز والفصوص، والضَّمير عائد على الأحساب، أي الثاقبُ المضيءُ من هذه الأحساب، يريد أنَّ أحسابَهم مشهورة، ووجوههم منيرة، وهي -لشدَّة ضوئها- لو أرادوا ثقبَ الخرزِ بضوئها ونظمِه في سلكٍ من الدرِّ لاستطاعوا!

- **العرض:**

(١-٣): **يقول:** لو سُئل الناس جميعا فقيل لهم: مَن ترون خير القبائل أصلا؟ وأحسنها سلفا؟ وأكرمها أمَّا وأبا؟ وأصبَر يوماً ومشهَدا تُرى كواكبُه ظهرا؟ لأجابوك بقولهم: بنو لأم بن عمروٍ الطائيين أحقُّ الناس بذلك! فلهم منصبٌ رفيع، وشرَفٌ باذخ، وعزٌّ لا تُدرَك مَدارجُه، ومجدٌ لا تُنال مَطالعُه، فعالهم حسَنة، ووجوههم مشرقة، وأنسابهم كريمة، وأحسابهم فاضلة، ولقد أضاءت لهم أحسابُهم ووجوهُهم لشهرتِها وعزَّتِها، حتى لو أريد ثقبُ الدرِّ بضوئها، ونَظمُه في عقدٍ لكان ذلك!

وهذا البيتُ الأخير، وإن عدَّه قومٌ أمدحَ بيتٍ عند العرب، فقد اعترض عليه جماعةٌ من العلماء، وجعلوه من التكلُّف في المدح، والإغراق في الوَصف، والغلوِّ

---

(١) انظر: مجمع الأمثال (١٥٥٧)، (٢٦٠٦)، (٣٨١٤).

في الكلام، مثل ابن قتيبة، وأبي هلال وأبي أحمد العسكريين، والمبرد، وابن طباطبا، وغيرهم[1]، لأنَّ الوصف بإضاءة الوجه وإشراقه مشهور لطيف، أمَّا زيادتُه إلى تثقيب الجَزع وتنظيم الدرِّ ففيه ما فيه.

(١) انظر: الشعر والشعراء (٢/ ٨٢٠)، والصناعتين (٣٦٠)، والكامل (٣/ ٩٦)، والمصون (٥٨)، وعيار الشعر (٧٨).

(١٨٦)

وقال شُقْرانُ مَوْلَىٰ سَلَامانَ: [من الطويل]

١. لو كنتُ مولىٰ قَيْسِ عَيْلانَ لم تجِدْ عليَّ لإنسانٍ مِنَ الناسِ دِرْهَمَا

٢. ولكِنَّني مَوْلىٰ قُضاعةَ كُلِّها فلَسْتُ أبالي أنْ أدِينَ وتَغْرَمَا

٣. أولئك قَوْمي بارَكَ اللهُ فيهِمُ علىٰ كلِّ حالٍ ما أعَفَّ وأكْرَمَا

٤. ثِقالُ الجِفانِ والحُلومِ رَحَاهمُ رَحَىٰ الماءِ يَكْتالون كَيْلًا غَذَمْذَمَا

٥. جُفاةُ المَحَزِّ لا يُصِيبُون مَفْصِلًا ولا يأكُلون اللَّحْمَ إلا تَخَذُّمَا

• **الكشف:**

هو شقران القضاعيُّ السلامانيُّ ولاءً، مولى بني سلامان بن سعد هذيم بن زيد القضاعيين، شاعر أموي مكثِر من مدح الخلفاء، وكانت بينه وبين ابن ميادة مهاجاة معروفة، وابنُ ميادة -على قبح لسانه، وشناعة هجائه- كان يتجنَّب شقران، وكان شقران كثيرَ الفخر بقضاعة.

وهذه القطعة يمدح فيها بني قضاعة، ويصفهم بالكرم والشرَف، ويعرِّضُ في أولها بقيس عيلان لِما كان بينه وبين ابن ميادة القيسيِّ الغطفاني الذبياني.

• **البيان:**

(مولى): تقدَّم في القطعة السادسة والعشرين أنَّ المولى له معان، وهو هنا بمعنى المعتَق، والشَّاعر من موالي قضاعة أي من عتقائهم، فهو ينتسِب إليهم بالولاء. (قيس عيلان): بن مضَر، وإنَّما عرَّض بهم لما بينه وبين ابن ميَّادة. (لم تجد عليَّ): يعني لما كنتُ اقترضتُ واستدنتُ، فقد لا أجد من يعينني على الوفاء بديني، ولما كنت أنفقتُ

وبذلتُ، أسوةً بقومي القيسيين الذين لم يتعودوا البذل. (مولى قضاعة): تقدَّم في فصل النسَب أول الكتاب الإشارة إلى الخلاف العريض في نسَب قضاعة، ألِعدنان هم أم إلى قحطان؟ ولا أرجِّح مَن ذلك شيئا، وإنَّما ذكرتُهم هناك بما نسَبهم غيرُ واحد كابن إسحاق والكلبي وغيرهما، مقلِّداً لا مجتهدا، والله أعلم بالصَّواب. (فلستُ أبالي أن أدين وتغرما): فلا أبالي أن أقترض وأستدين، وتغرَم قبيلتي بذلك، لأنَّهم قوم أوفياء أغنياء، يتحمَّلون التكاليف والأعباء. (أولئك قومي): الإشارة إلى قضاعة. (بارك الله فيهم): قد يُراد به الإخبار، وأنَّ الله زادَهم ونمَّا أموالَهم، أو يراد به الدعاء لهم بذلك. (على كلِّ حالٍ ما أعفَّ وأكرما): أي ما أعفَّهم وما أكرمَهم حال الإعسار والإيسار! (ثِقال الجِفان): الجِفان جمع جَفنة، وتقدَّم أنَّ الجَفنةَ آنيةُ الطعام الضخمة، وهي أكبر من القَصعة، وهذا وصفٌ لهم بسعة الكرم وكثرة الإطعام. (والحلوم): العقول، أي وهم ثِقال العقول كذلك، يريد أنَّ عقولَهم راجحة تامَّة، ويُقال في ضدِّه (خفيف العقل) لمن سفِه نفسَه. (رحاهم رحى الماء): تقدَّم أنَّ الرَّحى آلةٌ لها حجران يُطحَن بها، ورحى الماء أعظَمُ صنعاً وأشدُّ طحناً من رحى اليد، يريد أنَّهم لكثرة غاشيتِهم والنازلين بهم لا يكتفون برحى اليد، ولا يقوم بحاجتِهم إلا رحى الماء، وهذا مثَلٌ ضربَه لتوسُّعِهم في الإنفاق والإطعام. (يكتالون كيلاً غذمذما): الغَذمذم الجُزافُ الذي لا يُحسَب وإنَّما يؤخَذ على كثرتِه، يعني أنَّهم لا يعدُّون من الطَّعامِ مكيلا وإنَّما يعدَّونه جزافاً لجودِهم. (جفاةُ المحزِّ لا يصيبون مفصلاً): الجافي البعيد، والمحزُّ مِن المفصل: موضعُ القطع من العظم، ويريد أنَّهم سادةٌ مكفيُّون، لهم من يقطع لهم ويخدمهم، فإن باشروا القطعَ بأنفسِهم لم يحسنوا إصابةَ المفصِل وإنَّما يقطَعون اللَّحم من غير موضعِه. (ولا يأكلون اللَّحم إلا تخذُّما): يصفِهم بقلة الشراهةِ في الأكل، وأنَّهم إن راموا قطعَه باشروا ذلك بالسكاكين، وإن راموا أكلَه تناولوه باليد شيئاً فشيئا، وأصل الخَذم القطع، والتخذُّم قطعُه برفقٍ شيئاً بعد شيء، وهذا من حُسن أدَبِهم في الأكل.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: لو كان ولائي في قيس عيلان لامتنعتُ عن اقتراض المال، وتركتُ استباقَ المكارم، وابتعدتُ من الإنفاق والسَّخاء، فلا أحمِّل صدري ثقلا، ولا أزيد قلبي عبئا، ولقعَدتُ عن المكرمات خاليَ البال، مرتاحَ النَّفس، ولكن ولائي في قضاعة كلها، فلذلك أتوسَّعُ في أخذ القروض، وأستبقُ طريقَ المكارم، وأتعوَّدُ الإنفاق والسَّخاء، ثقةً بأنَّ قضاعة تتحمَّل عنِّي ما أحمله، وتزيدني فيما أفعلُه، وتعينني على ما أبتغيه، فلا أبالي في أيِّ وجوهِ البرِّ صرفتُ مالي وأنفقتُه.

(٣-٥): يقول: أولئك قومي مِن قضاعة طيَّب الله أحوالَهم، ونمَّا أموالَهم، وأصلح بالَهم، فلا فرقَ في أخلاقِهم بين حال العسر واليسر، ولا نقصَ في جودِهم بين حال الشدَّة والرَّخاء، فقد تمَّت عفتُهم، واتَّسَع كرَمُهم، قدورُهم عظيمةٌ للضيف، وأوانيهم ثقيلةٌ للزائر، وعقولهم راجحة، وخلائقهم واضحة، لا يُطغِيهم الغنى، ولا يُنسيهم الفقر، وإذا نزل بهم الأضياف وجدتَهم يطحنون برحى الماء، لما يطبخونه من الزَّاد الكثير، ولما يُطعِمون من العدد الغفير، ويكتالون اكتيالاً واسعا لا تضييقَ فيه، ثمَّ إذا حضروا تقسيمَ اللَّحم سبقَهم خدَّامُهم، وحضرَهم حشَمُهم، فهم سادة كرام، وأعزة أشراف، وإذا قسَّموا اللحمَ بأنفسِهم أخطؤوا المفصل، ولم يأتوا على وجه القطع، فإنَّهم لم يتعوَّدوا ذلك، وإذا رأيتَهم يأكلون أعجبك أدبُهم، وزان في نفسِك خُلقُهم، يقطعون اللَّحم بالسَّكاكين، ثم يتناوله شيئاً فشيئاً بالأيدي، من غيرِ شراهةٍ ولا نهَم.

(١٨٧)

وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحيُّ: [من الكامل]

١. إنَّ البُيوتَ مَعادِنٌ فنِجَارُهُ ذهَبٌ وكُلُّ بُيوتِه ضَخْمُ

٢. عُقِمَ النساءُ فما يَلِدْنَ شَبيهَهُ إنَّ النساءَ بمِثلِه عُقْمُ

٣. مُتهلِّلٌ بـ«نَعَمْ»، بـ«لا» مُتباعِدٌ سِيَّانِ منه الوَفْرُ والعُدْمُ

٤. نَزْرُ الكلامِ مِنَ الحياءِ تَخالُه ضَمِنًا وليس بجِسْمِه سُقْمُ

• **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة الرابعة والخمسين ومئة، وهذه الأبيات يمدح فيها الأزرق الهبرزي، وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد القرشيُّ المخزومي، وليَ إمارةَ اليمَن في عهد ابن الزبير رضي الله عنهما، فيصفه أبو دهبلٍ بالكرَم والجود، ويذكر خالصَ نسَبِه وشريفَ حسَبِه وحسَن خُلقِه.

وقد ذكر هذه الأبيات بعضُ مَن صنَّف في مدح النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم، فظنَّه قومٌ المقصودَ بها، وليس كذلك، هذا القول في خبر هذه الأبيات، وإلَّا فإنَّ مقامَ خير الخلق لا يفي بمدحِه ما تضمَّنته الحماساتُ كلُّها!

وأنت ترى أنَّ كثيراً مما سبق في باب الأضياف يشترك مع باب المدح، لكن لَمَّا اختصَّ بذكرِ الكرَم ألحقه أبو تمام بهذا الباب، وإذا ما بحثتَ عن هذه القطعة وما يشبهها في شرح الأعلم الشنتمري فلن تجدَها إلا في باب المديح!

ولا تعتمِدْ على تصنيف الأعلم كذلك، فإنَّه أدخل أبياتَ حاتمِ الآتية (وعاذلةٍ هبت بليلٍ تلومني) بابَ المديح! وما ألصقَها بباب الأضياف، بل لا تصلح إلا له، ورأيتُ أجودَ من يراعي المعاني في التصنيف والترتيب صدرَ الدِّين البصريَّ في حماستِه.

• **البيان:**

(البيوت معادن): أي أنَّ القبائل في تفاضلِها كالمعادن في تفاضلها، وهو مأخوذٌ من قول النبي صلى الله عليه وسلَّم (الناس معادن)[1]. (فنجارُه ذهبٌ): أصلُه مِن ذهب، والضَّمير عائدٌ على الممدوح، وهو الأزرق الهبرزي، يمدحه بطيبِ النسَب. (وكلُّ بيوتِه ضَخمُ): وبيوت أعمامِه وأخواله كذلك عظيمةُ الشأن، وهذا كما مرَّ آخر القطعة السادسة والخمسين. (عُقِم النِّساء فما يلدن شبيهه): أصل العَقم المَنع، واستُعمِل لامتناع ولادةِ المرأة، لأنَّ رحِمها يكون ممتنعَ الإنجاب، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾[الشورى: ٥٠]، ولم يُرِد عقهمنَّ عن الإنجاب مطلقا، وإنَّما عن إنجابِ مثلِ الممدوح، وهذا الكلام دارج مشهور في المدح. (إنَّ النساء بمثله عقمُ): عُقم جمعُ عقيم، صفةٌ للمرأة، وخلَت من تاء التأنيث لأنَّه وصفٌ لا يشترك فيه الرَّجل، فيكون كطالق وحائض، وكرَّر المعنى في هذا الشَّطر وأضاف عليه المؤكدات تنبيهاً على صدقِه وحقيقتِه. (متهلِّل بنعم): يريد أنَّه يتبسَّط لمن يكلمه، ويجيب مَن يدعوه، ويتهلَّل وجهُه، فلا تسمع منه إلا لفظ (نعم). (بلا متباعدٌ): يتباعَد أن يمنع سائله ويقولَ له: لا، وقيل في معناه: إنَّه يتباعَد عن مواطن الذلِّ ومنازل الهوان بقوله: لا، والأول أقرب. (سيَّان): مثلان متساويان، مثنى (سِيّ) أي مثل، ولا يُقال (الأمر سيَّان)، بل (الأمران سيَّان)؛ ليطابق المبتدأ الخبَر في التثنية. (الوَفرُ): الغِنى والمال الكثير. (والعُدم): الفقر وقلة ذات اليد. (نزرُ الكلامِ من الحياء): قليلُ الكلام من أجل حيائه، لا لعجزٍ أو خوف. (تخاله ضمِناً): تحسبه مريضاً، والضَّمِن كالزَّمِن وزناً ومعنى، وهو المريض الذي علتْه صفرة وضعف.

• **العرض:**

(٤ـ١): **يقول:** إن بيوتَ الناس مختلفة المنزلة، وقبائلهم متفاوتة القدَر، تتفاضل

---

(١) رواه البخاري (٣٣٨٣)، ومسلم (٢٦٣٧).

تفاضلَ المعادن، وأصلُ هذا الرُّجل خير الأصول، معدنه ذهَبٌ خالص، ونسَبه عزيزٌ شريف، وحسَبه ماجدٌ كريم، قد جمع المجد من طرفيه، واكتنفَه من جهة أبويه، فهو كريمُ الخال والعمِّ، ولا شبيهَ له من النَّاسِ في فضلِه، ولا مثيلَ له في كرمِه، ولقد مُنِعت النساءُ أن يأتين بمثله فعقِمن! وهو طليقُ الوَجه، واسعُ الفناء، لا يسمَع سائلُه منه إلا (نعم)، ولا يجيب داعيه إلا بـ(أبشِر)، ولا تكاد تسمَع منه (لا)، وهو كريمٌ على كلِّ حال، باذلٌ في اليُسر والعُسر، منفِقٌ في الغِنى والفَقر، إذا جلس مجلساً رأيتَه قليلَ الكلامِ لحيائه، لا من عجزٍ أو خوف، ولغلَبة حيائه عليه تخاله مريضاً لما بلونه مِن الصُّفرة، وبطرفِه من الإطراق، وليس به مرضٌ إنَّما ذلك الحياء وحُسن الخُلق.

(١٨٨)

وقالت ليلىٰ الأَخْيَلِيَّةُ: [من الكامل]

١. يا أيُّها السَّدِمُ المُلَوِّي رأسَه ... لِيَقُودَ مِن أهلِ الحِجازِ بَرِيمَا

٢. أتُريدُ عمْرَو بْنَ الخَلِيعِ ودُونَه ... كَعْبٌ، إذَنْ لوجَدْتَه مَرْؤُومَا

٣. إنَّ الخليعَ ورَهْطَه في عامرٍ ... كالقلبِ أُلْبِسَ جُؤجُؤًا وحَزِيمَا

٤. لا تَغْزُوَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ ... لا ظالِمًا أبدًا ولا مظلومًا

٥. قومٌ رِباطُ الخيلِ وَسْطَ بُيُوتِهم ... وأسِنَّةٌ زُرْقٌ يُخَلْنَ نُجُومَا

٦. ومُخَرَّقٌ عنه القَمِيصُ تَخالُهُ ... وَسْطَ البُيُوتِ مِنَ الحياءِ سَقِيمَا

٧. حتىٰ إذا رُفِعَ اللِّواءُ رأيتَه ... تحتَ اللِّواءِ علىٰ الخَميسِ زَعِيمَا

● الكشف:

تقدمت ترجمتها في بيان القطعة الحادية والخمسين ومئة، وكانت لها فصاحةٌ وذلاقة، وفيها جرأةٌ وقوة، وهي أشعَر النِّساء بعد الخنساء، وذكر ابن المزرِّع في أماليه بإسناده أن بعض أشراف العرَب من قريشٍ اجتمعوا في مجلسٍ على تقديمِ الأخيلية على الخنساء في الفصاحة[1]!

وهي تمدح بهذه الأبيات قومَها، وتذكر عزَّتَهم ومنعَتَهم في بني عامر بن صعصعة، وتصف قوتَهم وصبرهم ورباطَهم، وأنَّهم لن يدخلوا تحت بيعة ابن الزبير رضي الله عنهما.

ولا يتحصَّل فَهم هذه الأبيات على وجهها إلَّا بمعرفةِ الأنساب المذكورة، وبيان ذلك أن بني عقيل بن كعب مِن أعظم فروع عامر بن صعصعة، ومِن أبناء عقيلٍ:

---

(١) الأمالي لابن المزرع (٦٣).

ربيعة، وأبناؤه (الخلعاء) لأنَّهم خلعوا طاعةِ الملوك فلم يدينوا في الجاهلية لأحد، ومن هؤلاء (الخلعاء): عويمر بن ربيعة، ومنه: آل مطرِّف.

وهذه القطعةُ إلى الحماسة أو المدح أقرب منها إلى الأضياف، بل لا صلةَ لها بباب الأضياف، وأظنُّ أبا تمامٍ أدرجها في باب الأضياف استطراداً بعدما ذكر قول أبي دهبلٍ: (تخاله ضمِناً وليس بجسمِه سقمُ) في القطعة قبلها، فإنَّه مثل قول ليلى هنا: (تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما)، فجرَّه ذلك إلى إيراد هذه القطعة في باب الأضياف.

- **البيان:**

(السَّدِم): الفحل العظيم الهائجُ، وقيل: الحزين النادم، والأول أقرب، لأنَّها تعرِّض في هذه القطعة بابن الزبير رضي الله عنهما حين مبايعته بالخلافة، وتذكر أنَّهم لن ينقادوا له. (الملوِّي رأسَه): الذي يعطِف رأسَه كِبراً وتجبُّرا، وتريد وصفَه بالقوةِ والمعاندة. (ليقود من أهل الحجاز بريما): ليسوق من الحجازيين جيشاً خليطاً عظيما، لأنَّ ابن الزبير كان بمكة، والبَريمُ الخليط، وأصلُه خيطٌ يُفتَل من خيطين أبيض وأسود، فقيل للجيش العظيم المختلط (بريم) لاختلاطه بأهله، ويُسمَّى أول الصبح كذلك (بريما) لاختلاطِ بياضِه بسواد الليل، وكأنَّها أرادت أنَّه جيشٌ مِن أخلاط النَّاس وأوباشهم. (عمرو بن الخليع): العامري العقيلي. (ودونه كعب): ويحميه قومه من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. (مرؤوما): معطوفاً عليه، محروساً منك. (كالقلب أُلبس جؤجؤاً وحزيما): الجؤجؤ الصَّدر، والحزيمُ والمحزِمُ موضعُ الحِزام من الصَّدر، تريد أنَّ مكان الخليعِ مِن بني عامرٍ كمكان القلبِ مِن الصَّدر وعظامِه، فهو محميٌّ مُحاط، والعامة اليوم تقول للصديق المناصر (محزم)، فهذا استعمال فصيح الأصل. (لا تغزون الدهرَ آل مطرفٍ): لا تحمِل جيشَك على غزوِ آل مطرفٍ أبدَ الدَّهر؛ فإنَّك لن تستطيعهم، وآل مطرِّف من الخلعاء العامريين. (لا ظالماً أبداً ولا مظلوما): هذا إمعانٌ منها في تهديدِه عن غزوِهم علىٰ كلِّ حال، وتأكيدٌ لما سبقَ في الشطر قبله.

(رباط الخيول وسط بيوتهم): إشارةٌ إلى توفُّرهم عليها، وحضورها عندَهم، فهم قومٌ تعوَّدوا الغزوَ والإغارة. (وأسنةٌ زرقٌ): ورماحٌ مسنَّنةٌ محدَّدة، وقوله (زرق) إشارة إلى صفائها وحدَّتِها. (يُخلن نجوما): كأنَّ أسلحتَهم نجومُ السَّماء؛ لضوئها وسناها، وتقدَّم في القطعة الثالثة عشرة نحو هذا المعنى. (ومخرَّقٌ عنه القميص): تقدَّم هذا المعنى بشواهده في القطعة الثانية ومئة، وأنَّ العربَ تمدح الرَّجل بأنَّه لا يُبالي كيف كانت ثيابُه، فليس ذلك همَّه، وإنَّما همُّه أن يزين حسَبه، ويصون شرفَه، ويرفع مجدَه، ولم تعنِ هنا رجلاً بعينِه، بل أرادت صدقَ هذا الوصفِ على كلِّ رجلٍ من قومِها. (تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما): تقدَّم في القطعة قبلها، وقال أبو هلال (هذا أجود ما قيل في الحياء)[1]! (رُفِع اللواء): بدأت الحرب، ولواءُ الحرب رايتُه التي يَعقدُها الأمير، ورفعُها إيذانٌ بابتداء الحَرب. (على الخميسِ زعيما): على الجيش أميرا وسيِّدا.

- **العرض:**

(١ـ٣): تقول: يا أيُّها القويُّ الهائجُ الذي يلوي رأسه كِبرا ويعطِف عنقَه فخرا، ويرى أنَّه سيقود جيشاً من الحجازيين يجتمع فيه أخلاط الناس وأوباشُهم: أتزعم أنَّك تقصِد عمرو بن الخليع بها جمعتَه من الجموع، وتريد غزوَه بما حشدته من الجيوش، ونسيتَ أنَّ من دونه بني كعب بن ربيعة! فوالله لا تجده فينا إلا منصوراً محميًّا، ولا يكون منك إلا ممنوعاً مكفيًّا، أما علمتَ أن الخليع وعشيرتَه من بني عامرٍ بمكان القلبِ من النَّفس، وبمنزلة الصَّدرِ من الفؤاد!

(٤ـ٧): تقول: لا تفكِّر بغزوِ آل مطرِّف ما حييت، ولا ترقَّب الغارةَ عليهم ما عشت، ولا تطمَع فيهم على أيِّ حال، لا ثائراً ناقما، ولا مبتدئاً ظالما، فإنَّك سترجع على عقبِك، وستُكَبُّ على وجهك، ولن تطيق قوماً همُّهم الغزو، مرابط الخيل وسط بيوتهم

---

(١) ديوان المعاني (١/ ١٣٨).

فهم يضمِّرونها ويعدُّونَها، وآلات السِّلاح بين أياديهم فهم يهيِّئونَها ويحدِّونَها، فكلُّ واحدٍ منهم مركوبُه صنيع، وسِنان رمحِه سَنين، ونفسُه مبتذلةٌ فيما يحصِّل به الشرَف ويعود عليه بالمجد، لا يهمُّه مطعومٌ ولا ملبوس، وتراه لفرطِ حيائه وكرمِ نفسِه تعلوه صفرةٌ فكأنَّه سقيم، وما ذاك إلا لحُسن خُلقِه فهو قليل الكلام، ليِّن الجانب، عفيف اللِّسان، فأمَّا إذا نُصِب لواء الجيش لطلبِ وِتر أو سدِّ ثَغر رأيتَه سيدَ القومِ وزعيمَهم، وأبصرتَه فارسَ الجيش وحاميهم.

(١٨٩)

وقال العُجَيْرُ السَّلُولِيُّ: [من الطويل]

١. إنَّ ابـنَ عَـمِّي لَابْـنُ زَيـدٍ وإنَّـه لَبَـلَّالُ أيـدي جِلَّـةِ الشَّـوْلِ بالـدَّمِ

٢. طَلُوعُ الثَّنايا بالمَطايا وسابِقٌ إلـىٰ غايـةٍ مَـن يَبْتَدِرْهـا يُقَـدَّمِ

٣. مِنَ النَّفَرِ المُدْلِينَ في كُلِّ حُجَّةٍ بمُسْتَحْصِدٍ في جَوْلَةِ الرَّأيِ مُحْكَمِ

٤. جَـدِيـرُون ألَّا يَـذْكُـروك بِرِيبـةٍ ولا يُغْرِمُـوكَ الدَّهْـرَ مـا لـم تَغَـرَّمِ

- **الكشف:**

تقدَّمت ترجمته في القطعة الثامنة والثمانين، وتقدَّم هنالك خبرُ ابنِ عمِّه جابر بن زيد، وتلك القطعة يرثيه بها، أمَّا هذه القطعة ففي حياتِه يمدحَه بها، ويُثنِي عليه فيها.

- **البيان:**

(إنَّ ابن عمي لابنُ زيد): يفخر بأنَّ ابن عمِّه جابر بن زيد، لِمَا كان عليه جابرُ من الكرَم والسَّخاء، واكتفى بنسبته إلى أبيه لاشتهارِه ومكانتِه. (لبلَّالُ أيدي جِلَّة الشولِ بالدمِ): البلَّالُ صيغةُ تكثيرٍ من البالِّ، اسمُ فاعل من البَلِّ وهو في السائلات نحو الرشِّ والصبِّ، والجِلَّةُ الناقةُ المسِنَّة العظيمة، والشَّول التي جفَّ لبنُها لكِبَرِها، ومعنى الشطر أنَّ ابن عمِّه يقطَع بالسيف أيدي الإبل العظيمةِ المسنةِ تهيئاً لنحرِها، ويبلُّها بالدمِ، وينحَرها للأضياف، وقد تقدَّم في أول قطعةٍ من الباب أنَّ العربَ تصِف ضرب ساقِ الناقةِ قبل نحرِها، فهذا منه. (طَلوع الثنايا بالمطايا): طَلوع أي كثيرُ الطُّلوع، والثنايا جمعُ ثنيَّة وهو ما أشرف من الأرض، والمطايا جمعُ مطيَّة وهي الناقة المرتَحلة، وهذه استعارةٌ أراد بها أن ابن عمِّه يرقى في مدارج العز والكرَم. (وسابقٌ إلى غايةٍ):

ويسبقُ إلى الهدف والغرَض، كما قال تأبط شرًّا: (سبَّاقُ غاياتِ مجدٍ في عشيرتِه)[1].
(مَن يبتدرها يُقدَّم): مَن يصل إلى تلك الغاية يُقدَّم على أقرانه ونظرائه، وهذا كلُّه وصفٌ له باستباق مراتب المكارم، والترقِّي في مدارج العزِّ. (النفر): أراد بهم القوم، والنفَرُ القوم مِن الثلاثة للعشرة. (المدلين في كلِّ حجةٍ): الموردِين في كلِّ موطنٍ يُحتاج فيه إلى الرأي والحُجَّة، وتقدَّم في باب الأدب أنَّ أصل الإدلاء إرسالُ الشيء وبعثُه، ويُقال أدلى بحجتِه إذا عرضَها وتكلَّم بها. (بمستحصِدٍ من جولة الرأي محكَمٍ): برأيٍ محكمٍ مسدَّد، ونظرٍ ثاقبٍ حكيم. (جديرون ألَّا يذكروك بريبةٍ): خليقون وحقيقون بألَّا يغتابوك ولا يذكروك بشرّ، ويريد أنَّهم كافُّون أنفسَهم عن مواطن الغيبة. (ولا يُغرِموك الدهر ما لم تغرَّم): ولا يجرُّون لك جريرةً لم تجنِها، أو يحمِّلونك ثقلا لم ترضَه.

- **العرض:**

(١-٤): يقول: إن ابن عمِّي لهو جابر بن زيد، الكريم ابن الكرام، المشهور بإكرام الضِّيفان، والمعروف ببذل الإحسان، لا تراه إلا ناحراً أو عاقرا، فأيدي نوقِه مبلولةٌ بالدم، وسكاكينُه جاهزةٌ للذَّبح، يستبق المكارمَ والعزَّ ويترقَّى في مدارجِه، ويُبادر إلى الشرَف والمجد آخذاً بمفاخرِه، إذا حضر المجالس كان سيِّدَها المفضَّل المقدَّم، وإذا ما استُشير كان صاحبَ الرأيِ المسدَّد المحكَم، من القوم الذين سهُلت أخلاقُهم، وحُمِدت خصالُهم، صدورُهم سليمةٌ من الغشِّ والغلِّ فلا يغتابون أحدا، وقلوبُهم بريئةٌ من الخيانة والإثم فلا يحسدون امرءا، لا يجرُّون على صاحبِهم خزيا، ولا يحمِّلون أخاهم ثقلا، فقد استكمَلوا مكارم الأخلاق، وجمعوا محاسنَ الخصال.

---

(١) المفضليات، القصيدة الأولى.

(١٩٠)

• وقال الفَرَزْدَقُ: [من البسيط]

١. إذا رأتْــهُ قـريشٌ قـال قائِلُـها إلـىٰ مـكارمِ هـذا يَنتَهـي الكَـرَمُ

٢. هذا الذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأَتَه والبيـتُ يَعرِفُـه والـحِـلُّ والـحَـرَمُ

٣. يَـكـادُ يُـمْسِـكُـه عِـرْفـانَ راحتِـه رُكـنُ الـحَـطِيم إذا مـا جـاء يَسـتَلِمُ

٤. أيُّ القبائلِ ليستْ في رقابِهِمُ لأَوَّلِيَّـة هـذا أوْ لَـهُ نِعَـمُ

٥. بكَفِّه خَـيْـزُرانٌ رِيــحُــه عَبِقٌ مِـن كَـفِّ أرْوَعَ في عِرْنِينِـه شَـمَمُ

٦. يُغضِي حَياءً ويُغضَىٰ مِن مَهابتِهِ فمـا يُكلَّـمُ إلا حيـنَ يَبتسِـمُ

• الكشف:

تقدَّمت ترجمته في القطعة الثلاثين ومئة، وهذه القطعة شديدةُ الاضطرابِ في نسبتِها، فالمشهور أنَّها للفرزدَق، وخطَّأ ذلك بعضُهم، ونسبَها للحزين الكناني، وهو شاعر أموي فصيح، وزيد في هذه القصيدةِ أبياتٌ ليست منها، فتجد ابن عبد البر لمَّا ساقَ بعضَها قال: (وفيها أبيات لم أذكرها، لأنِّي أظنُّها مضافة مفتعلة)[1]، ثم اضطرب في تعيين الممدوح بهذه الأبيات، فقيل يمدح عليَّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقيل يمدح محمد بن علي بن الحسين، وقيل يمدح قثم بن العباس بن عبد المطلب، وقيل يمدح عليَّ بن عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقيل غير هذا!

وعلى كلِّ حالٍ فقد اتَّفق ناقلوها على جودتِها في الجُملة، وأنَّها من خير المدائح في عصر بني أميَّة، والمشهور في خبرِها أنَّ هشام بن عبد الملك قدم مكةَ وهو خليفةٌ في

(١) بهجة المجالس (١١٢).

حجةٍ حجَّها، وكان محمد بن عليٍّ بن الحسين يطوف بالبيت والناس يفرجون له عند الحجَر تعظيماً له، وينظرون إليه مبجِّلين، فغاظ ذلك هشاماً فقال -مستخِفّاً هازئا-: مَن هذا؟ كأنَّه لم يعرَفه، فانبرى له الفرزدق يقول هذه القصيدة وينكرَ قول هشام على الملأ.

- **البيان:**

(إذا رأته قريش): جعل مدحَه من قريش تعريضاً بالخليفة، وأنَّ قريشاً كلَّها تعرفُه. (البطحاء): البطحاءُ والأبطح أرضُ مكَّة المنبطحة، وفيها بيوت أشرافِ قريشٍ وهم (قريش البطاح)، أبناء كعب بن لؤي، ودونَهم الذين سكنوا ظواهرَ مكة وهم (قريش الظواهر)، وهم ما فوق كعب بن لؤي، وأشرَفُ بيوت قريشٍ وأعزُّها بيتُ هاشم، ومنه الممدوح. (عرفانَ راحته): لأنَّه عرف راحتَه، والراحةُ اليد، وانتصب مفعولاً لأجلِه. (ركن الحطيم): الحطيمُ الجدار الذي عليه ميزابُ الكعبة، وسُمِّي بذلك لأنَّه أول ما حُطِم من حجرِه، أي أول ما هُدِم وقت بنائه. (جاء يستلم): أي يستلم الركن في طوافه، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلَّم. (لأوليَّة هذا أو له): لآبائه الأوائل أو له نفسه. (بكفِّه خيزُران): الخيزران العصا التي يمسكها الملوك، وتسمَّى (مخصرة)، يريد أنَّ هيئتَه هيئة الملوك، والعرَبُ تُسمِّي كلَّ قضيب لدنٍ ناعمٍ (خيزرانا)، وذكر الزبيدي في لَحن العوام غلَط العامة في قولهم (خيزَران) والصواب بضم الزاي[1]. (ريحه عبِقٌ): العبَقُ الرائحة الطيبة الدائمة، والعبِقُ اسمُ فاعلٍ منه، يعني أن رائحتَه الطيبة لاصقةٌ به لا تفارقه. (أروع): فائقُ جمال الوجه. (في عرنينه شممُ): تقدَّم أن العرنين الأنف، وأنَّ ارتفاعَ أنوفِهم كنايةٌ عن شرَفِهم ومجدِهم وسيادتهم. (يُغضِي حياءً): كما تقدَّم في القطعتين السابقتين من الإطراق والسكوت لأجلِ الحياء. (ويُغضى من مهابته): ويطرِقُ القومُ من حولِه إذا صمت هيبةً له وإجلالا.

---

(١) لحن العوام (١٠٣).

• **العرض:**

(١-٣): **يقول:** إنَّه لَأشرفُ الرجال نسَبا، وأكرَمُهم حسَبا، وإذا رأته قريشٌ قال قائلهم: إن الكريمَ إذا استفرغ وسعَه في بلوغ الكرم فإنَّه سينتهي إلى محمد بن عليٍّ بن الحسين لا محالة، لأنَّها الغايةُ السَّامية، والمرتبة العالية، فهو الذي تعرف أرض مكة وطأته، وتميِّز دور الحرَم مشيتَه، وتعرفُه الكعبةُ والحلُّ والحرَمُ فضلاً عن غيرهم؛ لشرفِه واشتهارِ نسَبِه وعلوِّ منزلتِه، وإذا ما جاء يستلم الحجَر الأسوَد كاد يُمسِكه ركنُ الحطيم لأنه قد عرف يده، وخبر رائحته.

(٤-٦): **يقول:** فضلُه على القبائل مشهور، وكرمُه في النَّاس مبسوط، وأيُّ القبائل ليست مغمورةً بنعمِه أو نِعَم سلفِه؟ وكلُّهم برسول الله ﷺ اهتدى، ففارقوا الضلالة بإرشادِه، وخرجوا من الظلمة بدعوتِه، وتركوا العَماية لشرعتِه، وإذا ما رأيتَ ابن الحسين ظننتُه ملكاً لِما هو عليه من هيئة الملوك، لباسُه حسَن، ورائحته عطِرة، ووجهه وضاء، وابتسامته مشرقة، وكأنَّما يفيضُ منه الشرَفُ والمجدُ فيضا، يغلب عليه الصمتُ لحيائه فلا ينطقُ إلَّا يسيرا، وإذا ما أطرق صامتاً أطرق القوم حوله، فهم له مبجِّلون، وعليه مُقبِلون، يهابونه إجلالا، ويوسِعهم إفضالا، ولا يجرؤ أحدهم على الكلام بين يديه إلا إذا رفع رأسَه مبتسماً، فما أشرفَه وأكرمَه وأعزَّه وأعظمَه!

وقد قدَّمنا غير مرةٍ أنَّ أبا تمام يستطرد في ذكر المعاني أحيانا لِما يرى مِن حُسنها وجودتها، وقد تكرَّر معنى الحياء هذا في غيرِ قطعةٍ متجاورة، ثمَّ لما أورد قطعة الفرزدق أورد بعدها بيتين رائقين شاهدين لبيتِ الفرزدق الآخِر، وهما قول الحماسيِّ[1]:

إذا انتدىٰ واحتبىٰ بالسيفِ دان له ... شُوسُ الرِّجالِ خُضوعَ الجُربِ للطَّالي

كأنَّما الطَّيرُ منهم فوق هامهمُ ... لا خوفَ ظلمٍ، ولكن خوفَ إجلالِ!

---

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٢٨٩).

(١٩١)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. سأقدَحُ مِن قِدْري نَصِيبًا لـجارَتي وإنْ كان مـا فيهـا كَفـافًا علىٰ أهلـي

٢. إذا أنت لـم تُشْـرِكْ رَفِيقَكَ في الذي يكـونُ قليـلًا لـم تُشـارِكْهُ في الفَضْـلِ

- **الكشف:**

هو عتبة بن بجير الحارثي، أبو شبل، من بني الحارث بن كعب المذحجيين، ولعلَّه شاعر جاهلي، وشعرُه مستحسَن، فقد انتخب له أبو تمّام في الحماسة قطعا، وستأتي قطعةٌ له في هذا الباب غير هذه.

وهذان بيتان يذكر فيهما حبَّه للكرم والعطاء، ونفورَه من الشح والبخل، وأنَّه يعطي على عُسرِه، وينفق على فقرِه.

- **البيان:**

(سأقدح): سأغرف. (لجارتي): كثيراً ما تذكر العرب حُسن الخلق للجارة، مثل إكرامها، وحفظ حقها، وغضِّ البصر عنها، وإنَّما يخصُّون الجارةَ لأنَّها أحقُّ الضعفاء القريبين بالإكرام، وأولاهم بالمعروف، فلا يحفَظ حقَّهنَّ إلا رجل نبيل. (كفافاً): الكَفافُ القوتُ الذي لا فضل فيه عن الشِّبَع، لأنَّه يكفُّ عن المسألة، ويريد أنَّه يتكرَّم بطعامِه وإن كان في ذلك تضييقٌ على نفسِه وأهله. (إذا أنتَ لم تُشرِك رفيقَك): هذا البيتُ نحوَ قول بشر بن المغيرة الذي تقدَّم في باب الحماسة: (وشِبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُه)، إلا أنَّه اختصَّ بذكر القليل.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: سأبسط معروفي لسائلي وإن كان لا يسع غيري، وأغرف من قدري لجارتي وإن كان قدر كفاية أهلي، فإنِّي كريم على الحالين، حال اليسر وحال العسر، واعلم أنَّ نفسَك إذا لم تسمَح لك بالمواساة بالقليل فلن تسمَح لك بالمواساة بالكثير، وكلُّ امرئٍ جارٍ على ما تعوَّدا!

وهذا المعنى جليل، (والمشاهَد أنَّ المرء إذا أمسَك مع الكثرة، وبخِل مع الثَّروة؛ تناوله اللومُ من كلِّ وجه، وانتزع إليه الذمُّ من كل جانب، فهو المدفوع إلى السَّماحة، والمحمول على الإنالة، ليبعد من اللَّوم، وينزَّه عن الذمِّ، وليس يدلُّ بذلُه وإن جزُل، وبرُّه وإن كمُل، على كرمٍ أصليّ، وسماحٍ عنصريّ، كما يدلُّ عليه جهدُ المُقِلّ، ومواساة المخلّ، ومن لم يُعطِ من اليسير، لم يُعطِ من الكثير)[1]، وهو معنىً مشهور في لسانِ العرب، ومن أجوده قول الحماسي[2]:

ليسَ العطاءُ من الفضولِ سماحةً ... حتىٰ تجودَ وما لديكَ قليلُ

وقد صنَّف أبو هلالٍ العسكريٍّ رسالةً مختصرةً نافعةً سمَّاها (فضل العطاء على العسر)، تُقرأ في قعدة واحدة، ومن حكمتِه فيها قوله: (وما مدحَت العربُ ولا تمدَّحت بمثل الإعطاء على العُسر، والمواساة على القلَّة، وذلك أنَّ أكثرهم كان في شدةٍ وفاقة، فلو جعلوا ذلك حجةً وقبضوا أيديَهم عن صلةِ الغريب وبرِّ البعيد؛ لارتفعت العوارفُ مما بينهم، وغاض الجودُ فيهم).

---

(١) فضل العطاء على العسر (١٤).

(٢) ديوان الحماسة (٢/ ٣٥٩).

(١٩٢)

وقال عُرْوةُ بنُ الوَرْدِ: [من الطويل]

١. إنـي امـرؤٌ عـافِـي إنـائـيَ شِـرْكـةٌ وأنـت امـرؤٌ عافِـي إنائِـكَ واحِـدُ
٢. أتهزأُ مني أنْ سَمِنْتَ وأنْ تَرىٰ بوَجْهي شُحُوبَ الحقِّ والحقُّ جاهِدُ
٣. أقسِّم جِسْمي في جُسومٍ كثيرةٍ وأحسُـو قَـرَاحَ المـاءِ والمـاءُ بـاردُ

- **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة الثامنة والأربعين، وتقدَّمت له قطعة في هذا الباب، وهذه القطعة تتصل بمعنى التي قبلها في التمدُّح بالإنفاق على العسر، ويردُّ بهذه القطعة على قيس بن زهير العبسي، وكان قيسٌ سمينا، وعروةُ نحيلا، فهزئ قيس من عروة ونحوله، فأجابه عروة بهذه الأبيات البديعة.

- **البيان:**

(عافي إنائي): طالبُ طعامي ومبتغيه، وتقدَّم أن العافي الطالبُ الملتمِس، والإناء كناية عن الطعام والشراب. (شِركةٌ): عدةٌ من النَّاس لا واحد. (شُحوبَ الحقِّ): الشُّحوب الضَّعف والهزال، وأراد بالحقِّ الواجبَ للأضياف والسائلين، فأضاف الشحوب للحقِّ إشارةً إلى فضل ذلك الشحوب وأنَّ موجبَه الكرم والسخاء. (والحقُّ جاهدُ): والقيام بالحقوق شاقٌّ متعِب، لا يتحمَّله كلُّ أحد. (أقسِّم جسمي في جسومٍ كثيرة): أوزِّع طعامي وشرابي وأؤثر غيري بزادي ونفقتي، فكأنَّما أوزِّع جسمي ولحمي في أجسامهم ولحومِهم! وهذا تعبير بديع مؤنق. (وأحسو قَراح الماء): قراحُ الماء الصافي الخالصُ منه، وفيه إشارةٌ إلى فقرِه، فإنَّ العرب كانت تخلط اللبن بالماء فتشربُه كما سيأتي في باب السَّير والنُّعاس، وعبَّر بالحسْو وهو الشُّرب على دفعٍ يسيرة

لبيان صعوبة شرب الماء البارد عليه. (والماء باردُ): خصَّ الماء البارد لأنَّه أكثر إضعافاً للرَّجل الهزيل، والشِّتاء ببردِه يؤثر في الهزيل أكثر من السمين.

- **العرض:**

(١-٣): يقول: إني امرؤ تعوَّدت الجود، ونشأتُ على السَّخاء، فليس يخلو بيتي من ضيف، ولا أنفرد عن النَّاس برِزق، وطلَّاب معروفي كثيرون، والمشتركون في زادي عديدون، أمَّا أنتَ فرجلٌ شحيح، تعوَّدتَ الإمساك، ونشأتَ على البخل، فلا تأكل إلا وحدك، ولا تبذل لأحدٍ رزقَك، فكيف تضحَك مني بعد ذلك لسِمَنك وعِظَمك! وتهزأ منِّي لنحولتي وضَعفي! وقد علمتَ ما أصابني النحولُ إلا من كرمي، وما نزل بي الضَّعفُ إلا من بذلي، فقد اعتدتُ التوفَّرَ على حقوق الطُّلَّاب، والحرصَ على بذل الأزواد، وكذلك القيامُ بالحقِّ يجهَد صاحبَه، فيغيِّر لونَه، ويُهزِل بدنَه، فأنا -بتقسيمي الطُّعوم وبذلها- كأنَّما أقسِّم جسمي في جسومهم، وأوزِّع لحمي في لحومِهم؛ لِما أؤثرهم به من زادي، وأقدِّمهم في الانتفاع من طعامي، فلذلك تراني هزيلاً يضعِفُه شرب الماء البارد، ونحيلاً يؤذيه هواء الليلة الشاتية!

(١٩٣)

وقال أبو البُرْجِ القاسمُ بنُ حَنْبلٍ: [من الوافر]

١. أَرَىٰ الخُلَّانَ بعد أبي خُبَيْبٍ وحُجْرٍ في جَنابِهِمُ جَفاءُ

٢. مِنَ البِيضِ الوُجُوهِ بني سِنَانٍ لَوَ انَّكَ تَستضيءُ بهم أضاؤوا

٣. لهم شَمْسُ النهارِ إذا استَقَلَّتْ ونُورٌ ما يُغَيِّبُهُ العَماءُ

٤. هُمُ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ المُعلَّىٰ ومِن حَسَبِ العَشِيرةِ حيثُ شاؤوا

٥. بُناةُ مَكارِمٍ وأُساةُ كَلْمٍ دِماؤهُمُ مِنَ الكَلَبِ الشِّفاءُ

٦. فأمَّا بيتُكُمْ إنْ عُدَّ بيتٌ فطال السَّمْكُ واتَّسعَ الفناءُ

٧. وأمَّا أُسُّهُ فَعَلَىٰ قديمٍ مِنَ العاديِّ إن ذُكِرَ البناءُ

٨. فلو أنَّ السماءَ دَنَتْ لمَجْدٍ ومكرُمةٍ دنَتْ لهُمُ السماءُ

● **الكشف:**

هو القاسم بن حنبل المرِّي، أبو البرج، من بني مرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، شاعر إسلامي، مشهور بقطعته هذه التي يمدح فيها زفر بن أبي هاشم، عامل اليمامة، ويثني على قومه، ويذكر حسن فعالهم وطيب مآثرهم، وكأنَّما يقول أبياته هذه بعدما جفاه الممدوح شيئا، فأقبل الشاعرُ يستعطفُه بمدحِه والثناء على قومِه.

● **البيان:**

(الخُلَّان): الأصدقاء المقرَّبون، وتقدَّم بيانُ ذلك غير مرةٍ في باب المراثي. (أبي خُبيبٍ): كذا رواه المرزوقي والأعلم، ورواية التبريزي وغيره (أبي حَبيبٍ)، وصوَّبها

بعضُهم لأنَّها كنية زفر بن أبي هاشم. (وحُجرٍ): رواها الأعلم (بحَجْرٍ)، وهو الصَّواب كما رواه الجاحظ، وحجْرٌ منطقةٌ باليمامة، وهي محلُّ الممدوح. (في جنابهمُ جفاء): فيهم بعد منِّي، ونبوٌّ عنِّي، والجَناب الفناء والنَّاحية، والجَفاء المجانبةُ والقطيعة. (من البيض الوجوه): أي من القوم البيض الوجوه، وتقدَّم نحو هذا، وقدَّمنا غير مرةٍ أن بياض الوجوه كنايةٌ عن شرَف النُّفوس وطيب الفعال. (بني سنانٍ): انتصب على المدح والاختصاص، والممدوح هو زفر بن أبي هاشم بن مسعود بن قيس بن سنان. (لو انك): وصل الهمزةَ -وكان حقها القطع- للضرورة. (أضاؤوا): مرَّ هذا المعنى ومبالغةُ أبي الطَّمحان قريباً، وهو مشهور عند العرَب، كما قال كعب: (إنَّ الرسول لنورٌ يُستضاء به)، صلى الله عليه وسلَّم، وكما قال آخر: (ومنَّا رئيسٌ يُستضاء بنورِه)[1].

(لهم شمسُ النَّهار إذا استقلَّت): أي لهم من نور الشَّرف وشهرةِ الكرَم ما هو كالشمسِ المستقلةِ ضحىً، يقال: استقلَّت الشمسُ إذا ارتفعَت وعلَت، وخصَّ الضحى لأنَّ الشمس تكون فيه على أصفى وجهٍ وأنور هيئة. (ما يغيره العماءُ): لا يخفيه اللَّيل، ولا يستره الظلام. (حيث شاؤوا): هذا من أبلغ المدح، يريد أنَّهم بفعالهم وإتيانهم المكارم أنزلوا أنفسَهم أشرف المنازل في عشيرتهم، وأقاموا أنفسَهم أرفع المقامات في قومِهم. (بناة مكارمٍ): البناةُ جمعُ بانٍ، وهذا نحو ما تقدَّم في باب الأدب من قول يزيد بن الحكم (والناس مبتنيان...)، فهؤلاء يبنون المكارم، وسيأتي نحوه آخر باب المدح. (وأساة كلمٍ): الأساةُ جمعُ آسٍ وهو الطبيب، والكَلم الجرح كما تقدَّم، يريد أنَّهم يُصلحون فساد العشيرة، وذلك فعل الأشراف، وتأمَّل المقابلة بين قوله (بناة) و(أساة)، وقربَ الاشتقاق في قوله (مكارم) و(كلم)، فإنَّه بديع. (دماؤهم من الكلَبِ الشِّفاءُ): الكلَبُ داءٌ كالجنون يعتري الكَلْب، ويُسمَّى السُّعارَ كذلك، وإنَّما أراد بهذا الشطر وصفَهم بالمُلكِ والشَّرف، وبيان ذلك أنَّ العرب كانت تعتقد أنَّ الكَلْبَ الكَلِبَ -أي المسعور-

---

(١) انظر: الشعر والشعراء (١/ ١٥٤)، والقصيدة (١٥) من الأصمعيات.

إذا عضَّ رجلاً أصابه بالكلَب، فيظلُّ الرَّجلُ ينبح نباحَ الكلاب سبعةَ أيامٍ ثم يموت! قالوا: ولا دواءَ له أنجع من أن يشرب دمَ ملكٍ فيبرأ! كذا كانوا يعتقدون، وعلى ذلك تحمِل قولَ الفرزدق[1]:

ولو شرب الكلبىٰ المراضُ دماءنا شَفتها، وذو الدَّاء الذي هو أدنَفُ

(فطال السَّمكُ): السَّمك أعلى البيتِ من داخل، وذكر أبو مالكٍ في حواشيه على الألفيَّة أنَّ العامة تُخطئ في لفظِه بضمِّ السين، وتُخطئ في معناه بحمله على الغلظ والثخانة. (واتَّسع الفناء): وامتدَّت ساحته، وهذا البيتُ الذي يصفه مجازي، يريد بيت قبيلتِهم وقومِهم، ويصفه بالشرَف والعلوِّ والرِّفعة. (أسُّه): قواعده وأساسه. (من العاديِّ): مبالغةٌ في وصفِ بيتِهم وشرفِه بالقِدَم والعراقة، وتقدَّم في القطعة الخامسة والأربعين أنَّ العرب تضرِب المثلَ بعادٍ في القِدَم.

• العرض:

(١-٤): **يقول:** أجد الرِّفاقَ والأصدقاء بعد أبي حبيبٍ في اليمامة يجفو جانبُهم عنِّي، ويبعد مكانُهم منِّي، وعلى ذلك فلا أنقص حقَّهم، ولا أنسى محلَّهم، فهم قومٌ كرام، ورجالٌ أشراف، وجوهُهم بيضاء مشرقة، وحسناتُهم وافرةٌ مغدِقة، أحسابهم من الدنَس نقِيَّة، وأنسابهم من اللؤمِ بريَّة، لو استضأت بنورِهم لأضاؤوا لك في الظُّلَم، ولو كشفوا عن وجوهِهم لأزالوا الغبش والعتَم، ولقد حلُّوا من الشرَف الذي اكتسبوه محلًّا رفيعا، ونالوا من المجدِ الذي شيَّدوه نيلًا وافرا، فلم يقتصروا على كرم أنسابِهم، بل زادوا إليه حميدَ خصالِهم.

(٥-٨): **يقول:** إن كان للمجدِ بناةٌ وسعاةٌ فهم السبَّاقون، وإن كان للناس ساداتٌ وملوكٌ فهم المقدَّمون، يُصلحون ما فسد بين العشائر، فيحملون الديات بأموالهم،

---

(١) انظر: شرح نقائض جرير والفرزدق (٢/ ٧٢٣).

ويضعون ما بين القبائل بأحمالهم، وإذا ما عُدَّت بيوت القبائل فإنَّ بيتَهم مرفوع السَّقف، طويل البناء، بعيد الغاية، واسع الفناء، حسَن التشييد، قد ورثوا المجد فيه كابراً عن كابر، وتناقلوا العزَّ فيه من الزَّمن القديم، فلو أنَّ السماءَ كانت تدنو من أحدٍ لمجدِه لما دنتَ إلا إليهِم، ولما قرُبَت إلا منهم، فهم أجدر النَّاس بذلك!

(١٩٤)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. أَيَـا ابْـنـةَ عبدِ الـلـهِ وابـنـةَ مالكٍ ويـا ابنةَ ذي البُـرْدَيْنِ والفَـرَسِ الـوَرْدِ

٢. إذا ما صَنَعْتِ الـزادَ فالتَمِسي له أَكِيـلًا فـإني لسـتُ آكِلَـهُ وَحْـدي

٣. أخًـا طـارقًـا أو جـارَ بيتٍ فإنني أخـافُ مَذَمَّاتِ الأحاديثِ مِن بعدي

٤. وإنـي لعبدُ الضيفِ ما دام نازلًا ومـا فيَّ إلا تلـكَ مِـن شِـيَـمِ العَبْـدِ

- **الكشف:**

هو قيس بن عاصم المِنقَري، تقدَّمت ترجمته قريبا، في القطعة الثانية والثمانين ومئة، يخاطب امرأتَه ويحدِّثها عن كرمِه، وأنَّه يرغب عن الأكل وحدَه، ولا يستسيغ الطَّعام إلا بمجالسٍ يؤاكله، وذلك من كرمِه.

وهو هنا يخاطب امرأته منفوسة بنت زيد الفوارس الضبِّي، و(عبدالله) و(مالك) من آبائها الأعلين، و(ذو البردين التميمي) أبٌ لها من جهةِ أمِّها، وقيل إنَّ هذه الأبيات لحاتم الطائي يخاطب بها امرأته ماوية، ولا يستقيم.

أمَّا ذو البردين المذكور فهو عامر بن أحيمر بن بهدلة التميمي السَّعدي، وحُقَّ لمنتسبٍ إليه أن يفخَر به، فإنَّه قدم في وفدٍ على النَّعمان بن المنذر، فأخرج إليهم النُّعمان بُردَي عمرو بن هندٍ عمِّه وقال: ليَقُم أعزُّ العربِ قبيلةً فليأخذهما!

فقام عامرُ بن أحيمر فأخذهما، ولم ينازعه أحدٌ من العرَب؛ لِما عُلِم من شرفِه وعزةِ قومه، فسأله النُّعمان: بم كنتَ أعزَّ العرب؟

فقال: العزُّ والعدد من العرَب في معد، ثم في مضَر، ثم في خندف، ثم في بني تميم، ثم في بني سعد، ثم في كعب، ثم في عوف، ثم في بهدلة، فمن أنكر هذا من العرب

فلينافرني! فسكت النَّاس، فقال له النُّعمان: هذه عشيرتُك، فكيف أنتَ في قومِك وبدنك؟ فقال: أنا أبو عشرة، وعمٌّ عشرة، وخالُ عشرة، يُغني الأكابر عن الأصاغر، والأصاغر عن الأكابر، وأمَّا أنا في بدني فهذا شاهدي:

ثمَّ وضع قدمه على الأرض، وقال: من أزالها عن مكانها فله مئة من الإبل! فلم يقُم إليه أحد، فذهب بالبردين، فسُمِّيَ (ذا البردين).

- **البيان:**

(أيا ابنة عبدالله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين): خاطبها مذكِّراً لها بنسَبِها الكريم، وحسَبِها الشَّريف؛ رغبةً في أن يحضَّها ذلك على الخير والمعروف، ويحثَّها على الكرم والإنفاق، فتقتديَ بأسلافِها. (والفَرسِ الوَردِ): الوَردُ لونٌ للفرس يكون فيه بين الكميت والأشقر، فهو يضرِب إلى الحمرة، ولعلَّه فرسٌ معروفٌ بعينِه كان محمودا فنُسِب صاحبُه إليه. (فالتمسي له): فابحثي وتقصَّي في البحث والطَّلب. (أكيلاً): آكِلاً معي، كما يُقال جليس من الجلوس. (لست آكله وحدي): هذا من كرمِ نفسِه. (أخاً طارقاً): ضيفاً مارًّا بنا ليلا، وتأمل تسميتَه بالأخ ففيه تنبيهٌ على استحقاقِ ضيفِه مزيداً من البذل. (أخاف مذمَّات الأحاديث من بعدي): هذا نحو ما تقدَّم في القطعة السادسة والعشرين ومئة من باب الأدب: (واعلم بأنَّ الضيف يوماً سوف يحمد أو يلومُ)، فإنَّ شكوى الضيف مذمةٌ وعار، فكيف بالاستفراد بالزَّاد دونه! ولذلك قال ابنُ الأهتم: (وكلُّ كريمٍ يتَّقي الذمَّ بالقِرى)[1]، وتأمَّل فإنَّنا قدَّمنا عند ذلك الموضع من باب الأدب الاستشهادَ بشطرٍ لابن الأهتم غير هذا، وهو بمعناه، وفي هذا الدُّربة على تنوع الشاهد، ويظهر به ولعُ العرب عامةً وابن الأهتم خاصةً بهذا المعنى، وأنَّهم كانوا يخشون سوءَ حديث الأضياف! (وإنِّي لعبد الضَّيف): تقدَّم مثله في القطعة الثانية والعشرين ومئة.

---

(١) المفضليات القصيدة (٢٣)، وديوان الحماسة (٢/ ٣٠٦).

- **العرض:**

(٤-١): **يقول**: أيتها الكريمة ابن الكرام، يا ابنة عبدالله، ويا ابنة مالك، ويا ابنة عامر ذي البردين والفرس الورد: إذا فرغتِ من اتِّخاذ الزاد وإعداده فاطلُبي من يؤاكلني، وابحثي عمَّن يجالسني، فإني لا أنفرد بالزَّاد وحدي، ولا أختصُّ بأكله دون غيري، فابحثي عن ضيفٍ طارقٍ ينزل علينا، أو التمسي جاراً قريباً يلمُّ بنا، فلم أعوِّد نفسي الأكل وحيدا، ولا أرضى هذا لمروءتي، وأخاف أن أُذَمَّ إذا ذُكِر الكرام، وأُعابَ إذا استُخبِر عن الأضياف، فلا أزال إذن قائماً بحقوق ضيوفي، متوفِّراً على خدمتِهم، راعياً لحقِّهم، أرجو بذلك أن أُحمَد، وأتَّقي به أن أُذَمّ!

(١٩٥)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. ليس فَتَىٰ الفِتْيانِ مَن كُلُّ همِّه صَبُوحٌ وإنْ أمسىٰ ففَضْلُ غَبُوقِ

٢. ولكنْ فتىٰ الفِتيانِ مَن راحَ أو غَدَا لضَرِّ عدُوٍّ أو لنَفْعِ صَدِيقِ

• **الكشف:**

هو والبة بن الحباب الأسديُّ، إمام المجون والخلاعة، وهو مؤدِّب أبي نواس الحسَن بن هانئ، وعنه أخذ أبو نواسٍ مجونَه، وزعم أبو والبةَ أنَّه رأى إبليس في المنام يقول له: (ترى غلامك الحسن بن هانئ هذا؟ فقلتُ: ما شأنه؟ فقال: إنَّ له لشأناً والله لأغوينَّ به أمةَ محمد، ولألقينَّ محبتَه في قلوبِهم)[1]، فما زال والبةُ بعد ذلك حريصاً على تعليمِ أبي نواس المجون، قبَّحه الله!

وهذان البيتان فيها شبهٌ بمعنى القطعة السابقة، ويذكر فيهما أنَّ الفتى الممدوح حقًّا مَن كان باذلاً للناس نفعَه، غيرَ مقتصرٍ في الخيرِ على نفسِه.

• **البيان:**

(فتى الفتيان): هذا كما تقول رجل الرِّجال، والمراد أكمل الفتيان فتوةً، وأعظمهم خطرا، وأرفعهم قدرا. (صَبوحٌ): الصَّبوح شِربُ النَّهار. (ففضل غبوق): الغَبوق شِربُ المساء، وأراد بهذا ذمَّه بأنَّ همَّه الأكل والشُّرب، وتأمَّل تعبيره بـ(فضل غبوق) ففيه تحقير له واستهانة به، وهو شبيه بأبيات عروة بن الورد في القطعة الثامنة والأربعين. (من راح أو غدا): أراد من كانت جُملة حركتِه في نفع النَّاس، لأنَّ الغدو والرواح هو جملة الحركة، فعبَّر بهما.

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز (٨٧).

- **العرض:**

(١-٢): **يقول**: ليس المحمودُ من الفتيان، ولا الممدوحُ من الرِّجال، مَن إذا أصبح أو أمسى كان كلُّ همِّه في أكلِه، وغايةُ مرادِه في بطنِه، ولكنَّ الفتى حقًّاً مَن وقف نفسَه لنفعِ أهلِه، وبذل جهدَه لعزِّ قومِه، فلا تراه إلا دافعاً عنهم الضرَّ، أو جالباً لهم الخَير، فمناقبه محمودة، ومساعيه ممدوحة.

(١٩٦)

وقال الـهُذَيْلُ بنُ مَشْجَعةَ البَوْلانيُّ: [من الكامل]

١. إنـي وإنْ كـان ابـنُ عَـمِّـيَ غائبًا ... لـمُقـاذِفٌ مِـن خلفِـه وورائِـهِ

٢. ومُفِيدُه نَصْري وإنْ كـان امْـرَأً ... مُتزَحْزِحًـا فِي أرضِـهِ وسمـائِهِ

٣. ومتىٰ أجِئْهُ في الشديدةِ مُرْمِلًا ... أُلْـقِ الـذي في مِـزْوَدي لوِعائِـهِ

٤. وإذا تتبَّعتِ الـجَلائِفُ مالَنا ... خُلِطَـتْ صحيحتُنـا إلـىٰ جَرْبائِـهِ

٥. وإذا أتـىٰ مِـن وِجْـهـةٍ بطريفةٍ ... لـم أطَّلِـعْ مِـمَّـا وراءَ خِبـائِهِ

٦. وإذا اكتَسَىٰ ثوبًا جميلًا لم أقُلْ ... يـا ليـت أنَّ علـيَّ حُسْـنَ ردائِـهِ

• الكشف:

هو الهذيل بن مشجعة الطائي البَولاني، وتقدَّم أن بني بولان هم أبناءُ غُصَين بن عمرو بن الغوث بن طيئ، وهو شاعر جاهلي، معروف بقطعته هذه التي استحسَنها العلماء ورووها.

وهي قطعةٌ يذكر فيها حسنَ خلقِه مع أقاربِه، ومناصرته لهم، وإفضاله عليهم، وصفاء قلبه في حبِّهم، وتركَه الحسد واللؤم معهم، وكان عبد الملك بن مروان إذا أُنشِد هذه القطعة قال: (هذا والله من شعر الأشراف! نفى عن نفسِه الحسدَ واللؤمَ والانتقام عند الإمكان والمسألةَ عند الحاجة)[١].

• البيان:

(لَمقاذِفٌ): لمدافعٌ ومحامٍ. (من خلفِه وورائه): قوله (ووارئه) أي من قدَّامِه،

(١) رسائل الجاحظ (١/ ٣٦٣).

لأنَّه ذكر قبلها (من خلفه)، وهذا ظاهر بيِّن، ومثله قول ربنا تبارك وتعالى ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾[الكهف: ٧٩]، أي قدَّامهم. (ومفيدُه نصري): ومناصرُه ومؤازرُه. (متزحزحاً): متباعداً، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، وأراد الشاعرُ بتزحزح قريبِه بعدَه عن وطنِه وغربتَه عن أهله. (في أرضِه وسمائه): أراد المبالغةَ في وصفِه بالبعد، فلمَّا جعل له أرضاً غير أرضِه؛ عطف على ذلك السَّماء، فجعل له سماءً غير سمائه إمعاناً في وصفه بالبعد! (مرمِلاً): فقيراً لا زادَ له، يعني قريبَه. (مِزودي): الوعاء الذي يُجعَل فيه الزَّاد، وهذا المعنى نحو قول النبي صلى الله عليه وسلَّم: (وإنَّ من المعروف أن تُفرِغَ من دلوِك في إناء أخيك)[1]. (تتبعَت الجلائف مالنا): توالت النكبات وحوادث الزمان فأثرت في مالنا، والجليفةُ الأعوام المجدِبة، من الجَلْف وهو القَشْر، وإذا أُطلِق (المال) عند العرب أُرِيد به الإبل، كما تقدَّم في القطعة الثالثة والخمسين، وتأمَّل تعبيره بتتبع الجلائف للمال، فإنَّه بديع جدًّا! (صحيحتنا): ناقتنا الصحيحة التي لم يصبها مرض ولا هزال. (جربائه): ناقته المريضة التي أثر فيها المرض والهزال، والجرَب داءٌ في الجلد معروف. (من وجهةٍ): من محلٍّ كان قد توجَّه إليه. (بطريفةٍ): تقدَّم أنَّ الطريفَ والطارفَ من المالِ: الجديدُ الحادث، يعني إذا جاء بمالٍ مُعجِبٍ أو استحدثَ غرَضاً جميلا. (لم أطَّلِع مما وراء خبائه): أراد لم أتعرَّض لتتبعِ أسراره، ولم أتشوَّف للكشف عن أحواله.

- **العرض:**

(٤.١): **يقول:** إني لَكريمُ العشرة، حافظُ الذمام، حسَن الخليقة، إذا غاب عنِّي ابنُ عمِّي وجدتني عنه محاميا، وألفيتني من دونه مناصرا، أذبُّ عنه من خلفه وأمامِه، فلا أنسى حرمته وإن تباعدَ عن أوطانِه، ولا أضيِّع حقَّه وإن اشتغل بمصارف حياته، وإذا زرتُه في شدائد الزَّمان، وتفقدتُه في نكبات الدَّهر، فرأيتُه فقيراً معدما، وأبصرته

---

(١) رواه الترمذي (١٩٧٠)، وأحمد (١٤٧٠٩).

محتاجاً منقطعا؛ حملتُ حالي على حالِه، وألقيتُ زادي في وعائه، ولم أحوِجه إلى السؤال والتعرُّض للنَّاس، وإذا تعاونت الآفاتُ على أموالنا، وتتابعت الحوادثُ على ماشيتنا، فهلك فيها الزَّرع، وجفَّ منها الضَّرع؛ خلطتُ ما سلم من مالي بما عيبَ من مالِه، وجبَرتُ فساد ماشيتِه بصلاح ماشيتي.

(٥ـ٦): يقول: وإذا ما فاءَ إلينا من محلٍّ وقد رُزِق رزقا، وأحدث مالا، وجلب غرضا؛ لم أتعرَّض له تعرَّضَ المتتبع لحاله، ولم أتشوَّف إلى ما في يده من مالِه، ولا أفعل ما يفعله سفاسفُ النَّاس ليُشرِكني في رزقِه، بل أفرح له ولا أحقد عليه، وأُسَرُّ لأجلِه ولا أنفر منه، فنفسي طيِّبة، وصدري رحب، لا ينطوي قلبي على غل، ولا يشتمل صدري على حسَد.

(١٩٧)

وقال حَسَّانُ بنُ ثابتٍ: [من البسيط]

١. الـمـالُ يَغْشىٰ رِجالًا لا طَبَاخَ لهم ... كالسَّيْلِ يَغْشىٰ أُصُولَ الدِّنْدِنِ البالي

٢. أَصُـونُ عِرْضي بمـالي لا أُدَنِّسُهُ ... لا بـارَكَ اللهُ بعدَ العِرْضِ في الـمـالِ

٣. أَحتالُ للمـالِ إنْ أَوْدَىٰ فأجمَعُهُ ... ولَسْـتُ للعِـرْضِ إنْ أَوْدَىٰ بمُحْتـالِ

● **الكشف:**

هو حسَّان بن ثابت المنذر الأنصاريُّ الخزرجي، من بني خزرج بن حارثة بن ثعلبة، من الأزد، الشاعر الفحل، والصحابي الجليل، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلَّم، والذابُّ عن أعراض المسلمين، عاش في الجاهلية ستين عاماً وفي الإسلام مثلها، ويكفيه فخراً أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (إنَّ روحَ القدس لا يزال يؤيِّدُك ما نافحتَ عن الله ورسوله)، وقال: (هجاهم حسَّانُ فشفى واشتفى)[1].

وهذه القطعة من قصيدةٍ طويلةٍ حسنةٍ له، ويذكر في هذه الأبيات فضلَ العرضِ وصَونِه على المال وبذلِه، وأنَّ الكريمَ على مروءته أحرصُ منه على ماله.

● **البيان:**

(لا طَبَاخَ لهم): لا خير فيهم ولا فضل، وأصلُه الطَّبْخ لأنَّه تمام الطَّعامِ وصلاحُه. (الدِّندن البالي): الكلأ الأسود القديم اليابس. (أصون): أحفظ وأحمي. (عِرضي): تقدَّم أنَّ العِرض ما يُمدح في نفس الإنسان أو يُذم. (أحتال للمال): أستعمل شتىٰ الطرائق في تحصيله وجمعِه. (أودىٰ): ذهب وهلك.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠).

- **العرض:**

(٣-١): **يقول**: إنَّ المرءَ لا يؤتى الغِنى لفضلٍ فيه، ولا ينال الرزقَ لخيرٍ لديه، وإنَّما هي مقادير الله في أرضِه، وإرادته سبحانه بخلقِه، فقد تجد الأرذلَ الذميمَ اجتمع عنده من المال ما لم يجتمع للشريفِ الكريم، فمثله مثل السَّيل الذي ينصَبُّ في الوادي فيقعُ على الكلأ المسودِّ اليابس فلا ينتفع به، فلهذا لا ألقي للمال بالا، ولا أحمل له همًّا، بل أجعله وقايةً لحسبي ونسبي، وصيانةً لعرضي وشرفي، ولا خيرَ في مال رجلٍ سقطَ عرضُه، فإنَّ المال إذا ذهب أمكن الاعتياضُ عنه، وتيسَّر الاحتيالُ في ردِّه، أمَّا العرضُ إذا ذهب فلا يعود إلى ما كان عليه، وإذا عِيبَ فلا سبيلَ لتنقيتِه مما حلَّ فيه.

(١٩٨)

وقال حاتِمٌ: [من الطويل]

١. وعـاذلـةٍ قـامـتْ عَـلَـيَّ تلومُني كأنِّـي إذا أَعْطَيْـتُ مالـي أَضِيمُهـا

٢. أَعـاذِلَ إنَّ الـجُودَ ليس بمُهْلِكي ولا يُـخـلِـدُ النفـسَ الشـحيحةَ لُومُها

٣. وتُـذكَـرُ أخـلاقُ الفتىٰ وعِظامُه مُغَيَّبَـةٌ في اللَّحْـدِ بـالٍ رَمِيمُهـا

٤. ومَنْ يَبْتَدِعْ ما ليسَ مِن خِيمِ نَفْسِه يَدَعْـهُ ويَغْلِبْـهُ علـىٰ النفـسِ خِيمُها

● **الكشف:**

هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي، من بني ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، مضرِب مثَل الكرام، وحاملُ لواءِ الجود في الأنام، قصصُه في البذل والإنفاق مذكورة، وأشعاره في التفضُّل والإحسان مشهورة، شاعرٌ جاهليٌّ مُجِيد، وسيِّدٌ طائيٌّ شريف، ونُسِبت القطعة لغيرِه.

وهذه الأبيات يخاطب فيها امرأتَه وقد لامته لجودِه، على عادة العرب في ذلك كما تقدَّم، ويذكر لها فضلَ الجود والكرَم، ومزيَّة السخاء والإنفاق، وأنَّ المحامدَ أعظمُ مطلوب، والأمجادَ أسمى مقصود.

● **البيان:**

(وعاذلةٍ): ولائمةٍ، وتقدَّم غير مرةٍ أن العذل اللومُ والمعاتبة، وهو مجرور بإضمار (رُبَّ). (قامت عليَّ تلومني): هذا نحو ما تقدَّم في القطعة الرابعة والأربعين مِن أنَّ المقصود اللَّوم، وأنَّ فعل (القيام) ليس بمقصود، على عادة العرب في ذلك، على أنَّ فيه إشارةً إلى كثرة لومِها، وشدةِ إلحاحها. (أعطيتُ مالي): أنفقتُه في وجوه الخير.

(أضيمُها): أظلمُها، وأنقصها حقَّها، وأضيِّق عيشَها. (أعاذلَ): حذف التاء ترخيماً، وفتح اللَّام على لغةِ مَن ينتظِر. (لُومُها): أي لؤمُها، وقصد لؤمَ البُخل والشحِّ. (في اللَّحد): في القبر، وتقدَّم في القطعة السادسة عشرة. (بالٍ رميمُها): متفتتةُ البقايا، يريد تآكلَه في قبرِه ومرورَ الزَّمان عليه، والرميمُ مِن العظام البالي المتفتت، ومنه قول الحق سبحانه ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيـمٌ ﴾[يس: ٧٨]. (يبتدع): يُحدِث ويتكلَّف. (خيم نفسِه): خلائق نفسِه وطباعها، والبيت الأخير نحو قول الحماسي: (إن التخلُّقَ يأتي دونَه الخلقُ)، وتقدَّم في باب الحماسة، ومثله كذلك قول الحماسي[1]:

ومَن يقترفْ خُلْقاً سوىٰ خُلق نفسِه ... يدَعْـهُ، وتَرْجِعْـه إليـه الرَّواجـعُ

- **العرض:**

(١-٤): **يقول**: ربَّ عاتبةٍ قامت تلومني، وأقبلت تعاتبني وتذمُّني، كأنِّي أبخسُها حظَّها إذا أنفقتُ مالي! أو أغصبها حقّاً من حقوقِها بسخائي! فأقبلتُ إليها، وقلتُ لها: كفي عنكِ اللَّوم، وأخِّري عنك العذل، فإنَّ ما اعتدتُّه من البذل لا يقرِّب أجلي، ولا يقصر من عُمري، ثم إنَّ البخل لا يفسح في الأجل، ولا يزيد في العُمر، فإذا كان كذلك فإنَّ السخاءَ والمروءةَ وإقامةَ المعروفِ وادِّخارَ الشُّكر أشرفُ وأنفعُ وأزكى من الشحِّ والبخل والتقتير، وإنَّ أخلاق الفتى بعد موتِه مذكورة، ومآثرُه إذا ولَّى لا تزال متردِّدة، ولا أقصِد لنفسي إلا أشرف المآثر، ولا أبتغي لها إلا أطيب السِّيَر، وقد أصبَح الكرمُ منِّي سجيةً فلا أستطيعُ منه فكاكا، ومَن شبَّ على شيءٍ شاب عليه، ومن تكلَّف ما ليس من خُلقِه فلا بدَّ أن يرجِع إلى خُلقه يوماً، ويناله ما عوَّد نفسَه عليه من حمدٍ أو ذم.

---

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٣٣١).

(١٩٩)

قال عُتْبَةُ بنُ بُجَيْرٍ: [من الطويل]

١. لِحَافي لِحَافُ الضيفِ والبيتُ بيتُهُ ... ولم يُلْهِنِي عنه غَزَالٌ مُقَنَّعُ

٢. أُحدِّثُه إنَّ الحديثَ مِنَ القِرَىٰ ... وتعلمُ نَفْسِي أنه سوفَ يَهجَعُ

- **الكشف:**

تقدمت ترجمته في القطعة الحادية والتسعين ومئة، ونُسِبت البيتان لغيرِه، ومعناهما ظاهر، يذكر فيهما حقوقَ الضَّيفِ، وحسنَ استقبالِه لضيوفِه.

- **البيان:**

(لحافي لحافُ الضَّيف): اللِّحافُ ما يُتغطَّى به وُيدَّثر، يعني أنَّه يؤثِر ضيفَه بفراشِه، وينزل له عن متاعِه. (والبيت بيتُه): هذا نحو ما تقدَّم في باب الحماسة (لا يعلم الجارُ فيهم أنَّه جارُ)، وما زال دراجاً على لسان العامة إلى اليوم، فيقول الكرام المُستضِيفون منهم: (البيت بيتك). (غزالٌ مقنَّعُ): تقدَّم أنَّ العرب تكني بالغزال عن المرأة، يريد أنَّه لا يشغله عن ضيفِه أهل ولا ولد. (إنَّ الحديثَ مِن القِرى): هذا لطيف، وتأمَّل قول عروة المتقدِّم عن إسفار الوجه (إنَّه أول القِرى)، فعلمتَ بجمعِ هذا إلى هذا أنَّهم يرون حقَّ الضَّيف وقِراه قائماً كلَّ وقت، من حين استقباله بالترحيب به والإسفار له، وفي نزوله بإطعامِه والأكل معه، وبعد عشائه بمفاكهته والحديث إليه، فلا يشعر الضيفُ بوحشةٍ أبدا، وهذه طريقةُ العرب في ضيوفِهم. (يهجعُ): ينام، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾[الذاريات: ١٧]، وروي (وتكلأ عيني عينَه حين تهجعُ).

- **العرض:**

(٢-١): **يقول**: إذا نزل بي الضَّيف فإني أؤثرُه بأشرفِ مكان في بيتي، وأنزله في أطيب بقعةٍ من داري، ولا يشغلني عنه الأهل والولد، فتجدني أخدمه وأؤنسُه، وأجالسُه وأطعمُه، ولا أزال متوفِّراً عليه، متقرِّباً إليه، من غير أن أُمِلَّه وأُضجِرَه، ومن دون أن أشغله عن راحتِه وأزعجَه، فإذا ما آنستُ منه سِنةً انخنستُ منه، وتركتُه ينام هانئاً قريرَ العين.

(٢٠٠)

وقال يَزِيدُ بنُ الـجَهْمِ الـهِلَالِيُّ: [من الطويل]

١. لقد أمَـرَتْ بالبُخْلِ أمُّ محـمدٍ فقُلتُ لها حُثِّي علىٰ البُخْلِ أحْمَدَا

٢. فإني امـرُؤٌ عـوَّدْتُ نفسِيَ عادةً وكُلُّ امـرِئٍ جـارٍ علـىٰ مـا تَعَـوَّدَا

٣. أَحِينَ بَدَا في الرأسِ شَيْبٌ وأقبَلَتْ إلـيَّ بنُـو غَيْـلانَ مَثْنـىٰ ومَوْحَـدَا

٤. رَجَوْتِ سِقَاطِي واعْتِلالي ونَبْوتي وَرَاءَكِ عنِّـي طالـقًا وارْحَلِـي غَـدَا

• **الكشف:**

الصحيحُ في اسمِه زيد بن الجهم الهلالي الكوفي، وهو شاعر جواد، وسيد شريف، ولي إمارة جرجان في عهد المنصور، والأبيات منسوبةٌ لحُميد بن ثور كذلك.

وهذه الأبيات متصلةٌ بقطعةِ حاتم الماضية في معناها، إلا أنَّه قد كبر سنُّه، فاشتدَّ على امرأتِه في الجواب حتى طلَّقها!

• **البيان:**

(حُثِّي): الحثُّ الترغيبُ في الأمر، والإغراء به، والتعجُّلُ فيه. (أحمدا): يريد مُري بذلك رجلاً أحمدَ لكِ وأنفعَ منِّي، أمَّا أنا فإني لا أستمعُ للومِك ولا أتَّعظ لوعظك. (وكلُّ امرئٍ جارٍ على ما تعوَّدا): هذا الشطر مشهورٌ عند الشُّعراء، من لدن حاتم الطائي إلى اليوم، لا يكاد أحدٌ ينظمُ على رويِّ الدال المفتوحة من بحر الطويل إلا ويذكره أو يذكر بعضَه، حتى أبو الطَّيب لم يبرأ من الإغارة عليه فقال (لكلِّ امرئٍ من دهرِهِ ما تعوَّدا)[1]! (حين بدا في الرأس شيب): كناية عن خوضه صروف الدهر،

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي (١٤٥١).

وتجريبه ألوان المصائب. (بنو غَيلان): رواه الأعلم بالعين، أي قيس عَيلان بن مضر، وأظنه الصَّواب. (مثنى): اثنان اثنان. (مَوحدا): واحدا واحدا، وهذا نحو أول قطعة في الحماسة (طاروا إليه زرافاتٍ ووُحدانا). (سِقاطي): سقوط شرفي، وخفض مكانتي. (واعتلالي): واعتذاري عن المكارم، سُمِّي بذلك لأنَّه يُحدِث عِللا. (ونَبوتي): النَّبوة الاختلاف والارتفاع، يريد تغيري عن سالف عهدي، وتقدَّم نحوه في القطعة الحادية والثلاثين. (وراءكِ عنِّي): ابعدي عنِّي. (طالقاً): حالٌ من قوله (وراءك عني).

- **العرض:**

(٤ـ١): **يقول:** أمرَتني أمُّ محمدٍ بالإمساكِ والشحُّ، ونهَتني عن الإنفاق والكرَم، فقلتُ لها: حُثِّي على البخل رجلاً أسمعَ لكِ وأقربَ إليكِ وأنفعَ عندكِ منِّي، فإنِّي لا أُصغِي إليكِ، ولا أئتمرُ لكِ، ولو أنَّني اعتدتُ البخلَ اعتيادي الجودَ لأطعتكِ فيما دعوتِني إليه من البخل، ولكني اعتدتُّ الجودَ فلا سبيلَ إلى تركِه، وكلُّ رجلٍ إنَّما يجري على عادتِه التي تعوَّد عليها، وقد جرَّبتُ أحوالَ الدَّهر، وعلمتُ فضلَ ما بين البخل والجود، فكيف تؤمِّلينَ مني بعد ذلك سقوطي عن مراتب المكارم! وكيف ترجين قعودي عن مواطن الشرَف! كيف وأنتِ تعلمين مَن يحسدني ويتربَّص بي! فابتعدي منِّي، وتأخَّري عنِّي، فأنتِ طالق! وارحلي عنِّي غدا، فلا أبتغي مجالسةِ من يُقعِدني عن مكارم الأخلاق، ولا أريد محادثةَ من يخذِّلني عن مرابع المجد.

(٢٠١)

وقال عارِقٌ الطائيُّ: [من الطويل]

١. ألَا حَيِّ قبلَ البَيْنِ مَن أنتَ عاشِقُهْ ... ومَـن أنـتَ مُشـتاقٌ إليـه وشـائِقُهْ

٢. ومَـنْ لا تُـواتِـي دارُهُ غيرَ فَيْنَةٍ ... ومَـن أنـت تَبكـي كلَّ يـوم تُفارِقُـهْ

٣. تَـخُـبُّ بصَحْراءِ الثُّوَيَّةِ ناقتي ... كعَـدْوِ رَبَـاعٍ قـد أَمَخَّـتْ نَوَاهِقُـهْ

٤. إلىٰ الـمُنْذِرِ الـخَيْرِ ابْنِ هندٍ تَزُورُهُ ... وليس مِنَ الفَوْتِ الـذي هو سابِقُهْ

٥. فـإِنَّ نِـسـاءً غيـرَ مـا قـالَ قـائلٌ ... غَنيمـةُ سَـوْءٍ وَسْـطَهُنَّ مَهَـارِقُهْ

٦. ولو نِيلَ في عَهْدٍ لنا لَـحْمُ أرنبٍ ... وَفَيْنـا وهـذا العهـدُ أنـت مُغـالِقُهْ

٧. أكـلَّ خَـمِيسٍ أخطأ الغُنْمَ مرَّةً ... وصـادَفَ حيًّـا دائِنًـا هـو سـائِقُهْ

٨. وكـنـا أُنـاسًـا دائِـنِـيـنَ بغِبْطةٍ ... يَسِـيلُ بنـا تَلْـعُ الـمَـلَا وأبارِقُـهْ

٩. فأقسَمْتُ لا أَحْتَـلُّ إلا بصَهْوةٍ ... حَـرامٍ عليـكَ رَمْلُـهُ وشَقـائقُهْ

١٠. حَلَفْتُ بهَدْيِ مُشْعَرٍ بَكَرَاتُهُ ... تـخُـبُّ بصَحْـراءِ الغَبِيـطِ دَرَادِقُـهْ

١١. لئِن لم تُغَيِّرْ بعضَ ما قد صَنَعْتُمُ ... لَأَنْـتَحِـيَنْ لِلعَظْـمِ ذو أنـا عارِقُـهْ

● **الكشف:**

هو قيس بن جروة بن سيف الطائي الأَجَئي، من بني ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، والأجئي نسبةً إلى أجأ، وتقدَّم أنَّه أحد جبلي طيئ الكبيرين، والآخر جبل سلمى، وهو شاعرٌ جاهلي شجاع، وسُمِّي عارقاً لبيتِه الأخير في هذه القصيدة.

وخبَرُ هذه القصيدة أنَّ الملك عمرو بن هندٍ -وهو عمرو بن المنذر بن ماء السَّماء، وأمُّه هند بنت الحارث بن حجر بن آكل المرار- كان غزا قوماً باليمامة، فرجع مخفِقاً لم

يُصِب شيئاً، فمرَّ على ديار طيئ في قفوله، وكان بينه وبينهم ذمامٌ وأمان، فأقبل بعضُ جند الملك يزيِّن له الغارةَ عليهم، وهو يأبى، فما زالوا به حتى غزاهم! فأصاب نسوةً وإبلا، ورجع إلى محلَّته.

فقال عارقٌ هذه القصيدةَ يُنكِرُ فيها صنيعَ الملك، ويذكر نقضَه للعهد، وظلمَه وجرأتَه على طيئ، ويتوعَّدُ فيها مَن أغرى بهم الملكَ ويهدِّدُه، ويطلب من الملك أن يردَّ ما غنِمَه فما زال في الأمر متَّسعٌ لذلك.

وقد ابتدأ هنا بالنَّسيب على عادة العرب مما تقدَّم في كشف القطعة الثالثة والأربعين، ولا يَضيرُه ذلك وإن كانت القصيدةُ في الغضب والتوعُّد، بل يكونُ حالُه مِن الحُسن كحال ابنِ الرُّومي إذ يقول[1]:

ألم ترَ أنني قبل الأهاجي ... أُقدِّمُ في أوائلها النَّسيبا
لتخرقَ في المسامع ثم يتلو ... هجائي حارقاً يكوي القلوبا
كصاعقةٍ أتت في إثر غَيثٍ ... وضحك البيضِ تُتبِعُه نحيبا!

- **البيان:**

(حيِّ): فعل أمر من التحيَّة، جرَّد نفسَه فخاطبها. (قبل البَين): قبل الفراق، وتقدَّم أن البَين من الأضداد. (وشائقُه): وجاعلُه يشتاق إليك، والشائقُ الذي يشُوقُ صاحبُه ويدعوهُ إليه. (تواتي دارُه): تُوافِق دارُه وتُقارِب، وأسنَد الفعلَ إلى الدَّار إشارةً إلى زيادة تمنُّعها، وأنَّ ذلك ليس منه. (فينةٍ): وقتٍ. (تبكي كلَّ يومٍ): أي تبكيه كلَّ يوم، فحذف الضَّمير المفعول، وهذا الأولى، وعليه يكون (كلَّ يومٍ) ظرفا منصوبا، لا مفعولا به. (تفارقه): أي تفارقه فيه، وكرَّر الاسم الموصول (مَن) مراراً زيادةً في التوجُّعُ لفراقِه، وتكثيراً لمحاسنِ محبوبِه وصفاتِه. (تخُبُّ): تعدو مسرعةً، والخَبَبُ ضَربٌ من العَدو السَّريع. (بصحراء الثويَّة): الثويَّة موضعٌ جنوبَ العراق، قريب من الكوفة، وهو في

(١) ديوان ابن الرُّومي (١/ ٢٢٧).

طريق الذاهب من بلاد طيئ بنجد إلى بلاد المناذرة بالعراق. (رباعٍ): الرَّباعيْ الجملُ في سنتِه الرَّابعة، وخصَّه لقوتِه ونشاطِه، وهذا مشهور عند العرب مِن تشبيههم الناقةَ بالفحل القويِّ، كما مرَّ في أول قطعةٍ من هذا الباب. (أَمخَّت نواهقُه): النواهقُ عظمان في وجه كلِّ ذي حافِر، وإمخاخُ العظامِ بدوُّ مُخِّها، يريد أنَّه قد أحسَن الرَّتع فكملت قوَّتُه، وحسُنت خِلقتُه. (المنذر الخيرِ ابن هند): هو عمرو بن المنذر بن ماء السَّماء، وأمُّه هند كما تقدَّم في كشف القطعة. (وليس من الفَوت الذي هو سابقُه): أي سابقٌ به، ووجهُ الكلام: ليس الذي هو سابقٌ به مِن الفَوت، يعني لم يفُت ما سبَق به الملكُ بعد، ويشير بهذا إلى ما غنِمَه الملك في غارته، وأنَّ بوسع الملك ردَّ ذلك عليهم. (غيرَ ما قال قائلٌ): هذه الجملةُ صفةٌ للنِّساء، وهو بهذا يعرِّض بمَن أغرى بهم عند الملك، والمعنى أنَّ هؤلاء النساء تخالف صفتُهنَّ ما قاله بعضُهم للملك مِن حُسنِ الإيقاعِ بهنَّ، وأبهم قولَه إشارةً إلى استقباحِه. (غنيمةُ سوءٍ): خبرٌ لمبتدأ محذوف، والمعنى هنَّ غنيمةُ سوء، وأضاف الغنيمة إلى السوء على طريق الإزراء والتحقير، كما تقدَّم في القطعة التاسعة والعشرين ومئة، وضدُّها أن يُقال (غنيمة صدق). (وسطهنَّ مهارقُه): المهارق جمعُ المُهرَق، وهو ما يُكتَب فيه العهود والمواثيق من الثَّياب ونحوها، وهذا جواب (إنَّ)، وأراد أنهنَّ غنيمة سوء لا يُنتفَع بها؛ لأنَّه قد سبق لهنَّ من الملك العهدُ والأمان. (ولو صيد في عهدٍ لنا لحمُ أرنبٍ وفَينا): ذكَر لحمَ الأرنب على وجه التحقير، ومعناه أنَّه لو كان لهم حمىً وعهدٌ فتعدَّى أحدٌ بصيد أرنبٍ فيه لما رضوا بذلك، ولاقتصوا منه وفاءً بالعهد، وفي هذا تعريضٌ بالملك الذي لم يفِ بعهده في حماه، بل هذا إلى التصريح أقرب منه إلى العريض. (أنت مُغالِقُه): أنت مُفسِده، وتاركُ الوفاءَ به، مِن قولهم غلق الرَّهن إذا حبَسه ومنعَه، والراوية المشهورة (أنتَ مُعالِقُه) أي أنَّ العهد متعلقٌ بذمَّتِك لا فكاك منه. (خميسٍ): جيشٍ، وتقدَّم في قصيدة ليلى الأخيلية. (حياً دائناً): حياً مُطِيعا، والدائنُ هنا المطيع المسلِّم، ومنه قول الحق سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾[النحل: ٥٢]، أي له الطاعة والخضوع خالصةً ثابتة. (سائقُه): أي يسوقُه معه غنيمة، والاستفهامُ في

هذا البيت خارجٌ مخرجَ الاستنكار. (دائنين بغبطةٍ): مطيعين فرِحين هانئين، ويروى (دائبين) مِن الدؤوب وهو الاستمرار في الجملة، أي كنَّا فرحين هانئين وحالُنا مستمرٌّ على ذلك. (يسيل بنا): نسير فيه بسهولة، وهي استعارةٌ حسَنة مشهورة، يُقال سال في الوادي إذا سار فيه سيراً سهلاً مسرِعا. (تلع الملا): تقدَّم أن التلعة الأرضُ المرتفعةُ التي يتردد فيها السَّيل، والملا الصَّحراء كما تقدَّم. (وأبارقُه): جمعُ أبرَق، وهو الموضعُ الذي غطَّته الحجارةُ السُّود. (لا أحتلُّ): لا أسكُن ولا أنزِل. (بصهوةٍ): موضعٍ مرتفعٍ عال. (حرامٍ عليك رمله وشقائقه): تقدَّم أن الشقيقة الرملة العظيمة، يريد لأسكنَنَّ بمكانٍ عالٍ لا تستطيعُ منالَه، تحرُم عليكِ جوانبُه وآفاقُه، وهذا المعنى مشهور، أخذوه من النابغةِ لمَّا خاطب النعمان بقوله (وحلَّت بيوتي في يفاعٍ ممنَّعٍ)[1]، وأبيات النَّابغة بديعة معروفة، وكأنَّ الشاعر هنا أراد الإشارة إلى الغساسنة، فهم الذين بينهم وبين المناذرة عداوة، وأرضُ كلٍّ منهم محرمةٌ على غيرِه، ويدلُّ على ذلك قطعةٌ لعارقٍ رواها أبو تمَّام في باب الهجاء. (بهديٍ مُشعَرٍ بكَراتُه): الهديُ قرابينُ الحرَم التي تُهدَى إليه من النَّعَم، والبَكراتُ جمعُ بَكْرة وهي النَّاقة الفتيَّة، وهذا مِن شواهد الهديِ في الجاهلية، وكانوا يعظِّمونها غايةَ التعظيم، وما حلف بها هنا إلا تعظيما. (بصحراء الغبيط): موضع في بلاد بني تميم غرب نجد، ذكره امرئ القيس في معلقته، وهو على طريق السائر من بلاد طيئ إلى مكة، فلذلك ذكره، وهذا الأسلوب متكرر عند الشَّاعر كما في بيته الثالث. (درادقه): الدرادقُ صِغار الإبل، ولحمُها مِن أطيب اللَّحم، لذلك جعلها هديا. (لأنتحيَنْ للعظمِ ذو أنا عارقُه): لأقصدنَّ في مقاتلتِك إلى كسرِ العظم وانتزاعِ اللَّحم منه، وجعل ذلك كنايةً عن سحقِهم واستئصال شأفتِهم، وعرَق العظمَ يعرُقه إذا انتزع اللَّحمَ منه، وقوله (ذو أنا) أي الذي أنا، فهو اسم موصول في لغة طيئ، وتقدَّم مرارا، ولا يكونُ هذا الكلامُ إلا ممن امتلأ بالعزَّة قلبُه، ولم يرض بأن يُهضَم حقُّه، فاستوى عنده الملِكُ وغيرُه، فأخذ يهدِّد ويتوعَّد توعَّدَ المظلومِ المقتدِر.

---

(١) الأشعار الستة الجاهلية (٢٥٣).

• **العرض:**

(١-٢): **يقول**: سلِّم على محبوبِك قبل الرَّحيل، وجدِّدْ عهدَك به قبل أن تحول بينكما النَّوى، سلِّم على ذاك الذي ما تزال تحدوك الأشواقُ إليه، وتحدوه الأشواقُ إليك، ولكنَّ دارَه لا تواتيك إلا يسيرا، وسُبلَه لا تطاوِعُك إلا قليلا، أرسِل إليه السَّلام على البُعد، فإنَّ ذلك من واجب المحبةِ وصادقِ الوفاء، وأنتَ تتأسَّف على مفارقتِه لك كلَّ يومٍ، وتبكي لبعده عنك كلَّ ساعة.

(٣-٧): **يقول**: تسير ناقتي الخبَب في صحراء الثويَّة -وأنا خارجٌ من نجد، مقبلٌ على العراق- فكأنَّما هي جملٌ قد أربع وأرتع، سريعةُ العدو، واسعةُ الخطو، مستحكِمة القوَّة، بعيدة المنزع، قاصداً الملك عمرو بن هند زائرا، ومتوجِّهاً إليه طالبا، ولا أظنُّ ما أخذه منَّا فائتا، وليس ما غنِمَه ذاهبا، فإنَّ نسائنا -اللاتي تخالفُ صفتهنَّ ما زيَّنه بعضُ أتباع الملَك له- قد أعطاهنَّ الملك الأمان، وكتب لهنَّ المواثيق، فلا يكنَّ بذلك إلا غنيمةَ سَوءٍ لا يُنتَفع بهنَّ، ولو أنَّنا كان لنا حمىً وعهدٌ فاصطيد فيه لحمُ أرنبٍ لوفِينا به، ولَمَا أخفرنا ذمَّتنا، فكيف تفعَل ما فعلتَ -أيها الملك- وتُفسِد عهداً أنت كتبتَه! وتنقُض ميثاقاً بيدك خططتَه! أفكلُّ جيشٍ رجع من غزوتِه مخفِقاً لم يُصِب شيئاً فصادف حياً مطيعاً له في قفوله غزاه وأغار عليه؟! إنَّ هذا لا يجوز في سياسة، ولا يُستحسَن في مروءة، وإنَّ مغبة الغدر ذميمة، وعاقبةَ الخيانةِ قبيحةٌ دميمة.

(٨-١١): **يقول**: وكنَّا أناساً في ديارنا آمنين، ووسط بيوتنا هانئين، نسير حيثُ شئنا، ونرتع حيثُ حللنا، مستوثِقين بعهدِك وأننا في حماك، ومعتمدين على ميثاقك وأننا في أمانك، فجرى ما جرى من النقض والخيانة، ولم تتورَّع عما فعلتَه من الغزو والإغارة، فأحلفُ بعد ذلك لا أنزل بأرضِك، ولا أحتمي بحماك، ولأحلنَّ مكاناً خارجاً عن ملكك، بعيداً من بلدِك، تحرُم عليك جوانبُه وآفاقُه، وإنِّي أحلفُ بهَديِ الحرَم الذي أُشعِرَت نوقُه، وقُلِّدَت أعناقُه؛ لئن لم تغيِّر أيها الملك صنيعَك، وتتدارك

ما فاتك، لأقصدنَّ إلى مقاتلتِك وكسرِك، ولأعمدنَّ إلى غزوك ودحرِك، فاختر أيَّ الأمرين شئتَ!

وقد نظرتُ في هذه القصيدة واستغربتُ إدخالَها باب الأضياف، وهي بباب الحماسة أو الهجاء ألصَق، وطفِقتُ أقلِّب البابَ من أوله لآخره غيرَ مرَّة، فظهر لي أنَّه ربَّما أدخلها لأجل البيتين الثالث والرَّابع، فإنَّه ذكرَ فيهما رحلتَه وقصدَه الملكَ لعلَّه يرجع عليه بها غَنِم، ويعيد له ما استلبه، وسمَّى رحلتَه إليه زيارةً فقال: (إلى المنذر الخير ابن هندٍ تزورُه)، وهذا المعنى تذكره العرَبُ في وصف الكرَم والعطاء، وقد روى أبو تمام بعدَه في الحماسة قطعةً منها[1]:

سرَت من لِوىٰ المرُّوتِ حتىٰ تجاوزَت ... إلـيَّ، ودوني مـن قنــاةِ شـجونُها

إلىٰ رجلٍ يُزجــي المطيَّ علىٰ الوجىٰ ... دِقاقــاً، ويشـقىٰ بالسَّـنامِ سـمينُها

ثم إنَّ عارقاً حلف في قصيدتِه هذه بقرابينِ الحرَم وهديِه المُشعَر، وفي هذا اتِّصالٌ لطيفٌ ببابِ الأضياف، فلا يمتنع بعد هذا أن تدخل هذا الباب.

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٣٦٧).

(٢٠٢)

وقال آخَرُ: [من الرجز]

١. إنـكَ يا ابـنَ جعفرٍ نِـعْـمَ الفَتَىٰ

٢. ونِـعْـم مــأوَىٰ طــارقٍ إذا أتـىٰ

٣. ورُبَّ ضيفٍ طَرَقَ الـحَيَّ سُرَىٰ

٤. صـادَفَ زادًا وحديثًا ما اشتَهَىٰ

٥. إنَّ الـحديثَ جانبٌ مِنَ القِرَىٰ

٦. ثم اللِّحافُ بعد ذاك في الذَّرَىٰ

- **الكشف:**

هو الشَّمَّاخ بن ضِرار، وتقدَّمت ترجمته في آخر قطعةٍ من باب المراثي، يمدح عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ويصفُه بالكرم والجود، وحسن العمل بالضِّيفان، وهو من أجواد قريشٍ المشهورين.

- **البيان:**

(ابن جعفر): عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، الجواد ابن الجواد، وهو آخر مَن رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلَّم وصحِبَه من بني هاشم وفاةً. (مأوى طارقٍ): المأوى اسمُ مفعَل من الإيواء، وهو ضمُّ الإنسان غيرَه إليه وحسنُ استقباله، والطارقُ النَّازلُ من غير ميعاد، وأضافه إلى النكرة للتعميم، كأنَّه يقول: مأوى الطرَّاق! وهذا أبلغ في المدح. (سُرى): السُّرى سيرُ اللَّيل، وتقدَّم غير مرة، واستقبال الضَّيف هذا الوقت كنايةٌ عن تهيؤه كلَّ ساعةٍ لاستقبال ضيوفِه. (صادف زاداً وحديثاً): لقي عندك طعاماً

كافيا، وحديثاً مؤنِسا، وكل ذلك من القِرى كما تقدَّم في بيان القطعة التاسعة والتسعين ومئة، وهي شبيهةٌ بهذه جدًّا. (ما اشتهى): أي: أطعمه وأحدِّثُه ما كان مشتهياً ذلك، فإن أراد النَّوم تأخرتُ عنه، كما مرَّ عند (وتعلم نفسي أنَّه سوف يهجعُ). (اللِّحاف): ما يُتغطَّى به ويُدَّثَر. (الذَّرى): الكنَف والجانِب.

- **العرض:**

(١-٦): **يقول**: إنَّك يا ابن جعفرٍ نعم الفتى، محمودٌ في الأقوام، ومقدَّمٌ على الفتيان، دارك آهلةٌ بالنازلين، وبيتكَ عامرٌ بالزائرين، فأنتَ مأوى الطرَّاق إذا وردوا، وحاجةُ السؤَّال إذا طلبوا، وربَّ ضيفٍ أتى الحيَّ ليلاً راجياً القِرى، فأحسنتَ استقباله، وأكرمتَ وفادته، وهيَّأتَ له ما شاء مِن الطَّعام، وحدَّثتَه بما أحبَّ من الحديث، وكذلك فإنَّ تأنيس الضَّيف بمُلحٍ من الحديث من شرائطِ القِرى وأسبابِه، وفضائلِ الكرَم وخصالِه، ثم تكرمُه بعد ذلك فتهيئ له فراشا، وتعدُّ له وطاءً، فما أهنأ ضيوفَك بك!

هذا -بفضل الله ومنته- تمام شرح باب الأضياف من هذه الألفية، وعِداده فيها (١٢٢) بيتا، وهو أزكىٰ الأبواب وأحمَدُها في النَّاس، ويتلوه باب المدح.

باب المَدح

المدحُ حُسنُ الثَّناء وذكرُ الفضائل، وهو أعمُّ من الحَمد، وذلك بيِّنٌ من اشتقاقِه، فإنَّ العرب تقول: انمدحَت الأرضُ إذا اتسعَت، فالمدحُ التوسُّعُ في الثَّناء على الممدوح، ومِنه قول نابغةِ بني ذبيان[1]:

وكنتُ امرأً لا أمدح الدهرَ سُوقةً فلستُ علىٰ خيرٍ أتاكَ بحاسِدِ

وهذا البابُ أصلٌ في أغراضِ الشِّعر، ومَن تأمَّل ما يجري على لسان الشُّعراء لما وجد قصيدةً تخلو منه إلَّا أن تكون هجاء، فقد (قال قومٌ: الشِّعر كله نوعان: مدح، وهجاء. فإلى المدح يرجع الرثاء والفخر والتشبيب وما تعلَّق بذلك مِن محمودِ الوصف، كصفاتِ الطلول والآثار، والتشبيهات الحِسان، وكذلك تحسينُ الأخلاق، كالأمثال والحكم والمواعظ والزهد في الدُّنيا والقناعة)[2].

ولهذا كانت إصابةُ المدح من معايير تفاضل الشعراء، وقال عمرُ لَمَّا فضَّل زهيراً على غيرِه: (وكان لا يمدحُ الرَّجلَ إلَّا بما فيه)[3]، وهذا الكلامُ منه رضي الله عنه فاضلٌ نافعٌ، دالٌّ على علوِّ كعبه في نقدِ الشِّعر، (فإنَّ في هذا القول -إذا فُهِم، وعُمِل به- منفعةٌ عامة، وهي العلمُ بأنَّه إذا كان الواجبُ أن لا يمدح الرِّجال إلا بما يكون لهم وفيهم، فكذا يجبُ أن لا يمدح شيئاً غيرهم إلا بما يكون له وفيه، وبما يليق به ولا ينافره)[4].

ولم يُطِل أبو تمام في هذا الباب، لأنَّه قد تقدَّم من الحماسة والرثاء والأدب والضِّيافة ما هو مدحٌ في جُملتِه، ولكنَّ هذا الباب له قدرُ اختصاصٍ بالممدوح من حيثُ تعداد فضائله ومحاسنِه، وكذلك لم يُكثِر أبو مالكٍ في انتقائه منه[5].

---

(١) الأشعار الستة الجاهلية (٣٠٧).

(٢) العمدة لابن رشيق (١/ ١٢١).

(٣) الشعر والشعراء (١/ ١٣٨).

(٤) نقد الشعر (٢٠).

(٥) هذا على اعتبار المدح باباً منفصلا، كما هو المشهور في نسخة المرزوقي، إلا أن بعض النسخ جعلت (باب الأضياف والمديح) واحدا، كما هو عند سائر شراح الحماسة، ولعله الراجح. انظر: شروح حماسة أبي تمام، دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقاتها (٢٢).

(٢٠٣)

وقال أَعْشَىٰ رَبِيعةَ: [من الطويل]

١. وما أنا في حَقِّي ولا في خُصُومتي ... بمُهْتضَمٍ حقِّي ولا قارعٍ قِرْني

٢. ولا مُسْلِمٍ مَوْلاي عند جِنايةٍ ... ولا خائفٍ مَوْلاي مِن شَرِّ ما أجني

٣. وإنَّ فؤادًا بين جَنْبيَّ عالمٌ ... بما أبصَرَتْ عَيْنِي وما سَمِعَتْ أُذْني

٤. وفضَّلَني في الشِّعْر واللُّبِّ أنني ... أقولُ علىٰ عِلمٍ وأعرِفُ مَن أَعْني

٥. وأصبَحْتُ إذْ فضَّلْتُ مَرْوانَ وابْنَه ... علىٰ الناسِ قد فضَّلتُ خيرَ أبٍ وابْنِ

• **الكشف:**

هو عبدُ الله بن خارجة بن حبيب، من بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان البكريين، ولهذا يقولون له (أعشى ربيعة) تمييزاً له عن (أعشى قيس) و(أعشى باهلة)، ومَن قال: سُمِّي (أعشى ربيعة) لأنَّه من بني ربيعة بن نزار فما أتى بشيء، فإنَّ (أعشى قيس) يرجع إلى ربيعة بن نزار كذلك، ولكنَّه من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة البكريين، والشاعرُ هنا من بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان البكريين، فكلاهما بكري، وكان أعشى ربيعة شاعراً إسلامياً، متعصِّباً لبني أميَّة، مدَّاحاً لخلفائها.

وقد رويَ أنَّ أعشى ربيعة قدِمَ على عبد الملك بن مروان، فسأله عبد الملك: ما الذي بقي منك؟ فأنشده الأعشى قطعته هذه.

فلمَّا فرغ قال عبد الملك: من يلومني في هذا؟ ثمَّ أمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تخوت ثياب، وعشر فرائض من الإبل، وأقطعَه ألفَ جريب!

- **البيان:**

(في حقِّي): فيما أستحقُّه من النَّاس. (في خصومتي): في منازعتي للنَّاس ومجاذبتي. (بمهتضَم): مهضومٍ مظلوم. (ولا قارعٍ قِرني): أي لا أقرعُ قِرني فينصرفَ عنِّي وقد أمنني، ولكني أجعله مشغولَ البالِ بي أبدا، حذِراً من غضبتي وسطوتي، وقيل لا يستقيم هذا المعنى إلا برواية (فارغٍ قرني)، ويروى كذلك (ولا قارعٍ سنِّي) أي ولا نادمٍ على شيءٍ أفعلُه. (ولا مُسلمٍ مولاي عند جنايةٍ): المولى هنا القريب، والجناية الجريمةُ التي يؤخَذ بها صاحبُها، والمعنى أنَّه لا يخذل قريبَه ولا يُسلِمُه لجريرتِه، وقد تقدَّم في باب الحماسة (فلا تخذل المولى وإن كان ظالماً)، ولما خُذِلَ الشنفرى وصف نفسَه فقال (مبسَلاً بالجرائرِ) كما تقدَّم في باب الحماسة. (ولا خائفٍ مولاي من شرِّ ما أجني): ولا يخافُ قريبي من جريمةٍ آتيها فيؤخَذ هو بها، بل أمنع أن يصله الأذى منِّي، وبين الشطرين مقابلة حسَنة. (وإنَّ فؤاداً بين جنبيَّ): قدَّمَ الفخرَ ليتخلَّص بذلك إلى المدح ويأتي به على وجهِه. (أبصرَت عيني وما سمِعت أذني): هذا مِن تأكيد الفِعل بذكر الجارحةِ الفاعلة، ومنه قول الحق سبحانه ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾[الأنعام: ٣٨]. (وفضَّلني في الشِعر): ذكرَ فضلَه في الشِّعر، لأنَّه راجعٌ على الممدوح بالفضل. (واللبِّ): والعقل، وأولو الألباب أصحابُ العقولِ كما تقدَّم. (مروان وابنَه): يعني عبد الملك بن مروان بن الحكم، الخليفة المشهور.

- **العرض:**

(١-٢): **يقول:** إني من النَّاس المدافِعين عن حقوقِهم، والقائمين على حوائجِهم، لا أُبخَس في حقٍّ، ولا أُمنَع من حاجة، أجاذب غيري إذا نازعني، وأقارع قرني إذا ظلمني، ثمَّ لا أدع له مأمنا، ولا أُخلِي له بالا، بل يشتغِل بي فكرُه، ويزيد منِّي حذَرُه، وأمَّا مع القريبِ فتجدني له ناصرا، ولدعوتِه حاضرا، لا أخذله إن جنى جنايةً أو اجترمَ جُرما، بل أدفَع عنه وأستنقذه، ثم إن جنيتُ أنا كفيتُه أمري، ولم أتركه يؤخذ بي،

وتصدَّيتُ للنوائب وحدي.

(٥.٣): يقول: ولقد اكتسبتُ من مشاهدتي وتجاربي والأخبار الواقعةِ إليَّ ما صار به قلبي عالما، وبصَري ثاقبا، وعقلي مميِّزا، فلا تلتبسُ عليَّ وجوهُ الحق، ولا تضطرب بي فنونُ الصِّدق، فإذا قلتُ الشِّعرَ قلتُه على عِلم، ونطقتُ به عن حِكمة، لا أكذِبُ في الأخبار، ولا أتزيَّدُ في الأوصاف، فأعطي كلَّ رجلٍ ما يستحقُّه من الوصف، وأقسِمُ لكل امرئٍ حقَّه من المدح، فمن أجل ذلك أصبحتُ إذ فضَّلتُ مروان وابنَه عبد الملك على النَّاس قد فضَّلتُ خيرَ والدٍ وولد، ولا يُقال لي كذبتَ ولا أخطأتَ، ولا خلطتَ ولا لبَّست، فلم آتِ إلَّا بالحق، ولم أقل إلَّا الصِّدق.

وتأمَّل ما قدَّم به الشاعرُ للمدحِ من فخرِه بنفسِه وذكرِ شجاعتِه وعقلِه وعلمِه، فإنَّ هذه الدعوى إذا صدقَت كان المديحُ بعدها أبلغ، فشجاعتُه تمنعه من المدح رهبةً وخوفا، وعقله يمنعه من المدح رغبةً وتزويقا، وعلمُه يمنعَه من المدح جهلاً وعماية، فإذا برِئ المدحُ من الرهبةِ والرغبةِ والجهلِ كان أصدقَ في الحال، وأوقعَ في النَّفس.

(٢٠٤)

وقال أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ: [من الوافر]

١. أأَذكُــرُ حاجتي أم قـد كَفَاني حَيَاؤك إنَّ شِيمتَكَ الحياءُ

٢. وعِلمُك بالحقوقِ وأنت فَرْعٌ لك الحَسَبُ المُهَذَّبُ والسَّنَاءُ

٣. خليلٌ لا يُغيِّرُهُ صَبَاحٌ عنِ الخُلُقِ الجميلِ ولا مَسَاءُ

٤. وأرضُكَ كلُّ مكرُمةٍ بَنَتْها بنُو تَيْمٍ وأنت لها سَماءُ

٥. إذا أثنَىٰ عليكَ المرءُ يومًا كفَاه مِن تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

٦. تُبَاري الرِّيحَ مكرمةً ومَجْدًا إذا ما الكلبُ أجْحَرَهُ الشِّتَاءُ

● الكشف:

تقدَّمت ترجمته في القطعة الرابعة والسَّبعين، وهو في هذه القطعةِ يُثني على عبد الله بن جَدعان، وكان قد قصدَه مؤمِّلاً في عطائه، فمدحه بهذه الأبيات التي سارت مسيرَ الشَّمس، وأجزل له ابنُ جدعان العطاء.

وعبدُ الله هو ابن جدعان بن كعب القرشي التيمي، من بني تيمِ بن مرَّة القرشيين، عدَّه أبو عبيدة من عقماء العرَب فلم يولد له[1]، وكان مِن أجواد العرب وحكمائهم، وضُرِب به المثَل في قريش، وقيل إنَّ له جفنةً كان يأكل منها الرَّاكبُ على بعيرِه لعظمِها، ووقع فيها صغيرٌ مرَّةً فغرِق!

وعلى ذلك فلم يكن ينفعه شيء لَمَّا ترك الإيمان بالله، وقالت عائشةُ تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: يا رسول الله، إنَّ ابن جدعان كان في الجاهليَّة يصِل الرَّحم،

(١) انظر: الديباج (١٢٢).

ويُطعِم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ فقال: (لا ينفعه! إنَّه لم يقل يوماً: ربِّ اغفر لي خطيئتي يومَ الدِّين)[1]، فاللهمَّ اغفِر لنا خطايانا يومَ الدِّين.

- **البيان:**

(أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك): يريد أأصرِّح بذكرِ حاجتِي إليك؟ أم أكتفي بكرمِك وفطنتِك؟ (شيمتك): طبيعتُك وسجيتُك وخُلقك. (وعلمُك بالحقوق): أي ويكفيني كذلك علمُك بالحقوق؟ يعني معرفتك بواجب السائلين، وطِلبة المحتاجين. (لك الحسَب المهذَّب): الفعال الشَّريفة الزكية لآبائك ولك، وقد أحلنا غيرَ مرَّةٍ على هذا الموضع، وهو بيانُ الحسَب، فقال قومٌ: هو كالنَّسَب، وقال قومٌ: هو كالعِرض، وقال قومٌ: هو مآثرُ الآباء، وتحقيقُ القولِ في الحسَب مما يظهر بجمعِ كلام العرَب إلى بعضِه أنَّهم يريدون به كريمَ الفَعال للآباء وللأبناء، والسِّياق يُخصِّصُ أحدَهما تارةً ويعمِّم تارة، فإذا افتخَر المرء بحسَبِ نفسِه فقد عنى فعاله، وإن افتخر بحسَب آبائه فقد عنى فعالهم، وإن افتخر بالحسَب وأطلق فقد عنى كريمَ الفعال في الآباء والأبناء. (والسَّناءُ): والرفعةُ والعلو. (خليلٌ): صاحبٌ حميم. (لا يغيِّرُه صباحٌ...): أراد أنَّ كرمَه فائضٌ كلَّ وقت، وجودَه واسعٌ كلَّ حين. (وأرضُك): أراد ما تهيَّأ له من مجدِ قومِه. (بنو تيم): بن مرَّة بن كعب القرشيين، السَّادة الكرام، مِن المطيَّبين الذين تحالفوا على الطِّيب، ومنهم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه. (كفاه من تعرُّضِه الثناءُ): هذا كما قال أبو الطَّيب (وفي النفس حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ)، وكما قال الآخر (فلقاؤه يكفيكَ والتَّسليمُ)[2]. (تُباري الرِّيح): تسابق الرِّيح بكرمِك، فكأنَّك تباريها في هبوبِها أوان الجدب والقحط. (أجحرَه الشتاءُ): أدخلَه الجُحر، أي مِن شدَّة البرد، وتقدَّم في باب الأضياف غير مرَّة أنَّ مِن عادة العرب الفخرَ بالإطعام في الشتاء والبردِ، وهي أمارة سخاءٍ وكرم.

---

(١) رواه مسلم (٢١٤).

(٢) انظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي (١٨٣٥).

- **العرض:**

(١-٣): **يقول**: أيُّ الأمرين أعتمِد منك؟ أألقي حاجتي إليك، وأسنِد كتفِي عليك، وأصرِّح بطلبي عندك؟ أم أعتمِد على كرمِ ذكائك، وأثق بفضلِ فطنتك، وأكتفي بالتعرُّضِ لك؟ ولا أظنُّها إلَّا الثانية، فإنِّي أعلم حُسن التفاتِك للطالبين، وسعةَ عطفِك على السائلين، فإذا ما عرَض السائلُ وجهه عليكَ اهتاج حياؤك، وثار سخاؤك، ولا عجب أن تكون كذلك فإنَّك فرعٌ لحسبٍ كريم، وورَقٌ من غصنٍ شريف، فالمجد إليك ينتهي، والعَلاء منكَ يكون، لا يتغيَّر خُلقك على تصرُّمِ الأزمان، ولا يُبلي جودَك مرورُ الأعوام، فقد صار الكرمُ لك سجيَّة، وأصبح المعروف منك عادة.

(٤-٦): **يقول**: وقد توطَّد لك من مباني المجدِ ما شيَّدَه قومُك، وعلا عندك من بناء العزِّ ما رفعَه آباؤك، ولئن كانت بنو تيمٍ زرعت أرضَك لقد أحسنتَ سقيَها وتعاهدَها، فزكَت وربَت، وثبتت على مرِّ الأيام وعلَت، وإنَّ المثني عليك لا يحتاج إلى التصريح بقصدِ نوالِك، لأنَّه متى تأدَّى إليك ثناؤه أسبغتَ عليه مِن جودك وإحسانِك، عطاوك دائم، وبرُّكَ متَّصِل، وإنَّك لَتسابِقُ الرِّيح في هبوبِها أوان القحط والجدب، وتفيضُ معروفَك على النَّاس وقتَ الشتاء والحاجة، حينَ لا يسع الكلبَ خروجُه من جحرِه لشدةِ البرد، وهذا غايةُ الكرَم.

وقد عقد ابنُ رشيقٍ في عُمدتِه باباً في الاقتضاءِ والاستنجاز، وجعل أحسنَ ما قيل في الاقتضاء قطعةَ أمية هذه، ثم قال يصفها: (فأنتَ ترى هذا الاقتضاء كيف يليِّن الصَّخر، ويستنزِل القَطر، ويحطُّ العصم إلى السهل)[1]! ولو أنَّه جعل الأخيرةَ (ويحطُّ العُصمَ من الجَبَل الوَعر) لكانت أوفقَ في السَّمع، وألطفَ في الأذن.

(١) العمدة (٢/ ١٥٨).

(٢٠٥)

وقال الـمُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ: [من الكامل]

١. لَسْنا وإنْ أحسابُنا كرُمَتْ ... مِمَّنْ على الأحْسابِ يَتَّكِلُ

٢. نَبْني كما كانت أوائِلُنا ... تَبْني ونَفْعَلُ مِثْلَ ما فَعَلوا

- **الكشف:**

هو المتوكِّل بن عبد الله بن نهشل الكناني الليثي، من بني عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، شاعرٌ إسلاميٌّ مُحسِن، وله أبياتٌ سيَّارة، منها قوله:

لا تنهَ عن خُلقٍ وتأتي مثلَه ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

ومنها هذان البيان اللذان يذكر فيهما شرف حسَبه، ويفخر بذلك، ويذكر أنَّه ليس ممن يكتفي بمآثر الآباء فيقعد عن المجد، ولكنَّه يمضي على خطاهم، ويسير بسيرِهم، وقد عدَّهما ابن رشيقٍ مِن أجود المدح[١]، ومعناهما ظاهر بيِّنٌ.

- **البيان:**

(أحسابنا): تقدَّم بيان الحسَب في القطعة الماضية، وهو هنا يختصُّ بكريمِ فعال الآباء، لدلالة السياقِ عليه. (يتَّكل): يعتمد. (نبني): هذا كما تقدَّم كثيراً من تشبيهِهم القوم بالبناء، وبناؤه يعني تشييدَ مجدِه ومفاخرِه، ومرَّ نحوه في القطعة الماضية.

- **العرض:**

(١-٢): **يقول:** لسنا ممن يعتمِد على مآثر آبائه فيقعد عن سبل المعروف، ولا ممن يثق بسُمعة قومِه فيتنكَّبُ طرقَ المجد، ولكنَّنا نمضي فنخطو خطوَهم، ونسير بسيرِهم،

(١) العمدة (٢/ ١٤٦).

ولا ندع سابقةً إلا أتيناها، ولا صعبةً إلا ركبناها، نحاول بلوغَ المعالي، ونرقى مراتب الشَّرَف.

ونحو هذا المعنى قول الحماسي[1]:

لسنا إذا ذُكِر الفعال كمعشرٍ ... أزرىٰ بفعلِ أبيهمُ الأبناءُ

ومن ذلك كلِّه أخذ أبو الطيب قولَه[2]:

وهبَ الذي ورِث الجدودَ وما رأىٰ ... أفعالهم لابنٍ بِلا أفعالِهِ

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٣٨٤).

(٢) شرح ديوان المتنبي للواحدي (١١٨٠).

(٢٠٦)

وقالت الـخَنْساءُ: [من السريع]

١. دلَّ علىٰ مَعْروفِهِ وَجْهُهُ بُورِكَ هذا هادِيًا مِن دَلِيلْ
٢. تَحْسَبُهُ غَضْبانَ مِن عِزِّهِ ذلك منه خُلُقٌ لا يَحُولْ
٣. ويلُ امِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ إذا أُلْقِيَ فيها وعليه الشَّلِيلْ

• **الكشف:**

هي تُماضِر بنت عمرو بن الشرِّيد السُّلَمية رضي الله عنها، من بني سُلَيم بن منصور، مِن قيس عيلان، أشعر النِّساء قاطبةً بشهادة النابغة الذبياني، وكانت امرأةً جميلةً في أنفِها خنَسٌ فسُمِّيت (الخنساء)، واشتهر رثاؤها لأخيها صخر، وبكته بالقصائد الطِّوال حتى جاوزَت به السادةَ الكرامَ والفرسان الشُّجعان.

وهذه القطعةُ من قصيدةٍ لاميةٍ ترثي بها أخاها صخرا، وتصِف في هذه الأبيات إشراقَ وجهِه وسماحةَ خُلقِه، وتذكر جِدَّه وشجاعتَه.

• **البيان:**

(دلَّ): أرشدَ وهدى. (بورك هذا): الإشارةُ إلى وجهِه، تدعو له بالبركة. (تحسبه غضبان مِن عزِّه): تقدَّم في باب الأضياف أنَّ العرب تشبِّه الحييَّ الكريمَ بالمريض العليل، ولا علةَ فيه، فكذلك تشبِّه العزيزَ المنيعَ بالغاضب السَّاخط، وإنَّما يراد أنَّه أبيُّ النَّفس صعبُ المجاذبة، كما قالوا (أزور) و(معوج القناة) و(صعب القياد) مما تقدَّم في باب الحماسة. (لا يحول): لا يتغيَّر ويتقلَّب. (ويل امِّه): هذا كما تقدَّم في بيان القطعة التسعين، لفظٌ ظاهرُه الدَّعاء بالهلاك، ولكنَّ ظاهره غير مقصود، وإنَّما يقصدون بذلك التعجُّبَ والاستعظام، ويخرجونه مخرج المدح، مثل (قاتله الله)، (ثكلته أمه)،

ونحوها، وهي بقطعِ الهمزةِ ووصلها، غيرَ أنَّها في هذا البيت لا تحتمِل إلَّا الوصل، لئلا يختلَّ الوزن، وهي من كلمتين: (ويل) و(أم)، وقيل: بل أصلها (وي) التعجبية، وجُرَّت (أم) باللام، ثم حُذِفت الهمزة لكثرة الاستعمال. (مِسعَر حرب): مُوقِد حَربٍ ومُشعِلها ومؤججها، وهو تمييزٌ منصوب، والمِسعَر اسم آلة، وهذا مثلٌ يُضرَب للداهيةِ الشجاعِ الذي يُخشَى جانبُه. (الشَّليل): الدرع القصيرة، ويُطلَق كذلك على الغلالة التي تكون تحت الدِّرع من ثوبٍ وغيره.

- **العرض:**

(١-٣): **تقول:** إنَّ أخي صخراً طلقُ الوَجه، سمحُ الخُلق، كريمُ النَّفس، تنظرُ في وجهه فتُبصِر فيه المعروف، وتتأمَّلُ أفعالَه فترى فيها الكرم، فبورك في وجهه المشرقِ الدالِّ على معروفِه وخيرِه، وهو على هذا أبيُّ النَّفس، صعبُ الجانب، عزيزُ المقام، إذا رمقتَه حسبتَه غاضبا لما هو عليه من العزَّة والإباء، لا يتغيَّر عمَّا هو عليه، ولا يترك ما هو فيه، وإذا رُفِع لواء الحرب كان صخرٌ السابقَ إليها، يؤجج نارَها، ويوقِد حطبَها، فيبرز إلى القوم قد أعدَّ سلاحَه وهيَّأه فكأنَّما خُلِق للحرب!

هذا -بفضل الله ومنته- تمام شرح باب المدح من هذه الألفية، وعِداده فيها (١٦) بيتا، وهو بابٌ لطيفٌ مؤنِق، ولم ينتقِ أبو مالكٍ من باب الصفات بعده، فنشرع فيما يليه، وهو باب السَّير والنُّعاس.

بابُ السَّيرِ والنُّعاسِ

هذا الباب من أمارات فقهِ أبي تمَّام بمذاهب العرب، ومعرفتِه طرائقَ كلامهم، وبصَرِه بأغراض أشعارِهم، ولا يكاد أحدٌ قبل أبي تمَّام يُفرِدُ الحديثَ فيه، وأشعارُ السَّيرِ والنُّعاس ضربٌ مِن شعر العرب يذكر فيه الشاعرُ رحلتَه ومسيرَه ليلاً، ويذكر ما يعرِضُ له فيه مِن الوَحشة والنُّعاس وغير ذلك، ومنه قول عبدة بن الطَّبيب يصف ماءً وردوه على طريقِ سفرِهم[1]:

أوردتُـه القـومَ قـد رانَ النُّعـاسُ بهـم فقلـتُ -إذ نهلـوا مـن جَمِّـه-: قيلوا

وأكثرَت العربُ مِن ذِكره في أشعارها لأنها كانت واسعةَ التَّرحال، كثيرةَ التنقُّل، وكان لا بدَّ لمن أكثر السفَر أن يوافق سفرُه ساعةً يغشاه النُّعاس فيها، ثم إذا كان ذلك سار النُّعاس في الرَّكبِ معه سيرَ النَّار في الهشيمِ! (لأنَّ مِن عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرتِه مَن يشغله، ورأى إنساناً قبالته ينودُ وينعس؛ أن يتثاءب وينعس مثلَه)[2]، فأوجب ذلك منهم وصفَ هذا الحدَث الذي يتكرَّرُ بتكرُّرِ رحلاتهم وأسفارِهم.

ثمَّ إنَّ الناعسِ تدورُ برأسه الأحلام اللذيذة، فإذا ما فتح عينيه لحاجةٍ فانجلى نعاسُه انتقضَ عليه ما كان فيه، واصطحب لذةَ تلك الأحلام لحظات، ثم تجده يغمِّض قاصداً الرجوعَ إلى ما كان فيه من لذة، فتمتنع الأحلامُ عليه، وقد صوَّر البحتري هذا المشهد بقوله:

أضـمُّ عليـه جَفـن عينـي تعلُّقـاً بـه عنـد إجـلاءِ النُّعـاس المرنِّـق

وعلَّق عليه أبو القاسم الآمدي فقال: (وهذا أصحُّ معنىً وأصدقُه وأكثرُه، وكثيراً ما ينال أكثر النَّاس ذلك عند إجلاء النَّوم وابتداءِ اليقظةِ إذا كان في رؤيا يلَذُّها)![3] فلعلَّهم إذ لم يأذن لهم الحُلم بالرُّجوع إليه بعد الانصراف عنه؛ يذكرونه في أشعارِهم، ويصفونه في قصائدهم، ولا عجبَ بعد ذلك أن تحسُن أشعارُهم في النُّعاس وتسير.

(١) المفضليات، القصيدة (٤٥).

(٢) الحيوان للجاحظ (٣/ ١٩٣).

(٣) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (٢/ ١٧٥).

(٢٠٧)

وقال واقِدُ بنُ الغِطْرِيفِ: [من الطويل]

١. يقولون لا تَشْـرَبْ نَسِيئًا فإنَّه -وإن كنتُ حرَّانًا- عليكَ وَخِيمُ

٢. لئِنْ لبَنُ المِعْزَىٰ بماءِ مُوَيسِلٍ بَغَاني داءً إنني لسَقِيمُ

• **الكشف:**

هو واقد بن الغِطريف بن طريف بن مالك الطائي، شاعرٌ جاهلي، مشهورٌ ببيتيه هذين، وجدُّه هو الذي مدحه امرؤ القيس بالكرمِ في الأبيات المشهورة.

وكان واقدُ قد مرِضَ فمنعَه الأطبَّاء شربَ اللبنِ المشوب بالماء، فقال هذين البيتين يذكر شهوتَه للبنِ المشوب بالماء، وأنَّه لا يجد عن ذلك فكاكا، وإنَّما أورد أبو تمام هذين البيتين استطراداً في المعنى، فقد ذكرهما بعد قطعةٍ وصفَ فيها اللِّقاحَ وضروعَها المملوءة باللبن، وليس للبيتين بباب السَّير والنُّعاس صلة.

• **البيان:**

(نسيئاً): النَّسيءُ والنَّسوء لبنُ الماعِز المخلوط بماء، والعربُ تخلِط اللبن بالماء استحساناً لهذا الشَّراب، فإنَّهم إذا فعلوا ذلك وقع بردُ الماءِ على حرِّ اللبَن، فكان الشراب معتدلا. (حرَّانا): شديدَ العطَش. (وخيم): مرَّ في القطعة التاسعة والأربعين أنَّ الوخيم الثقيلُ الضارُّ الذي لا يُستمرَأ، وهو هناك مجاز، وهنا حقيقة. (المعزى): يُقال في الجمع مَعْزٌ ومعَزٌ ومواعزُ ومَعيزٌ ومِعازٌ وأُمعوزٌ ومِعزى، وهي العَنز. (مويسلٍ): تصغيرُ مأسَل، وهو الموضع الذي ذكره امرؤ القيس في معلَّقته. (بغانيَ داءً): أصابني وأنزل بي.

- **العرض:**

(١-٢): يقول: قال النَّاسُ يحمونني الماءَ واللَّبَن -وقد رأوا مرضي، وشهِدوا سقمي-: لا تشربه وإن اشتدَّ مرضُك، ولا تقربه وإن حميَ كبدُك، ولا تطعمه وإن اعتلَّ جوفُك؛ فإنَّه يثقل عليك في بطنِك، ويزيد عليك مِن مرضِك. فقلتُ مجيباً لهم، غيرَ عابئٍ بهم: إذا كان لبنُ الماعزِ الممزوج بماء مأسلٍ دائي، وكان في شربِه مرضي وسقامي؛ فإنَّني لَسقيمٌ والله! إذ لا أستطيع عنه فكاكا، ولا أجد منه خلاصا، ولن يزول مرضي إذن.

(٢٠٨)

وقال حُنْدُجُ بنُ حُنْدُجٍ الـمُرِّيُّ: [من البسيط]

١. في ليلِ صُولٍ تَناهَىٰ العَرْضُ والطُّولُ ... كأنَّمـا ليلُـهُ بالليـلِ مَوْصُـولُ

٢. لا فارَقَ الصُّبحُ كَفِّي إنْ ظَفِرْتُ به ... وإنْ بَـدَتْ غُـرَّةٌ منـه وتَـحْجِـيلُ

٣. لِساهرٍ طالَ في صُولٍ تَـمَلْمُلُهُ ... كأنـه حَيَّـةٌ بالسَّـوْطِ مقتـولُ

٤. متىٰ أرَىٰ الصُّبْحَ قد لاحَتْ مَـخَايِلُهُ ... والليـلُ قـد مُزِّقَـتْ عنه السَّرابيـلُ

٥. ليلٌ تَـحَـيَّرَ ما يَنْحَطُّ في جِهةٍ ... كأنَّـه فـوقَ مَتْـنِ الأرضِ مشـكولُ

٦. نُـجُـومُـه رُكَّــدٌ ليست بزائلـةٍ ... كأنما هُـنَّ في الـجَـوِّ القَناديـلُ

٧. ما أقدَرَ اللهَ أن يُدْنِي علىٰ شَحَطٍ ... مَنْ دارُه الـحَـزْنُ مِـمَّـنْ دارُهُ صُولُ

٨. اللهُ يَطوي بِساطَ الأرضِ بَيْنهما ... حتىٰ يُرَىٰ الرَّبْعُ منه وهْو مأهـولُ

- **الكشف:**

هو حندج بن حندج المرِّي، من بني مرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، شاعرٌ إسلاميٌ معروفٌ بهذه القصيدة البديعة الرائقة التي امتلأت بالتشبيهات والأوصاف.

وهذه القطعةُ يذكر فيها الليلَ الذي ستَرَه وهو في دار غربة، ويذكر سهَره وتململَه، ويصف بعدَه شوقَه وحنينَه، وفيها تشبيهاتٌ بديعة خرجَت مِن لسان امرئٍ مَشوقٍ صادق.

- **البيان:**

(ليل صُولٍ): صُول منطقةٌ على السَّاحل الغربي لبحر قزوين، عند (دربند)، وفي إضافته الليل إليها إشارةٌ إلى أنَّ ليلها يباين كل ليل في طوله وظلامه. (تناهى العرضُ

والطول): أي امتدَّ وقتها امتدادا واسعا، وجعل الليل جسماً له طولٌ وعرضٌ على عادة العرب في التوسُّع في التشبيهات. (ليله بالليل موصول): أي كأننا لا نرى النهار أبدا، لطول هذا الليل. (لا فارق الصُّبح كفِّي إن ظفرتُ به): جعلَه في كفِّه كناية عن إدراكه، وتحتمل هذه الجملة أن تكون دعاءً معناه: لا جعل الله الصبح يفارقني إن طلع، ويحتمل أن تكون خبراً معناه: لا أترك الصُّبح يفرُّ منِّي إذا أدركتُه، وعلى كلا التقديرين يريد أنَّه شديد التشوُّف للصبح وطلوعه. (غرةٌ منه وتحجيل): تقدم بيانها في القطعة الثالثة والستين، ويريد بها هنا تباشير الصبح وعلاماته. (لساهر): متعلقٌ بقوله (بدت). (تململه): تقلُّبه وقلقُه وانزاعجُه. (حيةٌ بالسَّوط مقتول): هذا تشبيه بديع لتململه في فراشه واضطرابه. (قد لاحت مخايله): المخايلُ العلاماتُ الأولى والأمارات القريبة، والجملة حال، واستشهد النحاة بهذا البيت على وقوع الحال جملةً غيرَ مسبوقةٍ بواو. (مُزِّقت عنه السَّرابيل): هذه استعارة لطيفة لانقشاع ظلام الليل، والسَّرابيل جمعُ سِربال، وتقدَّم أنَّه القميص أو الدرع، وقيل كلُّ ما لُبِس فهو سربال. (ليلٌ تحيَّر): أراد أنه كالمتحيِّر الواقف، لا يدري أين يمضي. (مشكول): مقيَّد، مِن الشِّكال وهو الحبل أو القيد، وهذا نحو قول امرئ القيس (كأنَّ الثريَّا عُلِّقت في مصامِها)[1]. (رُكَّد): جمعُ راكد، وهو السَّاكن المستقِرّ، ومنه قول الحق سبحانه ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورى: ٣٣]. (القناديل): المصابيح، والقنديل المصباح. (ما أقدر الله أن): أراد ما أقدر الله على أن...، فحذف الجار جوازا، وهذا التعجُّب خارجٌ مخرجَ التمنِّي والطَّلب. (يدني): يقرِّب، وكان الوجهُ أن يقول (يدنيَ) إذ المضارعُ ينتصب بأن، ولكنَّه سكن الياء ضرورةً. (شحط): بُعد، وتقدَّم في القطعة السابعة والسَّبعين. (الحَزن): موضعٌ خَصبٌ طيبٌ في بلاد بني تميم. (بساط الأرض): البِساطُ الواسعُ المتباعد. (الرَّبع): المنزل والمحل. (مأهول): عامرٌ بأهله.

---

(١) شرح القصائد العشر (٣٧).

- **العرض:**

(١-٣): يقول: في ليل الموضعِ الذي يُقال له صولٌ بلغ طولُ الليل وعرضُه النهاية، وأطبق الظلامُ فنشر في المكان السَّوادَ والعماية، وامتدَّ الليلُ وطال حتى كأنَّما هو ليلٌ موصولٌ بليل، فليس هو بمنقضٍ، ولا الصبح بآتٍ، ولئن طلع الصَّباح فلا والله لا أتركه، ولأقبضنَّ عليه فلا أُطلِقُه، فقد ضقتُ ذرعاً بما اجتمع عليَّ من الهمِّ والظُّلمة، وإنِّي والله لأرجو انقضاءه وانجلاء الغُمَّة، فلقد بدت لي تباشيرُ الصُّبح وعلاماتُه، وظهرَت لي ملامحُه وأماراتُه، وأنا على ما تراني من السَّهر والتململُل، وحالتي مستمرةٌ على الانزعاج والتقلُّب، من رآني حسبني حيةً ضُرِبَت بالسَّوط ضرباً شديداً فهي تتقلب وتتوجَّع!

(٤-٦): يقول: متى أرى الصبح يلوح لي واضحاً جليًّا؟ ومتى أُبصِر الهمَّ عنِّي منصرفاً مقضيًّا؟ ومتى تُمزَّقُ عن الليل ثيابُه؟ ويتصرَّم عنه دهرُه وشبابُه؟ فقد امتدَّ بي الهمُّ امتداداً لا أطيقُه، وبلغ اللَّيل من الطُّول مبلغاً لا أحتمله، فكأنَّما هو تائهٌ حيران توقَّف في مسيرِه فلا يزول، وثبت في مكانه فلا يحول، إذا رأيتَ طولَ ظلامِه ظننتَه مقيَّداً فوق الأرض بحبلٍ فلا يجنح ولا يميل، وإذا أبصرتَ ضوء نجومِه حسبتَها معلقةً في السَّماء بخيطٍ كالقناديل.

(٧-٨): يقول: وإنَّ الله لقادرٌ على أن يقرِّبَ بين المتباعدين، ويهيِّئَ أسبابَ الاتصال للمغتربين، ويمنَّ بنشوة اللقاء على مَن كانوا مِن ذلك يائسين، فيطوي الله بساط الأرض، ويجمع بين الطول والعَرض، حتى يُرى الأحبةُ مجتمعين، والأخلاءُ مقتربين، والمنازل آهلة، والدُّور عامرة، وما ذلك على الله بعزيز.

هذا -بفضل الله ومنته- تمام شرح باب السَّير والنعاس من هذه الألفية، وعِداده فيها (١٠) أبيات، وهو بابٌ حسَنٌ غريب، ويتلوه باب المُلَح.

باب المُلَح

المُلَح جمعُ مُلحة، وهي الظريفُ الطَّريفُ من الحديث، فتُذكَر ترويحاً عن الجليس، واجتذاباً للسَّامع، وتُروى استمالةً للقلوب، وأخذاً بالأبصار، وأصلُ الملاحة والمُلوحة والمِلح اللطفُ والجمال كما مرَّ آخر باب الهجاء، ومنه قول الحماسي[1]:

فـوالله مـــا أدري أزيـدَت ملاحـةً   وحسناً علىٰ النِّسوان؟ أم ليس لي عقلُ؟

وإنَّما تجري أشعار المُلَح مجرى الفكاهة والترويح عن النَّفس، ولا يستثقلها ويمقتها إلا ثقيل ممقوت، وقد كان الإمام الزُّهري يحدِّث أصحابَه بالحديث ثم يقول: (هاتوا من أشعاركم وأحاديثكم، فإنَّ الأذن مجَّاجة، وإنَّ للنفس حمضة)[2]، وهذا دأب العلماء في كتب الأدب، وتقريع ابن قتيبة للمتنسِّكين المتزمِّتين في هذا الباب مشهور، ورسائل أبي عثمان الجاحظ فيه أشهر، والعاقل من وزن الأمرين ثم نظر إلى حاله منهما، (ولو استعمل الناسُ الدَّماثة في كلِّ حال، وأخذوا بالجِدِّ في كل مقال، وتركوا التسمُّح والتسهيل، وعقدوا في كل دقيقٍ وجليل؛ لكان الشرُّ صُراحاً خيراً لهم، والباطلُ محضاً أردَّ عليهم، ولكن لكلِّ شيءٍ قَدر، ولكل حالٍ شكل، فالضَّحك في موضعه كالبكاء في موضعه، والتبسُّم في موضعه كالقطوب في موضعه)[3].

ومن طريفِ ما تحصَّل في هذه الألفية أنَّ أبا مالكٍ جعل انتقاءه إلى هذا الباب، وترك باب (مذمة النِّساء) بعده فلم ينتق منه شيئا، وكأنَّما يذهب بصنيعه هذا مذهبَ المحدِّثين في ختم مجالسهم، ممتثلين قول العراقي[4]:

واستُحسـنَ الإنشـادُ في الأواخـرِ   بعـد الحكايـاتِ مـع النَّـوادرِ

---

(١) ديوان الحماسة (٢/ ٧٢).

(٢) انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (٤/ ٤٧٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٤١).

(٣) رسائل الجاحظ (٣/ ٨٠).

(٤) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي (٣/ ٢٦٩).

وإنَّما ورثوا هذا الفعلَ اللطيف عن السلفِ الكرام، لا محدَثةً صنعوها، ولا بدعةً فعلوها، كما قال العلامة العلوي في طلعته[1]:

وروِّح القلبَ بذكر الطُّرَفِ فإنَّ ذلك صنيعُ السَّلفِ

(١) من منظومة (طلعة الأنوار في علم آثار النبي المختار).

(٢٠٩)

وقال آخَرُ: [من الخفيف]

١. خَـبَّـرُوهـا بـأنَّـنـي قـد تـزوَّجْـ ـتُ فظلَّتْ تكاتِمُ الغيـظَ سِـرَّا

٢. ثـم قـالـتْ لأختِـهـا ولأخـرىٰ جَزَعًا ليتَه تـزوَّجَ عَشْـرَا

٣. وأشـــارت إلـىٰ نـسـاءٍ لَـدَيْـهـا مـا تَـرَىٰ دُونَهُـنَّ للسِّـرِّ سِـتْرَا

٤. مـا لـقَـلْـبـي كـأنـه لـيـس مني وعِظامـي إخـالُ فِيهِـنَّ فَتْـرَا

- **الكشف:**

هو عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة القرشيُّ المخزومي، من بني مخزوم بن يقظة بن مرة القرشيين، إمام المتغزِّلين، وسيِّد العاشقين، الشاعر الإسلامي المشهور، شهد له ابن عباس رضي الله عنهما بالفصاحة، وسلَّم له الشعراء بالجودة والإصابة، وهو أوَّل من جعل النساء غرضاً أوحد في الشِّعر، بهنَّ تبدأ القصيدة وإليهنَّ تنتهي.

وهذه أبيات طريفة يذكر فيها أنَّه تزوج، فبلغ ذلك زوجتَه الأولى، فأبدت للناس الإعراض، وتركت أمامهم المبالاة والاكتراث، ثم خلَت إلى صويحباتها تحادثهنَّ فإذا فؤادها يغلي غيظا، وكبدها يتقطع قهرا!

وكأنَّما أراد بقطعته هذه أنَّ النساء لا يُحسِنَّ كظم الغيظ، ولا يُطِقن كتم الجزع، ولا يصبرن لحبس النَّفس، بل يسارع ما في قلوبهنَّ إلى أعينهنَّ، ويظهر ما في أفئدتهنَّ على ألسنتهنَّ، ولئن أراد هذا فقد صدق.

- **البيان:**

(خبَّروها): أبلغُوها، وأوصلوا إليها، وهذا من الأفعال الذي يتعدَّى إلى ثلاثة مفاعيل، وتقدَّم غير مرَّة. (تُكاتِم الغيظ): هذا تعبير لطيف لكتمها غيظها، وفي قوله

(تكاتم) إشارة إلى تكلُّف كتمان الغيظ ومجاهدة ذلك. (جزعاً): مفعول له، وهي قولها هذا تُظهِر التجلُّد والتصبُّر. (ما ترى دونهنَّ للسر سترا): أي هنَّ صويحباتٌ لها، لا تكتمهنَّ شيئا، ويجوز في سين (سترا) الفتح على المصدرية، والكسر على أنَّه واحد السُّتور، والثاني أجود. (كأنَّه ليس منِّي): أنكرت قلبها لهول النبأ وشدة وقعه عليها. (وعظامي إخال فيهنَّ فترا): تقدم أن الأفصح كسر مضارع إخال، والقياس فتحها، والفتر والفتور استرخاءُ المفاصل والأعضاء وسكونها، والعربُ تجعَل استرخاء المفاصل وفتور العظام أمارةً على اضطراب الفؤاد وجزع القلب، وترى أنَّ الفراق يُحدِث الامذلال، وهو فتور العظام، كما قال ذو الرمَّة[1]:

وذِكرُ البَين يصدَع في فؤادي ** ويُحدِث في مفاصليَ امذلالا

- **العرض:**

(٤ـ١): **يقول:** بلغَ امرأتي أني تزوجتُ عليها أخرى، ووقع عليها النبأُ صعباً مُرًّا، فأقبلت تداري غيظها وتكتمه، وأخذت تستر غضبها وتحجبه، وقالت في مجلس نساءٍ -كان فيه أختها وامرأة غيرها-: (ليته تزوَّج عشرا! فإنِّي لا أبالي به)، وما كان هذا القول منها إلا جزعاً متلبِّساً بالجلادة، وغضباً مكسوًّا بالحِلم، ثمَّ لَّما خلت بصويحباتها اللاتي لا تكتهمنَّ سِرًّا، ولا تخفي عنهنَّ خبرا، أقبلت إليهنَّ فقالت: (قبَّحه الله فقد فجعني، وقد اضطرب له قلبي، واشتدَّ منه جزعي، وغلا عليه غيظي، وأمست عظامي فاترة، ومفاصلي مسترخية)!

---

(١) ديوان ذي الرمَّة بشرح التبريزي (٥١٢).

(٢١٠)

وقال آخَرُ: [من الطويل]

١. لعَمْري لقد حذَّرتُ قُرطًا وجارَه ولا يَنفعُ التحذيرُ مَن ليس يَحْذَرُ

٢. نَهَيْتُهما عن نُورةٍ أحرَقَتْهُما وحَمَّامِ سَوْءٍ ماؤه يَتسعَّرُ

٣. فما منهما إلا أتاني مُوقَّعًا به أثرٌ مِن مَسِّها يَتقشَّرُ

٤. أجِدَّكما لم تَعْلما أنَّ جارَنا أبا الحِسْلِ بالصَّحْراء لا يَتنَوَّرُ

٥. ولم تَعْلما حَمَّامَنا بِبلادِنا إذا جعَل الحِرْباءُ بالجِذْلِ يَخْطِرُ

- **الكشف:**

هو عبيد بن قرط الأسدي، اختار له أبو تمام في حماستيه الصغرى والكبرى، وهو أعرابي مخضرم الدَّولتين الأموية والعبَّاسية.

وكان عبيدٌ أتى من البادية هو وابنه قرطٌ وصاحبٌ له فدخلوا بغداد، فرأوا الحمَّام الذي يغتسل فيه النَّاس ويتنظَّفون، ورأوا كيف يرفع النَّاسُ عنهم الشعورَ والأوساخ بالنُّورة، والنُّورة مادةٌ تذهَبُ بالشُّعور التي يقبح بقاؤها، فاشتهى قرطٌ وصاحبُه أن يدخلا الحمَّام، ويفعلا بالنَّورة ما يفعل النَّاس.

فحذَّرهما عبيد من هذا الأمر الحادث، ونهاهما عن دخول الحمَّام، فلم يستمعا له ودخلا وأخذا شيئاً من بالنُّورة؛ فلم يُحسِنا استعمالها، فأحرقتهما وآذتهما، فلمَّا خرجا على عبيدٍ ضحكَ منهما، وقال أبياتَه هذه يذكر لهما تحذيرَه ونهيَه، ويصف جروحَهما وعاقبتَهما، ثم يعظهما من دخول الأمور بلا عِلم، وتقحُّمها بلا حذر.

- **البيان:**

(لعَمري): لحياتي، وهو قسمٌ كثيرُ الجريان على لسان العرب كما تقدَّم. (وجاره): وصاحبه، وأصله الجار المجاورُ في المسكن، ثم استعملته العربُ لكلٍّ من كان لاصقَ الصُّحبة كملاصقة الجار جارَه. (نورةٍ): النُّورة مادةٌ يُزال بها شعرُ العانة ونحوه من الشُّعور المستكرهة. (وحمامِ سوءٍ): الحَمَّام موضع اغتسالهم، وكانت في بغداد دورٌ كثيرةٌ معدَّةٌ لذلك الاغتسال، وأضافها إلى السَّوء تشنيعاً كما تقدَّم في القطعة التاسعة والعشرين ومئة. (يتسعَّرُ): يوقَد ويُشعَل، تنبيهاً على حرارة ماء الحمام، والتسعير الإيقاد كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾[التكوير: ١٢]، نجانا الله. (موقَّعاً): الوَقْعُ الأثر، والموقَّعُ الذي به أثرُ الجرحِ أو الضَّرب، وأصله في البهائم، وتقدَّم في القطعة التاسعة والعشرين ومئة، ويريد هنا ما أحدثت فيهما النورةُ من الجراح. (من مسِّها): أي من استعمالِها، وعبَّر بالمسِّ تهويلاً لأمر هذه النورة، وأنَّها تؤثِّر بأدنى مسّ. (أجدَّكما): تقدَّم الكلام على هذه اللفظة في القطعة الثالثة والثمانين. (جارنا): صاحبنا، كما مضى أول هذه القطعة. (أبا الحسل): أي الضبَّ، والعربُ تجعل للحيوانات كنى علماً عليها، فتقول للأسد أبا الحارث، وللضبع أمَّ عامر، وللديك أبا النَّبهان، وللذئب أبا جعدة، وغير ذلك. (يتنوَّر): يستعمل النورة، والأفصح يتنأَّر، لذلك أنكر أبو العباس ثعلب (يتنوَّر)، لكن روايتها ثابتة، والشاعرُ أخرج هذا الكلام مخرج التهكُّم والتندُّر. (حمامنا ببلادنا): هذا على وجه المقابلة، وأراد: ما اعتادوا عليه من الماء، واغتسالهم في الصَّحراء، وإزالتهم الشعر بالموسى ونحوها، لا حمامات أهل الحضر ونورتهم. (الحرباء): الحرباءُ دويبةٌ تستقبِل الشَّمس وتدور معها، ويضربون بها المثل في التلوُّن والتقلُّب، ومن ذكَّر الضَّمير في الكلام عنها فقد أرجعه للفظ (الحرباء) وهذا الغالب، ومن أنَّثه فقد اعتبر أنَّها دويبةٌ صغيرة؛ فأرجع الضَّمير إلى المعنى. (الجذل): الخشبُ وأصل الحطَب العظيم، وذلك أنَّ الحرباء إذا اشتدَّ عليه الشمسُ لجأ إلى ساق

شجرةٍ فاستظلَّ بظلِّها. (يخطِرُ): يدور ويحرِّك ذنَبَه، وأراد بهذا الشطر الأخير وصف شدةِ حرِّ ذلك اليوم.

- **العرض:**

(٥ـ١): **يقول**: وحياتي لقد حذَّرتُ قرطاً وصاحبه ونهيتُهما، وزجرتُهما عن دخول الحمَّام ووعظتُهما، ولكنَّهما ركبا رأسَهما لجاجا، ومضيا في أمرِهما جهلا، ولقد ذكرتُ لهما خطرَ النُّورة وحرارتَها، وبيَّنتُ لهما استعار الماء وغليانَه، فلم يرعياني سَمعا، ولم يقبلا منِّي نصيحة، وما إن دخلا حتى خرجا إليَّ يصيحان، وقدما عليَّ يبكيان، قد جرحتهما النُّورة وأثَّرَت فيهما، وأحرقهما الماءُ إذ صُبَّ عليهما، فجروحهم باديةٌ تتقشَّر، وآلامُهم مِن تأوهاتِهم تظهَر.

(٥ـ٤): **يقول**: أحقاً منكما لا تعلمان أنَّ هذه الأمور بعيدةٌ منَّا، وهذه الأفعال غريبةٌ عنَّا؟ فإنَّا أهل الصَّحراء والبادية، لا نعرف إلا صاحبَنا الضبَّ جارا، وقد علمتما أن الضبَّ لا يتنوَّر، فكذلك نحن مثله، إذ كلُّنا اتخذ البادية سكنا، واختار الصحراء منزلا، ولا نعرف إلا الاغتسال في بيوتِنا على شدةِ الحرِّ، والتنظُّفَ في منازلنا وقتَ القيظ، ولسنا من أهل الحاضرة -بحمامهم ونورتهم- في شيء!

هذا -بفضل الله ومنته- تمام شرح باب المُلَح من هذه الألفية، وعِداده فيها (٩) أبيات، وهو بابٌ عَذبٌ ظريف، وبشرحه انقضىٰ شرحُ ألفية الحماسة، وبهذا يكون عداد ألفية الحماسة التي انتقاها أبو مالك العوضي من ديوان الحماسة لأبي تمام (١٠١١) بيتا[١].

---

(١) هذا الحساب إنما هو على جعل الرجز المنتقى في هذه الألفية من مشطور الرجز، فتكون كلُّ ثلاث تفعيلات بيتاً مستقلًا، وهو الصحيح المختار. وإن جُعِل البيت من ست تفعيلات فيكون عداد هذه الألفية (٩٩٩) بيتاً.

أسأل الله أن يكتب فيه النَّفع، ويحقِّق به القصد، ويجعل له القبول، وقد علمتُ كثرةَ مثالبِه، ووفرةَ معايبِه، ولكنَّ العرب قالت: (ليس الريُّ عن تشافٍ)، فخذ ما دفَّ ودع ما استدَف، فقد يبلغ القَطوفُ الوَساع!

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

رجب - ١٤٤٣ هـ

عُثْمَان بْن عَبْدالله العَمُودِيّ

المصادر

١. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، دار المعرفة، أربعة أجزاء، ت: بدوي طبانة.

٢. أخبار أبي تمام، أبو بكر محمد بن يحيىٰ الصولي (٣٣٥هـ)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، جزء، ت: مجموعة من المحققين.

٣. الاختيارين، أبو المحاسن علي بن سليمان الأخفش (٣١٥هـ)، دار الفكر المعاصر، جزء، ت: فخر الدين قباوة.

٤. أخلاق الوزيرين، أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (٤١٤هـ)، دار الكتب العلمية، جزء، ت: الناشر.

٥. الأدب الصغير، عبد الله بن المقفع (١٤٢هـ)، دار ابن القيم، جزء، ت: وائل خلف.

٦. أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، جزء، ت: محمد الدالي.

٧. الأدب والمروءة، صالح بن جناح اللخمي (بعد١٥٠هـ)، دار الصحابة للتراث، جزء، ت: الناشر.

٨. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، جزءين، ت: محمد عيون السود.

٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبدالبر (٤٦٣هـ)، دار الجيل، أربعة أجزاء، ت: علي البجاوي.

١٠. أسد الغابة، أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير (٦٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، ثمانية أجزاء، ت: علي معوض وعادل عبد الموجود.

١١. أسرار الحماسة، سيد علي المرصفي (١٣٤٩هـ)، مطبعة أبي الهول، جزء، ت: الناشر.

١٢. الأشعار الستة الجاهلية، أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري (٤٧٦هـ)، درة الغواص، جزء، ت: يوسف السناري.

١٣. إصلاح ما غلط فيه النمري، أبو محمد الحسن بن أحمد الأعرابي (بعد ٤٣٠هـ)، معهد المخطوطات العربية، جزء، ت: محمد علي سلطاني.

١٤. الأصمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٦هـ)، دار المعارف، جزء، ت: أحمد شاكر.

١٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القيم (٧٥١هـ)، دار ابن الجوزي، سبعة أجزاء، ت: مشهور حسن آل سلمان.

١٦. الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٣٥٦هـ)، دار صادر، خمسة وعشرون جزءا، ت: إحسان عباس وآخرون.

١٧. الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن بن عيسىٰ الهمذاني (٣٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، جزء، ت: إميل يعقوب.

١٨. ألفية الحماسة، أبو مالك وائل سميح العوضي، دار تكوين، جزء.

١٩. أمالي ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن علي ابن الشجري (٥٤٢هـ)، مكتبة الخانجي، ثلاثة أجزاء، ت: محمود الطناحي.

٢٠. أمالي ابن المزرع، أبو بكر يموت بن المزرع العبيدي (٣٠٤هـ)، دار البشائر، جزء، ت: إبراهيم صالح.

٢١. أمالي الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٤٠هـ)، دار الجيل، جزء، ت: عبد السلام هارون.

٢٢. أمالي القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (٣٥٦هـ)، دار الكتب المصرية، أربعة أجزاء، ت: محمد عبد الجواد الأصمعي.

٢٣. أمالي المرتضىٰ، علي بن الحسين الشريف المرتضىٰ (٤٣٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية، جزئين، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٢٤. أمالي المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (٤٢١هـ)، دار الغرب الإسلامي، جزء، ت: يحيىٰ الجبوري.

٢٥. أمالي اليزيدي، أبو عبدالله محمد بن العباس اليزيدي (٣١٠هـ)، جمعية دائرة المعارف، جزء، ت: الناشر.

٢٦. أيام العرب في الجاهلية، مجموعة من المؤلفين، دار إحياء الكتب العربية، جزء.

٢٧. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (٧٤٥هـ)، دار الفكر، عشرة أجزاء، ت: صدقي جميل.

٢٨. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ)، دار هجر، واحد وعشرون جزءا، ت: عبد الله التركي.

٢٩. البرصان والعرجان والعميان والحولان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، دار الجيل، جزء، ت: عبد السلام هارون.

٣٠. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، دار إحياء الكتب العربية، أربعة أجزاء، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣١. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي (١٣٤٢هـ)، دار الكتاب المصري، ثلاثة أجزاء، ت: محمد بهجة الأثري.

٣٢. بهجة المجالس وأنس المجالس، أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر (٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، ثلاثة أجزاء، ت: محمد مرسي الخولي.

٣٣. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، مكتبة الخانجي، أربعة أجزاء، ت: عبد السلام هارون.

٣٤. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (٤٦٣هـ)، دار الغرب، ستة عشر جزءا، ت: بشار عواد.

٣٥. تاريخ نجد، محمود شكري الألوسي (١٣٤٢هـ)، دار الوراق، ثلاثة أجزاء، ت: محمد بهجة الأثري.

٣٦. التذكرة الحمدونية، أبو المعالي محمد بن الحسن ابن حمدون (٥٦٢هـ)، دار صادر، عشرة أجزاء، ت: إحسان عباس وبكر عباس.

٣٧. تصحيفات المحدثين، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢هـ)، المطبعة العربية الحديثة، ثلاثة أجزاء، ت: محمود ميرة.

٣٨. التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، مكتبة نهضة مصر، جزء، ت: إبراهيم الجمل.

٣٩. تعليقات علىٰ مواضع من شرح الحماسة للمرزوقي، أيوب حميدان الجهني، منشور علىٰ الشبكة.

٤٠. التمثيل والمحاضرة، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (٤٢٩هـ)، الدار العربية للكتاب، جزء، ت: عبد الفتاح الحلو.

٤١. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دائرة المعارف النظامية، اثنا عشر جزءا، ت: الناشر.

٤٢. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، ثمانية أجزاء، ت: محمد مرعب.

٤٣. التوضيحات الأثرية لمتن الرسالة التدمرية، فخر الدين المحسي، مكتبة الرشد، جزء.

٤٤. جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مؤسسة الرسالة، أربعة وعشرون جزءا، ت: أحمد ومحمود شاكر.

٤٥. الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، السلطانية، دار طوق النجاة، تسعة أجزاء، ت: محمد زهير الناصر.

٤٦. الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ الترمذي (٢٧٩هـ)، دار الغرب، ستة أجزاء، ت: بشار عواد.

٤٧. الجليس الصالح الكافي، أبو الفرج المعافىٰ بن زكريا (٣٩٠هـ)، دار الكتب العلمية، جزء، ت: عبد الكريم الجندي.

٤٨. جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (١٧٠هـ)، مكتبة نهضة مصر، جزء، ت: علي البجادي.

٤٩. جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم (٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، جزء، ت: لجنة من العلماء.

٥٠. الحاوي الكبير، أبو الحسن، علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، تسعة عشر جزءا، ت: علي معوض وعادل عبد الموجود.

٥١. حلية المحاضرة، أبو علي محمد بن الحسن بن الظفر الحاتمي (٣٨٨هـ)، دار الرشيد، جزءين، ت: جعفر الكتاني.

٥٢. الحلية في طبقات الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، عشرة أجزاء، ت: الناشر.

٥٣. حماسة أبي تمام وشروحها، عبد الله عبد الرحيم عسيلان، دار إحياء الكتب العربية، جزء.

٥٤. الحماسة البصرية، أبو الحسن علي بن أبي الفرج البصري (٦٥٩هـ)، دار عالم الكتب، جزءين، ت: مختار الدين أحمد.

٥٥. حماسة الخالديين (الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين)، أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (٣٧١هـ) وأبو بكر محمد بن هاشم الخالدي (٣٨٠هـ)، وزارة الثقافة للنشر، ت: محمد دقة.

٥٦. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، دار الجيل، ثمانية أجزاء، ت: عبد السلام هارون.

٥٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ)، مكتبة الخانجي، ثلاثة عشر جزءا، ت: عبد السلام هارون.

٥٨. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ)، دار الكتب المصرية، ثلاثة أجزاء، ت: محمد النجار.

٥٩. الخيل، أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ (٢٠٩هـ)، جمعية دائرة المعارف، جزء، ت: الناشر.

٦٠. درة الغواص في أوهام الخواص، أبو محمد القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، جزء، ت: عرفات مطرجي.

٦١. الديباج، أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ (٢٠٩هـ)، مكتبة الخانجي، جزء، ت: عبد الله الجربوع وعبد الرحمن العثيمين.

٦٢. ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن عباس ابن الرومي (٢٨٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، ستة أجزاء، ت: حسين نصار.

٦٣. ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، أبو زكريا يحيىٰ بن علي التبريزي (٤٢١هـ)، دار الكتاب العربي، جزءين، ت: راجي الأسمر.

٦٤. ديوان أبي فراس الحمداني، أبو فراس الحارث بن أبي العلاء الحمداني (٣٥٧هـ)، دار الكتاب العربي، جزء.

٦٥. ديوان الأعشىٰ الكبير، أبو بصير ميمون بن قيس الأعشىٰ، مكتبة الآداب بالجماميز، جزء، ت: محمد حسين.

٦٦. ديوان البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (٢٨٠هـ)، دار المعارف، ثلاثة أجزاء، ت: حسن الصيرفي.

٦٧. ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (٢٣١هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود، جزءين، ت: عبدالله عسيلان.

٦٨. ديوان الخنساء بشرح ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيىٰ الشيباني (٢٩١هـ)، دار عمار، جزء، ت: أنور أبو سويلم.

٦٩. ديوان العباس بن الأحنف، العباس بن الأحنف (١٩٣هـ)، دار الكتب المصرية، جزء، ت: عاتكة الخزرجي.

٧٠. ديوان العجاج بشرح الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٦هـ)، دار الشرق العربي، جزء، ت: عزة حسن.

٧١. ديوان الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب التميمي (١١٠هـ)، الشركة العالمية للكتاب، جزءين، ت: إيليا الحاوي.

٧٢. ديوان المتنبي بشرح المعري (اللامع العزيزي)، أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (٤٤٩هـ)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ثلاثة أجزاء، ت: سعيد مولوي.

٧٣. ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (بعد ٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، جزءين، ت: أحمد بسج.

٧٤. ديوان امرئ القيس، أبو وهب امرؤ القيس بن حجر الكندي، دار المعارف، جزء، ت: محمد أبو الفضل.

٧٥. ديوان ذي الرمة بشرح التبريزي، أبو زكريا يحيىٰ بن علي التبريزي (٤٢١هـ)، دار الكتاب العربي، جزء، ت: مجيد طراد.

٧٦. ديوان طرفة بشرح الأعلم، أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري (٤٧٦هـ)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، جزء، ت: درية الخطيب ولطفي السقال.

٧٧. ديوان عامر بن الطفيل، عامر بن الطفيل العامري (٩هـ)، دار صادر، جزء، ت: الناشر.

٧٨. ديوان قيس بن الخطيم، قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، مطبعة العاني، جزء، ت: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب.

٧٩. ديوان كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (١٠٥هـ)، دار الثقافة، جزء، ت: إحسان عباس.

٨٠. ديوان مجنون بني عامر برواية الوالبي، قيس بن الملوح العامري (٦٨هـ)، دار الفارس للنشر، جزء، ت: هدىٰ عامر.

٨١. ديوان نابغة بني شيبان، عبد الله بن المخارق الشيباني، دار الكتب المصرية بالقاهرة، جزء، ت: الناشر.

٨٢. ذم الهوىٰ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، دار الكتاب العربي، جزء، ت: خالد العلمي.

٨٣. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨هـ)، مؤسسة الأعلمي، خمسة أجزاء، ت: عبد الأمير مهنا.

٨٤. الرسالة التدمرية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، مكتبة السنة المحمدية، جزء، ت: محمد بن عودة السعوي.

٨٥. رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، مكتبة الخانجي، أربعة أجزاء، ت: عبد السلام هارون.

٨٦. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية، جزء، ت: محيي الدين عبد الحميد.

٨٧. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القيم (٧٥١هـ)، دار عالم الفوائد، جزء، ت: محمد عزير شمس.

٨٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القيم (٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، خمسة أجزاء، ت: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.

٨٩. الزهد، أبو السري هناد بن السري التميمي (٢٤٣هـ)، دار الخلفاء، جزءين، ت: عبد الرحمن الفريوائي.

٩٠. زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (٤٥٣هـ)، دار الجيل، أربعة أجزاء، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٩١. الزهرة، أبو بكر محمد بن داود الظاهري (٢٩٧هـ)، مكتبة المنار، جزء، ت: إبراهيم السامرائي.

٩٢. سمط اللآلئ على أمالي القالي، عبد العزيز الراجكوتي الميمني (١٣٩٨هـ)، دار الكتب العلمية، جزءين.

٩٣. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٣هـ)، دار إحياء الكتاب العربي، جزءين، ت: محمد عبد الباقي.

٩٤. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ)، مؤسسة الرسالة، خمسة أجزاء، ت: مجموعة من المؤلفين.

٩٥. سنن الدرامي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥هـ)، دار المغني، أربعة أجزاء، ت: حسين سليم.

٩٦. السنن الكبير (سنن البيهقي)، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، دار هجر، أربعة وعشرون جزءا، ت: عبد الله التركي.

٩٧. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، جزء، ت: الناشر.

٩٨. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، خمسة وعشرون جزءا، ت: مجموعة من المحققين.

٩٩. شرح الحماسات للأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري (٤٧٦هـ)، دار الفكر المعاصر، جزءين، ت: علي المفضل حمودان.

١٠٠. شرح الرضي علىٰ كافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الاسترباذي الرضي (٦٦٨هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود، أربعة أجزاء، ت: حسن الحفظي.

١٠١. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ)، دار الكعارف، جزء، ت: عبد السلام هارون.

١٠٢. شرح القصائد العشر للتبريزي، أبو زكريا يحيىٰ بن علي التبريزي (٤٢١هـ)، دار صادر، جزء، ت: الناشر.

١٠٣. شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (٦٧٢هـ)، جامعة أم القرىٰ، خمسة أجزاء، ت: عبد المنعم أحمد.

١٠٤. شرح حماسة أبي تمام للفارسي، أبو القاسم زيد بن علي الفارسي (٤٦٧هـ)، (مطبوع مع: شروح حماسة أبي تمام دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقاتها).

١٠٥. شرح ديوان الحماسة للتبريزي، أبو زكريا يحيىٰ بن علي التبريزي (٤٢١هـ)، دار الكتب العلمية، جزءين، ت: غريد الشيخ.

١٠٦. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (٤٢١هـ)، دار الجيل، أربعة أجزاء، ت: عبد السلام هارون، أحمد أمين.

١٠٧. شرح ديوان المتنبي للواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، دار الرائد العربي، أربعة أجزاء، ت: ياسين الأيوبي وقصي الحسين.

١٠٨. شرح قصيدة (بانت سعاد)، أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي (٨٣٧هـ)، مكتبة المعارف، جزء ت: علي البواب.

١٠٩. شرح لامية العجم، أبو البقاء محمد بن موسىٰ الدميري (٨٠٨هـ)، دار المنهاج، جزء، ت: جميل عويضة.

١١٠. شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢هـ)، مكتبة البابي الحلبي، جزء، ت: عبد العزيز أحمد.

١١١. شرح نقائض جرير والفرزدق، أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ (٢٠٩هـ)، المجمع الثقافي، ثلاثة أجزاء، ت: محمد حور ووليد خالص.

١١٢. شروح حماسة أبي تمام دراسة موازنة في مناهجها وتطبيقاتها، محمد عثمان علي، دار الأوزاعي، ثلاثة أجزاء.

١١٣. شعر إبراهيم بن هرمة، إبراهيم بن هرمة القرشي (١٧٦هـ)، مجمع اللغة بدمشق، جزء، ت: محمد نفاع وحسين عطوان.

١١٤. شعر الأخطل بصنعة السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري (٢٧٥هـ)، دار الفكر المعاصر، جزء، ت: فخر الدين قباوة.

١١٥. شعر عروة بن أذينة، عروة بن أذينة الليثي الكناني (١٣٠هـ)، دار القلم، جزء، ت: يحيىٰ الجبوري.

١١٦. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، دار المعارف، جزء، ت: أحمد شاكر.

١١٧. الشعر، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (٣٧٧هـ)، مكتبة الخانجي، جزءين، ت: محمود الطناحي.

١١٨. الصارم المسلول في حكم شاتم الرسول، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، الحرس الوطني السعودي، جزء، ت: محيي الدين عبد الحميد.

١١٩. الصحيح المختصر (صحيح مسلم)، أبو الحسين مسلم من الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي، خمسة أجزاء، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢٠. الصداقة والصديق، أبو حيان علي بن محمد التوحيدي (٤١٤هـ)، دار الفكر المعاصر، جزء، ت: إبراهيم الكيلاني.

١٢١. صفة الصفوة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، دار الحديث، جزءين، ت: أحمد علي.

١٢٢. الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (بعد ٣٩٥هـ)، المكتبة العصرية، جزء، ت: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل.

١٢٣. صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، دار القلم، جزء، ت: حسن المساحي.

١٢٤. طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد ابن المعتز (٢٩٦هـ)، دار المعارف، جزء، عبد الستار فراج.

١٢٥. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ)، دار المدني، جزءين، ت: محمود شاكر.

١٢٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القيم (٧٥١هـ)، دار السلفية، جزء، ت: الناشر.

١٢٧. العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨هـ)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ت: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري.

١٢٨. العمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ)، مكتبة الخانجي، جزءين، ت: النبوي شعلان.

١٢٩. عيار الشعر، أبو الحسن محمد بن أحمد ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ)، مكتبة الخانجي، جزء، ت: عبدالعزيز المانع.

١٣٠. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، المكتب الإسلامي، أربعة أجزاء، ت: منذر أبوشعر.

١٣١. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هـ)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، خمسة أجزاء، ت: حسين شرف.

١٣٢. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ)، مكتبة السنة، أربعة أجزاء، ت: علي حسين علي.

١٣٣. فضل العطاء علىٰ العسر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (بعد ٣٩٥هـ)، المكتبة السلفية، جزء، ت: محمود شاكر.

١٣٤. قواعد الشعر، أبو العباس أحمد بن يحيىٰ الشيباني (٢٩١هـ)، مكتبة الخانجي، جزء، ت: رمضان عبد التواب.

١٣٥. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير (٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، عشرة أجزاء، ت: عمر تدمري.

١٣٦. الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، دار الفكر العربي، أربعة أجزاء، ت: محمد أبو الفضل.

١٣٧. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد ابن عدي الجرجاني (٣٦٥هـ)، دار الكتب العلمية، عشرة أجزاء، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض.

١٣٨. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (١٨٠هـ)، مكتبة الخانجي، أربعة أجزاء، ت: عبد السلام هارون.

١٣٩. الكناية والتعريض، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (٤٢٩هـ)، مكتبة الخانجي، جزء، ت: أسامة البحيري.

١٤٠. لحن العوام، أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (٣٧٩هـ)، مكتبة الخانجي، جزء، ت: رمضان عبد التواب.

١٤١. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، خمسة عشر جزءا، ت: الناشر.

١٤٢. مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيىٰ الشيباني (٢٩١هـ)، دار المعارف، جزءين، ت: عبد السلام هارون.

١٤٣. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (٥١٨هـ)، دار المعرفة، جزءين، ت: محمد محيي الدين.

١٤٤. مجموع الفتاوىٰ، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سبعة وثلاثون جزءا، ت: عبد الرحمن بن قاسم.

١٤٥. المجموع اللفيف، أبو جعفر محمد بن محمد ابن هبة الله (بعد ٥١٥هـ)، دار الغرب الإسلامي، جزء، ت: يحيىٰ الجبوري.

١٤٦. مجموعة رسائل الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، سبعة أجزاء.

١٤٧. المحاسن والأضداد، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، دار الهادي، جزء، ت: الناشر

١٤٨. محاضرات الأدباء، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، دار الأرقم، جزءين، ت: عمر الطباع.

١٤٩. المذاكرة في ألقاب الشعراء، أبو المجد أسعد بن إبراهيم النشابي (٦٥٧هـ)، جزء، ت: شاكر العاشور.

١٥٠. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيىٰ بن فضل الله العمري (٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، سبعة وعشرون جزءا، ت: مجموعة من المحققين.

١٥١. المسائل البصريات، أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (٣٧٧هـ)، مطبعة المدني، جزءين، ت: محمد الشاطر.

١٥٢. مسند الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة علم الأعلام الحافظ القدوة أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، خمسة وأربعون جزءا، ت: مجموعة من المحققين.

١٥٣. المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢هـ)، مطبعة الكويت، جزء، ت: عبد السلام هارون.

١٥٤. معالم السنن في شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، أربعة أجزاء.

١٥٥. معاني أبيات الحماسة، أبو عبد الله الحسين بن علي النمري (٣٨٥هـ)، مطبعة المدني، جزء، ت: عبد الله عسيلان.

١٥٦. المعاني الكبير في أبيات المعاني، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية (مصورة عن دائرة المعارف)، ثلاثة أجزاء، ت: سالم الكرنكوي وعبد الرحمن المعلمي.

١٥٧. معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ)، دار صادر، سبعة أجزاء، ت: الناشر.

١٥٨. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٣٥٦هـ)، دار المعرفة، جزء، ت: السيد صقر.

١٥٩. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي (٣٩٥هـ)، دار الفكر، ستة أجزاء، ت: عبد السلام هارون.

١٦٠. مقدمة ابن خلدون (مطبوع مع تاريخ ابن خلدون «ديوان المبتدأ والخبر»)، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ)، دار الفكر، ثمانية أجزاء، ت: خليل شحادة.

١٦١. منهاج السنة النبوية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود، تسعة أجزاء، ت: محمد رشاد سالم.

١٦٢. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ)، دار المعارف ومكتبة الخانجي، (جزءين دار المعارف ت: السيد صقر، وجزء مكتبة الخانجي: ت: عبد الله المحارب).

١٦٣. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ)، دار الجيل، جزء، ت: كرنكو.

١٦٤. الموشح في مآخذ العلماء علىٰ الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤هـ)، دار الكتب العلمية، جزء، ت: محمد شمس الدين.

١٦٥. الموطأ، إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، جزءين، ت: محمد عبد الباقي.

١٦٦. الميسر والقداح، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، المطبعة السلفية، جزء، ت: محب الدين الخطيب.

١٦٧. نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي (٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، جزء، ت: الناشر.

١٦٨. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد القلقشندي (٨٢١هـ)، دار الكتاب اللبناني، جزء، ت: إبراهيم الأبياري.

١٦٩. نهج البلاغة، أبو الحسين محمد بن الحسين الشريف الرضي (٤٠٦هـ)، دار المعرفة، أربعة أجزاء، تحقيق وشرح: محمد عبده.

١٧٠. الوحشيات (الحماسة الصغرى)، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (٢٣١هـ)، دار المعرفة، جزء، ت: عبد العزيز الميمني ومحمود شاكر.

١٧١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان (٦٨١هـ)، دار صادر، سبعة أجزاء، ت: إحسان عباس.

الفهرس

* * *

فهرس الأبواب

فهرس القِطَع

* * *

الفهارس



كان مما فعله أربابُ البيان أن عمدوا إلىٰ شعر العرب فاختاروا منه ما استحسنوه، اختيارَ حذق ودراية لا تشهٍّ وعَماية، وكان علىٰ رأس هذه الاختيارات اختيارُ أبي تمام حبيب بن أوس الطائي في ديوانه المعروف بـ«الحماسة»، الذي (وقع الإجماعُ من النقاد علىٰ أنه لم يتفق في اختيار المقطّعات أنقىٰ مما جمعه) كما يقول المرزوقي.

ومن العناية بديوان الحماسة ما تحصّل في عصرنا للشيخ أبي مالك العوضي الذي عمد إلىٰ هذا الديوان فانتخب منه نحوًا من ألفِ بيت للحفظ والاستشهاد، وكانت هذه الألفية بحاجة إلىٰ شرحٍ يكون ذريعةً لتعلق الطلبة والمتأدّبين بها، ومطيّةً لتفهُّمها في سبيل حفظها وإنشادها، فكان هذا الكتاب شرحًا يقرّب معانيها للمبتدي ويسهِّل مركبَها للممتطي، يسهِّلُ الأخذَ منها، ويقرِّبُ النظرَ فيها.

وانتهج واضع الشرح في ابتداء شرح كلِّ قطعةٍ ذكرَ خبرها ونبأ شاعرها، ثم أردف ذلك ببيان مفرداتها مع ما استتبعتْه من نكاتٍ بلاغيةٍ وأوجهٍ نحوية متىٰ ما اقتضىٰ المقام ذلك، ثم أتبع ذلك بصياغة القطعة نثرًا؛ تيسيرًا للفهم، ولتمرَّ القطعة علىٰ القارئ بأكثر من طريق.

وكان مما امتاز به هذا الشرح الأثير قرن نظائر الأشعار إلىٰ بعضها، وجمع الأشباه إلىٰ أمثالها، كما تقيَّل ذرىٰ الإحسان بكثرة الاستشهاد بآيات القرآن، ليُعلم بذلك وثيقُ الصلة بين كتاب الله ولسان العرب.





ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٦٦٠-٨-٥

المملكة العربية السعودية - الرياض - الرمز البريدي: ١٢٢٧٤
سجل تجاري: ١٠١٠٢٥٨٨٣٨ هاتف: ٩٦٦١١٢٢٥٥٤٧٣+ فاكس: ٩٦٦١١٢٢٥٠١٦٧+
www.afaqpub.com sales@afaqpub.com